دكتور
زيدان عبد الباقي
أستاذ علم الاجتماع المساعد
والخبير بمركز دراسات المرأة والتنمية
كلية البنات الإسلامية
جامعة الأزهر

أسس علم السكان

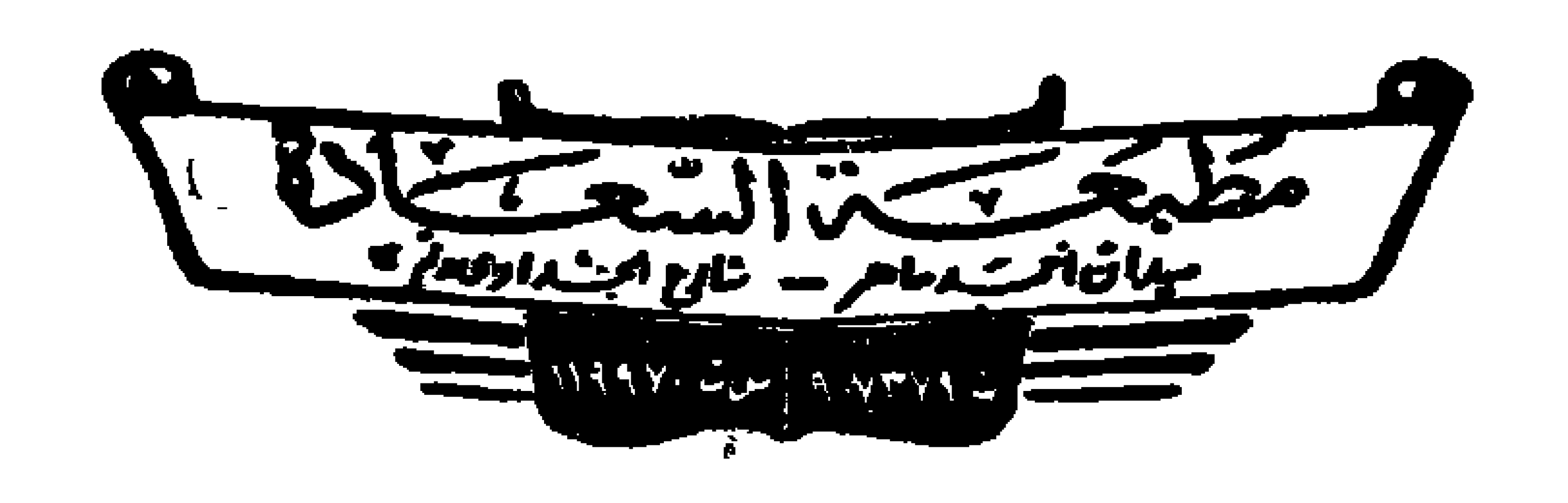
القاهرة
١٩٧٨

دكتور
زيدان عبد الباقي
كلية البنات الإسلامية
جامعة الأزهر

أسس علم السكان

توزيع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا القاهرة

القاهرة
١٩٧٦


مطبعة السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

للمتخصصين فى علم الاجتماع مدخل فى تناول « السكان » بالدراسة يتفق مع تخصصهم . ذلك أن « الديموجرافيا » تتناول السكان بالدراسة الإحصائية من حيث الحجم والتركيب والنمو، على حين أن علم السكان الاجتماعى — بجوار الحجم والتركيب والنمو — يتناول مختلف الظواهر السكانية مثل توزيع السكان ومعدلات مواليدهم ووفياتهم ونموهم ، والعوامل الطاردة للسكان والجاذبة لهم ، والعوامل التاريخية والسياسية التى تؤثر فى حركات السكان مثل التهجير والتوطين من أجل إعادة توزيع السكان داخل الوحدات الإدارية فى المجتمع . بالإضافة إلى تنظيم الأسرة كعامل من عوامل ضبط السكان — طبقا للسياسة السكانية — بما يتفق مع إمكانات الأراضى الخصبة من المحاصيل الغذائية ، واستقصاء عوامل الزيادة والنقص أو الكثافة والتخلخل من مكان إلى آخر ، كما يعنى بالسمات النوعية للسكان مثل الديانات والمعتقدات والثقافات والمهن . . . وكذلك مختلف الخصائص السلالية والعنصرية . ويتناول أيضا بالبحث توزيع السكان بين القارات ومدى تفشى الأمية بينهم ، ودرجة انتشار الأمراض ومظاهر الفقر والثراء بين بعض فئات السكان ، ويختص أيضا باقتراح الحلول للمشكلات الناجمة عن الظواهر السكانية المعتلة . . . الخ .

ولأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للمتخصصين فى علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية فإن برامج الدراسة فى أقسام علم الاجتماع بالجامعات فى كل أنحاء العالم تنطوى على مادة أساسية باسم « علم السكان الاجتماعى » ولما كنت

أتولى تدريس هذا العلم فى الكلية التى أعمل بها وفى غيرها من كليات الجامعة ، فقد رأيت إتماما للفائدة طبع المحاضرات التى ألقيتها على الطالبات والطلاب فى كتاب يكون بمثابة مرجع لكل منهم ولكل من يرغب من المهتمين بالدراسات السكانية .

وقد جاء الكتاب فى مجموعة من الفصول ينطوى كل منها على دراسة متكاملة لموضوع أو أكثر من الموضوعات السالفة الذكر ، ومن بين هذه الفصول فصل ينطوى على دراسة ميدانية فى المجال السكانى تنشر نتائجها لأول مرة .

والله نسأل أن يجعل هذا الكتاب لبنة صالحة فى صرح الدراسات العلمية السكانية .

والله ولى التوفيق ؟

الجيزة (المجوزة) ١٩٧٦/١/١ زيدان عبد الباقى

الفصل الأول

فى نشأة علم السكان

الدراسة العلمية للسكان من الموضوعات التى حظيت باهتمام بالغ من مختلف العلوم المتخصصة فى الدراسات المتصلة بالانسان . وتجرى دراسة هـذا الموضوع فى اللغات الأوروبية تحت عنوان « الديموجرافيا » Demography وهـذا المصطلح - كما جاء فى مطبوعات الأمم المتحدة[1] - يقصد به « الدراسة العلمية للسكان من حيث الحجم والبناء والنمو »[2] ويعتبر الباحث الفرنسى «جيلار» أول من استخدم هذا المصطلح فى مؤلفه بعنوان « مبادىء الاحصاء البشرى»[3] وهذا المصطلح مأخوذ عن اللغة اليونانية ويتكون من مقطعين : الأول وهو Demos بمعنى الناس ، مضافا إليه المقطع اللاحق Graphy للدلالة على علم وصفى . وعلى ذلك فإن الديموجرافيا هى الدراسة العلمية للسكان بما فى ذلك المواليد والوفيات والزيجات والصحة وما إلى ذلك .

وقد تناول « ويلكوكس » بالدراسة مدى التباين أو التجانس فى دلالة هذا المصطلح لدى كثير من البحاث فى مؤلفه بعنوان «دراسات فى الديموجرافيا الأمريكية »[4] ووجد أن بعض هؤلاء يضيقون من دلالة هذا المصطلح - كما فى المعانى السابقة - ووجد أن البعض الآخر يتوسعون فى معانى دلالة هذا المصطلح ، كما يأخذ بذلك الكثير من علماء السكان فى الوقت الحالى ، ويرون أن المعنى العام لهذا المصطلح هو « دراسة الظواهر المتعلقة بالسكان

1 — U. N. Multilingual Demographic Dictionary . N. y., 1958.
2 — The Scientific Study of human population, primarily with respect of their size, their structure and their development.
3 — Guillard, A. ; Eléments de statistique Humaine .
4 — Willcox, W. F. ; Studies In American Demography , 1940 .

من البشر من حيث معدلات المواليد ، الزواج ، الوفيات ، الهجرة ومختلف العوامل التي تؤثر في كل ذلك ، ويلاحظ أن علماء البيولوجيا يستخدمون هذا المصطلح للدلالة على الكائنات الحية من الحيوانات Animal population

وإذا كان من النادر أن يتمكن المؤرخون من تحديد تاريخ بداية أي علم معين ، فإن الدراسة العلمية للسكان « الديموجرافيا » تبدو على خلاف ذلك ، إذ من الميسور تتبع أصلها بوضوح كامل وقاطع إلى ما قبل ثلاثةقرون تقريبا . فقد كان « جون جرونت John Graunt وهو رجل أعمال بريطاني ناجح ، يجلس أمام المدفأة ، ينعم النظر في تأمل القوائم الأسبوعية للوفيات ، عندما خطرت له فكرة ، حيث كانت قوائم المواليدو الوفيات والزيجات وما إلى ذلك تعد وتنشر منذ قرون . وبالتالي كان الأثرياء يفيدون من دراسة تلك القوائم لمعرفة متى يكون من الحصافة ترك مدينة لندن إلى الريف حيث الهواء الطلق النقي الملائم للصحة ، كما يحدث عند مواجهة مرض معد كاسح . ومن هنا كانت الفكرة التي خطرت على ذهن « جرونت » وهي إخضاع تلك الأرقام الواردة في قوائم المواليد والوفيات والزيجات للتحليل العلمي . ومن ثم حول الفكرة إلى دراسة علمية لتلك القوائم ، وقام بطبعها ، وأطلق عليها إسم « تأملات طبيعية وسياسية مستخلصة من قوائم الوفيات »[1] . وكان ذلك سنة ١٦٦٢ وبذلك أصبح هذا المطبوع أول مؤلف عرف في ميدان الدراسة العلميه للسكان ، في الوقت التي لم تظهر فيه كلمة «الديموجرافيا» إلا بعد ذلك بحوالي مائتي سنة .

وقد استعان « جرونت » في إعداد هذا المؤلف بمعدلات الوفيات في بعض أحياء لندن من أجل استنتاج بعض التعميمات أو القوانين العلمية المتعلقة بالسكان . وقد اكتشف من دراسته هذه أن نسب الوفيات تعزى إلى أسباب

---

1 — Graunt, J. Natural and political observations made upon the Bills of Mortality . London 1662.

معينة تميل إلى الثبات ، كما حاول دراسة معدلات الوفيات Mortality عن طريق مقارنة جداول إحصائية للأحياء Table life بجداول احصائية أخرى للوفيات عن طريق متابعة حياة مجموعة من الأطفال الذين ولدوا فى لحظة واحدة من الزمن ، وإلى آخر لحظة من حياتهم ، وبمقتضى تلك الدراسة أصبح واحدا من أوائل الذين استخدموا الجداول الاحصائية فى دراسة الوجود البشرى من حيث الحجم والبناء والنمو . ومن جهة أخرى فقد ألحق بمؤلفه بعنوان « الوفيات » كثيرا من الإحصاءات الصحية للقرنين السابع عشر والثامن عشر لانتشار الاهتمام بالدراسات الصحية خلال هذين القرنين . ولعل الاهتمام بالنواحى الصحية خلال هذين القرنين يعزى إلى انتشار أساليب التأمين على الحياة خلال هذه الفترة . وقد أكدت هذه الإحصاءات علاوة على ذلك أن سيادة أساليب التأمين على الحياة قد أدت إلى انخفاض معدلات الوفيات عن معدلات نمو السكان . وإن كانت الأسس الكامنة خلف جداول الوفيات التى أعدها « هيلى » Halley فى أواخر القرن السابع عشر غير مفهومة لافتقارها إلى البيانات الكافية التى تسمح بالوصول إلى دلالات إحصائية من جانب ، ولعدم صلاحية تلك الجداول من الناحية الفنية للتناول الإحصائى .

هذا وقد بدأت أساليب إعداد تلك الجداول الإحصائية للوفيات تميل إلى التحسن اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر بشكل واضح . كما أدخلت تحسينات عديدة على كيفية ضغط احصاءات السكان Census-taking وتسجيل المواليد vital registration فى أوروبا خلال ذلك القرن أيضا ، مما أدى الى تقدم جدير بالاعتبار فى نوعية Quality البيانات الأساسية المتاحة لعلماء السكان Demographers ودفعتهم الى دراسة مختلف التغيرات التى طرأت على بناء السكان ، ومكنتهم من الرجوع الى دراسة البيانات الإحصائية السابقة المتعلقة بالسكان . ومن جهة أخرى فقد استخدمت الطرق الرياضية Culminating فى تنمية « نموذج سكانى ثابت »[1] بواسطة عالم السكان « لوتكا »

---

1 — stable population Model, by A. J. Lotka .

فى السنوات الأولى من القرن العشرين . وقد ظلت معدلات الخصوبة والوفيات ثابتة فى هذا « النموذج » طوال الوقت . وأوضحت دراسة هذا النموذج السكانى الثابت أن إحصاءات السكان تميل الى الثبات stability فى ظل تلك الظروف ، بمعنى أن تستمر تكوينات العمر المتناسبة[١] للسكان كما هى ، وأن أى تغيرات فى السكان تجرى على أساس معدلات ثابتة أو جوهرية Intrinsic وبالتالى فإن أعداد السكان الثابتة لا تتقابل من الناحية المعيارية مع الظروف الواقعية .

غير أن هذا النموذج للنمو الثابت للسكان يمكن أن يكون مفيداً فى حالة وضع معيار يستخدم فى المقارنة مع النمو الفعلى للسكان ، ويوجد فى الوقت الحالى فرع خاص لهذا الموضوع فقط يعرف « بالدراسة العلمية الرسمية للسكان » أو « بالتحليل السكانى » demographic Analysis والذى يتم فيه تناول العلاقات الكمية بين الظواهر الديموجرافية[٢] فى صورة مجردة مع ربطها بمختلف الظواهر الأخرى التى تتصل بها .

ومن المصطلحات التى تحظى باهتمام علماء السكان مصطلح « الخصوبة » فى الإنجاب ، ومن ثم تلقى منهم اهتماما متزايدا ، ويبحثون من أجلها عن وضع الأسس التى تكفل الضبط الذاتى الرشيد لاسيما فى المجتمعات التى يتزايد فيها السكان بصورة لا تتلاءم مع طاقتها فى إنتاج المحاصيل الزراعية الضرورية لهؤلاء السكان وبجوار ذلك يعطون اهتماما جديراً بالاعتبار للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والفيزيقية التى تؤثر على خصوبة الفرد (ولقد استخدم مصطلح — الخصوبة — بواسطة علماء السكان للإشارة إلى الإنجاز التناسلى الفعال)[٣] كطاقة فسيولوجية واضحة للإنجاب to repıcduce أى الطاقة التى توصف بغزارة الإنجاب Fecundity ومع ذلك فان العناية التى تعطى للخلفية الديموجرافية

---

1 — proportionate age Composition .
2 — Demographic phenomena ,
3 — Fertility = Actual reproductive performance

الخارجية ليست ثابتة بصفة دائمة ، على حين يبدو من الواضح أن دراسة الخصوبة تعني بالدرجة الأولى علماء السكان الذين يهتمون بالضبط الاجتماعي للإنجاب(١) وكذلك دراسة أنماط الزواج بصفة مبدئية . ومثل علماء السكان هؤلاء يعملون على إيجاد صلة بين موضوع الضبط الاجتماعي للإنجاب وكذلك موضوع أنماط الزواج وبين بعض العلوم الاجتماعية الأخرى مثل : علم الاجتماع ، الاقتصاديات ، علم النفس الاجتماعي . . . على اعتبار أن لدراسة « الوفيات » جوانب اجتماعية أيضاً . وكذلك اتجه هؤلاء العلماء في الوقت الحالي إلى زيادة التركيز على الاتجاهات والدوافع المتعلقة بانجاب الأطفال childbearing وبالتربية Rearing لزيادة إيضاح أبعاد حالات التباين في معدلات الخصوبة بين مختلف المجتمعات أو داخل المجتمع نفسه على فترات مختلفة . ومثل تلك الدراسات تجرى تحت عنوان « دراسات السكان» population studies لوصف تلك الأنشطة العلمية ، على حين يترك لإصطلاح « ديموجرافيا » ذلك الجانب الذي يعرف بالدراسة العلمية الرسمية للسكان أو بالتحليل الإحصائي للسكان(٢) .

ومن الجوانب الأخرى التي يهتم بتناولها علم السكان أو الدراسة العلمية للسكان ذلك الجانب الذي يختص بدراسة محاولات التنبؤ Forecast لمستقبل حركات movement السكان . ومن الوسائل الفنية (التكنيكات) الرياضية التي استخدمت في تنفيذ هذا التنبؤ على وجه السرعة وسيلة « الكومبيوتر الإلكتروني » أي وسيلة الحساب العلمي ، حيث لم يكن في إمكانهم تنمية نتائج إفتراضات معينة على برامج مستقبل الخصوبة والوفيات وتصحيحاتها التي تعتمد على دقة هذه الافتراضات بدون الاستعانة بطرق البحث Research Methods العلمي هذه لإعداد نماذج الأبنية السكانية الضرورية لاختبار تلك الافتراضات.

ويستخدم أيضاً علم السكان أو الدراسة العلمية للسكان في الوقت الحالي

---

1 — Social control of rsproduction .
2 — Form demography or demographic analysis

التكنيكات الإحصائية والعلاقات القائمة بين السكان ، كما يتناول أيضا العوامل التاريخية والاجتماعية التى تؤثر فى حركات السكان[1] .

تعريف علم السكان :

من التمهيد السابق يمكن أن يعرف علم السكان بأنه « علم وصفى تقريرى يرمى إلى دراسة النواحى السكانية (مثل الظواهر السكانية وأنواعها ، كمعدلات المواليد والزواج والوفيات والهجرة ومختلف العوامل التى تؤثر فى كل ذلك)[2] دراسة علمية تحليليه مقارنة لبيان ما هو كائن وليس لبيان ما ينبغى أن يكون » .

موضوع علم السكان :

بمقتضى التعريف السابق لعلم السكان ، فإن هذا العلم يختص بدراسة سكان العالم من حيث حجمهم وتوزيعهم، واستقصاء عوامل الزيادة والنقص أو الكثافة والتخلخل . كما يعنى بالسمات النوعية للسكان مثل الديانات والمعتقدات والثقافة والمهن . . . وكذلك الخصائص السلالية والعنصرية . ويتناول أيضا بالبحث توزيع السكان بين القارات وبين الدول وكذلك حالات الزواج والطلاق والمواليد والوفيات والاستقرار والهجرة والتهجير والتوطين ، وإعادة توزيع السكان داخل الوحدات السياسية والمجموعات الدولية الإقليمية أو بين أجزاء وقطاعات الدولة الواحدة . ويختص أيضا بدراسة بعض المسائل التى تنبىء عن حالة السكان المادية والمعنوية ، مثل حالتهم الصحية ، ودرجة انتشار التعليم أو تفشى الأمية بينهم ، ومدى انتشار موجات الإجرام بين بعض فئات السكان ومدى ارتباط موجات الإجرام هذه بعوامل الإفساد الاجتماعى والأساليب

---

1 — Population movement .
2 — Demography is generally used to denote the study of phenomena connected with human population, such as birth, marriages, deaths, migration and factors which influence them.

الوقائية والعلاجية المعمول بها لمواجهة الظواهر السكانية المعتلة . ويختص أيضاً باقتراح الحلول التطبيقية للمشكلات الفزيولوجية والمورفولوجية السكانية ، وكذلك البحث عن وسائل التلاؤم بين زيادة السكان والسياسة السكانية والعمل على تطبيقها مثل أسلوب تنظيم الأسرة وغيره من الأساليب التى يتم اللجوء إليها لمواجهة المشكلات الاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية للسكان ، بمعنى أن علم السكان لا يعنى بالمعدلات والتغيرات وما إلى ذلك فحسب، بل إنه يعنى كذلك بأسباب ونتائج هذه التغيرات . وليس معنى ذلك تجاهل الأرقام، وإنما هذا المؤلف سينطوى على كثير من الأرقام لما لها من قدرة تصويرية على الإيضاح فحسب ، ولتساعد القارىء على فهم ما يقرأ .

وإذا كان كل علم يعمل بطبيعته لخدمة الناس فإن علم السكان يعمل لصالح الناس ، إذ أن الملايين من الشباب ، رجالا ونساء ، ينتقلون من بيوتهم ومساكنهم إلى أخرى جديدة ، ومن الواجب ، بل ومن المحتم أن تعد قوانين تقسيم الأحياء ومخططات بيع الأرض وخرائط النقل قبل البناء بمدة كافية ، ذلك أن مخططى المدن City planners ومهندسى المبانى ، ومجالس التعليم ورجال الأعمال يحتاجون جميعا إلى معرفة ما سيكون عليه حجم العائلات فى المستقبل وكم منهم سيكون موجودا بعد خمس أو عشر أو ثلاثين سنة من اليوم ، ولا يملك أحد أن يجزم بذلك بالطبع على حين أن علم السكان هو أرجح العلوم مقدرة على توفير جواب منطقى معقول . وكذلك الذين يضعون مشروعات المستشفيات والمسارح والمدارس والأبنية العامة الأخرى ، يحتاجون إلى الديموجرافيين لتقدير تركيب المجتمع المقبل من حيث الأعداد والجنس وفئات العمر وما إلى ذلك .

فى أهمية الدراسات السكانية :

من الأمور التى لا تلفت نظر الانسان غير المتخصص فى الدراسات السكانية حالة ميلاد طفل . ولكنه بالنسبة لعلماء السكان إضافة جديدة إلى

الوحدة الإجتماعية الأولى وهى « الأسرة » وبالنسبة لوالديه فهو جديد عليهما إطعامه وتربيته وتوفير كل مشاعر الحب نحوه . وبالنسبة للهيئة العامة للمياه ، فإنه يمثل سبعمائة ألف جالون أخرى من المياه يجب توفيرها سنويا . وبالنسبة للتربية والتعليم قادم جديد يحتاج إلى مقعد يشغله فى الفصول الدراسية وبالنسبة لوزارة الإسكان مقيم جديد يحتاج إلى « شقة خالية » بعد عشرين سنة تقريبا ، كما يحتاج إلى نصيب معين فى حدائق المدينة . . . وبالنسبة المسئولين عن المواصلات يحتاج إلى مقعد يومى فى الأتوبيسات وإلى مقعد موسمى فى قطارات السكك الحديدية . . . وبالنسبة لمجلس المحافظة فهو فرصته للحصول على مزيد من الاعتمادات الحكومية ، وبالنسبة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، فهو رقم .

وهذا الرقم — فى حد ذاته — لا يفصح لنا عن معنى يذكر ، فهو أشبه بكلمة منفردة والكلمة الواحدة ، والقائمة بذاتها ، لا تعنى الكثير عادة . أما اذا وضعت مع كثيرات غيرها — بطريقة ذات مغزى — فإنها تصبح قصة أو قصيده أو صفحة من كتاب .

وكذلك الأمر بالنسبة للرقم ، فهو يتخذ معنى إذا كان فى سياق أعداد سكان معينين (وكلمة « سكان » populatiom تعنى مجموع عدد الأشخاص المقيمين — عادة وإن لم تكن دائما — فى منطقة معينة ، وفى وقت معين).

ومولد طفل يزيد عدد سكان أى مجتمع — إذا ما أضيف إليه — « واحدا » ، ولكن ليس معنى ذلك أن السكان فى هذا المجتمع قد زادوا واحد بالفعل ، ذلك أن شخصا ما فى هذا المجتمع فى اليوم الذى ولد فيه الطفل قد يكون مات ، أو انتقل إلى مجتمع آخر . ومن ثم فلا يكفى — لمجرد مراعاة عدد الناس الذين يعيشون فى مكان معين ـ أن يقتصر على إضافة الأطفال حديثى الولادة ، بل يجب حساب من يتوفى منهم ومن هاجر من المجتمع ومن وفد إليه ، وهذا يتطلب تسجيل المواليد والوفيات بحكم القانون . ولدينا فى

مصر قانون يقضى بذلك ، ولكن ليس لدينا قانون مماثل لتسجيل المهاجرين من وإلى المجتمع ولذلك فإنه للحصول على حساب دقيق وكامل لعدد السكان فى مختلف أرجاء المجتمع يتم إجراء تعداد كامل كل عشر سنوات فى جمهورية مصر العربية وفى كثير من دول العالم .

وبهذه الطريقة يتسنى للمختصين بالدراسات السكانية والإجتماعية مراجعة أرقام المواليد والوفيات والزيجات وحالات الطلاق وما إلى ذلك ، بينما يقوم العاملون فى التعداد أيضا بجمع إحصاءات عن العمر ، والجنس ، والدخل ، والسكن . ونحو ذلك .

هذا ويدعى الذين يجمعون البيانات عن السكان ويدرسونها ويعنون بالتغيرات التى تطرأ عليها بالديموجرافيين Demographers وعلى ذلك فإن الديموجرافيا هى الدراسة الإحصائية للسكان ، بما فى ذلك المواليد والوفيات والزيجات والصحة ... الخ .

مفاهيم سكانية أخرى :

مما سبق يمكن أن القول أن علم السكان يعنى بثلاث فئات من المعلومات : حجم السكان ، وتأليفهم أو تركيبهم ، وتوزيعهم . كما يتأمل الموقف الراهن ، والتغيرات التى تجرى . ثم أسباب هذه التغيرات والنتائج المترتبة عليها فى آخر الأمر . وسنتناول بعض هذه المفاهيم هنا بالشرح الموجز وبمزيد من الإسهاب ونحن نمضى فى دراستنا هنا .

(١) حجم السكان : population size

إذا تأملنا أولى فئات المعلومات التى ذكرناها آنفا . ألا وهى : حجم السكان فإنه يقصد به مجموع السكان فى قرية أو مدينة أو محافظة أو دولة فى وقت معين ، فلقد كان حجم سكان جمهورية مصر العربية[1] سنة ١٩٧١

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : الكتاب السنوى للاحصاء « الإحصاءات العامة لجمهورية مصر العربية » القاهرة ١٩٧٣ صفحة ١١

نحو ٣٤٠٠٧٦٠٠٠ فى حين كان عدد سكان العالم حوالى ٣٫٥ بليون نسمة ، ومن المؤكد أن هذان الرقمان قد حققا زيادة كبيرة عن هذه الأرقام فى الوقت الذى تقرأ فيه أنت هذا الكتاب . وهذان الرقمان كبيران . ولكنهما لا يعنيان شيئا يذكر فى حد ذاتهما . وإنما الأهم هنا كيف يتغيران ، وبأى معدل من معدلات النمو السكانى .

هذا وكل تغير فى السكان يتحقق من خلال ثلاثة عوامل هى : الإخصاب Fertility والوفيات Mortality والهجرة Migration وبعبارة أكثر وضوحا : المواليد والوفيات والتنقلات .

ومعدل المواليد Birth rate هو عدد المواليد فى الألف من السكان فى العـــام .

والطريقة الاحصائية لحسابه هى :

معدل المواليد $= \frac{\text{مجموع المواليد فى منطقة معينة أثناء سنة معينة}}{\text{مجموع المقيمين فى تلك المنطقة فى نصف تلك السنة}} \times ١٠٠٠$

وعلى سبيل المثال فإن عدد سكان جمهورية مصر العربية سنة ١٩٧١ كان ٣٤,٠٧٦,٠٠٠ نسمة وكان عدد الذين ولدوا فى نفس السنة هو ١,١٨٦,٠٠٠ نسمة ومن ثم كان معدل المواليد فى تلك المدة هو ١,١٨٦,٠٠٠ ÷ ٣٤,٠٧٦٠٠٠ = ٠٫٠٣٥١ . وهو عدد المواليد بالنسبة للشخص الواحد[1] ، وضربه فى ١٠٠٠ يعطينا رقما أيسر إستخداما وهو ٣٥,١ من المواليد لكل ألف من السكان .

ويعتبر هذا المعدل أقل صلاحية بالمقارنة إلى معدل الوفيات، لأنه لا يأخذ فى الإعتبار جميع السكان ، عن حين أن الأنثى فقط هى موطن الخصوبة .

1— U.N. : Demographic year Book. N. 1., 1952, 1958, 1692. Sec. 18, pp. 516—531.

ولذلك فإن المعدل الصافى للتوالد هو أفضل المقاييس . والطريقة الاحصائية لحساب هذا المعدل هى :

المعدل الصافى للتوالد = (عـدد الأطفال الإناث ÷ عـدد النساء فى سن الحمـل) × ١٠٠٠ × نسبة الباقيات على قيد الحياة من النساء لـكل ألف امرأة .

ويحسب معدل الوفيات Death rate بطريقة مشابهة ، فمعـــدل الوفيات لأى دولة فى أى سنة ما هو خارج قسمة عـــدد الوفيات باستثناء الأطفال الذين يولدوا موتى فى الدولة فى أثناء السنة على عدد السكان فى منتصف السنة . وهو يحسب لـكل ألف من السكان[١] ، ويمـكن وضع هذا المعدل فى الصيغة التالية :

المعدل العام للوفيات = (عدد الوفيات فى أثناء السنة ÷ عدد السكان فى منتصف السنة) × ١٠٠٠

وهذا المقياس لا يأخذ فى الاعتبار أعمار المتوفيين أو الأحياء . ولذلك يسمى هذا المعدل بالمعدل الأول . ويستخدم للوقوف على الحالة الصحية لدولة ما وتطور هذه الحالة فى فترة قصيرة . ولـكن استخدامه لا يصلح للمقارنة بين دولة وأخرى أو لنفس الدولة فى تاريخين غير متقاربين ، إذا ما تغير التوزيع للسكان تغيرا واضحا .

فاذا كانت الوفيات فى نفس السنة هى ٤٤٥ ألف نسمة فإن ذلك يعطينا معدل وفيات مقداره .

٤٤٥,٠٠٠ ÷ ٣٤,٠٧٦,٠٠٠ × ١٠٠٠ = ١٣,٢

فاذا طرحنا معدل الوفيات من معدل المواليد ، نحصل على معدل النمو Growth rate (أى الزيادة Increase) فى السكان ، وصيغته هى :

معدل النمو السكانى[١] = معدل المواليد − معدل الوفيات :

---

(١) أى نصيب الشخص الواحد من سكان البلاد من المواليد .

وبتطبيق هذا المعدل فى مصر نجد أنه فى سنة ١٩٧١ كان معدل النمو فى السكان فى مصر :

معدل نمو السكان فى مصر سنة ١٩٧١ = ٣٥,١ — ١٣,٢ = ٢١,٩

أى أن ٢١,٩ شخص أضيفوا لكل ألف من سكان مصر فى هذه السنة . ولما كان هذا الرقم لا يضم الهجرة ، فانه يسمى بمعدل الزيادة الطبيعية[1] . وباضافة عدد المهاجرين إلى مصر يرتفع معدل النمو السكانى إلى الرقم الذى سيرتفع إليه بإضافة عدد المهاجرين إلى مصر وهناك بعض الهجرة إلى خارج البلاد . ولكنها لا تستحق الذكر .

هذا وهناك طريقة أخرى مألوفة للتعبير عن معدل النمو ، تتمثل فى النسبة المئوية للزيادة السنوية، بمعنى إلا يكون المعدل فى الألف ، وأنما فى المائة ، وفى المثال السالف الذكر ، نجد أن الزيادة السنوية وهى ٢١ر٩ فى الألف تصبح ٢ر١٩ ٪ (أى ٢ر٢ ٪ تقريبا) وهذا هو معدل النمو الفعلى فى جمهورية مصر العربية سنة ١٩٧١ .

هذا وكان معدل النمو فى العالم طبقا لاحصاءات سنة ١٩٧١ يساوى معدل المواليد ٣٤ فى الألف مطروحا منه معدل الوفيات ١٤ فى الألف .

وبذلك يصبح معدل النمو فى العالم :

٣٤ - ١٤ = ٢٠ فى الألف أو ٢ ٪

مع مراعاة أن الهجرة ليست عاملا فى سكان العالم. و٢ ٪ من ٣ر٥ بليون نسمة ، يمثل ٧٠ مليونا ، بمعنى أن سكان العالم يزدادون حاليا بمعدل يصل إلى ٧٠ مليون نسمة فى العالم . ومن هنا فإن تعداد سكان العالم سنة ٢٠٠٠ سنويا على أساس معدل الزيادة الحالى سيصل إلى ٦ر٣ بليون نسمة . غير أن ٧٠ مليونا سنويا فى ٣٠ سنة تساوى ٢ر١ بليون نسمة ، فإذا أضيفت إلى ٣ر٥ مليون نسمة وهو

1— Rate of natural increase.

عدد السكان سنة ١٩٧١ فان المجموع يصبح ٦ر٥ مليون نسمة فقط فمن أين يتوقع أن تأتى بقية هذا العدد من الناس ؟

والإجابة أن الطريقة التى تم بها الحساب ، أغفلت عاملا فى غاية الأهمية ، وهو أن موقف السكان هنا ينبغى أن يحسب بطريقة الفائدة المركبة التى تستخدم فى البنوك أو المصارف . ومثال ذلك أنه لو كان لك ٢٠٠ ألف جنيه فى أحد البنوك (أراك تتمنى لو كان ذلك حقيقة) وأنك تحصل على فائدة بسعر ٥ ٪ ففى نهاية السنة ستحظى بزيادة قدرها ١٠ آلاف جنيه وبذلك يصبح مجموع رصيدك بالبنك ٢١٠ ألف جنيه وفى السنة الثانية والقاعدة أن الفائدة لا تحسب على أساس ٢٠٠ ألف جنيه وإنما على أساس ٢١٠ ألف جنيه و ٥ ٪ من ٢١٠ ألف جنيه ليست عشرة آلاف جنيه وانما ١٠ر١٠ آلاف جنيه . ومن ثم ففى آخر العام يصبح مجموع رصيدك ليس ٢٢٠ ألف جنيه ، وإنما ٥٠٠ر٢٢٠ جنيه وهكذا تحسب الفائدة فى كل سنة على المبلغ الأكبر الذى وصل إليه الرصيد فى تلك السنة . ويطلق على تلك النتيجة إسم الفائدة المركبة Compound تفريقا لها عن الفائدة البسيطة Simple وهكذا يتم حساب معدل النمو السكانى بنفس هذه الطريقة .

وبحساب معدل النمو السكانى على أساس أكبر فى كل سنة ، و « فائدة » مركبة بمعدل ٢ ٪ على أساس ٥ر٣ بليون نسمة فى ٣٠ سنة يرتفع مجموع السكان إلى ٦ر٣ بليون نسمة . وبذلك نصل إلى الإطار الصحيح . هذا وهناك عوامل أخرى تدخل فى الاعتبار فى حساب تقدير السكان كهذا العامل ، ولكننا سنتناولها فيما بعد .

ويلاحظ أن معدل النمو فى جمهورية مصر العربية فى تزايد مستمر وبصورة تفوق التزايد المنصوص عليه فى نظرية «مالتوس» والجدول التالى يوضح ذلك :

جدول رقم (١)

بمعدل النمو السكانى فى مصر (بالألف) من ١٩٥٢ — ١٩٧٢ [1]

السنة	عدد السكان	معدل المواليد	عدد الوفيات	معدل الزيادة الطبيعية	الزيادة العددية
١٩٥٢	٢١٤٣٧	٤٥ر٣	١٧ر٨	٢٧ر٤	٤٩٤
١٩٥٣	٢١٩٤٣	٤٢ر٦	١٩ر٦	٢٣ر٥	٥٠٦
١٩٥٤	٢٢٤٦٠	٤٢ر٦	١٧ر٩	٢٤ر٧	٥١٧
١٩٥٥	٢٢٩٩٠	٤٠ر٣	١٧ر٦	٢٢ر٧	٥٣٠
١٩٥٦	٢٣٥٢٢	٤٠ر٧	١٦ر٤	٢٤ر٣	٥٤٢
١٩٥٧	٢٤٠٧٨	٣٨ر٠	١٧ر٨	٢١ر٣	٥٥٥
١٩٥٨	٢٤٦٥٥	٤١ر٠	١٧ر٨	٢٤ر٥	٥٦٨
١٩٥٩	٢٥٢٣٧	٤٢ر٨	١٦ر٣	٢٦ر٠٠	٥٨٢
١٩٦٠	٢٥٧٣٢	٤٣ر١	١٦ر٩	٢٦ر٣	٥٩٥
١٩٦١	٢٦٧٧٩	٤٤ر١	١٦ر٩	٢٦ر٢	٧٤٧
١٩٦٢	٢٧٣٥٧	٤١ر٥	١٧ر٩	٢٣ر٦	٦٧٨
١٩٦٣	٢٧٩٤٧	٤٣ر٠	١٥ر٥	٢٧ر٥	٦٩٠
١٩٦٤	٢٨٦٥٩	٤٣ر٣	١٥ر٧	٢٦ر٦	٧١٢
١٩٦٥	٢٩٣٨٩	٤١ر٧	١٤ر١	٢٧ر٦	٧٣٠
١٩٦٦	٣٠١٣٩	٤١ر٢	١٥ر٩	٢٥ر٣	٧٥٠
١٩٦٧	٣٠٩٠٧	٣٩ر٢	١٤ر٣	٢٥ر٠	٧٦٨
١٩٦٨	٣١٦٩٣	٣٨ر٢	١٦ر١	٢٢ر١	٧٨٦
١٩٦٩	٣٢٥٠١	٣٧ر٠	١٤ر٠	٢٢ر٥	٨٠٨
١٩٧٠	٣٣٣٢٩	٣٥ر١	١٥ر١	٢١ر٠	٨٢٨
١٩٧١	٣٤٠٧٦	٣٥ر١	١٣ر٢	٢١ر٩	٧٤٧
١٩٧٢	٣٤٨٢٩	٣٤ر١	١٤ر٤	١٩ر٧	٧٦٣

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : مرجع سابق ص ١١ ، ١٩

و نتيجة لهزيمة الجيش المصرى سنة ١٩٦٧ والتكاليف الإقتصاديه الباهظة لهذه الحرب . وكذلك تكاليف الاستعدادات العسكرية التى أدت إلى انتصار الجيش المصرى سنة ١٩٧٣ فإن معدل النمو الإقتصادى كان فى انخفاض مستمر فقد هبط من ٦٫٧ ٪ وهى النسبة التى سادت الفترة من ٥٦ — ١٩٦٥ ، إلى أقل من ٥ ٪ سنويا لعبء الأنفاق العسكرى(١) . بينما يتضح من الجدول السابق أن معدلات النمو السكانى كانت فى أرتفاع مستمر ، وصل إلى ٩٠٠ ألف طفل فى السنة فى سنة ١٩٧٤ ويجدر بنا هنا أن نؤكد مرة ثانية أن كل قادم جديد لا يحتاج إلى غذاء فحسب ، وإنما يحتاج إلى كميات كبيرة من المواد الأولية ، والخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية . وجمهورية مصر العربية لنتيجة لسلسلة الحروب التى خاضتها منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ، و نتيجة لزيادة عدد السكان عى الطاقة الإنتاجية للآراضى الزراعية . . فقد أصبحت مصر تعانى من أجل توفير المواد الغذائية الأساسية للسكان .

ولذلك يقول صاحب «ورقة أكتوبر » فى صفحة ٣٦ ما نصه « . والسبيل الأساسى لمواجهة هذا كله هو الارتفاع السريع بمعدلات التنمية ، فما نحققه من تنمية فى عام « يزيد من قدراتنا فى العام التالى . ولذلك فإن هدف الأرتفاع بمعدلات التنمية إلى أعلى مما كانت عليه قبل سنه ١٩٦٥ هو الهدف الأول والحيوى والضرورى فى مرحلة التقدم والبناء . . . ونحن من أجل تحقيق هذا الهدف محتاجون أن ندفع إلى العمل ، وبأقصى طاقة ، كل ما يتوفر لدينا من محركات الإنتاج وعناصره فى شتى المجالات » .

وما جاء فى ورقة أكتوبر هذه ينبغى أن نحققه ، فإن علينا فى السنوات الخمس والعشرين التالية ، حتى سنة ٢٠٠٠ أن نعمل من أجل السكان الجدد الذين سيصل عددهم إلى مثل العدد الحالى للسكان . فقد تضاعف عدد السكان فى

---

(١) ورقة أكتوبر ، طبعة هيئة الاستعلامات فى ابريل ١٩٧٤ ص ٣٥ .

مصر فى السنوات الخمس والعشرين الماضية من ١٨ مليون سنة ١٩٥٠ إلى ٣٦ مليون سنة ١٩٧٥ والمنتظر إن يصل عدد السكان فى مصر سنة ٢٠٠٠ إلى ضعف هذا العدد ، فى حالة استمرار تزايد السكان بالمعدلات الحالية .

(ب) : التركيب السكانى Compostion of Populat on

ويقصد بالتركيب أو التكوين السكانى الخصائص أو الصفات السكانية التى يتميز بها سكان المجتمع . وتلك تختلف إلى حد قليل أو كبير من مجتمع إلى آخر . ويهتم علم السكان بدراسة مدى التغير الذى يمكن أن يطرأ على هذه الخصائص .

ولعل أهم ما يجذب أهتمامنا فى هذا التركيب أو التكوين السكانى من الخصائص الطبيعية هو ما يتعلق بكل من النوع ، السن والجنس Sex,age and race ويلاحظ أن صفة الجنس (العرق) Race يقتصر الاهتمام بها على المجتمعات التى تتكون من أجناس مختلفة مثل الولايات المتحدة الأمريكية التى يوجد من بين مواطنيها من ينتمون إلى كل من الأجناس الثلاثة الرئيسية : الأبيض والأسود والأصفر .

وكذلك دولة روديسيا فى أفريقيا التى تتكون من أغلبية من الجنس الأسود وأقلية من الجنس الأبيض ، وكذلك الحال فى جمهورية جنوب أفريقيا التى تحكم — شعبها من السود — أقلية بيضاء .

عن حين يجذب اهتمامنا فى هذا التركيب السكانى أيضا ، عدد آخر من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية الجديرة بالدراسة مثل :

١ — الحالة الزواجية Ma1ital Satus

٢ — الحالة التعليمية Educational status

٣ — الحالة الاقتصادية Economical status

٤ — مدى عمق الشعور الدينى Religious affiliation

وما إلى ذلك من الخصائص التى يمكن أن تميز بين مجتمع وآخر من حيث حياة الشظف أو حياة الرفاهية السائدة فيه .

وتجرى دراسة الصفات الاجتماعية والإقتصادية لمجتمع من المجتمعات تبعا للظروف السائدة فى المجتمع ، والتى يعيش السكان فى ظلها، فإذا ارتفعت نسبة المتعلمين فى المجتمع وكان الهيكل التعليمى غير معيب ، فإن بعض هؤلاء يتخصصون فى العلوم النظرية وأغلبيتهم فى العلوم المهنية والتطبيقية . وهذا يعنى ازدهار الجانب الاقتصادى ، وبالتالى ارتفاع معدلات الدخول الفردية ، الأمر الذى يتيح الفرصة لكل من يرغب فى تكوين أسرة أن يتزوج ، وما دام هو متعلما فستكون أسرته نموذجية من حيث عدد الأبناء . وما دامت الاسرة نموذجية فسيكون المجتمع بهذه الصفة . وكلما وجد الناس مصادر رزقهم بشكل ميسور ، كانت مشاعرهم الدينية عميقة . . وبالعكس من ذلك المجتمع الذى يقع فريسة الجهل . الخ .

وبلاحظ وجود تبادل فى التأثير بين الخصائص الطبيعية والصفات الاجتماعية ، ذلك لأن الإختلافات بصفة عامة بين السكان فى نسبة الذكور والأناث أو فى توزيع مختلف فئات السن ، أو فى نسب توزيع المواطنين حسب الجنس الذى ينتمون إليه فمن المؤكد أن هذه الصفات الطبيعية تؤثر فى الخصائص الاجتماعية والاقتصادية السائد فى أى مجتمع طبقا لاختلاف نسب توزيع هذه الخصائص .

٥ — توزيع السكان بين الريف والحضر Rural and urbanization

(ج) توزيع السكان :

عاش الإنسان فى فجر الحياة الاجتماعية على الجمع والالتقاط لثمار تنمو بصفة طبيعية ، ثم صيد البر والبحر . ولذلك كان كل فرد فى حاجة إلا مساحة كبيرة من الأرض لا تقل عن ميلين مربعين ليكفل متطلباته الغذائية ، وظل هكذا عشرات السنين ، بل مئات الآلوف من السنين. وفى نفس الوقت كانت أعداده فى ازدياد ولكن فى بطء شديد ، وكان معنى الزيادة هو التوسع فى استثمار الأرض الشاسعة التى كانت متاحة يومئذ . وقد قدر عدد سكان العالم فى تلك الفترة وهى فترة العصر الحجرى القديم بما يتراوح بين مليون وثلاثة ملايين نسمة[1] .

ثم جاءت بدايات التغير فى طرق حصول الإنسان على غذائه ، منذ حوالى عشرة آلاف عام . وكان هذا التغير من الأهمية بحيث أطلق عليه «الثورة الزراعية» ولا ترجع هذه التسمية إلى أنها حدثت على وجه السرعة (لاستحالة ذلك) وإنما إلى قيمتها العظيمة . ذلك أن الإنسان عرف استنبات أغذيته من الأرض، بدلا من الحصول عليها كما يجدها . ومن ثم راح يمارس زراعة الأرض ويفرض عليها سيطرته وحكمه ، وأصبح ـ أخيرا ـ فى وسع الإنسان الواحد أن ينتج أكثر مما يكفيه ، بل وما يكفى أسرته وربما عائلته من الغذاء . وكان ذلك فى الفترة التى بين سنتى ٨٠٠٠ و٥٥٠٠ قبل الميلاد والتى تعرف بالعصر الحجرى الحديث . وقد أدى ذلك إلى زيادة عدد السكان ، حيث قدر عددهم يومئذ بما يتراوح بين عشرة وعشرين مليونا من البشر[2] .

وقد أدى ذلك إلى كثير من النتائج الهامة ، ولعل من أهمها أن هذه

1—Hartzler J. O.: The Crisis in The world Population. Nebrra—ska, 1956. pp. 16—21.

2— Ibid. pp. 16—21.

« الثوره الزراعية » قد حررت نسبة من البشر - كانت صغيرة فى البداية - من البحث عن الطعام للقيام بأعمال أخرى، بعد أن توافرت لهم فرصة الحصول على الطعام - دون البحث عنه بأنفسهم - عن طريق بقية أفراد التجمع الذى يعيشون فيه .. ومن هؤلاء كان الحرفيون والمقايضون (التجار) والموسيقون والفلاسفة والمطببون وكثيرون غيرهم من أرباب التخصصات التى كانت ضرورية لهذا الشكل من المجتمعات الذى عرف - بحكم الحياة الاجتماعية - عرف حياة القرية من أجل الحماية المشتركة وفى القرية نشأت تلقائيا كل النظم الاجتماعية مثل نظام الحكم الذى ينتج عن ضرورة السلطة وما إلى ذلك من النظم الاجتماعية.

وأدت حياة القرية إلى زيادة الائتناس الاجتماعى وكذلك إلى قيام شبكة من العلاقات الاجتماعية الإيجابية بين سكانها. ومن هنا زاد عدد السكان وبالتالى ازداد اتساع القرية فتحولت إلى مدينة بالشكل البدائى حيث كانت المدينة عبارة عن قرية كبيرة تتبعها بعض القرى الصغيرة بمعنى أن المدن أشبه بالولايات أو المحافظات .. ونتيجة للحروب المستمرة بين تلك المدن وسيطرة بعضها على الأخرى ظهرت الدولة ولعل «مينا» الذى وحد القطرين (الوجه البحرى والوجه القبلى) منذ ٤٤٠٠ سنة قبل الميلاد هو أول من أنشأ دولة فى العالم وهى مصر .

وقد أتاح ذلك - على مستوى العالم - بداية تزايد سريع فى السكان ، فلأول مرة فى تاريخ الإنسان كان ثمة مورد للقوت مكفولا نسبيا، بل وسخيا مع ملاحظة أنه لم يكن كذلك فى بعض الأوقات، الأمر الذى أدى إلى حدوث مجاعات متكررة لاسيما عند حدوث حالات نقص فى الأغذية ، من جراء الجفاف وأمراض النبات والحيوان ، والأوبئة وما إلى ذلك . وبدلا من أن يموت نفر قليل من الناس جوعا ، كما كان الحال أيام ما قبل الثورة الزراعية ، أصبح الكثيرون يموتون جوعا عندما تسوء أحوال الزراعة أو وقوع الأوبئة[1] .

1— Hellman, H. ; Feeding the world of the Future. New york ; M. Evans Co. ; 1970

ونتيجة لذلك كانت تقديرات أعداد السكان متذبذبة منذ ذلك التاريخ وإلى سنة ١٠٠٠ ميلادية . ولهذا فإننا سوف نتناول توزيع سكان العالم منذ ذلك التاريخ وإلى سنة ٢٠٠٠ ميلادية كما فى الجدول التالى .

جـــدول رقم (٢)

بتقدير نمو سكان العالم إقليميا وإجماليا

(الأرقام بالملايين)[1]

القارة / السنة	الأمريكتان	أفريقيا	أوروبا وروسيا	آسيا والأوقيانوسه	المجموع
١٠٠٠	١٣	٥٠	٤٧	١٦٥	٢٧٥
١٦٠٠	١٥	٩٠	١٠٢	٢٧٩	٤٨٦
١٨٠٠	٢٥	٩٠	١٩٢	٥٩٩	٩٠٦
١٩٠٠	١٤٤	١٢٠	٤٢٣	٩٢١	١٦٠٨
١٩٧٠	٥٠٠	٣٠٠	٧٠٠	٢١٠٠	٣٦٠٠
٢٠٠٠	٩٠٤	٥١٧	٩٤٧	٣٩٠٠	٦٢٦٨

ومن هذا الجدول يلاحظ أن عدد السكان قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات خلال ٨٠٠ سنة من سنة ١٠٠٠ حتى سنة ١٨٠٠ ثم تضاعف (تقديريا) خلال القرن الحالى حوالى ٤ مرات .

ومن الظواهر الاجتماعية المعتلة انقسام العالم إلى معسكرين : الدول المتقدمة والدول الآخذة فى النمو . ودول المعسكر الأول تتمتع بدرجة عالية من الثراء والتقدم العلمى. بينما دول المعسكر الثانى تعانى من الفقر والتخلف حيث لا يزيد دخل الفرد فى المتوسط عن ١٠٠ دولار سنويا بينما يتراوح دخل الفرد فى

1 — U. N. Population year Book, 1972.

معسكر الدول المتقدمة ما بين عشرة أمثال وخمسة وثلاثين مثلا . وعلى سبيل المثال فقد بلغ دخل الفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٩ إلى حوالى ٣٦٨٠ دولار .

ومما تجدر الأشارة إليه أن معدل النمو السكانى فى الدول المتقدمة لا يزيد عن ١ ٪ والمتوسط العالمى ٢ ٪ ولكن ليس معنى ذلك أن معدل النمو فى الدول الأخذة فى النمو لا يزيد عن ٢ ٪ وإنما غالبية هذه الدول تنمو بمعدل ٣ ٪ . والقليل منها مثل كولومبيا وليبيا يزيد بمعدل ٤ ٪ والمعدل فى الأردن ٤ر١ ٪[1].

ولما كانت هذه الارقام أشبه بالألغاز للإنسان غير المتخصص ، فإننا يمكن أن نساعده على استيعاب معانيها فى صورة واضحة . وذلك من خلال جدول يبين له الفترات الضرورية لتضاعف سكان شعب من الشعوب طبقا لمعدل النمو . والمقصود هنا أن نبين كم من الوقت يستغرقه سكان دولة معينة ليتضاعفوا إذا كانوا يتكاثرون بمعدل معين .

---

(١) المملكة الإردنية الهاشمية ، وزارة الثقافة والإعلام : الأردن : الكتاب السنوى . عمان ؛ تشرين ثان ١٩٧٠ ص٣٣ .

جدول رقم (٣)

يبين مدة تضاعف السكان طبقا لمعدل

النمو السنوى

النسبة المئوية لمعدل النمو السنوى	فترة التضاعف بالسنوات
٥ر١	١٤٠
٨ر٠	٨٨
٠ر٠	٧٠
٠ر٢	٣٥
٠ر٣	٢٤
٠ر٤	١٧

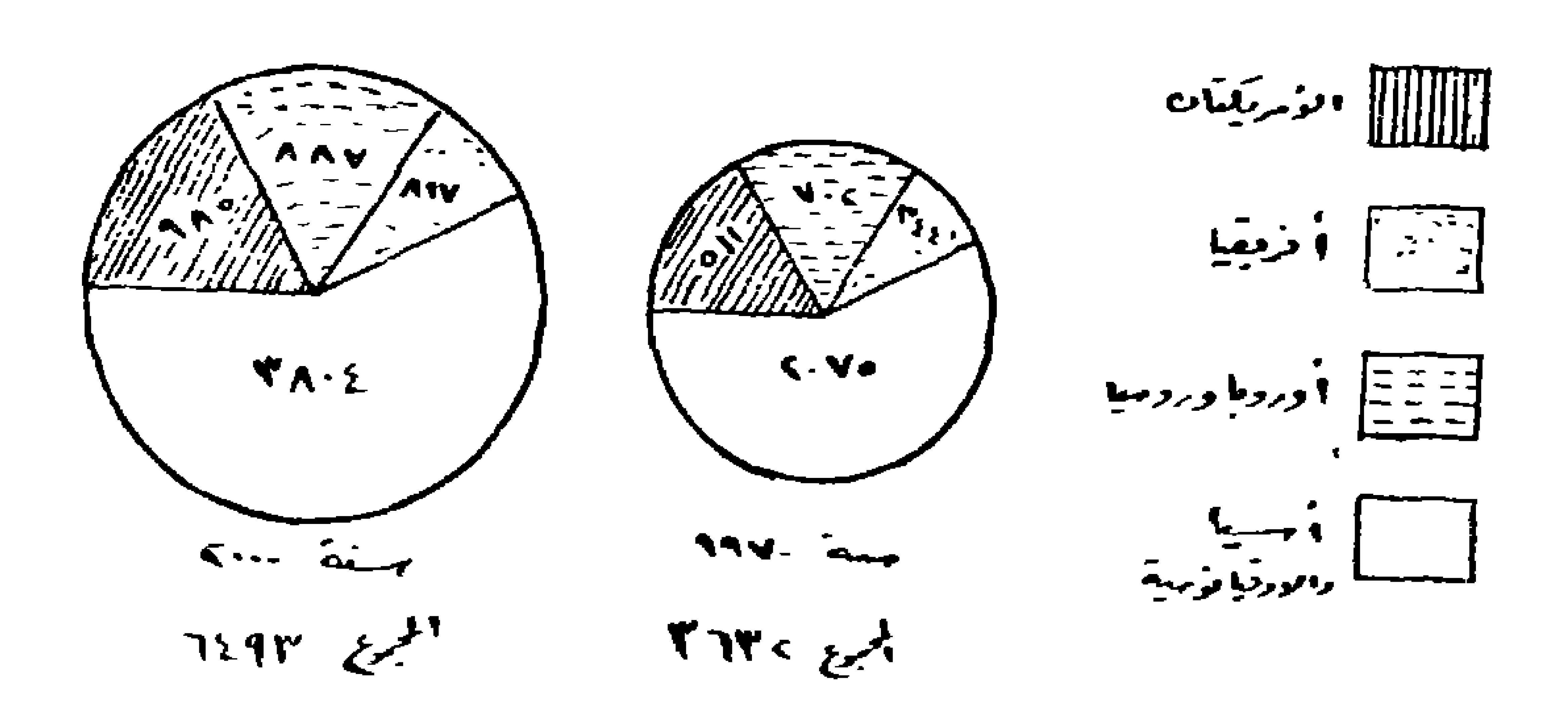
ومعنى ذلك أن دول أوروبا وروسيا معا تتضاعف كل ٧٠ سنة مرة واحدة على حين أن دولة مثل ليبيا ومعدل النمو فيها ٤ ٪ سنويا تتضاعف كل ١٧ سنة وكذلك الحال فى الأردن .

وليس الأمر هنا مجرد أعداد فحسب ، وإنما ينبغى التمييز بين حجم السكان Population size وكثافة السكان Density of Population ومعدلات الإنتاج الزراعى والصناعى والخدمى ، حيث يلاحظ أن كثافة السكان مرتفعة فى الدول المتقدمة ولكنها فى حالة رخاء نسبى ، على حين أن الدول الآخذة فى النمو تتمتع بدرجة كثافة سكانية منخفضة ولكنها تعانى من الأزمات الغذائية ولعل المجتمع السودانى الذى تبلغ فيه مساحة الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة حوالى ٢٠٠ مليون فدان، وهى مساحة إذا مازرعت بالاسلوب العلمى — يكفى إنتاجها كل احتياجات قارة أفريقيا من الحبوب الزراعية . ولكنها مع ذلك تعانى من أزمات الحبوب الغذائية . وهذا يرجع إلى التخلف

العلمى والاجتماعى والاقتصادى فى الدول الآخذة فى النمو ، والشكل التالى يوضح توزيع السكان على قارات العالم سنة ١٩٧٠ وكذلك سنة ٢٠٠٠

شكل رقم (١)

يبين توزيع السكان بالمليون على قارات العالم سنة ١٩٧٠



ومن هذا الشكل يتضح إنخفاض كثافة السكان فى آسيا والأوقيانوسة ، مع أنه من المعروف أن دول هذه القارة تعتبر من الدول الآخذة فى النمو ، والتى تتعرض بعض شعوبها للمجاعات المتتالية ، كما هو الحال فى الهند .

ومما تجدر الإشارة إليه أن معدلات نمو السكان الحالية طبقا للجداول السابقة سوف تؤدى إلى تضاعف سكان العالم مرة كل ٣٥ سنة ، الأمر الذى يشكل خطورة — فى ضوء انخفاض إنتاج المحاصيل الغذائية عن احتياجات السكان الحاليين — على السكان الحاليين ومن سيولد من البشر فى المستقبل القريب . ولذلك فقد لا يكون من دواعى الدهشة ، أن أربعة من ثمانية من الفائزين بجائزة نوبل ، قد أجابوا عندما سئلوا عما يسير إليه العالم ، بما يؤكد أن الاكتظاظ السكانى هو أخطر ، بل هو أخطر المشكلات التى تواجه الجنس البشرى . وقد استخدم أحدهم وهو « إيان ماكهارج » **Ian McHarg** بعض العبارات القاسية . وإن كانت معبرة وصادقة — لا سيما وهو من خبراء التخطيط الإقليمى ، حيث وصف الإنسان بأنه « مرض يستشرى فى الكرة

الأرضية ، بل وباء ، وعلى الدول العربية إن تتعاون من أجل زراعة الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة فى السودان وسوريا وغيرهما حتى يمكن أن تغطى احتياجاتها من الحبوب الغذائية ، لا سيما وأن معدلات النمو السكانى فى الدول العربية لن تنخفض بدرجة محسوسة إلا بعد سنة ٢٠٠٠ حيث يحتمل انتشار التعليم بالصورة التى توفر بصيرة اجتماعية لغالبية أبناء الوطن العربى .

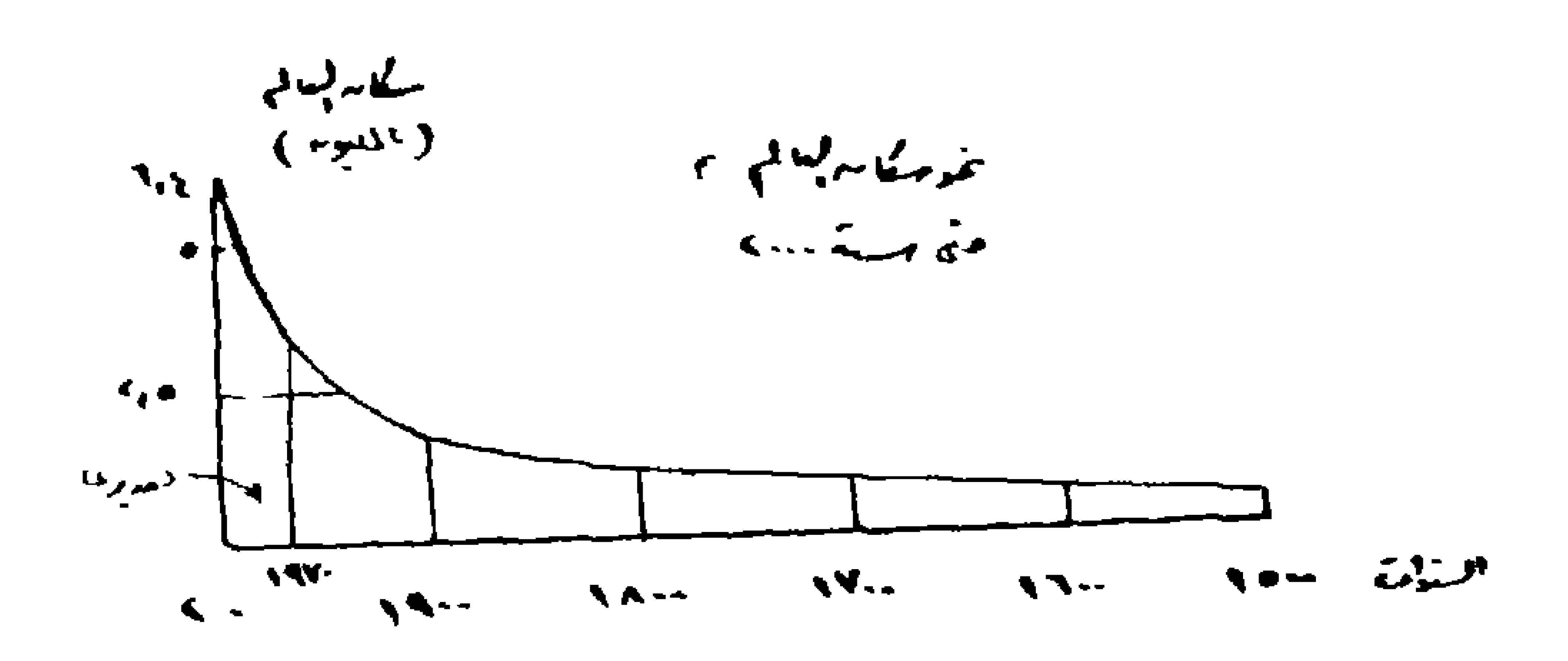
النمو العالمى للسكان World Growth of Population

من الجدول رقم ٣ يتضح لنا أن معدل النمو السكانى شأنه شأن السكان فى نمو أيضا ذلك أن معدل النمو السكانى العالمى فى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يتجاوز ١ ٪ وفى أواسط الخمسينات أرتفع معدل النمو إلى ١٫٥ ٪ وفى سنة ١٩٧٠ وصل إلى ٢ ٪ ويبدو — لحسن الحظ — أنه لن يواصل الارتفاع بعد ذلك نتيجة الأخذ ببرامج تنظيم الأسرة كما هو الحال فى مصر ؛ بل وتحديد النسل كما هو الحال فى الصين الشعبية . وقد أجريت دراسة لمعدلات النمو السكانى سنة ١٩٦٧ أكدت أنها كانت فى هبوط فى ست دول ، ولم تتغير فى دولة واحدة فقط وارتفعت فى ٢٧ دولة ، وكانت أعـــداد السكان فيها جميعا فى أرتفاع مطلق .

شكل رقم (٢)

يبين نمو سكان العالم حتى سنة ٢٠٠٠ (بالبليون نسمة)

وأرقام سنتى ١٩٧٠ ، ٢٠٠٠ تقديرية



ومن هذ الرسم البيانى (شكل رقم ٢) يتبين لنا الأثر الإجمال لنمو السكان ويلاحظ أن الاعداد ظلت تتزايد ببطء قرونا من الزمن ، ثم أخذت تصعد بمعدل متزايد السرعة . وبلغت أقصى مدى فى السرعة وفى معدل النمو خلال السنوات الثلاثمائة الأخيرة لزيادة معدل المواليد وانخفاض معدل الوفيات .

ولكن ليس معنى توقف معدل النمو عند ٢ ٪ أن فى ذلك ما يدعو إلى الإطمئنان والسكينة ، ذلك أنه طبقا لمعدلات التضاعف فى جدول رقم ٣ سوف يتضاعف عدد سكان العالم كل ٣٥ سنة وهذا أمر خطير ، بل ويصل إلى حد الكارثة إذا ربطنا بينه وبين معدلات النمو المنخفض فى المحاصيل الغذائية .

هجرة السكان .

تلعب الهجرة دورا بارزا فى إعادة توزيع السكان بصورة متوازنة ، ومن ثم سنتناولها فيما بعد فى فصل مستقل خاص بها . هذا وللهجرة أشكال متعددة ومعانى متغيرة ، فالمهاجر فى اللغة العربية صفة تطلق على الوافد على البلاد والنازح منها على السواء . غير أن كثيرا من اللغات الأخرى تفرق بين الوافد والنازح . فالهجرة يقصد بها تغيير محل الإقامة بصفه دائمة . وإذا كانت الهجرة من الدولة إلى خارجها فإنها تعرف بالهجرة الخارجية « النزوح » Emigration أما إذا حدثت الهجرة داخل حدود المجتمع الواحد ، فإنها تعرف بالهجرة الداخلية أو « الوفود » Immigration .

أما أنواع المهاجرين فهى على النحو التالى :

١ — المهاجر Migrant وله أربع صفات :

— إذا كانت الهجرة من دولة إلى أخرى :

(ا) فهو فى الدولة التى انتقل إليها مهاجر وافد Immigrant

(ب) وهو فى الدولة التى انتقل منها مهاجر نازح Emigrant

— وإذا كانت الهجرة داخل الدولة :

(ح) فهو فى المجتمع المحلى الذى هاجر إليه ، مهاجر نزيل In-migrant ،

(ء) وهو فى المجتمع الذى هاجر منه ، مهاجر راحل Out-migrant .

وتوصف هذه النماذج الأربعة بالهجرة الفردية عن طواعية بقصد العمل أو الاتجار أو طلب العلم والمعرفة .

ـ ومن أنواع الهجرة الأخرى :

٢ ـ الغزو : وفيه يدخل المهاجرون كغزاة فاتحين بقوة السلاح .

٣ ـ الإزاحة Displacement وفيها يشرد السكان بواسطة الغزاة ، كما حدث فى أمريكا الشمالية فى القرن الثامن عشر .

٤ ـ العمل الإجبارى Forced labor ومثال ذلك أسر الرقيق ونقلهم من موطنهم الأصلى إلى بلاد أخرى يباعون فيها .

٥ ـ الهجرة المقيدة : ومثال ذلك نظام النفى الذى كان سائداً فى أثينا القديمة .

٦ ـ التهجير وهو أن يهجر أهل مجتمع محلى بقرار من الحكومة لإبعادهم عن الأخطار الحربية مثلما حدث بالنسبة لمدن قناة السويس وهى بور سعيد والإسماعلية والسويس بعد هزيمة ١٩٦٧ .

تلك هى بعض المفاهيم والتعاريف الهامة فى مجال علم السكان . وسوف نشير إلى غيرها من المفاهيم والتعاريف فى الأماكن المناسبة فى الفصول التالية .

الفصل الثاني

الآراء الممهدة للنظريات السكانية

يتزايد السكان عن طريق مصدرين رئيسيين هما :

(ا) ارتفاع معدلات المواليد .

(ب) انخفاض معدلات الوفيات .

ولما كانت وجهات النظر تختلف حول قيمة المواليد ودلالة الوفيات من مفكر إلى آخر ، ومن عقيدة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر ، فإنه يحسن أن نناقش هنا وجهات النظر هذه ، ثم نسير إلى وجهات النظر الحديثة التى توافرت لها خصائص النظريات العلمية .

أولا : رأى الشعوب القديمة فى السكان :

إذا رجعنا إلى الشعوب القديمة التى وصلت إلينا أخبارها نجد :

— المصريين القدماء — نتيجة لاتساع أراضى وادى النيل وخصوبتها ، ونتيجة لتخلخل عدد السكان يومئذ — ينصحون أبناءهم — عند طريق حكمائهم بالإكثار من النسل . فقد وجدنا حكيم الدولة الحديثة (آنى) سنة ٢٣٠٠ ق . م . ينصح كل شاب مصرى بقوله « من كان حكيما يتخذ له فى شبابه زوجة تلد له أبناء ، فإن أفضل ما فى الوجود ، هو بيت الإنسان الخاص به ، حتى تعطيك إبنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك وتعيش حتى تراه وقد اشتد عوده ، وأصبح رجلا . فإن السعيد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه . . . » وهذه النصيحة تؤكد أن مفهوم السعادة لدى أجدادنا

الفراعنة يتجسد فى الإكثار من إنجاب الأطفال . وإن الإنسان الموقر ذى المكانة الاجتماعية الرفيعة هو « . . من كثرت ناسه وعياله » وأن الحكيم منهم هو من يبكر فى الزواج .

ووجهة نظر (آنى) هذه تلخص وجهة نظر المصريين القدماء فى التزايد السكانى . ومما يلاحظ أن وجهة النظر هذه لاتزال سائدة فى الريف المصرى حتى يومنا هذا . ويؤكد ذلك العرف السائد بين سكان الريف المصرى ونصه « الكثرة عزوة » . بالاضافة إلى عادة التبكير فى الزواج[1] .

— الهنود القدماء : وهؤلاء تمسكوا بقوانين « مانو » والتى تصوروا أنها وحى من الآله براهما . وكانت هذه القوانين تشجع كل أفراد المجتمع الهندى على زيادة الإنجاب .

— الصينيون القدماء : الذين آمنوا بفلسفة « كونفوشيوس » والتى كانت تهدف إلى الوصول بالمجتمع إلى أرقى مستوياته عن طريق تنظيم شئون الأسرة التى هى النطاق الأول للتجربة الأخلاقية ، وهى النقطة التى تبدأ منها الأخلاق الفاضلة . ولذلك فإن الأخلاق الفاضلة — من وجهة نظره — تبدأ بين أبناء الأسرة الواحدة حيث يعامل الأب أبناءه بنفس المعاملة التى كان ينتظرها من والده . . . الخ[2]. ومعنى ذلك أن الصينيين القدماء لم يتجهوا إلى الحد من النسل أى أنهم لم يعتبروا زيادة السكان شرا ، وإنما خيرا وبركة[3] ، وإن كان قد طالب بفكرة تشبه إلى حد كبير فكرة « الحجم الأمثل للسكان » Optimum Size

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : التفكير الاجتماعى ، نشأته وتطوره الطبعة الثانية دار المعارف بمصر القاهره ١٩٧٥ صفحة ١١

(٢) المرجع السابق ، صفحة ٣١

3 — Dawson, M. M. : Ethic of Confucius Comments. 1931, p.23 .

حيث كان من رأيه أن لكل مجتمع عددا من السكان يتناسب مع قوة إنتاجه ، بحيث لا يتعدى الحجم المناسب ، ولا ينخفض عن الحجم الأمثل حتى لا يؤدى ذلك إلى الفقر وإنخفاض مستوى المعيشة ، لا سيما بين الفئات الكادحة .

— الفرس القدماء : وهم الذين أخذوا بفلسفة « زوروستر » التى لا تختلف عن فلسفة كونفوشيوس[1] ، كما أخذ أهل الفرس بالتعاليم الدينية التى وصلت إليهم — فيما بعد — عن طريق نبى الله نوح ، وتتلخص فى قوله رضى الله عنه « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض »[٢] .

ثانيا : رأى اليونانيين والرومانيين فى السكان :

من أقوال إفلاطون عن السكان أنه ينبغى على الحكام أن ينظموا عدد عقود الزواج من أجل تثبيت عدد السكان - كما هو - بعد ملء الفراغ الناجم عن الحرب والأمراض ومختلف الطوارىء ، حتى لا تكبر الدولة ولا تنقص، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . . وقد طالب بإلزام الحكام أن يبذلوا أقصى طاقاتهم حتى لا تبدو الدولة كبيرة أو صغيرة عن الحد المتوسط[٣] . . وقد حدد عدد السكان فى كتابه « القوانين » بالحد المناسب لعدد المواطنين اليونان الملاك فى المدينة بنحو ٥٠٤٠ نسمة[٤] وفى حالة زيادة عدد السكان عن هذا الحد . فإنه من الضرورى تحديد الزواج والنسل وتنظيم الهجرة إلى البلاد ، مع تشجيع الإكثار من النسل فى حالة نقص السكان عن الحد المناسب . مع

1—Dawson, M. M. : Ethical Religion of Zoroaster . 1931, p. 9.

(٢) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع .

(٣) كتاب الجمهورية لافلاطون ، ترجمة الشيخ حنا خباز .

(٤) وقد اختار افلاطون هذا العدد لأنه — قبل الأرقام القريبة منه — يقبل القسمة على الأعداد الاثنى عشر الأولى ، ماعدا العدد (١١) من أجل تيسير تقسيم سكان المدينة إلى أعداد متكافئة أو متناسبة أثناء الحرب من أجل التدريب أو القيام بواجبات الدفاع المدنى ، أو من أجل جمع الضرائب، وتقديم العطايا والمنح وما إلى ذلك .

إباحة التجنس بالجنسية اليونانية للمقيمين من الأجانب[١] .

ويلاحظ أن إفلاطون لم يتناول المسائل السكانية فى فصول محددة من مؤلفاته ، وانما تناولها من خلال تأملاته الفلسفية ، وذلك ـ أيضا ـ من خلال بحثه عن النسل الممتاز فى جمهوريته . حيث حدد للرجال وللنساء سنا للزواج فهو للنساء بين ٢٠ و ٤٠ من العمر وللرجال بين ٣٥ و ٥٥ من العمر . ورفض زواج المواطنين قبل وبعد هذه الأعمار ، حتى لا يتضخم المجتمع بنسل ضعيف[٢]

وكذلك جاءت وجهة نظر أرسطو فى السكان من خلال تأملاته الفلسفية ، حيث قال أن للدولة الفاضلة الصالحة ثلاثة شروط ـ يعنينا هنا منها الشرط الأول ـ وهو أنه لما كانت غاية الحياة الاجتماعية الفضيلة لا الغنى ولا التغلب . وجب أن يكون عدد سكان المدينة مناسبا وكافيا لرخاء المدينة ولتقدمها الفكرى ، وميسرا للحكم الصالح ، وملائما لانتشار النظام ومساعدا لتعارف المواطنين وتدبير شئونهم وتوزيع المناصب عليهم حسب الكفاءة[٣] .

غير أن أرسطو يتخلى عن صفته الاجتماعية ويتحدث عن مجموعة من الإجراءات التعسفية التى يراها ضرورية لاستبقاء عدد السكان فى المدينة فى المستوى المناسب ، وهذه الإجراءات هى :

(ا) الإجهاض قبل أن يدب الشعور فى الجنين .

(ب) إعدام الأطفال ناقصى التكوين والمشوهين وفاسدى الأخلاق .

(حـ) تحريم الزواج على الشيوخ والعجزة وعلى كل من يبلغ الخمسين من عمره .

---

(١) القوانين ، الكتاب الخامس .

(٢) انظر مؤلفنا بعنوان « التفكير الاجتماعى ... » مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٣) دكتور عبد الكريم اليافى : تمهيد فى علم الاجتماع . مطبعة الجامعة السورية ومشق ١٩٥٧ ص ٥٣ .

وذلك على اعتبار أن الرجال والنساء المتقدمين فى السن ، شأنهم شأن الأحداث لا ينجبون إلا مخلوقات ناقصة جسما وعقلا ، ولا جدوى من علاج تلك الثمرات الفجة .

هذا وقد قدر أرسطو العدد المناسب للمدينة من السكان ، بما لا يزيد عن مائة ألف نسمة على اعتبار أن النظام الأمثل ينتج من توافق العدد والسعة ، ولن يتحقق خير الدولة إلا إذا كان عدد مواطنيها مناسبا لمساحتها ورقعتها »[1]

وترك مفكرو الرومان مسألة السكان تسير سيرا طبيعيا ، وإن كان بعضهم قد عمل على تشجيع الإكثار من الإنجاب من أجل زيادة عدد السكان ، لا سيما وأن بلادهم كانت تتجه إلى تكوين امبراطورية رومانية ، الأمر الذى يتطلب كثيرا من القوى البشرية الضرورية للحروب ولذلك اعتبروا النسل من الأمور المحمودة . وكثيرا ما عملوا - لا سيما بعد الحرب البونية - على التفكير فى مختلف الوسائل المناسبة للإكثار من معدلات الإنجاب لدى السكان [2]

— وإذا كانت الكثرة العددية النسبية للإغريق هى إحدى العوامل التى ساعدتهم على الغزو وتشييد امبراطورية رومانية . فإنه كثيرا ما كانت الزيادة فى السكان سببا فى قيام الحروب الطاحنة بين الدول التى تضخمت شعوبها وقلت بالنسبة لهم مواردها الأولية وتلك التى زادت مواردها الأولية عن احتياجات شعوبها . ومن الأمثلة على ذلك قيام اليابان بغزو الصين سنة ١٩٢٥ وكذلك غزو إيطاليا للحبشة وليبيا نتيجة لزيادة السكان وضيق الموارد فى كل من اليابان وإيطاليا ، بالإضافة إلى وجود « ايديولوجية تبرر حل المشكلة السكانية فى كل من هاتين الدولتين بالغزو[1] . ومن جهة أخرى فإن البعض

---

(١) المرجع قبل السابق ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

2—Landry, A. : Traité de Demographie . parise, 1949, pp. 509-550

3—Cox,H. ; The Population Problem.

يعزو قيام الحرب العالمية الثانية إلى العامل الديموجرافى ، على اعتبار أن معاهدات الصلح التى أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى قد أهملت قضايا السكان ، ولم تعالج مشكلة الهجرات ، لا سيما بعد إيقاف هجرة الأوربيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتوقفها عن دول أمريكا اللاتينية[1]

هذا ويشجع مفكرو المسيحية على زيادة الإنجاب وعدم التدخل بالتنظيم أو بالتحديد فى تلك المسألة باعتبارها من اختصاص الخالق سبحانه وتعالى .

على حين أن مفكرى المسلمين يتمسكون ببعض النصوص والآيات التى تدعو إلى ترك مسألة السكان لله سبحانه وتعالى فهو القائل « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » (سورة هود الآية ١٠) وقوله تعالى « وفى السماء رزقكم وما توعدون » (سورة الزاريات الآية ٢٢) وقوله صلى الله عليه وسلم « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم ، كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » . . . الخ . ومن ثم فقد أخذ هؤلاء بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام القائل « تناكحوا تناسلوا - أى تزوجوا وأكثروا من الإنجاب - فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة[2] .

ومن فلاسفة المسلمين الذين كانت لهم الريادة فى الدراسات السكانية العلامة العربى ابن خلدون الذى كانت لديه - طبقا لتأكيدات الدكتور وافى - فكرة واضحة عن قوانين تزايد السكان قبل أن يظهر « مالتس » Malthus بأكثر من أربعة قرون ، وإن لم يعن فى « مقدمته » بتحديد هذه الفكرة ووضعها فى صيغة علمية دقيقة وفى صورة قانون كما فعل مالتوس .

فقد طالب ابن خلدون علماء الاجتماع بتمحيص كل ما يسمعونه من أخبار أو وقائع اجتماعية باستخدام القوانين الاجتماعية ، لأن بعض المؤرخين - لجهلهم

1—Sauvy,? A.: La Population. Paris; 1948.

(٢) الدين للغزالى ، الجزء الثانى ، ص ٢٠ .

بخصائص الظواهر الاجتماعية ـ قد زلت أقدام بعضهم عن جادة الصواب ، فسجلوا أخبارا تحكم هذه القوانين باستحالة حدوثها لتنافرها مع طبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الإنسانى . وضرب ابن خلدون مثلا على ذلك بما « نقله المسعودى وكثير من المؤرخين عن جيوش بنى إسرائيل . وأن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيه[١] ، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح ، خاصه من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون»[٢]

وفى القرن السابع عشر تقدمت علوم الطبيعة التى تعتمد كثيرا على الاحصاء بفضل مجهودات « بيكون » فى أوائل هذا القرن و « نيوتن » فى أواخره ، وظهر كذلك ملوك يتقنون الأساليب الإدارية العلمية ، ومن ثم عملوا على تنظيم البلاد داخليا بالإعتماد على الأرقام وتنظيم الجيوش أيضا ومتطلباتها بهذا الأسلوب مثل لويس الرابع عشر ملك فرنسا حينئذ وبطرس الأكبر ملك روسيا . . . أما فى انجلترا فقد ظهر علم جديد للسكان ولكنه أخذ إسما آخر وهو « علم الحساب السياسى »[٣] على حين أن موضوعه يدور حول « الحساب

(١) يطلق التيه على المدة التى قضاها بنو إسرائيل ضاربين فى صحراء سيناء والمناطق المتاخمة لها ، متنقلين فى أرجائها « تائهين » حسب تعبير القرآن الكريم فى فيافيها وقفارها . وتبلغ هذه المدة طبقا لنص القرآن الكريم ؛ أربعين سنة ؛ تبدأ بخروج بنى اسرائيل من مصر وتنتهى بتسللهم إلى مساحة صغيرة من بلاد كنعان . وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه الكريم ، بعد تصوير للحوار الذى جرى بين موسى وقومه إذ يستحثهم على دخول الأرض المقدسة وهم يتقاعسون عنها خوفا من أهلها (آيات ٢٠ ـ ٢٥) من سورة المائدة : «قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض» (آية ٢٦ من سورة المائدة) .

(٢) نقل المسعودى ماورد فى الآية السابعة والثلاثين من الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج : فقد جاء فيها أن عدد بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ، كانوا ستمائة ألف من الرجال غير الأطفال .

3—L, artthmétiqe politiqe.

الاجتماعى » وذلك لأن كلمة « سياسى » يومئذ كانت تقابل كلمة « اجتماعى » عند المفكرين السابقين لأواخر القرن التاسع عشر ، حيث بدأت الدراسات الاجتماعية منذ ذلك التاريخ تأخذ الشكل العلمى . ولذلك فقد كان موضوع « علم الحساب السياسى » هو الوقوف على حالة السكان من وفيات ومواليد فى مختلف الدول وهجراتهم من دولة إلى أخرى ، ومبلغ دخل الأفراد من ثرواتهم ، ومقدار ما ينتجونه وأنواع إنتاجهم ، والمدن التى يرتفع فيها معدلات هذا الإنتاج ، ومقدار الضرائب المفروضة على الثروات ... ألخ . وذلك بقصد الوقوف على مستويات الحياة الاجتماعية للسكان(١) .

وقد رفض إبن خلدون الأخذ بهذا الرقم لتعارضه مع قوانين تزايد السكان فى المجتمع ، على أعتبار أن ما بين موسى ويعقوب (اسرائيل) إنما هو أربعة آباء طبقا لرواية الثقات من المؤرخين فهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب وهو إسرائيل الله : وهكذا نسبته فى التوراة . والمدة بين الجد وابن حفيد الحفيد طبقا لما نقله المسعودى حوالى ٢٢٠ سنة(٢) ، حيث دخل يعقوب (إسرائيل) مصر مع أولاده « الأسباط » وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نسمة . وكان مقامهم بمصر إلى آخرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه كما أوضحنا من قبل . ولذلك أوضح ابن خلدون استحالة تزايد عدد هؤلاء السبعين خلال أربعة أجيال إلى الرقم الذى أوضحه المسعودى « بحسب القوانين التى يسير عليها التزايد السكانى فى النوع الإنسانى »(٣)

---

(١) الاستاذ الدكتور عبد العزيز عزت : فى الإحصاء . الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٤

(٢) الاصحاح الثانى عشر ، الآية الأربعين من سفر الخروج ؛ والتى ورد بها أن مقامهم بمصر . إلى أن أخرجوا منها مع موسى كان ٤٣٠ سنة والصحيح أنها ٢٢٠ سنه فقط .

(٣) مقدمه ابن خلدون تأليف العلامه عبد الرحمن بن خلدون ؛ تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى الجزء الأول ، لجنة البيان العربى ؛ القاهره ١٩٥٧ ص ١٢٦

لا سيما وأن ملوك القبط من الفراعنة قد تداولوهم بالتعذيب المستمر لمكرهم بأهل البلاد الأصليين .

ولا شك أن وجهة نظر ابن خلدون تتفق مع قوانين السكان الحديثة، على أعتبار أن سبعين فردا يستحيل وصول عددهم خلال ٢٢٠ سنة إلى ما يسمح بتكوين جيش إسرائيلي عدده ستمائة ألف ممن يزيدون عن العشرين من أعمارهم. ذلك أننا إذا طبقنا — تجاوزا — نظرية مالتس فى تزايد السكان على هذا العدد. والتى تقول بتضاعف عدد السكان كل ربع قرن ، إذا لم يعق تزايدهم أى عائق خارجى ، فإن عدد بنى إسرائيل من الرجال والنساء يصل بعد مائتين وعشرين سنة إلى ٣٥٨٤٠ نسمة على فرض أن تزايدهم لم يعقـــه أثناء وجودهم بمصر أى عائق خارجى — وهذا غير مسلم به — لأنهم فى آخر أيامهم بمصر ، كما يذكر القرآن الكريم ، وكذلك العهد القديم نفسه ، وكما يشير إلى ذلك ابن خلدون فى عبارته السالفة الذكر ، كانوا يسامون سوء العذاب ويذبح أبناؤهم وتستحيى نساؤهم . فأين هذا مما يذكره المسعودى من أن أفراد جيشهم وحده ، كانوا أكثر من ستمائة ألف . ويرجع هذا الخطأ إلى أن المسعودى اعتمد على ماورد فى الآية السابعة والثلاثين من الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج . والتى جاء فيها أن عدد بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر كانوا ستمائة ألف من الرجال غير الأطفال . وكذلك إلى الآية الثانية عشرة من نفس الإصحاح التى تؤكد أن بنى إسرائيل مكثوا فى مصر ٤٣٠ سنة ، لأنه فى هذه الحالة كان سيصل عددهم طبقا لنظرية مالتوس إلى حوالى أربعة ملايين نسمة ، (٣,٩٧٥,٠٤٠ نسمة) وبالتالى يمكن تكوين جيش من الرجال يصل عدده إلى ستمائة ألف نسمة[١] .

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ظهرت فى فرنسا مدرسة الفزيوقراط أو الطبيعة Physiocrats وقد ربط أحد روادها وهو « كيناى » Quesnay

---

(١) انظر مؤلفنا بعنوان « التفكير الاجتماعى .. » مرجع سابق ؛ ص ١٥٢ .

بين الدراسات السكانية والإقتصادية . فقد كان أتباع مذهب الفزيو قراط يرون ترك التجارة أو الزراعة أو الإنجاب ... تسير فى طرقها الطبيعية دون تدخل من أحد ، على أعتبار أن كل شىء فى الحياة الاجتماعية يسير وفق الإرادة الإلهية الخيرة ، ولا سبيل إلى إعتراض العناية الإلهية ، لا سيما وإن ذلك ليس فى قدرة البشر .

ولعل دراسات العلامة كينای فى مجال السكان تعبر عن وجهة نظر أعضاء مدرسة الفزيوقراط فى المجال السكانى ، حيث تناول سكان فرنسا بالدراسة الوضعية التحليلية شبه العلمية . وتبين له أن تعداد سكان فرنسا قد انخفض فى أحدى الفترات (حوالى مائتى سنة) فيما بين ١٦٥٠ ، ١٨٥٠ كما أنخفضت معدلات الإنتاج . ولذلك فقد حاول تحديد معامل الإرتباط بين عدد السكان والقدرة على الإنتاج فى تلك الفترة . ونتيجة لانخفاض معدلات الإنتاج فى هذه الفترة ، فقد جاءت نتيجة معامل الأرتباط مؤكدة أن إنخفاض الإنتاج ناتج عن إنخفاض عدد السكان . وخلص من دراسته الديموجرافية الاقتصادية إلى قاعدة عامة مؤداها أن هناك إطرادا بين نسبة تخلخل السكان وقلة الإنتاج ، بمعنى أن الدولة التى يقل عدد سكانها بمقدار الثلث ، ينقص إنتاجها بمقدار الثلثـــين .

وكلما زادت كثافة السكان فى أمة أراضيها خصبة ومتسعة الأرجاء ، كلما أزدادت بالتالى ثروتها وإنتاجها . ويرى أيضاً أن الدولة يجب أن تعمل على زيادة الدخل قبل زياده السكان ، لأن الإستمتاع بدخل كبير أنفع للدولة من زيادة السكان بنسبة لا تنسجم مع الدولة وحاجة المعيشة —أى أنه يرى — أن الثروة لا ترتكز على عدد السكان بل العكس صحيح ، أى أن عدد السكان يتوقف على الثروة ، وأن السكان يزدادون بزيادة الدخل ولذلك وجب العمل على زيادة الدخل قبل زيادة السكان[1] .

---

(١) الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت : فى الاحصاء ؛ مرجع سابق ؛ ص ٩ء

ذلك أن الإنتاج يومئذ كان يعتمد على القوى العضلية . وتلك النتيجة توصف بأنها شبه علمية ، لأن عدد السكان قد يزيد فى الفئة التى تنطوى على السن السابقة للإنتاج مثل الفئة (أقل من ١٨ سنة) ومثل تلك الزيادة لا تؤدى إلى زيادة فى الإنتاج وإنما تؤدى إلى زيادة فى الاستهلاك ، وإذا كان العدد الذى انخفض فى السكان من بين هذه الفئة ، فإن نقصهم لا يؤدى إلى نقص فى الإنتاج لأن سن الإنتاج تقع بين ١٨ و ٥٠ سنة تقريبا .

وأضاف « كيناى » قبل « ما لتس » بنصف قرن تقريبا يقول « ليس للتناسل حدود غير القوت ، ومع ذلك فالتناسل يميل دائما إلى الخروج على هذه الحدود ، وليس أدل على ذلك من وجود أناس فى فقر مدقع فى كل مكان ، ومع ذلك لم يحل الفقر بينهم وبين التكاثر والتناسل »[1] وقد أكد « ريجلى » Wrigley الأستاذ بجامعة كمبردج الحقيقة السابقة، بقوله بوجود هبوط طفيف جداً فى معدلات الخصوبة « القدرة على الإنجاب » فى أوقات الجوع ، بينما تستمر معدلات الخصوبة ثابتة إلى حد كبير فى حالات الأمراض الوبائية ، بل وفى أشدها استشراء من مختلف الأوبئة[2]

وفى العقد الأخير من القرن الثامن عشر ظهرت ثلاث مؤلفات تدعو إلى التفاؤل فى المسألة السكانية وفى وقت واحد تقريبا فى أوروبا . وراح صاحب كل مؤلف يبشر بحاضر كله الرفاهية والنعيم وبمستقبل أكثر سعادة .

وأولهم هو « سوسميلش » Sussmlich وكان واعظا دينيا فى جيش فردريك الأكبر ، حيث حاول صياغة قانون فى مشكلة السكان فى مؤلفة بعنوان « الإحصاء الديموجرافى » سنة ١٧٤٠ يرتكز على زعم التعادل بين مجموع المواليد والوفيات ـ استنادا منه ـ إلى فكرة فلسفية تقول بالتعادل بين الخلق والإفناء . ويتلخص قانونه فى أنه يوجد بالضرورة ووفقا لترتيبات

1—Landry: A. ; op. Cit. pp. 599—600.

2—Wrigley. E. A. : population and History. new york : McGraw-Hill. 1969.

العناية الإلهية ، تكافؤ أو ـ على الأقل ـ نسبة ثابتة بين كل عدد من المتزوجين وعدد المواليد وعدد الوفيات فى كل سنة من السنين العادية التى لا تتخللها أوبئة أو حروب أو آفات وشرور اجتماعية أو أزمات اقتصادية :

على حين أنه فى حالة الإخلال بهذا التكافؤ ، لسبب من الأسباب السالفة الذكر ، مثل حدوث أزمة اقتصادية ، وبالتالى انخفاض معدلات الزواج وكذلك انخفاض معدلات المواليد ... أو أى سبب آخر يؤدى إلى مثل تلك النتائج ... فإن العناية الإلهية ما تلبث أن تعيد هذا التكافؤ إلى وضعه الطبيعى بعد زوال آثار تلك العوامل الطارئة[1] .

وواضح هنا أن ثقافته الدينية التى ترتكز على الإيمان المطلق بالنظام الإلهى المقدس Davine order الذى تسير وفقه كل أحوال البشر فى كل المجتمعات الإنسانية هى التى دفعته إلى تصوير تلك المشكلة فى صورة دينية فلسفية على النحو السالف الذكر .

وثانيهما هو الفيلسوف الفرنسى « كوندرسية » الذى تتلخص نظريته فى السكان التى وردت ضمن نظريته فى فلسفة التاريخ والتى تعتبر تاريخ التطور البشرى أشبه بخط صاعد نحو الرقى والاكتمال . ومن هنا فإن كل مرحلة من مراحلها العشرة أرقى من سابقتها ، وتمهد لأخرى أرقى منها . هذا والمراحل التسعة الأولى تمثل تجربة الإنسانية فى الماضى ، على حين أن المرحلة العاشرة هى مرحلة (الآمال) وتتعلق بما ينبغى أن تكون عليه الإنسانية .

ونلاحظ هنا أنه فى المرحلة التاسعة التى إبتدأت من عهد ديكارت إلى عصر الثورة الفرنسية ويدخل فيها القرن الثامن عشر ، يؤكد أن حقوق الإنسان أخذت وضعها الطبيعى ، كما انتصر العقل على الإيمان ، وتخلصت

(١) الدكتور أحمد الخشاب : سكان المجتمع العربى . مكتبة القاهرة الحديثة ؛ القاهرة ؛ بدون تاريخ ؛ ص ٧٦

الفلسفة فى سائر فروعها من الدين. وبذلك أصبح الإنسان فى الوضع اللائق به.
وفى المرحلة العاشرة وهى مرحلة الآمال أكد إن الإنسانية تتقدم فى ثلاثة أبعاد هى :

(ا) قيام المساواة بين الأمم باختفاء العداوات الشعوبية والقومية .

(ب) قيام المساواة فى داخل كل أمة بين الجنسين .

(ح) أرتقاء الإنسان فى ذاته كجنس عام[1] .

ويرجع ذلك فى نظره إلى أن القانون وسائر النظم الأخرى سوف تتجه دائما إلى جعل الفرد ينسجم مع المصالح المشتركة ، وأن إنتاج المحاصيل الزراعية لا سيما الغذائية منها سيظل فى ازدياد ، وأن الأمراض سينخفض انتشارها الى حد بعيد ، وبالتالى ستطول حياة الإنسان حتى تكاد لا تصل الى نهاية ، ومن ثم سترتفع قدرات واستعدادات الإنسان الى أن يصل الى الكمال .

والثالث والأخير هو « جودوين » وهو من الفلاسفة الاجتماعيين الذين عالجوا المشكلات الاجتماعية باسلوب النقد اللاذع للحكومة والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى انشأها المجتمع لتنظيم الحياة الاجتماعية. بمعنى إن « جودوين » كان يعزو الشرور والآثام الاجتماعية ، لا إلى الإنسان ذاته وإنما الى الحكومات القائمة والهيئات السياسية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية أى الى البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمجتمع .

ومع ذلك فقد تنبأ بعصر ذهبى أت لاريب فيه ، حيث يصل الإنسان يومئذ الى الكمال المنشود . لاسيما وأن قدرات الإنسان الفطرية يمكن تحويلها بالتربية السليمة الى الخير والى العدل ، والى البحث العلمى الهادىء من أجل خير البشرية والى إزالة كل المعوقات أمام استعدادات الإنسان المبدعة ليحقق الرخاء والرفاهية للبشرية ... وأنتهى الى أفكار يمكن أعتبارها من البذور الأولى

---

(١) انظر مؤلفنا بعنوان « التفكير الاجتماعى ... » مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

الاشتراكية الماركسية أو الفوضوية البرودهونية ، حيث قال أنه يوم تصل البشرية إلى تلك الحالة ، فإنه لن تكون هناك حرب أو جريمة أو مرض أو بغض . ولن تكون هناك حاجة بالتالى إلى الشرطة وإلى المحاكم مادام العدل سيكون هدفا نهائيا لكل إنسان يعمل من أجل تحقيقه بحماس شديد(١)

وفى مواجهة وجهات النظر المتفائلة نسبيا هذه ، ظهرت نظرية « القسيس الإنجليزى مالتس » التى تتسم بالتشاؤم فى دراسته التى نشرها «بدون توقيعه» سنة ١٧٩٨ حيث كانت أوربا أثناء إعداد هذه الدراسة فى حالة يرثى لها بسبب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية . بينما انجلترا يومئذ بوجه خاص كانت تعانى من أزمة اقتصادية واجتماعية طاحنة نتيجة لسوء المحصول الزراعى فى الريف البريطانى لعدة سنوات متوالية ، بالإضافة إلى وجود اضطرابات فى رسوم الجمارك والضرائب ولم يتمكن وليم بت W. pitt رئيس الوزراء يومئذ من إصلاحها وكان ذلك فى سنة ١٧٩٦ التى عين فيها مالتس عضوا بالكنيسة ، الأمر الذى أدى إلى إعاقة الحركة التجارية وإنخفاض المعروض من الأقوات الغذائية .

هذا وقد استمرات تلك الظروف المعيشية السيئة فى بريطانيا بالرغم من تقدم الصناعة وإبتكار المغازل والأنوال الآلية التى أدت إلى تقدم صناعة النسيج حينئذ ، وذلك يرجع إلى استغناء أصحاب المصانع عن خدمات الكثير من عمال الغزل والنسيج ، الأمر الذى ترتب عليه زيادة أعداد المتعطلين وانخفاض الأجور وكذلك انخفاض المساعدات الاجتماعية للفئات الفقيرة . ولعل تلك الأحوال السيئة فى بريطانيا هى التى تفسر آراء «جودوين» الفوضوية وتبرر النظرة التشاؤمية التى ظهرت فى مقال مالتس الذى نشره دون أن يضع اسمه عليه ، لاسيما وان تلك الأحوال السيئة قد ارتبطت بفترة طفولة وشباب وبداية رجولة مالتس فهو من مواليد سنة ١٧٦٦ .

1—Godwin,w. : An Enquiry Concerning political justice, 1793

حقيقة أن تلك الأحوال السيئة قد بدأت تختفى ببداية ظهور الثورة الصناعية فى انجلترا ، تلك التى توصلت الى بعض الاكتشافات التى تقدمت بفضلها سبل المواصلات ولا سيما السبل المائية فتحولت بفضل ذلك من دولة صناعية الى دوله صناعية وتجارية ، حيث صنعت أول مركب بخارية سنة ١٨٠٧ وأفتتحت الملاحة المائية البخارية سنة ١٨١٢ وابتدأت الملاحة فى المحيطات سنة ١٨٣٨ ولكن «مالتس» لم يشهد هذا التقدم الصناعى التجارى الذى أدى الى الازدهار الاقتصادى فى إنجلترا بعد امتداد خطوطها الملاحية عبر المحيطات ، حيث توفى سنة ١٨٣٨ .

تلك هى الآراء والظروف والأحوال التى سبقت ظهور أول نظرية علمية فى مجال السكان . والدوافع التى حدت بصاحبها الى السير فى هذا الأتجاه .

الفصل الثالث

نظرية مالتس فى السكان

لكى نتناول نظرية مالتس فى السكان بصورة موضوعية – لا سيما وقد اختلفت الآراء حولها بصورة حادة – يجب أن نعود إلى الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والدينية التى أحاطت بمولد تلك النظرية ، حتى يسير موقفنا الاجتماعى منها مع النزاهة العلمية .

الخلفيات التى قامت عليها نظرية مالتس :(1)

قد يكون من المفيد – قبل تناول نظرية مالتس – أن نتناول الحقبة

---

(١) ولد الأب توماس روبرت مالتس The Reverand Thomas Robert Malthus سنة ١٧٦٦ وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بجامعة كمبردج لدراسة اللاهوت وهى جامعة اشتهرت بالرياضيات التى برع فيها هو شخصيا ؛ حتى أنه صار لايعتقد فى شىء ينقصه الدليل . وقد استطاع بفضل نبوغه وتقدمه فى الدراسة ؛ أن يشغل منصب عضو بهيئة التدريس لمدرسة اللاهوت سنة ١٧٩٣ وفى سنه ١٧٩٦ أصبح عضوا فى الكنيسه (قسيسا) بالإضافة إلى وظيفته الأساسية كمدرس للدين بجامعة كمبردج . وكان على عكس والده الذى كان من أصحاب الأراضى الزاعية ومن الاصدقاء الشخصيين لأحد كبار مفكرى فرنسا يومئذ وهو جان جاك روسو؛ والذى كان من المؤمنين بالنظرة التفاؤلية التى سادت القرن السابع عشر على أيدى كيناى وكوندرسيه وجودوين ؛ بل وإعجابه بالآراء التفائلة لهؤلاء الفلاسفة ، وإعلان هذا الإعجاب على كل من حوله ومن بينهم إبنه ؛ فإن الإبن على الرغم من ذلك قد تأثر بالظروف السيئة التى أحاطت بالمجتمع البريطانى يومئذ والتى عاش هو فى ظلها . ومن ثم جاءت آراؤه ومفاهيمه واتجاهاته على عكس والده ؛ مما جعل البعض يتوهم أنه – من جهة – من محبى الظهور ، ومن – جهة أخرى – من الباحثين عن حلول جديدة للمشكلات الاجتماعية المتصلة بالسكان =

التى كتبت فيها بالتحليل ، فقد كانت الثورة الصناعية فى ذلك الوقت تمضى قدما . وكانت الأمور تبشر بالخير فى أوروبا وأمريكا الشمالية . أى أنه كان هناك ثمة شعور بتفاؤل عام يشيع فى الجو ، شعور بأن العلم والعقل سيتمكنان من معالجة أية مشكلات قد تنشأ فى الحياة الاجتماعية . وزيادة فى الموضوعية ، نذكر أن قلة من الناس هم الذين فكروا فى دراسة العواقب المحتملة للارتفاع السريع فى معدلات النمو السكانى ، وكانوا يشعرون بأنه ما من شىء هناك يدعو إلى القلق . وقد عبر الإنجليزى وليم جودوين William Grodwin والفرنسى الماركيز دى كوندرسيه Marquis de Condorcet عن إيمانهما بأن السكان لن يلبثوا أن يصلوا إلى المستوى المعقول .. بطريقة ما .

ولكن « مالتس » لم يكن مطمئنا إلى هذه الدرجة ، فقد جاءت آراؤه فى السكان متأثرة بآراء « جودوين » ورد فعل لها ، حيث دارت نظريته حول الأجابة على تساؤل مبناه : ما هو مدى تأثير النمو السكانى على رفاهية هؤلاء السكان ؟ ولم يكن هذا التساؤل من بنات أفكار مالتس . ولكن طريقة عرضه لهذا التساؤل وكيفية تحليله والآجابة عليه ووضع الحلول الملائمة له هى التى أثارت ضجة حول مسائل السكان ، واعتبرت فى ذلك الوقت نقطة البداية فى النظريات السكانية . بل وكانت الأساس الذى قام عليه علم السكان كفرع مستقل من فروع علم الاجتماع فيما بعد .

هذا وتستند نظرية مالتس فى السكان على أسس دينية واقتصادية وإحصائية ، فقد رفض النظرة التفاؤلية لدى السابقين عليه أمثال : سوسميلش،

= ومن ـ جهة ثالثة ـ لاسيابعد مهاجمته لسياسة «وليم بت» W. pitt بها رئيس وزراء بريطانيا يومئذ ؛ أنه من الباحثين عن المجد السياسى ... والصحيح أنه اتخذ لنفسه مسارا جديدا بعيدا عن تيارات التفاؤل التى تقوم على عوامل عاطفية تستولى على أفئدة الناس دون إعمال العقل فيها بالدراسة والتحليل وهو المسار الموضوعى فى تناول مشكلة السكان.

كوندرسية ، وجودوين ، وراح يؤسس نظريته على الأرقام التى لايختلف على مدلولها إثنان ، كما ربط بين دلالة الأرقام ومعدلات النمو الاقتصادي ، وكذلك الإنجاب .

ولم يستطع مالتس حينما انتهى إلى رأى فى السكان أن يقرنه باسمه خشية ثورة رجال الدين ضده ، ومن ثم نشر مقاله الأول ذى العنوان الطويل وهو « مقال عن المبدأ العام للسكان ، كما يؤثر فى تقدم المجتمع فى المستقبل ، مع ملاحظات على تكهنات جودوين وكوندرسية وغيرهما من الكتاب » . نشره بدون توقيعه . وارتكز رأيه فى السكان فى هذا المقال على الركائز التالية :

١ ـ ضرورة الغذاء لحياة الإنسان وإستحالة الاستغناء عنه .

٢ ـ ضرورة الإشباع الجنسى بين النوعين (الذكر والانثى) وإستحالة الانصراف عنه .

ولما كانت :

(ا) قوة السكان فى التزايد أعظم من قوة الأرض فى إنتاج المحاصيل الزراعية الغذائية .

(ب) وأن السكان ـ إذا لم يعق نموهم عائق ـ يتزايدون طبقا لنظام تزايد المتوالية الهندسية .

(ج) وأن المحاصيل الزراعية الغذائية تتزايد طبقا لنظام تزايد المتوالية الحسابية .

فإنه من الضرورى البحث عن حلول لمشكلة عدم التوازن بين قوة السكان فى التزايد وانخفاض قوة الأرض فى إنتاج القوت الضرورى للإنسان . ولما كان الإنسان لايستطع الحياة بدون غذاء ، فإنه من الضرورى أن توجه هاتين القوتين غير المتعادلتين إلى التعادل » .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الآثار الاجتماعية للثورة الصناعية ، قد بدأت فى الظهور فى أواخر القرن السابع عشر ، حيث اضطر العمال فى أول القرن الثامن

عشر إلى العمل ساعات طويلة بأجر حديدى ، أى أجر لا يكفى سوى الخبز الجاف بدون إدام ، دون أن تكون لهم نقابة عمالية تدافع عنهم وعن حقوق الأطفال والنساء الذين اضطروا أيضا إلى العمل لعدم كفاية أجور العمال للإنفاق على أسرهم . . . وإستغلال أصحاب الأعمال لهذه الظروف السيئة بصورة أدت إلى أنتشار البؤس والرذيلة Poverty and misery ومن هنا ربط مالتس بين البؤس والرذيلة من جانب وبين زيادة السكان من جانب آخر لا سيما وأن نظرية الفزيوقراط كانت ترى أن الغريزة الجنسية من أكبر العوامل فى زيادة معدلات المواليد . وكلما زاد عدد السكان زاد العرض من الأيدى العاملة ، مما يؤدى بدورة إلى تخفيض معدلات الأجور .

ومن هنا وجد مالتس أن ارتفاع معدلات الوفيات نتيجة حتمية لانتشار البؤس ولكنه لم يكن متأكدا من دور الرذيلة فى تخفيض معدلات المواليد ، بالرغم من احتمال انتشارها . ولذلك اختتم مقاله بهذه النتيجة وهى أن « عدم المساواة الطبيعية بين قوة السكان فى الإنجاب.وقوة الأرض فى الإنتاج،وتدخل القانون الأعظم للطبيعة من أجل حفظ آثارهما فى تعادل دائم ، بالرغم من الصعوبات التى بدت مستحيلة ضد العطاء المحتمل لمجتمع يجب أن يعيش كل أفراده فى راحة وسعادة ودعة نسبية، بعيدا عن الشعور بالقلق على عدم وجود الفرصة المناسبة لبقائهم وبقاء أسرهم » .

وكما توقع مالتس فقد ثارت ثائرة رجال الدين عندما وصفت آراؤه من كثير من المفكرين يومئذ بأنها « ضد الدين » لاسيما وأنه من رجال الدين الذين يجب أن يحرصوا على سمعتهم الدينية . ولذلك وصفوه بالقنوط من رحمة الله الرؤف الرحيم الذى خلق الخلق وقدر لهم أقواتهم .

ولذلك عكف مالتس خمس سنوات كاملة على تحليل وتمحيص وتدعيم آرائه السالفة الذكر . ومن أجل ذلك دخل فى مناقشات كتابية وشفاهية مع

والده كانت من أمتع وأبلغ وأرق المناقشات العلمية يومئذ، لا سيما وأن والده كان من المتشيعين لآراء جودوين الذى كان بالرغم من تفاؤله — يعزو الشرور والآثام الإنسانية إلى الحكومات القائمة والهيئات السياسية والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية وليس إلى الإنسان نفسه بينما يقف الإبن توماس فى مناقشاته مع الأب « روبرت مالتس » موقف المعارضة لآراء جودوين وراح يحاول إقناع « الأب » بالتنصل من آراء جودوين هذه بدون جدوى .

هذا وفى نقده لآراء جودوين تبدو روحه المحافظة واضحة ، كما يبدو عدم اعتقاده بإمكان الإصلاح الاجتماعى عن طريق الطفرة والثورة ، لأنه من الصعب — من وجهة نظره — تغيير القوانين التى يسير عليها العالم الاجتماعى والتى لها ضرورتها مثل القوانين الطبيعية، بمعنى أن مالتس لا يؤمن بفكرة التقدم المضطرد التى وجدناها لدى كوندرسية الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى . وبالإضافة إلى ذلك فإن القارىء لنقده لآراء جودوين من خلال مناقشاته مع والده يشعر بعامل آخر له أهميته، ويرجع إلى حياته الدينية كقسيس انجليكانى فى ضاحيه « هيلبرى » Haileybury إلى تدينه الشديد وإيمانه بان الألم ملازم للإنسان بسبب وجود الغريزة التناسلية لديه وكذلك غريزة حب الطعام التى تعتبر هى وشقيقتها من أهم أسباب شقاء الإنسان ، حتى قبل أن يهبط على الأرض[1] . وكذلك جمع مالتس كثيرا من البيانات والمعلومات التى تؤكد وجهة نظره . . وأعاد نشر مؤلفه (مقاله) فى صورة كتاب ووضع إسمه عليه كمؤلف له لأول مرة ، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٨٠٣ .

ولا ريب أن هذا الكتاب بالأسلوب الموضوعى الذى استخدم فى تأليفه والبيانات والمعلومات التى انطوى عليها ، والموضوع الحساس الذى دار حوله يعتبر من أهم المؤلفات المبكرة فى الدراسات العلمية للسكان .

---

(١) الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت : مرجع سابق ؛ ص ٦٢ .

هذا وسوف نتناول نظرية مالتس في السكان من خلال كتابه هذا الذى صدر بعنوان مختصر هو « بحث فى أصول السكان ، أو نظرة فى آثارها فى الماضى والحاضر على سعادة الناس » [1] .

نظرية مالتس فى السكان :

يتفق مالتس فى عرض نظريته مع قواعد البحث الاجتماعى حيث تدور نظريته حول مشكلة Problem معينة وهذه المشكلة هى :

الاتجاه الثابت لجميع المخلوقات الحية نحو التزايد بدرجة أكثر من الغذاء المتاح لها .

ثم يحاول اختبار تلك المشكلة باعتبارها :

من أهم الأسباب التى عاقت تقدم البشرية إلى السعادة :

ثم يضع مجموعة من الافتراضات التى ينبغى اختبارها لتحديد معالم تلك المشكلة ومن هذه الفروض :

(ا) إن البشر كغيرهم من الكائنات الحية الأخرى يميلون إلى التزايد بسرعة أكثر من ازدياد وسائل المعيشة ، إلا أن هذا الميل تقيده عوامل متنوعة .

(ب) إن سبب الفاقة فى المجتمع هو اختلال التوازن بين عدد السكان وكمية المواد الغذائية الكافية لإشباع الحاجات الضرورية وغير الضرورية للأفراد فى المجتمع .

(ج) « إن عدد السكان يحدد بالضرورة بواسطة مواد التغذية » أو بتعبير آخر « إن هناك ترابطا وثيقا بين عدد السكان وكمية القوت » [2] .

1—Malthus, T. R. ; An Essay on the piinciple of population of a view of its past and present affects on Human Happiness . London, 1803 .

2—Population is necessaiily by means of sbusistence .

(د) « تضطرد زيادة عدد السكان كلما ازدادت كمية القوت ، ولاتقف هذه الزيادة إلا إذا عاقتها عقبات قوية لاسبيل إلى منعها »[1] .

(هـ) « هذه العقبات والعقبات التى تمنع زيادة عدد السكان المضطرد ، والتى تجعله فى مستوى يتناسب مع كمية القوت تتلخص فى النهاية فى : المانع الأدبى والرذيلة والفاقة أو العوز »[2] .

وكان الهدف من وراء تلك الدراسة هو الإجابة على تساؤلين حددهما مالتس كما يلى :

١ ـ ماهى نتيجة زيادة السكان الطبيعية ، لو تركت لتعمل فى حرية تامة ؟

٢ ـ ماهو المدى الذى يمكن أن ترتفع إليه نسبة الزيادة فى غلة الأرض وسط أكثر الظروف ملاءمة للكفاح الإنسانى[3] ؟

وذهب مالتس يستقرىء البيانات الاحصائيـة المتاحة له عن بعض الولايات التى تقع فى شمال الولايات المتحدة الأمريكية والتى كانت تتمتع خلال تلك الفترة بتوافر فرص المعيشة بشكل مريح ، بالإضافة إلى صفاء أخلاق الناس وتقديسهم للحياة الزوجية وجاءت نتيجة الاستقراء مؤكدة أن عدد السكان يتضاعف فى أقل من خمسة وعشرين عاما ، وبتعبير آخر لم تبدو هناك

1 — « population invariably increase wheie meams of subsistence inciease, unless prevented by some very powerful and obvious cheichs »

2 — These checks, and the checks which iepress the superior power of population, and keep its effects on the level with the means of subsistence, are all iesolvable into moral restiaint, vice and misery .

(٣) يبدو اتفاق أسلوب مالتس فى التأليف مع قواعد البحث الاجتماعى، حيث حدد « مشكلة » كانت تؤرق المفكرين الاجتماعيين يومئذ ؛ ووضع الافتراضات التى يؤدى اختبارها بوسائل البحث العلمى الى الوصول إلى أهداف دراسة تلك المشكلة؛ وهى الوقوف على مدى تزايد السكان ومدى تضاعف غلة الأرض ؛ ومدى تأثير كل ذلك على رفاهية الانسان .. وهو أسلوب ندعو أبناءنا من الطلاب والطالبات الى الاحتذاء به .

« موانع إيجابية » لكبح معدل تكاثر المستوطنين ، فظهر أنهم يزدادون بمعدل بلغ حوالى ١٠٠ ٪ فى الجيل الواحد[١] (من حوالى ١,٥ مليون فى سنة ١٧٥٠ إلى أربعة ملايين فى سنة ١٧٩٠)[٢] وقد استمر معدل التضاعف هذا طول قرن ونصف من الزمان ، ثم اعتقد أن هذا هو المعدل الطبيعى الذى يتكاثر به السكان بصفة عامة كل ربع قرن من الزمان[٣]

ومن هنا أعلن فى ثقة أن السكان إذا لم يعق نموهم عائق يستمرون فى مضاعفة عددهم كل خمسة وعشرين عاما فى المتوسط ، وعبر عن ذلك تعبيرا رياضيا بقوله بأن السكان يتزايد عددهم طبقا لأسلوب تزايد المتوالية الهندسية . ذلك أن كل طفل يستطيع بدوره إنجاب ذرية متضاعفة ، وتواصل الذرية بدورها هذا التكاثر .

أما وجهة نظره فى زيادة المحاصيل الزراعية الغذائية ، فقد ذهب يستقرىء حقائق غلة الأرض الزراعية واستشهد على صحة آرائه بحالة الزراعة فى بريطانيا يومئذ ، وتبين له أن الزراعة بالنسبة للدخل القومى فى بريطانيا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الصناعة . وأنه مهما بذل من عناية فى زراعة تلك الأرض ، فقد يمكن رفع إنتاجها إلى الضعف ، وتلك نهاية الزيادة ، ومن ثم فإن إنتاجها لا يمكن أن يرتفع إلى أربعة أمثال إنتاجها الأصلى بعد خمس وعشرين عاما كما يحدث فى حالة السكان وفى هذا يقول : « إن كل زيادة تستهدف فى معدلات الإنتاج الزراعى سوف تتناقص مع كل مانعرفه عن خواص الأرض ، على اعتبار أن إصلاح الأراضى البور سوف يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين ، ولعله من الواضح لدى كل من لديهم إلمام كامل بالموضوعات الزراعية ، أنه كلما اتسعت الزراعة ـ نسبيا ـ فان الإضافات التى يمكن للأرض أن تقدمها سنويا إلى متوسط الإنتاج السابق من الضرورى أن تتناقص تدريجيا وبصورة

---

(١) كانت الهجرة ضئيلة نسبيا فى تلك السنوات ؛ بسبب الحروب بين الفرنسيين الهنود الأمريكيين وبسبب الثورة الأمريكية .

2 — Hellman, H. ; population, op. cit., p. 37.

3 — Samuelsom. p. A. ; Economics. N. y. 1951 p. 24 .

منتظمة ، وقد لخص فى قوله هذا ماعرف فيما بعد باسم « قانون الغلة المتناقصة ، Law of diminishing returns فقد لاحظ مالتس أن الطلب على القمح فى بريطانيا يومئذ كان يتزايد نتيجة لزيادة عدد السكان من جانب ولتحول عدد كبير من عمال الزراعة إلى العمل فى الصناعة . وترتب على ذلك استحالة زيادة المعروض منه بسبب ضيق الرقعة الزراعية ، الأمر الذى أدى إلى زيادة الطلب ، وبالتالى ارتفاع أثمان القمح .

ومن هنا فقد اعتقد مالتس أن كل زيادة متتالية فى عدد السكان تتطلب من القوم بذل جهود أكبر لزيادة معدلات إنتاج القمح ، حتى يمكن تدبير القوت للسكان الحاليين ، وكل زيادة تطرأ على أعدادهم ... غير أن الأراضى الزراعية لها حدود تقف عندها فيما تنتجه من الغلال ، بمعنى أن الأراضى الزراعية لاتعطى بصفة مستمرة ناتجا متزايدا كلما زيد عنصر العمل وعنصر رأس المال ، وإنما على العكس من ذلك ، نجد أنه بعد حد معين تأخذ الزيادة فى الإنتاج الزراعى فى الانخفاض التدريجى إلى أن تصل إلى الصفر . بحيث يصبح من العبث إضافة أى زيادة فى رأس المال والأيدى العاملة ، لأن الأرض لن تعط أكثر من قوتها . وبذلك تصبح أى زيادة فى هذين العاملين بلا جدوى ، لأنه لن تقابلها زيادة فى الانتاج الزراعى ، على اعتبار ـ أن الفدان الذى يغل ـ على سبيل المثال ـ حوالى خمسة أرادب من القمح ، وهى الغلة التى يقصدها مالتس عندما يتحدث عن « القوت » لن ينتج عشرين أردبا بعد خمسة وعشرين عاما ـ مهما تقدمت الابتكارات والمخترعات ـ فى عالم الانتاج الزراعى ، حيث يكون قانون الغلة المتناقصة قد بدأ فى السريان حينئذ . ومن هنا أعلن مالتس رأيه بأنه يستحيل على بريطانيا فى ذلك الحين أن تتوسع فى إنتاج القمح ، بما يكفى لتغطية حاجات الزيادة الكبيرة فى السكان .

ومع ذلك فقد افترض « مالتس » جدلا أن الانتاج الإضافى السنوى للأراضى الزراعية سوف يستمر فى الزيادة ، وأن الزيادة فى إنتاج الأراضى الزراعية فى بريطانيا يومئذ ، سوف تصبح معادلة للانتاج الأصلى كل خمسة

وعشرين عاما . وهذا هو أقصى مدى للزيادة فى إنتاج الأراضى الزراعية يمكن أن يتصوره أكثر الناس تفاؤلا . ومع ذلك فقد انتهى من مناقشته هذه إلى أنه - بالرغم من التساهل فى حساب تزايد إنتاج الأرض ، وفى ضوء قانون الغلة المتناقصة - فان الغلة سوف تتزايد طبقا لأسلوب تزايد المتوالية الحسابية .

ولتأكيد وجهة نظره هذه ، عمل على تقديم بيان رقمى يمكن إعادة عرضه بتنظيم يساعد على الايضاح فقط دون إخلال بالارقام التى جاءت فى «مؤلف» مالتس ، فاذا تصورنا أن عدد السكان فى سنه ١٧٠٠ كان ألف مليون نسمة . وكمية الطعام التى تنتجها الأراضى الزراعية فى نفس السنة ألف مليون طن ، فان النتيجة بعد قرنين من الزمان تصبح كما فى الجدول التالى :

جـــدول رقم (٤)
يوضح مبدأ مالتس فى العلاقة بين زيادة السكان
وزيادة المنتجات الزراعية

السنة	عدد السكان فى العالم بالآلاف مليون نسمة	كمية القوت فى العالم بالآلاف مليون طن
١٧٠٠	١	١
١٧٢٥	٢	٢
١٧٥٠	٤	٣
١٧٧٥	٨	٤
١٨٠٠	١٦	٥
١٨٢٥	٣٢	٦
١٨٥٠	٦٤	٧
١٨٧٥	١٢٨	٨
١٩٠٠	٢٥٦	٩

وعلى ذلك فإنه خلال قرنين من الزمان أصبحت نسبة السكان إلى المواد الغذائيـــة :

٢٥٦ : ٩

وبعد ثلاثة قرون من الزمان تصبح :

٤٠٩٦ : ١٣

وذلك فى حالة عدم وضع قيود على إنتاج الأراضى الزراعية ، وبالتالى استمرار الزيادة فى إنتاج الأراضى الزراعية . وعلى الرغم من ذلك فإن قوة السكان فى معدلات الانجاب ستبلغ شأوا كبيرا ويستحيل العمل على تخفيض الزيادة فى النوع البشرى إلى مستوى يعادل وسائل المعيشة إلا بالعمل الدائم لقانون الضرورة العظمى وهو القانون الطبيعى الذى يعمل على ضبط معدلات الزيادة فى السكان مع معدلات الزيادة فى إنتاج المحاصيل الغذائية . ويلاحظ من الجدول السابق أن كمية القوت تضاعفت فى السنوات الخمسة والعشرين الأولى فقط ، وبدأت تتناقص بفعل قانون الغلة المتناقصة .

وللتخفيف من النتائج السيئة لزيادة السكان ، قال مالتس فى الطبعة الأولى من مؤلفه بنوعين من العوائق هما :

أولا : العوائق أو الموانع الوقائية : Preventive Checks

وهى التى تؤثر فى نمو السكان عن طريق خفض المواليد بأسلوب غير مباشر عن طريق إرجاء الزواج . (أى عدم التبكير فيه) وكبح جماح النفس أثناء الزواج (أى إهمال العلاقات الجنسية أو الإقلال منها) وكذلك تنطوى على الرذيلة والإختلاط الجنسى غير المنظم أو الفوضوى والميول الجنسية غير الطبيعية وإنتهاك حرمة الحياة الزوجية للآخرين .

ثانيا : العوائق أو الموانع الايجابية : Positive Checks

وهي متعددة ومتنوعة ، حيث تنطوى على كل عوامل البؤس التى تنقص عدد السكان بتقصير الحياة الإنسانية ، أى بزيادة نسب الوفيات ، ولا يتحقق ذلك إلا بالعمل فى الحرف الضارة بالصحة، والأعمال الشاقة القاسية، واشتغال الأطفال الصغار فى الأعمال الشاقة، والتعرض لتقلبات الفصول،والفقر الشديد والتربية السيئة للأطفال، واكتظاظ المدن بالسكان،ومختلف أنواع الإفراط وكذلك الأمراض والأوبئة والمجاعات أو القحط والحروب وغير ذلك مما يمكن تلخيصه فى كلمات ثلاث هى الجوع والمرض والحرب أو ثلاثى الخطر .

ويرى مالتس أن الذى ساد من بين هذه العوائق إلى أيامه ، وكان له الأثر المباشر فى إيجاد التوازن بين عدد السكان وكمية القوت هى الحروب والمجاعة أو القحط ... وعلى الجملة فإن هناك احتمالا مستمرا نحو الزيادة أو النقص لكمية القوت الضرورية لإشباع حاجات الناس ، وهناك إضطراد مستمر فى زيادة السكان . ولا يقلل من حدة هذه الزيادة وجعلها تتناسب مع مستوى مواد التغذية إلا المعوقات السالفة الذكر ، ولا سيما المعوقات الإيجابية ، أى الفاقة والموت ، فهما العاملان الأساسيان لخفض عدد السكان من وجهة نظر مالتس .

وإزاء موقف رجال الدين المضاد لهذه الموانع غير الإنسانية أضطر مالتس فى الطبعة الثانية من مؤلفه السالف الذكر إلى إضافة ما أسماه بالمانع الأخلاقى وهو على النحو التالى :

ثالثا : المانع الأخلاقى : Moral restraint

وهو الذى يعتمد على إرادة الإنسان فى منع الشر قبل وقوعه. ويقوم على أساس رؤية الإنسان لإمكاناته الإقتصادية ومدى قدرتها على تغطية تكاليف الأسرة ، قبل إقدامه على تكوينها .

(أ) فإذا كانت تلك الإمكانات الاقتصادية تسمح له بالزواج . كان له أن يتزوج ، مع تفضيله لتأخير الزواج بعض الوقت .

(ب) وإذا لم تكن تسمح له بالزواج . كان عليه أن يؤجل زواجه إلى أن تتوافر لديه الإمكانات الاقتصادية التى تكفى لتغطية احتياجات الأسرة ، ثم يتزوج .

(ح) وإذا استحال عليه توفير تلك الإمكانات الاقتصادية الضرورية للزواج ، فإن عليه أن يؤجل زواجه إلى أجل غير مسمى . وأن يتزوج بعد أن يفقد قدراته على الإنجاب ، حى لا ينجب أطفالا لا يستطيع توفير القوت لهم .

وفى كل الحالات لا يجوز له اقتراف الزنا أو الإفساد الخلقى ، وإنما دعا كل غير القادرين على الزواج إلى العزوبية مع الورع والتقوى . وهذا يتفق مع قوله تعالى « . . . وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ، حتى يغنيهم الله من فضله . . . » ومن الواضح أن تلك الدعوة ترجع إلى احترامه للدين باعتباره واحدا من القساوسة الذين ينبغى ألا يصدر عنهم إلا ما يتفق مع الدين . والاستجابة لمثل تلك الدعوة ليست مستحيلة ، على أعتبار أن إشباع الغريزة الجنسية ليس بنفس ضرورة إشباع غزيرة الأكل والشرب ، وإنما يمكن إضعافها بالعادة ، أو القضاء عليها بقوة الإرادة . وإن كنا نرى إن الاشباع الجنسى يمكن تأجيله بعض الوقت ، ولكن يستحيل القضاء عليه بما تسمى بقوة الارادة هذه .

وقد أنتهى مالتس من ذلك كله إلى أن نمو السكان يتحدد كلية فى الغالب بندرة أو زيادة موارد المعيشة . ومن ثم فإذا كانت موارد الطعام غير كافية ، فان هذا سيساعد على زيادة السكان ، أما إذا كانت موارد الطعام غير كافية ، وزاد عدد السكان زيادة كبيرة، فان الأمر سينتهى حتما بكارثة ، حيث تتفشى

الأمراض والأوبئة وترتفع نسبة الوفيات ... ومن هنا كانت دعوته بضرورة تدخل بعض العوامل الخارجية لإعادة التوازن المفقود[1] .

ومن جهة أخرى لم يتنبأ مالتس بالهلاك ، وإنما كان يقول بأن الطبيعة ستفرض قيودا إيجابية على نمو السكان ، مالم — وهنا النقطة الحيوية فى الأمر — أى « مالم » يمارس الإنسان ما أطلق عليه اسم الموانع الوقائية Preventive checks وبمعنى آخر كان يقول إن السكان يميلون إلى أن يتضاعفوا فى الحجم كل خمس وعشرين سنة أو حوالى ذلك لاسيما فى الدول المتخلفة التى لاتتوافر لدى الأفراد فيها القدرة على الحد من زيادة السكان ، مالم يعرقلهم شيء . ففى أيام مالتس كانت المجاعة أو الوباء (الأمراض) أو الحروب هى التى تعوق تضاعف السكان بالفعل .

والذى يقرأ مؤلفات «مالتس» الأخرى يستطيع إدراك الوجه الاجتماعى لنظرية مالتس فى السكان ، حيث يظهر من مؤلفه السالف الذكر أن نظريته تعتمد على الجانب الحيوى دون الجانبين الاجتماعى والاقتصادى وهذه المؤلفات هى :

١ — بعض ملاحظات على آثار قوانين الغلال[2] . سنة ١٨١٤ .
٢ — العائد الزراعى[3] . سنة ١٨١٥ .
٣ — بحث فى قانون الفقراء[4]. سنة ١٨١٧ .
٤ — مبادىء الاقتصاد السياسى من خلال تطبيقاتها العملية[5]. سنة ١٨١٩
٥ — التعاريف فى الاقتصاد السياسى [6] ، سنة ١٨٢٧ .

ففى هذه المؤلفات يبدو الوجه الاجتماعى والاقتصادى لنظريته فى

(١) مشكلة السكان فى العالم : تأليف ألفريد سوفى ؛ ترجمة الدكتور جلال صادق . الدار القومية للطباعة والنشر ؛ ص ٥

2—Observations on the Effects of the Corn Law. 1814.

3—An Inquiry into the nature and progress of Rent Principles by which is Regulated. 18 5.

4—On the proposed Bill of the Amendment of the poor Laws. 1819.

5—Political Economic Considered with a View to their practical Apblication. 1819.

6—Definitions Political Economic. 1827.

السكان ، حيث عمل مالتس فى الطبعة الأولى من كتابه عن السكان على أن يعبر عن وجهة نظر المحافظين فى انجلترا — لاتفاقها مع وجهة نظره - ولأنها تتعارض مع آراء دعاة الإصلاح الاجتماعى، والذين عبر « جودوين » عن وجهة نظرهم . وكانت آراء المحافظين الذين عبر مالتس عن وجهة نظرهم تتسم بالقسوة . وتبدو هذه القسوة فيما يلى :

(ا) إن الإنسان الذى يولد فى عالم مكتظ بالناس ليس له الحق فى أن يطالب بقوته .. أو طبقا لتعبير مالتس « ليس هناك مكان على مائدة الحياة لمثل هذا الإنسان الذى يولد فى عالم مكتظ بالسكان ، فالطبيعة تأمره أن يذهب - أى أن يموت جوعا أو بالانتحار - كما أن الطبيعة لن تتوان عن تنفيذ هذا الأمر بأساليبها الخاصة » .

(ب) إن الإنسان الذى يكثر من التناسل فى نظر « مالتس » لا يزيد من قوة السكان ، وإنما يضاعف من قوة البؤس والفاقة .

(ح) وإن الإنسان الذى يعتقد فى معالجة الفاقة والعوز عن طريق الإحسان والمساعدات العامة ، يعمل فى واقع الأمر على زيادة عدد البؤساء والمحتاجين بدلا من إنقاص عددهم .

(ء) إنه من المؤلم حقا - طبقا لتعبير مالتس - أن يرغب الإنسان فى نزع العصا من يد الطبيعة ، ذلك أن الإنسان الذى ينجب أطفالا ، وليست لديه الامكانات الاقتصادية التى تمكنه من الإنفاق على تربيتهم ... يجب أن يخضع لقوانين الطبيعة التى هى من تشريع الله ، تلك التشريعات الإلهية التى تفرض عليه وعلى أبنائه - طبقا لتعبير مالتس - أن يتألموا ؛ بمعنى أن من رأيه أن من يخرج على حدود طاقته الاقتصادية يخرج فى نفس الوقت على حدود إرادة الله .

(ه) ضرورة إصدار قانون يمنع الإحسان والمساعدات الاجتماعية العامة لكل طفل يولد بصورة غير مشروعة . والمقصود بالمشروعية هنا هو القدرة

الاقتصادية . فكل طفل يولد بعد سنة من صدور هذا القانون عن طريق الزواج ، وكل طفل غير شرعى يولد بعد سنتين من صدور هذا القانون (والمدة هنا ضرورية ليتعظ كل من لا يملك قدرة الإنفاق على الأبناء) فهو مولود غير شرعى ... ومما تجدر الإشارة إليه هنا إنه لم يطالب بمنع الإحسان Alms gviing الذى يمنحه الأفراد الأثرياء لهؤلاء المحتاجين إليه باعتباره نوعا من المساعدة الإنسانية Philanthropic help وإنما هو فقط يعتبر كل شخص وقع فى الفاقة - مهما كانت احتياطاته - ليس له الحق فى طلب أى مساعدة اجتماعية ، وعليه أن يعتبر نفسه مجبرا على أن يتحمل نتائج سوء حظه .

وقد لقيت آراء مالتس هذه تأييدا سياسيا من حزب المحافظين البريطانى وهو حزب الاقطاعيين والرأسماليين . لأن أراءه تحارب الأراء الاشتراكية « لجودوين » ، ولأنها رفعت كل مسئولية عن الطبقات الحاكمة فيما يتعلق بالبؤس والفاقة . وألقت بها على كاهل الفقراء أنفسهم لعدم تبصرهم وعدم تقدير مصيرهم . هذا وترجع مسئولية الأثرياء عن مساعدة الفقراء إلى قانون الفقراء الذى صدر فى بريطانيا تحت اسم الملكة اليزابيث[1] ، والتعديلات التى أدخلت علية سنة ١٦٠١ .

وقد صدرت هذه القوانين لمحاربة التسول Bigging حيث ألزمت القادرين على تقديم كمية من الصدقات لكى توزع بواسطة دور العبادة المحلية على المتسولين Biggars وبمقتضاها تم تنظيم عملية « البر الأهلى » منذ عهد « الياصابات »[2] وذلك مع تيسير سبل التعامل مع الهيئات المحلية وهؤلاء المتشردين الذين تزايد عددهم ، مع إعادتهم إلى مواطنهم الأصلية ،

---

(١) انظر تفاصيل عوامل صدور قوانين الفقراء فى بريطانيا ، والتى اعتبرت بمثابة أول لبنة فى صرح الخدمة الاجتماعية فى بريطانيا . فى مؤلفنا بعنوان « علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية » مكتبة النهضة المصرية ؛ القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٣٦ .

2—Poor Laws of Queen Elizabath .

وقد كان من رأى مالتس أن أحط فئات المجتمع هم الذين يبكرون عادة فى الزواج ، بينما لا يعمد أفراد الطبقات المرتفعة الدخل إلى الزواج إلا فى سن متأخرة ، أى أن متوسط العمر عند الزواج فى الحالة الثانية أعلى منه فى الحالة الأولى . وترتيبا على ذلك فإن التحسن فى الجنس البشرى لا يمكن أن يتحقق طالما أن أولاد الفقراء فى ازدياد مستمر ، وأولاد الاغنياء فى تناقص مستمر . ولهذا عارض مالتس قوانين الفقراء فى انجلترا واعتبرها سببا فى زيادة عدد الفقراء ، مما يستوجب معه إلغاء هذه القوانين ، كما أعتبر أيضا أن كل المساعدات الاجتماعية بدعة مصطنعة لها تأثير ضار على المدى الطويل . وأن الحل الوحيد الذى يكفل تحسين أحوال المعيشة ، إنما يكمن فى تنظيم السكان لنمو أنفسهم حتى لا يتزايدوا بمعدل أسرع من الزيادة فى موارد المعيشة[1] . . . وبذلك أصبح كل فرد من الأثرياء يعتقد فى شرعية ما يملك ولا يشعر بآلام تأنيب الضمير ، فى حالة عدم تقديمه لأية مبالغ كمنح أوعطايا للفقراء وكذلك فى حالة عدم اهتمامه بما فى المجتمع من أمراض اجتماعية . فقد أعفاهم مالتس من كل ذلك ، وألقى تبعة الفقر وسوء الأحوال الاجتماعية على هؤلاء الفقراء أنفسهم .

تعقيب :

كان « مالتس » نتاجا طبيعيا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التى ولد وعاش ومات فى ظلالها . ومع ذلك فقد وجهت إلى آرائه موجات عديدة من النقد والتقريظ . ولكى ندلى بدلونا فى هذا الموضوع الاجتماعى الحيوى نقول :

إننا إذا حللنا آراء مالتس فى السكان كما أوضحناها من قبل نجدها تقوم على أساس ثلاث اقتراحات هى :

١ — إن المواد الغذائية ضرورية ولازمة لوجود الإنسان واستمرار حياته .

1—Public welfare under Elizabethan Poor Laws .

٢ — إن الرغبة فى الاشباع الجنسى من أقوى العوامل التى تدفع الناس إلى التكاثر طبقا لمتوالية هندسية كل حوالى خمسة وعشرين عاما .

٣ — المتاح من المواد الغذائية يتزايد طبقا لتزايد المتوالية الحسابية[١] .

ويمكن تحليل تلك الافتراضات من خلال منظور اجتماعى على النحو التالى :

أولا : بالنسبة للافتراض الأول المتعلق بضرورة المواد الغذائية لحياة الإنسان . فهو افتراض مقبول بحكم الطبيعة الحيوية للانسان ، بل إنه بمثابة البديهية التى تنطوى على البرهان الذاتى ، وإن كانت هناك أشياء أخرى ضرورية لحياة الإنسان مثل الماء والهواء والمأوى ، والملبس ... الخ ومن هنا فان موقف مالتس هنا موقف موضوعى .

ثانيا : وبالنسبة للافتراض الثانى المتعلق بزيادة السكان تماما مثل تزايد المتوالية الهندسية ، والذى افترضه مالتس على أساس مشاهداته فى بعض الولايات الشمالية من الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم قام بتعميمه على كل بلاد العالم كقانون سكانى . فإن نمو السكان فى كثير من المجتمعات الأوربية لم يؤكد صحة قانونه ، بينما أكدت الدول المتخلفة والآخذة فى النمو صحة قانونه إلى حد كبير ، بل ولن يمض وقت طويل حتى يتضاعف عدد السكان مرة كل ربع قرن فى العالم كله .

فقد أكد « هيلمان »[٢] أن الدول المتقدمة تتزايد بنسبة ١٪ سنويا وأن الدول المتخلفة والآخذة فى النمو تتزايد بنسبة ٣٪ وأن المتوسط العالمى للتزايد ٢٪ وإن كانت البيانات أو الاحصاءات الواقعية للسكان قد اختلفت قليلا عن البيانات التى استند إليها هيلمان حيث جاء فى كتاب الاحصاء السنوى[٣] الذى أصدرته الأمم المتحدة سنة ١٩٧٢ أن معدل الزيادة السنوية فى المناطق والأقاليم الرئيسية كما يلى :

1—Bowen, I. Population· London, 1954, | . 88 .
2—Hellman, H. population. op. cit. chapter . 1 .
3— U. N. ; Statistical yearbook. N. y. 1972 . p. 8.

جدول رقم (٥)

بعدد السكان بالمليون ومعدل الزيادة السنوية بين

سنتى ١٩٥٠ ، ١٩٧٠ فى كل قارات العالم :

المناطق والأقاليم الرئيسية	اعداد السكان ١٩٥٠	اعداد السكان ١٩٧٠	معدل الزيادة السنوية المئوية
أفريقيا	٢١٧	٣٤٤	٢ر٦
أمريكا	٣٢٨	٥١١	٢ر١
آسيا	١٣٥٥	٢٠٥٦	٢ر٣
أوروبا	٣٩٢	٤٦٢	٠ر٨
أوقيانوسيه	١٣	١٩	٢ر٠
الاتحاد السوفيتى	١٨١	٢٤٠	١ر١
جملة سكان العالم	٢٤٨٦	٣٦٣٢	٢ر٠

وطبقا للجدول السابق فإن عدد السكان قد بلغ ٦ر٣ بليون نسمة سنة ١٩٧٠ ، أى أن عدد السكان منذ فجر البشرية ، أى منذ حوالى بليون سنة قد بلغ ٦ر٣ بليون نسمة ، بينما سوف يتضاعف هذا العدد طبقا لمعدلات الزيادة الواردة فى الجدول السابق رقم (١) بعد ٣٥ سنة فقط . وإذا أخذنا دولة مثل الأردن فاننا نجد معدل الزيادة فيها بنسبة ٤٪ سنويا . ومعنى ذلك أن مثل تلك الدولة سيتضاعف عدد سكانها كل ١٧ سنة . وإذا أخذنا مجتمعنا المصرى كمثال فاننا نجد أن معدل الزيادة فيها حاليا ٧ر٢٪ طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ ومن ثم فان عدد السكان فيها سوف يتضاعف خلال خمسة وعشرين عاما أو حوالى ذلك مالم تتعرض البلاد ـ لا قدر الله ـ لوباء أو لمجاعة أو لحرب ، وإذا لم تنفذ خطة حاسمة لتنظيم الأسرة . وفيما يلى سوف نستعرض الزيادة فى سكان مصر ، باعتبار معدل الزيادة فيها يكاد يتفق مع نظرية مالتس :

جدول رقم (٦)

بعدد سكان مصر منذ سنة ١٨٨٢

حتى سنة ١٩٥٧ وتقديرات السكان حتى سنة ٢٠٠٠(١)

سنة التعداد	عدد السكان	سنه التعداد	عدد السكان
١٨٨٢	٦٫٨٠٤	١٩٦٠	٢٥٫٨٢٢
١٨٩٧	٩٫٧١٥	١٩٦٥	٢٩٫٢٨٩
١٩٠٧	١١٫٢٨٧	١٩٧٠	٣٣٫٣٢٩
١٩١٧	١٢٫٧٥١	١٩٧٥	٣٧٫٢١٢
١٩٢٧	١٤٫٢١٨	١٩٨٠	٤٢٫١٥٢
١٩٢٧	١٥٫٩٣٣	١٩٨٥	٤٨٫٠٤١
١٩٤٧	١٩٫٠٢٢	١٩٩٠	٥٤٫٧٥٣
١٩٥٠	٢٠٫٥٠٠	١٩٩٥	٦٢٫١٧٤
١٩٥٥	٢٢٫٩٩٠	٢٠٠٠	٧٠٫٣٣١

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد سكان مصر قد تضاعف لأول مرة من ستة ملايين سنة ١٨٨٢ إلى ١٢ مليون سنة ١٩١٧ خلال ٣٥ سنة . وتضاعف مرة ثانية من ١٢ مليون سنة ١٩١٧ إلى ٢٤ مليون سنة ١٩٥٧ خلال ٤٠ سنة وسوف يتضاعف مرة ثالثة من ٢٤ مليون سنة ١٩٥٧ إلى ٤٨ مليون سنة ١٩٨٥ خلال ٢٨ سنة . وإذا سار معدل التضاعف على هذا النحو ، فمن

(١) إرقام هذا الجدول مأخوذة من احصاءات مصلحة الإحصاء حتى سنة ١٩٥١ والكتاب السنوى للاحصاءات العامة لجمهورية مصر العربية ١٩٥٢ – ١٩٧٢ ص ١٣ حتى سنه ١٩٥٥ وكذلك نشرة عنوان « السكان بحوث ودراسات » العدد الرابع يوليو ١٩٧٢ من إصدار مركز الابحاث والدراسات السكانية بالجهازى المركزى للتعبئة العامه والإحصاء ص ٣٦ جدول رقم (١١) حتى سنه ٢٠٠٠ .

المتوقع أن يتضاعف عدد سكان مصر إلى ٩٦ مليون نسمة سنة ٢٠١٠ وفى هذا تأكيد واضح لنظرية مالتس .

ومن هنا فإن افتراض مالتس بتزايد السكان طبقا لأسلوب تزايد المتوالية الهندسية ، يتحقق تقريبا فى كل دول العالم الثالث ، وينخفض إلى ثلث هذا المعدل تقريبا ٨ر٠ ٪ فى الدول المتقدمة التى تقع فى وسط وغرب أوروبا . ومن هنا فإن التضاعف المتوقع فى عدد سكان العالم بعد ٣٥ سنة يهدد بكارثة غذائية لا ريب فيها ، الأمر الذى يؤكد أن سـلاح التجويع الذى يمكن أن تستخدمه الدول المنتجة للسلع الغذائية سيكون أشد فتكا من أى سلاح هيدروجينى .

والذى يمكن أن يؤخذ على مالتس فى هذا الأفتراض هو تعميمة لنتيجة استخلصها من عينة لا تمثل سكان العالم ، ولكن عذره أن الأخذ بالأساليب الإحصائية فى المجالات الاجتماعية لم يكن معمولا به يومئذ ... وذلك يؤكد أن توجيه مالتس للمفكرين الاجتماعيين للاستشهاد بالمتواليات الهندسية والعددية توجيه يحمد له بلا ريب .

ثالثا : وبالنسبة لافتراضه الثالث الخاص بأن المتاح من المواد الغذائية يتزايد طبقا لأسلوب تزايد المتوالية الحسابية ، والذى بناه مالتس على أساس العلاقة الفنية المعروفة بقانون الغلة المتناقصة . وبالرغم من اختلاف أسلوب الزيادة بين المتوالية العددية . وفكرة الغلة المتناقصة ، على أعتبار أن المتوالية الحسابية مسألة زيادة بمقدار ثابت بينما يشير قانون الغلة المتناقصة إلى تناقص الناتج الحدى لكل عامل إضافى جديد يستخدم على نفس القطعة من الأرض ... فإن زيادة إنتاج الأراضى الزراعية تقترب إلى حد كبير من أسلوب زيادة المتوالية الحسابية .

ومع ذلك فإن « جودوين » إزاء تقدير مالتس لاستحالة وجود توازن بين إنتاج المحاصيل الزراعية الغذائية وعدد أفراد السكان ... وصف تلك

النظرية بأنها « العبقرية السوداء الرهيبة التي تخنق كل أمل للجنس البشرى »
ويقول هيلمان أن مالتس كان ينظر إليه باعتباره متشائماً ، بل ونذيرا للنحس والهلاك فى الواقع ، لا سيما وأن مالتس قد أوضح أنه بعد قرنين من الزمان سوف تصبح الهجرة غير ذات موضوع ، لأن العالم سوف يمتلىء بالسكان . وبالتالى لن توجد الأرض التى تستطيع أن تستوعب مزيدا من السكان دون أن يؤدى ذلك إلى تخفيض مستوى معيشتهم ، وهذا فى الوقت الذى يتزايد فيه أبناء الفقراء ويتناقص فيه أبناء الأثرياء طبقا لتعبير مالتس وهذه العبارة يمكن أن تعاد صياغتها بما يتفق مع واقع المجتمع المصرى بقولنا أن أبناء غير القادرين يتزايدون بينما يتناقص عدد أبناء القادرين .

ومع ذلك فإننا نرى أنه إذا كانت الظروف الاجتماعية والإقتصادية فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر قد كذبت هذه النظرية ، حيث ارتفعت مستويات المعيشة بالرغم من تزايد السكان ، بالإضافة إلى حاجة أوروبا إلى سكان جدد فى هذا القرن كما يقول « أوجبرن ونيمكوف[1] » . . . فإن هذا لا يرجع إلى خطأ نظرية مالتس ، وإنما يرجع إلى قطف ثمار الثورة الصناعية والظلم الاستعمارى الذى مارسته أوروبا فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، مما أدى إلى زيادة الرخاء بالرغم من زيادة السكان .

ذلك أننا لو نظرنا إلى الماضى لوجدنا أن الأدلة والمبادىء التى استند إليها مالتس كانت سليمة . وان نظرته إلى المستقبل لم يعوزها الدليل الصحيح ، وإنما كان يعوزها الإلمام الدقيق بالتقدم التكنولوجى الذى لم تكن ثماره قد اتضحت أمام نظره . وبذلك لم يكن هو فى مركز يسمح له بالتنبؤ بالعوائد الضخمة التى جناها سكان أوروبا من استخدام السكك الحديدية والبواخر .
فلم يكن يتوقع أن أعدادا متزايدة من البريطانيين سوف يعيشون على لحوم

1—Ogburn, W. and Nimkoff, M.: Handbook of Sociology. London, 1947, pp. 314-317.

مستوردة من أستراليا وقمح من كندا وزبد من نيوزيلندا وسكر من جزر الهند الغربية . ولم تكن معلومات تسمح له بالتقدير السليم لآثار التصنيع فى الإنتاج الزراعى وذلك لضآلة أثار التقدم العلمى يومئذ بحيث لم يتضح له ما سيترتب على تأثير أساليب الحياة المتغيرة من العصر الزراعى إلى العصر الصناعى على انخفاض معدلات المواليد والوفيات .

وإذا كان يؤخذ على مالتس أن نظريته كانت من العوامل المشجعة للطبقة الأرستقراطية على التقتير على الطبقة العاملة، استنادا إلى أن مالتس كان ينادى بعدم مساعدة الفقراء ، وكان يندد بكل القوانين والمؤسسات الاجتماعية التى تعمل على مساعدةالفقراء ، حتى أنه قال بأن أى عون يقدم لهم ، إنما يزيد من عددهم، لأنه يخمد فيهم الإحساس بالطموح ويجعلهم يرضون بواقعهم الأليم ويعتمدون على المجتمع فى توفير متطلبات استهلاكهم هم وأفراد أسرهم . ولعل هذا ما دعاه إلى المطالبة بإلغاء قوانين القمح فى انجلترا والتى كانت قد صدرت لتوفير الرعاية الاجتماعية لأفراد الطبقات الفقيرة . . .

بيد أن الواقع يؤكد أنه كان يرمى من وراء ذلك إلى تحفيز الأفراد — باعتبار الفرد وليس المجتمع هو المسئول عن الكوارث التى تصيب بنى الإنسان — على البحث عن العمل وعدم الاعتماد على المساعدات الاجتماعية التى لا تقيم أود الإنسان ، وذلك حتى لا تتحول مؤسسات الرعاية الاجتماعية إلى مجرد « تكايا » للقادرين وغير القادرين على العمل .

ومما يؤخذ على مالتس أيضا أنه عارض فكرة منع الحمل أثناء الزواج ، فقد كانت هناك ولا تزال موانع أخرى مثل الإجهاض أو وسائل منع الحمل التى يحتمل أنه كان على علم بها ، ولكنها لم تكن جد فعاله أو يمكن الاعتماد عليها يومئذ . ولكنه كقس رسمته كنيسة لندن ، وكنتاج لعصره وأوانه ، لم يكن يملك أن ينصح باستخدامها . . . ولذلك فقد رد على منتقديه حول إباحته لذلك ـ فى الطبعة الخامسة من مؤلفه ـ بقوله « إننى فى الحقيقة استنكر

كل الأساليب الصناعية وغير الطبيعية لإعاقة نماء السكان لأنها أساليب فاجرة ولأنها تميل إلى إبعاد حافز ضرورى للجد والاجتهاد . . . » وإن كنا نرى أن موقفه من تفسيرات النصوص الدينية فى الديانة المسيحية موقف موضوعى ، على اعتبار إن الديانة المسيحية ـ حتى أيامه ـ كانت تعارض إعاقة الحمل لدى الإناث لما فيه من قتل للنفس . . . ولكنه لو نظر إلى المستقبل لعرف أن الطب سوف يتقدم ويتيح لنا وسائل طبية تمنع الحمل بصورة لا تتعارض مع الدين مثل الأقراص واللوالب . . . دون أن يكون فيها أى قتل للنفس ، وبالتالى لا تتعارض مع الدين .

والخلاصة أن انتشار الإنسان عن طريق تلك الزيادة الهائلة سوف يصبح مثل انتشار الأوبئة بعد نصف قرن من الزمان . وأن تباشير ذلك قد بدأت تظهر للعيان فى الوقت الحالى ، حيث يؤكد « هيلمان » أن المجاعات والأوبئة والحروب ، اقتضت ضرائب بشرية فى مختلف العصور ، حتى القرن الحالى . ففى كل يوم يموت أكثر من عشره آلاف نسمة من الجوع فى أجزاء متعددة من العالم . ومن المحتمل أن ثلثا من سكان العالم يعانون من الجوع الفعلى ، وهؤلاء لا يقتصر أمرهم على الضعف ، وإنما — بجوار ذلك — لا يؤدون عملا منتجا . وأن الثلث الثانى يعانى من سوء التغذية ، الأمر الذى يجعلهم فرائس سهلة للأمراض التى لم تكن لتمسهم بأذى ، لولا حياة الجوع التى يعيشونها ، بالرغم من أنهم قد لا يموتون جوعا . ولا ينفى هذا أن ١٨ مليون نسمة يموتون بالمرض كل عام ، ما كانوا يموتون لو توافرت لهم فرصة التغذية ذات السعرات الحرارية الكافية لجسم الإنسان . وأن الثلث الثالث والأخير من سكان العالم هم الذين يتمتعون بتغذية كاملة فحسب ، الأمر الذى يؤكد أن تضاعف سكان العالم خلال الخمسين عاما القادمة سوف يجعل العالم كله يعانى من سوء التغذية مهما كانت احتياطات الدول المتقدمة .

ومن جهة أخرى فإن معارضى مالتس يؤكدون أن العلم والقدرة على الابتكار

سوف تيسر توفير الملابس والمسكن والطعام لأعداد من الناس تفوق كثيرا ما يوجد منهم على سطح الأرض فى الوقت الحاضر ، ويستشهدون على ذلك بمبتكرات الإنسان الرائعة مثل المنسوجات الصناعية والغاز الصناعى والأطعمة الكيميائية وهرمونات النبات ومخصبات التربة والأسمدة غير العضوية ذات الأثمان المنخفضة ، كما يشيرون إلى المساحات الشاسعة ذات التخلخل السكانى فى أمريكا الجنوبية وأفريقيا وغيرها على أنها فضاء احتياطى هائل يستطيع أن يكفى مئات أخرى من ملايين البشر . . . ولكن هؤلاء ينسون أن سكان العالم سوف يتضاعف عددهم خلال السنوات الخمسين القادمة على الأكثر ، وهو عدد لا يكفى هذا الفضاء الاحتياطى على توفير احتياجاته الغذائية ، حتى على فرض اختفاء القيود السياسية التى تعوق استزراع تلك الأراضى الفضاء.[1]

ولعل كل ذلك يدفع الدول المتقدمة إلى تقديم المساعدات الفنية للدول الآخذه فى النمو مثل السودان وسوريا . . . لكى تعمل على استصلاح وزراعة الأراضى البور الشاسعة الموجودة فى مثل هذه الدول . ذلك ان فى السودان وحدها ٢٠٠ مليون فدان يمكن زراعتها بقليل من الإصلاحات . وهذه المساحة الشاسعة يمكن أن تجعل من السودان دول غنية بما تصدره من إنتاجها من القمح وغيره من المحاصيل الغذائية .

1—Hillman, H. The Population. op. Cit., Ch. 2.

الفصل الرابع

النظرية الاقتصادية فى السكان

ترجع جذور تلك النظرية إلى آدم سميت وهو من كبار مفكرى القرن الثامن عشر ، ثم إلى إثنين من كبار مفكرى القرن التاسع عشر ، وهما : دافيد ريكاردو وكارل ماركس ، ثم إلى كثيرين من علماء الاقتصاد المحدثين .

ولعل آدم سميت هو أول من ربط بين المسألة السكانية والمبدأ العام المأخوذ به فى المجال الاقتصادى والمعروف باسم « قانون العرض والطلب » والذى بمقتضاه يتحقق التوازن فى المجتمع . وعلى ذلك ربط بين زيادة أو انخفاض معدلات الزواج والإنجاب وبين وجود أو عدم وجود فرص العمل. ومعنى ذلك أنه إذا تهيأت فرص العمل المتاحة ، مع تخلخل فى السكان ، فإن الأجور سوف ترتفع ، وبإرتفاع أجور الأفراد سوف يقدمون على الزواج وبذلك تزداد معدلات الإنجاب إلى أن تعود الحالةالسكانية إلى مرحلة التوازن وإذا ساءت الأحوال الإقتصادية وانعدمت فرص العمل، فسوف يقل الإقبال على الزواج وبالتالى تنخفض معدلات الإنجاب ، وتستمر هذه الحالة إلى إن تتهيأ الظروف لعودة التوازن الاجتماعى . ولم يكتف بذلك ، وإنما أضاف أن عدم الاستقرار فى العمل والدخل هو أساس وجهة نظره فى السكان[1] .

وقد أخذ ريكاردو بوجهة نظر آدم سميت وحاول صياغتها بشكل جديد دون الإخلال بالأسس التى وضعها آدم سميت . ويختلف عنه فى إن ريكاردو

1—Smith,A.; An Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations.

كان مثل مالتس من المتشائمين أيضاً بالنسبة لزيادة السكان بصورة أكثر من زيادة المواد الغذائية . ولكنه يختلف عن مالتس فى إرجاع أسباب زيادة أو انخفاض أعداد السكان إلى ارتفاع أو انخفاض الأجور ، أى إلى أسباب اقتصادية ، فقد كان يرى أن « العمل » سلعة قابلة للزيادة وفق رغبات الإنتاج . وبالتالى فإن السعر الحقيقى للعمل يتحدد بتكاليف الإنتاج والتكاليف التى يقصدها هنا هى تكاليف إنتاج المواد الغذائية ، التى تتطلبها معيشة العمال وتكاثرهم .

ويختلف رأى ريكاردو هنا عن رأى ماركس ، حيث كان من رأى الأخير أن معدلات الإنجاب لدى الطبقات الفقيرة أكثر منها لدى الطبقات الثرية . ولكن ريكاردو كان يشك فى تكاثر الطبقة العاملة بنسبة أكبر من نسبة زيادة المواد الغذائية ، إذا مازادت الأجور ، مما يؤدى بدوره إلى ارتفاع أثمان المواد الغذائية[1] .

واتخذ لذلك مقياسا للأجور بحيث إذا انخفضت عنه الأجور تنخفض معدلات الإنجاب وإذا زادت عنه تزيد معدلات الإنجاب ، وهو المقياس الذى يطلق عليه «القانون الحديدى للأجور[2]» ، وهو من وضع الاقتصادى الألمانى « لاسال » ويقضى هذا القانون بأن أى زيادة فى أجور العمال تؤدى إلى التبكير فى الزواج ، وبالتالى ترتفع معدلات نمو السكان ، ويترتب على ذلك زيادة العرض من القوى العاملة عما هو متاح منها ، الأمر الذى يؤدى إلى انخفاض الأجور نتيجة لاستمرار أعداد السكان فى التزايد ومن هنا تعود الاجور إلى سيرتها الأولى فى الإنخفاض حتى تصل إلى حد الكفاف ، وتؤدى الزيادة التالية إلى إنخفاض الأجور عن مستوى حد الكفاف ، الأمر الذى يؤدى إلى ارتفاع معدلات الوفيات بين الطبقة العاملة ، مما يقلل من عرض المتاح منهم للعمل ، ومن ثم ترتفع أجورهم مرة ثانية حتى تصل إلى حدها الطبيعى .

(١) د . مصطفى كمال فايد : أصول المذاهب الاقتصادية . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ص ــ ص ١١١ ــ ١٦٢ .

2—The iron Law of Wages.

ويمكن إعادة صياغة وجهة النظر هذه على النحو التالى : فى حالة انخفاض المتاح من القوى العاملة يؤدى ذلك إلى ارتفاع معدلات الأجور الأمر الذى يؤدى إلى التبكير فى الزواج وارتفاع معدلات الانجاب وهذا يؤدى إلى كثرة المعروض من القوى العاملة ، وانخفاض أجورها وبالتالى يعود العمال إلى عدم التبكير فى الزواج ، وترتفع معدلات الوفيات بينهم ، ومن ثم ينخفض المعروض منهم للعمل الأمر الذى يؤدى إلى انخفاض المعروض من القوى العاملة فترتفع الأجور من جديد ... وهكذا دواليك .

وواضح أن ريكاردو بنظريته هذه قد أخذ مشكلة السكان من مجال علم الاجتماع إلى مجال الفلسفة حيث أرجعها إلى عنصر واحد وهو الأجور والتحزب للعنصر الواحد ليس من العلم فى شىء وإنما هو نوع من الفلسفة ... فقد سارت زيادة السكان فى بريطانيا إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه فى عهد مالتس مع الزيادة فى الأجور بنفس النسبة ، دون أن تنخفض الأجور إلى حد الكفاف طبقا لنظرية ريكاردو . وذلك لازدهار الثورة الصناعية وفتح الكثير من مجالات العمل التى لم تكن معروفة من قبل اكتشاف البخار والكهرباء ... وكذلك الحال فى مصر أثناء تنفيذ قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية فى مصر والتى قضت بتمصير كل الشركات والمؤسسات الاجنبية وتأميمها مع الشركات والمؤسسات الأخرى وإقامة « القطاع العام » حيث ارتفعت أجور العمال مع انخفاض ساعات العمل ، وزيادة التبصير والتوعية الاجتماعيين ، الأمر الذى أدى إلى اتجاه العمال إلى اكتساب عادات جديدة : مثل الادخار والتردد على المكتبات أو التريض والالتحاق بمراكز التدريب (نظام رفع مستوى المهارة) Up—grading لمتابعة التطورات التكنولوجية المهنية ... إلخ . ومن هنا لم تنخفض الأجور بالرغم من عدم وجود دلائل مؤكدة على انخفاض معدلات الإنجاب ، بل وزاد الطلب على القوى العاملة المصرية لاسيما من الدول العربية الشقيقة حتى أصبحت مصر نفسها تعانى من نقص القوى العاملة . وهذا يؤكد أن نظرية حد الكفاف فى السكان تعتمد على المعروض من القوى العاملة

وتنمى الطلب على تلك القوى العاملة . ومثلها فى ذلك مثل بعض نظريات القيمة التى تعتمد على تكاليف الانتاج فى تحديد قيمة الاشياء وتهمل آثار العرض على القيمة.

والجزء المكمل لتلك النظرية الديموجرافية الاقتصادية ، نجده لدى ماركس الذى كان متفائلا بزيادة السكان - على العكس من مالتس - كما رأينا فى الفصل السابق . وبالإضافة إلى ذلك كان من رأيه أن آراء مالتس تنقصها الإصالة باعتباره مستعيرا لأفكاره وآرائه فى السكان من آخرين مثل : دى فو ، فرانكلون ، والاس ، وجيميس استيوارت وتاونسند وغيرهم ولذلك قرر ماركس أن :

(ا) آراء مالتس فى السكان ليست كلها من بنات أفكاره .

(ب) أن آراءه كانت بمثابة المطفأة التى أطفئت فيها جميع مطامح الجنس البشرى باعتبارها لصالح الأقلية البريطانية المسيطرة .

(ح) أن آراءه كانت من أهم دعائم قوانين اليزابيث للتدريب بمعاقبة رب العمل الذى يدفع أجرا بالغ الارتفاع للعامل بالسجن لمدة عشرة أيام، وبمعاقبة العامل الذى يقبل هذا الأجر بالسجن لمدة واحد وعشرين يوما . واستند أصحاب الأعمال إلى ذلك ، وتذرعوا بكل الوسائل لتقليل نفقات إنتاجهم ، فأطالوا يوم العمل وأكثروا من استخدام النساء والأطفال بالرغم من ضعفهم الجسمانى .

ولكن ماركس يتفق مع مالتس فى أن الفقر والبطالة مظهران اقتصاديان من مظاهر التضخم السكانى ، وإن كانت أسباب هذا التضخم السكانى عند ماركس تختلف عنها عند مالتس ،فقد كان الأول يرى أن التضخم ليس إلا فائضا فى العمالة بالنسبة لفرص العمل المتاحة ، ومن ثم فإن التضخم السكانى النسبى - كما يؤكد ماركس - من ضرورات الاقتصاد الرأسمالى وخاصية من خواصه . وذلك على اعتبار أن نمو الرأسمالية يؤدى إلى خلق فائض فى قوة العمل ، مما يؤدى إلى زيادة المعروض من القوى العاملة فتنخفض الأجور . وأن انخفاض الأجور شرط أساسى من شروط التوسع فى الصناعات الرأسمالية . وبعبارة

أخرى يقول ماركس أنه فى المجتمعات الرأسمالية يتزايد رأس المال الثابت (الآلات) بسرعة تفوق تزايد رأس المال المتغير (العمال)[1] فتؤدى زيادة رأس المال الثابت إلى الاستغناء عن جزء من رأس المال المتغير، وهذا يؤدى بالتالى إلى تراكم رأس المال فى صورة سلع إنتاجية، الأمر الذى يؤدى إلى نقص الحاجة إلى العمال، على اعتبار أن هذه السلع تتجه إلى احتلال مكان العمل. وأضاف ماركس إلى ذلك أيضا أن الصناعة فى المجتمع الرأسمالى تعمل على استمرار انخفاض الأجور، وبذلك تخلق تضخما سكانيا فى الريف كاحتياطى مقنع للبطالة. ولكن هذا الاحتياطى لايلبث إن يهاجر إلى المراكز الصناعية حيث لايجد عملا، ومن ثم يتحول إلى جيش احتياطى من العمال المتعطلين لتهديد العمال الصناعيين عند مطالبتهم بزيادة الأجور.

ولذلك أوضح فى معرض حديثه عن القانون العام للتراكم الرأسمالى، أن الطبقة العاملة بالأجر باتناجها التراكم الرأسمالى، وبمقدار ما تنتج ذلك، تنتج - إذا - هى بنفسها أدوات طردها، أو أدوات تحويلها إلى فائض نسبى من السكان [2]، بمعنى أن السكان (العمال) إذ ينتجون رءوس الأموال التى تتراكم نتيجة جهودهم، إنما ينتجون فى الوقت نفسه الوسائل التى تجعل وجودهم فى الصناعة زائدا عن الحاجة نسبيا. وبذلك يتحولون هم أنفسهم إلى نوع من السكان الفائضين عن الحاجة، وأن هذه الظاهرة يتكرر حدوثها يوما بعد يوم.

وينتهى ماركس إلى صياغة قانون فى السكان مبناه أن تزايد السكان إنما ينطبق على الأمم التى تتبع الطريقة الرأسمالية فى الانتاج، وأن لكل مرحلة أو طريقة خاصة بالانتاج قانون خاص بها عن عدد السكان ينطبق عليها وحدها،

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى: القومية العربية والمجتمع العربى. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٤ ص ١٣٧.

(٢) كارل ماركس: رأس المال، الجزء الثالث، القسم الأول، ترجمة محمد عيتانى، مكتبة المعارف. بيروت، ص ٨٦٨ — ١٠٩٦.

ولا يكون قانون التناسل واحداً إلا فى النبات والحيوان وحدهما . وبشرط عدم تدخل الإنسان فى تكاثرهما .

ويخلص من قانونه هذا إلى أنه مع النظام الاشتراكى لن يكون هناك سكان فائضون عن الحاجة ، ولن يكون هناك فقر أو بؤس ، وتلك دعوة غير مباشرة للعمل على استبدال النظام الرأسمالى بالنظام الاشتراكى ، مادامت ظروف الزمان الاقتصادية هى التى تخلق مشكلة السكان وليست بعض الخواص الثابتة فى الطبيعة ، كما ينادى أصحاب النظريات الطبيعية الذين يبحثون عن قانون عام واحد ثابت ينطبق على كل زمان ومكان .

ولم ينس لينين أن يتحزب لرأى ماركس ويؤكد فى نظريته عن الاستعمار باعتبارة أعلى مراحل الرأسمالية ، أن التضخم السكانى طبقا لتعريف ماركس لايمكن أن يوجد فى المجتمعات البدائية أو فى المجتمعات الشيوعية ، باعتباره من مقومات النظام الرأسمالى .

هذا ويعمد الفكر الاقتصادى الحديث فى المسألة السكانية إلى ربط نسب الإعالة أو الاعتماد على الغير Dependency ratio أو تحميل الإعالة Dependency ratio وبين معدلات الانتاج . ذلك أن المجتمعات الآخذة فى النمو تتميز بنسب عالية من الصغار والمسنين الذين لا ينتجون بالرغم من احتياجهم إلى مواد استهلاكية ضخمة ، فضلا عن حاجتهم إلى المسكن والكساء ، الأمر الذى يتطلب من حكومات هذه المجتمعات توظيف أموال كثيرة فى مرافق وخدمات باهظة التكاليف بصفة عامة مثل : التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية ...إلخ .

ومن جهة أخرى تؤدى الضغوط الاجتماعية والسياسية فى مثل هذه المجتمعات إلى الاهتمام بالرعاية الصحية على حساب الاهتمام بالتعليم ، وتكون النتيجة ارتفاعا مطردا فى معدلات النمو السكانى ، مع تناقص واضح فى معدلات

التعليم ، أى أن معدل التعلم Learning ينخفض بدلا من أن يرتفع كما هو الواجب ، إذا أريد لهذا المجتمع أن يحتل مكانا بين الدول المتقدمة فى المستقبل.

وإذا كان من رأى بعض الاقتصاديين فى الماضى أن تنشيط التنمية الاقتصادية يعتمد على النمو السكانى، على اعتبار نمو مدينة لندن من ٣٥٠٫٠٠٠ نسمة سنة ١٦٥٠ إلى ٩٠٠٫٠٠٠ نسمة سنة ١٨٠٠ أى بزيادة حوالى ٢٠٠٪ فى ١٥٠ سنة فقط ، بالرغم من ارتفاع مستوى الحياة الاجتماعية فى تلك المدينة . ولكن هذا التحسن لا يرجع إلى زيادة السكان فحسب ، كما يتصور هؤلاء ، وإنما يرجع إلى الإرتقاء بالأساليب الزراعية ووجود فرص ميسورة فى تسهيلات التوزيع ، الأمر الذى أدى إلى ارتفاع الأجور .

ولا ينطبق هذا على مدينة لندن فحسب ، بل إنه ينطبق على معظم الدول الأوروبية التى كانت منطلقة من مستويات سكانية منخفضة نسبيا . وأدى عصر التنوير إلى انتقال دول أوروبا من اقتصاد قومى زراعى ، إلى اقتصاد قومى أكثر اتجاها إلى الصناعة . ومع هذا الانتقال انخفضت معدلات المواليد المرتفعة ، بمعنى أنها لم تستمر سوى لوقت قصير نسبيا . وفضلا عن ذلك فإن الهجرة الواسعة إلى العالم الجديد كانت أكثر يسرا ، الأمر الذى أتاح لأوروبا المنافذ المتعددة لامتصاص الكتل البشرية الزائدة عن طاقة تلك المجتمعات ، حيث كانت توجد ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والتى لم تستثمر بعد ، من أرض خصبة ، جيدة الرى ، بقيت طويلا فى انتظار الرجل الذى يستخدم محراثه فى شقها ، أرض لا وجود لمثلها الآن على ظهر الكرة الأرضية . ومن هنا يمكن القول أنه كان من الميسور فى القرن التاسع عشر استيعاب السكان الزائدين والاستفادة منهم فى العالمين القديم والجديد . بينما تلك الفرصة لم تعد متاحة فى القرن العشرين . وإذا توافرت فى بعض الحالات الاستثنائية فإنها تكون غير ذات فاعلية . . . ويرفض الاقتصاد الحديث أيضا القول بأن الأعداد الكبيرة والمتزايدة من الناس ستهيىء سوقا داخلية يمكن أن تتسع

لجهاز إنتاجى كفء وفعال ، على اعتبار أن ولاية «كلا كاتا» بالهند - على سبيل المثال - يوجد بها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة بلا أى مسكن أو مأوى وينامون فى الشوارع ذلك أنه فى الهند ٥٥٠ مليون نسمة تناضل حكومتهم الآن فى استماتة لمجرد ضمان تغذية وإيواء الأعداد الهائلة من سكانها . حقيقة أن الهند تقطع الآن خطوات ملحوظة فى إنتاج مزيد من الأغذية وبناء مزيد من المنازل والطرق ، وحفر مزيد من الآبار للرى ، وما إلى ذلك . ولكن المشكلة تكمن فى أن أى نمو اقتصادى لا يلبث أن تمتصه الملايين المتزايدة فى كل عام من البشر الذين يتطلب الأمر إطعامهم وإيواءهم . . . ومن ثم فإن مثل هذا المجتمع الفقير لا يهيء سوقا داخلية يمكن أن تتسع لجهاز انتاجى كفء وفعال ، فهذا لا يتحقق إلا فى مجتمع ميسور الحال ، ذى تكنولوجية متقدمة . وليس فى مجتمع أغلبه من الأميين ولم يشيد بعد أساسا للصناعة الثقيلة التى تقلل - إلى أدنى حد - من اعتماده على العملات الحرة لتوفير المواد الخام ، ومعدلات نموه السكانى المرتفعة بشكل ملحوظ ، ويعيش على مستوى الكفاف . ولكن أسوأ النواحى فى الموقف هى أن الهند وغيرها من الدول الآخذة فى النمو ترتفع فيها معدلات النمو السكانى بأكثر مما تملك أو تطيق .

وينتهى الفكر الاقتصادى الحديث إلى أننا إزاء ظاهرة اقتصادية سكانية جديدة فى الدنيا وهى «معدلات وفيات متناقصة ، وزيادة مطردة فى سكان العالم ، مع عدم وجود تحسن إقتصادى يذكر» .

وعلينا إزاء هذه النتيجة أن نفرق بين حجم أو كثافة السكان من جهة ، وبين معدلات المواليد المرتفعة أو نمو السكان من جهة أخرى ، حتى لا تختلط علينا الأمور . . . ذلك أن بعض المجتمعات مثل هولندا واليابان وسنغافورة تعانى من كثافة سكانية مرتفعة ، ولكنها تتمتع برخاء نسبى واضح . . . ومثل هذه المجتمعات وإن كانت تعانى من كثافة سكانية عالية ، فإنها فى الوقت نفسه تضع قيودا اختيارية حازمة على معدلات النمو السكانى حتى لا تتعرض مستوياتها المعيشية للاضطرابات وعلى ذلك فبالرغم من أنه لا يبدو ثمة تناسب

مباشر بين حجم أو كثافة السكان وبين القدرة الاقتصادية ، فإن هناك « علاقة عكسية وثيقة جدا بين القدرة الاقتصادية وكل من معدلات المواليد ومعدلات النمو السكانى . ومن ثم فان معدلات المواليد ومعدل النمو السكانى يمكن أن يستخدما معا كمؤشر على حالة التنمية الاقتصادية لأى مجتمع من المجتمعات . . . فالمعدل المرتفع للنمو السكانى يعتبر من جهة « مانعا للتنمية » ومن جهة أخرى « عدوا للمستقبل » .

نقد النظرية الاقتصادية فى السكان :

يلاحظ أن آدم سميث ربط بين زيادة السكان وقانون العرض والطلب من جهة وبين زيادة أو انخفاض الأجور وبين ارتفاع أو انخفاض معدلات الزواج والانجاب . وهو ربط بعيد عن الواقع ، فقد أكد مالتس بعد ذلك — وتأكيده صحيح — أن الفقراء يتزوجون وينجبون أكثر من الأثرياء بالرغم من عدم حاجة المجتمع إلى ما يفرطون فى إنجابه من أطفال . ومن ثم فليست المسالة عرض وطلب أو فقر وغنى ، وإنما المسالة وعى اجتماعى ناشىء عن قدر لا باس به من التعليم والثقافة . وهذا ينطبق أيضا على رأى ريكاردو فى الربط بين زيادة معدلات الزواج والإنجاب وبين ارتفاع مستويات الأجور . وإضافة ريكاردو لفكرة نظرية حد الكفاف بانخفاض عدد السكان هو لمجرد إضفاء صياغة علمية جديدة على فكرة الأجور والسكان فحسب .

أما ماركس الذى عاب على مالتس تحيزه للطبقة الارستقراطية ضد الفقراء (العمال) لم ينتبه هو نفسه إلى تحيزه للطبقة العاملة ضد الطبقة الحاكمة . وبذلك ينطبق عليه النقد الذى وجهه إلى مالتس[١] أما قوله بتزايد رأس

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى ، دراسة مقارنة . دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ صفحة ٨٥

المال الثابت (الآلات) بسرعة تفوق تزايد راس المال المتغير (العمال) فلا علاقة له بالسكان ، وإنما هو من أجل تدعيم نظريته فى فائض القيمة بأى شكل وهى نظرية متخلفة كانت تتفق مع أوضاع القرن التاسع عشر الاقتصادية ولم تعد تتفق مع الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية فى القرن العشرين[1] .

أما زعمه بأن النظام الإشتراكى هو وحده الذى يستطيع ان يجنب المجتمعات ويلات تزايد السكان فهو زعم يتجاهل العوامل التى تؤثر فى النمو الحقيقى للسكان ويغفل التفكير فى إمكان وجود ضغط للسكان على الموارد سواء فى ظل النظام الماركسى أو الراسمالى ، اللهم إلا إذا قرر المجتمع الماركسى حرمان الأفراد من إشباع دوافع الأمومة والأبوة ، الأمر الذى لايتفق مع طبيعة البشر من ناحية ومع الحرية الشخصية ومقتضيات الحياة الاجتماعية السليمة من ناحية أخرى .

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى ،دراسة مقارنة ، مرجع سابق ، ص ١١٨ — ١٥٥ .

الفصل الخامس

النظرية الاجتماعية فى السكان

أو نظرية الصفر فى النمو السكانى

يقتصر بعض علماء الاجتماع فى مصر[1] أو فى غيرها على مجرد استعراض نظريات الآخرين سواء من علماء الاجتماع أو من غيرهم فى مجالات علم السكان دون محاولة من أحدهم أو من بعضهم للعمل على صياغة نظرية اجتماعية فى مشكلة السكان . وإذا كانت الفرصة لم تتح لهؤلاء للقيام بهذا العمل العلمى ، فإننا سوف نحاول تلك المحاولة فى هذا الفصل مع الاحتياطات الضرورية .

والذى يدفعنا إلى صياغة تلك النظرية الاجتماعية فى السكان هو تحول معدلات نمو السكان فى العالم إلى مشكلة مستعصية على كل أنواع الحلول . فقد أكدنا فى الفصول السابقة أن عدد سكان العالم سوف يتضاعف خلال ٢٧ سنة من الآن ، وأن ما يتوافر من المواد الغذائية يستحيل زيادته بهذا المقدار خلال تلك الفترة ، الأمر الذى يؤكد أن مناطق كثيرة من العالم سوف يعانى أفراد المجتمعات المقيمة عليها من مجاعات طاحنة . سوف تقضى على غالبية سكانها ، وتلك كارثة اجتماعية ولا ريب .

وقد واجه مؤتمر السكان العالمى الرابع الذى عقد تحت إشراف الأمم المتحدة فى « بوخارست » فى منتصف سنة ١٩٧٥ تلك المشكلة ، كما تشير إلى ذلك تقاريره التى أذيعت فى نوفمبر ١٩٧٥ وفى مقدمتها أن قفزات الزيادة فى

---

(١) أنظر فى هذا مؤلفات كل من الدكتور أحمد الخشاب بعنوان «سكان المجتمع العربى» سنة ١٩٦٤ والدكتور حسن الساعاتى والدكتور عبد الحميد لطفى بعنوان «دراسات فى السكان» سنة ١٩٧٣ وبعض الدراسات المختصرة التى ترددت فى مؤلفات ليست قاصرة على موضوع السكان . وكلها تقتصر على مجرد سرد آراء علماء الاقتصاد والسياسة فى موضوع السكان .

السكان لا ترجع إلى زيادة فى خصوبة الإنسان ، ولكنها تعود إلى النقص المستمر فى عدد الوفيات وخاصة بين الأطفال نتيجة لتقدم الطب والصحة الوقائية ومكافحة الحميات والأوبئة .

إن التقدم فى تلك المجالات قد أدى إلى ارتفاع معدلات النمو السكانى بصورة سوف تتحول إلى كارثة عالمية فى المدى القريب وذلك للأسباب التالية:

(ا) انخفاض معدلات الوفيات نتيجة لتوافر الرعاية الصحية فى غالبية المجتمعات .

(ب) ارتفاع معدلات المواليد نتيجة لعدم الاتجاه الإيجابى إلى تنظيم الأسرة لدى غالبية سكان الدول الآخذة فى النمو نتيجة لإنتشار الأمية بشكل واضح فى تلك المجتمعات، وعدم وجود المحاولات الجوية من حكومات تلك المجتمعات لوضع خطط دقيقة لإلزام المواطنين بتوجيهات تنظيم الأسرة ، مع مراعاة أن عدد الأطفال الذين ينجبهم الزوجان العاديان يتوقف إلى حد كبير جداً على خليط مركب « وغير معروف فى الوقت الحاضر » من أحوال اجتماعية واقتصادية ، بل وسياسية متغيرة . وذلك مع عدم وجود أمل فى تغيير السلوك الإنجابى productive behaviour لدى الأزواج غير المتعلمين ، الأمر الذى سيؤدى بنا إلى الانحدار إلى مستوى النمل الأبيض .

(ج) عدم وجود فرصة للهجرة أمام أفراد المجتمعات التى تعانى من الاكتظاظ السكانى إلى مجتمعات أخرى ، حيث لم تعد كل المجتمعات تقريباً فى حاجة ماسة إلى مهاجرين جدد . وأصبحت الهجرة الدولية فى الوقت الحالى سلبية ، بمعنى أن طرح الهجرة إلى داخل المجتمع من الهجرة إلى خارجه ذات نتيجة شبه سلبية .

(د) إن التقدم العلمى سوف يزيد من الإنتاج الصناعى إلى عدة أضعاف معدلاته الحالية ، على حين أن الإنتاج الغذائى لن يكون بنفس المعدل ، وبالتالى لن تجد المنتجات الصناعية من يملك القدرة على شرائها ، لذهاب دخول الأفراد فى شراء المواد الغذائية التى سوف ترتفع أثمانها إلى ما يفوق طاقة المستهلكين الاقتصادية . وهذا بدوره يؤدى إلى إفلاس المؤسسات الصناعية

الضخمة وبالتالى انهيار المجتمعات المتقدمة التى وصلت إلى مرحلة الإنتاج الضخم Mass production .

والافتراض الرئيس الذى تقوم عليه نظريتنا[١] فى السكان هو أن أفضل حل تخمينى لتلك المشكلة هو الأخذ بمبدأ نقطة الصفر فى النمو السكانى Zero population Growth وفيما يلى سوف نناقش تلك الأسباب ، ثم ننتقل إلى دراسة وتحليل الافتراض الرئيسى للنظرية الاجتماعية فى السكان .

أولا : انخفاض معدلات الوفيات :

قبل قرن من الزمان لم يكن يعيش فى انجلترا إلى سن البلوغ سوى خمس عدد المواليد ، ومن ثم كان حرص الآباء على إنجاب كثير من الأطفال لضمان بقاء بعضهم على قيد الحياة ، لاسيما وأن معدل الوفيات بين البالغين لم يكن أقل من ذلك[٢] . وإذا كانت انجلترا التى كانت سيدة العالم يومئذ تعانى من هذا المعدل المرتفع للوفيات (٨٠ ٪) بين الأطفال وكذلك بين البالغين ، فإن بقية دول العالم لم تكن أفضل من ذلك وإنما أسوأ من ذلك . وقد انخفضت معدلات الوفيات فى العالم كله إلى حد كبير ، ولا تزال تلك المعدلات مستمرة فى الانخفاض . فلقد كان معدل الوفيات فى مصر على سبيل المثال ١٧٫٨ فى الألف

---

١ — النظرية هى مجموعة من القضايا تتوافر فيها الخصائص التالية :

(أ) أن تكون المفاهيم التى تنطوى عليها تلك القضايا محددة بدقة .

(ب) أن تكون هذه القضايا متناسقة كل مع الأخرى .

(ج) أن تصاغ هذه القضايا بشكل يجعل من الميسور اشتقاق التعميمات العلمية اشتقاقا استنباطياً .

(د) أن تكون تلك القضايا خصبة ومثمرة ؛ تستكشف الطريق إلى ملاحظات أبعد مدى ، وإلى تعميمات تنمى مجال المعرفة . ونود أن نؤكد بادىء ذى بدء أن كل نظرية علمية هى مجرد تجميع لعناصر علمية بصورة مبتكرة تجعل خصائص تلك العناصر مجتمعة تختلف عن خصائص كل عنصر منها على حدة ، وتعطى عائداً علمياً أفضل :

2 — Hellman, H. ; op. cit . ch. 11.

سنة ١٩٥٢ وانخفض هذا المعدل إلى ١٢ر٨ سنة ١٩٧٣ [١] .

هذا وترجع أسباب ارتفاع معدلات الوفيات إلى أسباب ثلاثة هى : المرض والمجاعة والحرب .

(أ) المرض وارتفاع معدلات الوفيات :

لقد كان لانتشار الأمراض والأوبئة فى الماضي الأثر الأكبر فى ارتفاع معدلات الوفيات بين الصغار والكبار على السواء . غير أن التقدم المستمر فى العلوم الطبية والعلاجية قد حد من آثار الأمراض المعدية وزاد من رعاية الطفل والصحة بصفة عامة . وذلك بالاضافة إلى ارتقاء الظروف المحيطة بالحمل والولادة ورعاية الطفل . وتعمل كل الدول فى الوقت الحالى على العناية بالأمهات والأطفال الرضع حتى تنخفض هذه النسبة . غير أن ثمة رأيا يرى أن تخفيض تلك النسبة يحمل فى طياته إدخال عدد غير قليل من ضعاف البنية إلى دائرة المجتمع ، وقد يصبحوا عالة عليه فيما بعد . وكان خيراً لهم لو أنهم تركوا للاقاة حتفهم بدون إبطاء أو تعذيب . ولكن النتيجة النهائية لكل ذلك هى انخفاض نسبة الوفيات فى العالم أجمع . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الانخفاض فى معدل الوفيات قد أدى — فى نفس الوقت — إلى ارتفاع معدل النمو السكانى فى الوقت ذاته ، لا سيما وأن آثار هذا التقدم المستمر فى العلوم الطبية والعلاجية لا تعرف الحواجز الإقليمية ، حيث تنتشر فى العادة وبمنتهى السرعة فى كل أنحاء العالم نتيجة لشبكة التواصل الحديثة ، سواء فى المجتمعات المتخلفة أو الآخذة فى النمو أو النامية أو المتقدمة .

ويرجع ذلك إلى وجود علاقة طردية بين معدل وفيات الأطفال ومعدل المواليد ، إذ يرتفعان معا وينخفضان معا . وتلك العلاقة الطردية بين هذين العاملين يمكن مشاهدتها فى مختلف الأحياء وبين كل الطبقات الاجتماعية ، حيث تجلب — زيادة المواليد — معها فى بلد ما زيادة وفيات الأطفال فى هذا المجتمع ، وزيادة الوفيات هى الثمن الاجتماعى الذى يدفعه المجتمع مقابل

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء « الاحصاءات الأساسية ، جمهورية مصر العربية » ١٩٥٢ — ١٩٧٣ القاهرة ١٩٧٤ صفحه ٢٢ :

زيادة المواليد . وإن كانت السياسة الصحية السليمة يمكن أن تؤدى إلى تخفيض عدد الوفيات ، وبالتالى تعمل على إضعاف العلاقة بين الوفيات والمواليد بين الأطفال ، وذلك عن طريق تعميم مراكز رعاية الأمومة والطفولة التى تقلل من قيمة الثمن الاجتماعى الذى يدفعه المجتمع من عدد مواليده .

وتشير تقارير المؤتمر الرابع للأمم المتحدة للسكان الذى عقد فى بوخارست فى ربيع سنة ١٩٧٥ إلى أن قفزات الزيادة فى السكان لا ترجع إلى زيادة فى خصوبة الإنسان . وإنما ترجع إلى النقص المستمر فى عدد الوفيات وخاصة بين الأطفال نتيجة لتقدم الطب والوقاية الصحية ومكافحة الحميات والأوبئة . وكان هذا التناقص مصحوبا بتقهقر نسبة زيادة السكان فى البلاد المتقدمة (بلغت هذه النسبة صفرا فى ألمانيا بشقيها الغربية والشرقية ولوكسمبرج . . .) أما فى البلاد الآخذة فى النمو ، فمع تناقص عدد وفيات أطفالها إلى النصف (من ٢٥ إلى ١٨ فى الألف) وصلت الزيادة السكانية فى العالم الثالث من ٢ر٥ ٪ إلى ٣ر٣ ٪ سنويا ، أى بمتوسط ٣ ٪ سنويا وهو الأمر الذى يعنى طبقا للجدول رقم (٣) أن يتضاعف عدد السكان فى الدول الآخذة فى النمو كل ٢٣ سنة . ولما كان ٧٠ ٪ من سكان العالم يعيشون فى منطقة العالم الثالث ، فإن معنى ذلك أن عدد الفقراء الجائعين سيتضاعف بكل ما يعنيه ذلك من أخطار الحرب والموت والمجاعات .

ومن هنا فان « بيترسون »[1] ينذر البشرية عندما يقول إن المهام العاجلة أمام الإنسان فى الوقت الحالى ، هى أن يضمن الحصول على ضرورات الحياة لأطفاله أو أحفاده ، على اعتبار استحالة توقع أى انخفاض فى نسبة زيادة السكان قبل نصف قرن من الزمان .

هذا وقد أدت تلك السياسات الصحية السليمة ، مع الأخذ بالاحصاءات الصحية إلى وجود انخفاضات واضحة فى معدلات الوفيات يمكن الوقوف عليها من تلك الاحصاءات السكانية التى تعدها منظمات هيئة الأمم المتحدة كما فى الجدول التالى :

---

(١) رئيس مجلس البيئة فى الولايات المتحدة الامريكية .

جدول رقم (٧)

معدلات الوفيات فى بعض المجتمعات فى الفترة من ١٩٤٦ — ١٩٦٠ [1]

المجتمعات	القارات	معدل الوفيات لكل ألف من السكان		
		١٩٤٦	١٩٥٦	١٩٦٠
مصر	أفريقيا	٢٥ر٠	١٨ر٧	١٦ر٩
تونس	أفريقيا	١٤ر٦	٨ر٨	١٠ر١
الاردن	آسيا	—	١١ر١	٧ر١
سوريا	آسيا	٦ر٧	٦ر٩	٥ر٩
سيلان	آسيا	٢٠ر٢	٩ر٨	٨ر٦
الهند	آسيا	١٨ر٧	١١ر٠	—
اليابان	آسيا	١٧ر٦	٨ر٠	٧ر٦
البانيا	أوروبا	١٥ر٨	١٤ر٣	١٠ر٤
فرنسا	أوروبا	١٣ر٥	١٢ر٥	١١ر٤
أسبانيا	أوروبا	١٢ر٠	٩ر٩	٨ر٩
انجلترا	أوروبا	١٢ر١	١١ر٧	١١ر٧
ألمانيا الغربية	أوروبا	١١ر٣	١٠ر٧	١١ر٤
الولايات المتحدة	أمريكا الشمالية	١٠ر٠	٩ر٤	٩ر٥
كندا	أمريكا الشمالية	٩ر٤	٨ر٧	٧ر٨
جواتيمالا	أمريكا الشمالية	٢٤ر٦	١٩ر٨	١٧ر٥
المكسيك	أمريكا الشمالية	١٩ر١	١٢ر١	١١ر٥
بوليفيا	أمريكا الجنوبية	١٦ر٧	١٠ر١	٨ر٧
فنزويلا	أمريكا الجنوبية	١٤ر٧	٩ر٩	٧ر٢
استراليا	استراليا	١٠ر١	١٠ر٩	٨ر٦
نيوزيلاند	استراليا	١٠ر١	٩ر١	٨ر٨

1—U. N. ; Demographic year BooK, 1955,1958, 1962,sec. 18, pp. 516—531.

ويلاحظ من الجدول السابق أن احصاءات الدول المتقدمة مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية لم تظهر انخفاضات حادة فى تلك الفترة كما هو الحال فى الدول الآخذة فى النمو مثل سيلان والبانيا وبوليفيا . . وذلك لاستقرار الأحوال الصحية فى الدول المتقدمة ودقة الاحصاءات فيها . وعلى العكس من ذلك فى الدول الآخذة فى النمو حيث تنحدر معدلات الوفيات فى الانخفاض بشكل ملحوظ من جانب وبشكل بعيد عن الدقة من جانب آخر ، فمن غير المعقول أن يقف معدل الوفيات فى الدول المتقدمة عند ١٢ فى الألف تقريبا ، بينما ينخفض فى الأردن مثلا إلى ١ر٧ فى الألف ، الأمر الذى يؤكد وجود خلل فى إحصاءات الدول الآخذة فى النمو لا يمكن إغفاله .

وبصرف النظر عن دقة الاحصاءات الصحية ، فإن الدلالة الواضحة هى انخفاض معدلات الوفيات فى مختلف دول العالم عما كان عليه منذ ربع قرن من الزمان بشكل واضح ومؤثر .

هذا وتعتبر الوفيات من أهم المعالم السكانية للمجتمع . والتنبؤ بمعدلاتها بالتحديد فى المستقبل يعتبر من الأمور شبه المستحيلة فى التحليل الديموجرافى . وذلك لتذبذب معدلات التغير فى الوفيات لارتباط كل ذلك بكل تغير يتحقق فى البناء الاقتصادى والاجتماعى المجتمع . ذلك أن معدل الوفيات يتأثر بعوامل كثيرة منها التقدم الاقتصادى ورفع مستوى الدخل . فالتحول من الزراعة كنشاط رئيسى إلى التصنيع من شأنه أن يؤدى إلى تقدم فى الحالة الاقتصادية ورفع مستوى الدخل وبالتالى إلى نقص فى معدل الوفيات . كما يؤدى إلى تحسين الظروف الاجتماعية فى المعيشة والعمل مثل رفع مستوى السكن وإدخال الكهرباء بالمنازل وتنقية مياه الشرب ورفع سن العمل ووضع حد أدنى للأجور ، وكذلك التقدم فى علوم الدواء والعلوم الطبية والتوسع فى الخدمات الصحية من شأنه إحداث تخفيض فى معدلات الوفيات .

وقياس معدل الوفيات على أساس تعذر معرفة عدد الأطفال الذين تقل

أعمارهم عن سنة فى أى وقت بالاكتفاء بقسمة عدد الوفيات التى حدثت فى سنة معينة بين الأطفال الذين لم يبلغوا من العمر إثنى عشر شهر على المواليد التى حدثت خلال تلك السنة ، مع ضربها فى ألف أو :

$$\text{معدل الوفيات} = \frac{\text{عدد الوفيات أثناء السنة من الأطفال (أقل من سنة)}}{\text{عدد المواليد أثناء السنة}} \times ١٠٠٠$$

على حين أن معدل الوفيات بصفة عامة يقاس فى أى سنة مافى مجتمع ما ، على أساس قسمة عدد الوفيات ـ باستثناء الأطفال الذين يولدون موتى فى هذا المجتمع ـ على عدد السكان فى منتصف السنة ، وهو يحسب لكل ألف من السكان . ويمكن وضع هذا المعدل فى الصيغة الآتية :

$$\text{معدل الوفيات} = \frac{\text{عدد الوفيات أثناء السنة}}{\text{عدد السكان فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$$

وهذا المقياس لايأخذ فى الحسبان أعمار المتوفين أو الأحياء . ولهذا يطلق عليه إسم « المعدل الأولى » ، ويستخدم للوقوف على الحالة الصحية لمجتمع ما ، وتطور هذه الحالة فى فترة قصيرة ، غير أنه لا يصلح للمقارنة بين مجتمع وآخر ، أو لنفس المجتمع فى تاريخين متباعدين لحدوث تغير واضح فى التوزيع العمرى للسكان نتيجة لمرور فترة زمنية طويلة .

هذا وترتبط دراسة معدل الوفيات بمعدل المواليد ، فالنمو السكانى بالزيادة أو بالنقص خلال فترة زمنية لا يتحدد عن طريق معدل المواليد من حيث ارتفاعه أو انخفاضه ، وإنما يتحدد بالفرق بين معدلات المواليد ومعدلات الوفيات ، ويمكن صياغة هذا المعدل على النحو التالى :

معدل النمو السكانى = معدل المواليد ـ معدل الوفيات :

أو الفرق بين معدلى المواليد والوفيات .

وإزاء تلك الظروف والأوضاع المتعلقة بهذه الزيادة الهائلة فى السكان

نتيجة انخفاض معدلات الوفيات وارتفاع معدلات المواليد أو استمرار المعدلات المرتفعة للمواليد فى الدول الآخذة فى النمو ، فمن الضرورى البحث عن وسيلة للحد من ارتفاع معدلات المواليد بهذه الصورة المخيفة .

وهذا يأخذ بنا إلى السبب الثانى من أسباب تلك المشكلة ، والذى سنناقشه فى الفقرة التالية .

(ب) عدم الاخذ بأسلوب تنظيم الاسرة :

أوضحنا فى الفقرة السابقة أن عدد سكان الدول الآخذة فى النمو سوف يتضاعف فى ضوء معدل النمو السكانى الحالى (٣٪ سنويا) كل ٢٣ سنة . وأن من المهام الضرورية أمام الإنسان المعاصر ضمان الحصول على ضرورات الحياة لأطفاله وأحفاده ، لاسيما وأنه من غير المتوقع حدوث أى انخفاض فى معدل النمو السكانى فى الدول الآخذة فى النمو قبل مرور نصف قرن من الزمان.

ولكن .. ما السبيل إلى تحقيق مثل هذا الهدف ؟

(ا) أهو توزيع أقراص منع الحمل بالمجان ؟

(ب) أم التوعية بتحديد النسل أو تنظيم الأسرة ؟ .

(حـ) أو زيادة إنتاج الطعام ؟ .

لقد أجمع أعضاء المؤتمر العالمى للسكان فى بوخارست على أن كل هذه الوسائل محدودة الأثر .. وأنها تصلح ـ فقط ـ لتكون عوامل مساعدة ، على اعتبار أن الحل الوحيد يكمن فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى للشعوب المختلفة ، حيث تكمن القنبلة البشرية التى لامفر من انفجارها قبل أن ينتهى النصف الأول من القرن القادم .

وذلك أن أقراص منع الحمل أو اللوالب أو غيرها من معوقات الإخصاب ليست للأمهات اللاتى يموت أغلب أطفالهن مرضا أو جوعا ... على إعتبار أن تنظيم الأسرة ليس للفقراء ـ وحدهم ـ الذين يبحثون عن المزيد من الأطفال

لمساعدتهم على الكسب .. أو غير المتعلمين (الأميين) الذين يستهينون بتربية أطفالهم . إن الدعوة لتنظيم الأسرة ـ كما يقول أحد تقارير المؤتمر الدولى الرابع للسكان والذى عقد فى بوخارست ـ لن تلق آذانا صاغية ، قبل أن تضمن كل أم أن يعيش لها طفلان على الأقل ... عندئذ يمكن أن تبدأ الأمهات فى المجتمعات الآخذة فى النمو فى تنظيم الأسرة . وهو أمر لن يتحقق إلا برفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى وتيسير الخدمات الصحية والتعليمية والاقتصادية للقضاء على ظاهرة التخلف فى تلك المجتمعات .

ولذلك يرى «بيترسون» أن معونة المجتمعات المتقدمة للمجتمعات الآخذة فى النمو تنطوى على التزام حقيقى فى الطريق إلى تحديد نسبة زيادة السكان فى العالم .. وشعوب المجتمعات الآخذة فى النمو من حقها أن تتهم دعوة المجتمعات الغربية المتقدمة إلى تحديد النسل بأنها تصدر عن مصالح ذاتية أو تتهمها بالمبالغة فى الاستهلاك .. ويضيف : وعلى كل حال ، فإن الاتهامات المضادة يمكن أن تشبع الروح ولكنها لا تشبع المعدة . ويتنبأ بيترسون بأن المجتمعات المتقدمة ـ إزاء رفع الدول المنتجة للبترول لأسعاره ـ سوف تضطر إلى تغيير سلوكها وطرقها إزاء المجتمعات الآخذة فى النمو .

والتساؤل الذى يثور هنا : هل يمكن أن تتغير هذه الطرق والمسالك تغيرا جذريا فى اتجاه إنقاذ العالم من القنبلة البشرية الزمنية التى ستظل تهدد العالم حتى نهاية النصف الأول من القرن القادم على الأقل !؟ وهل أدرك الممسكون بمراكز السيطرة النقدية والاقتصادية والمالية والتجارية . والمؤمنون بمسالك الاستعمار الجديد ، أن البديل الوحيد للأخطار التى تهدد العالم هو نظام عالمى سياسى واقتصادى دولى جديد .. أكثر عدلا وتقدما وأمنا !؟ .

إن « بيترسون » يؤكد أو يتوقع رفض حكومات المجتمعات المتقدمة لهذا النظام الجديد المقترح لعدم إدراكها للمخاطر التى تهدد البشرية باستمرار الإفراط

السكانى ، وارتفاع موجات الغلاء وانتشار الفقر والجوع انتشار النار فى الهشيم . وأدلته على ذلك هى :

١ ـ عدم قيام الدول المتقدمة بما التزمت به فى أول مؤتمر عالمى للتنمية والتطور الذى عقد فى جنيف فى أو أخر الستينيات والذى قضى بأن تخصص المجتمعات المتقدمة ١ ٪ من دخلها القومى لتطوير المجتمعات الآخذة فى النمو والمتخلفة .

٢ ـ استمرار الدول الاستعمارية السابقة واللاحقة فى سيطرتها على أغلب ثروات المجتمعات الآخذة فى النمو واقتصادياتها ، مما يتنافى ليس فقط مع الاستقلال الوطنى ، بل وتتنافى أيضا مع قواعد المعاملات الاقتصادية بين الدول التى نصت عليها مواثيق الأمم المتحدة .

٣ ـ وجود الخلافات الحادة بين المجتمعات المنتجة للمواد الخام والمجتمعات التى تتولى تصنيع تلك المواد الخام ، وما تظهره من تمسك المجتمعات الأخيرة بحقوقها وامتيازاتها ورفضها لأى خفض فى مستوياتها المعيشية أو استهلاكها أو سيطرتها النقدية والاقتصادية والتجارية لترد بعض الحقوق إلى أصحابها .

وفى الواقع فإن الميل الطبيعى لدى الإنسان لكى يكون له مولودا على صورته ، فضلا عن رغبته فى إشباع دوافع الأبوة ، هى التى تدفع الإنسان ـ فى حالة جهله وعدم قدرته على التغلب على الأمراض ـ إلى الإكثار أو الإفراط فى الإنجاب ليضمن أن يبقى حيا من بين أبنائه من يكون على صورته ويشبع لديه دوافع الأبوة . وقد أدى ذلك إلى تحول « الإفراط فى الإنجاب » إلى « عادة اجتماعية » لايمكن تغييرها « بعادة اجتماعية » أخرى تقوم على الاقتصاد فى الإنجاب بدلا من الإفراط فى الإنجاب إلا بإحداث تغيرات جذرية شاملة فى البناء الاجتماعى للمجتمع تشمل النظم الدينية والاقتصادية والتعليمية والسياسية . وسوف نتناول موضوع تنظيم الأسرة وأثره فى مشكلة السكان فى فصل مستقل بذلك فيما بعد .

جـ ـ ضيق مجالات الهجرة الخارجية :

الانطباع الرئيسي الذي يخرج به القارىء من قراءة الفصول السابقة من هذا الكتاب هي إنتشار الاكتظاظ السكاني في كل مكان تقريبا على الكرة الأرضية بشكل لا يسمح بأي نوع من الهجرات الكبرى التي حدثت في القرن السابع عشر والثامن عشر أثناء حدوث حركات الانتقال السكاني العظمى في التاريخ ، وقد أكتسبت صفة العظمى لكثرة عدد المهاجرين يومئذ (سنة ١٨٣٠) حيث كان المهاجر يغادر أصدقاءه ومعظم أقاربه وكل شيء قدر له أن يعرفه في حياته الى بلد آخر ، غريب عنه تماما ، حيث يحتمل ألا يستطيع — حتى — مجرد الحديث بلغته . إن إقدام أي شخص على ذلك يتطلب قدرا كبيراً من الشقاء في المجتمع الأصلي ، أو جذبا بالغ الشدة في المجتمع الجديد . ولقد كانت الهجرة يومئذ — بالرغم من ذلك — باهظة التكاليف ، حيث كان ثمنها يدفع بالأرواح البشرية . فقد كان المهاجرون يتكدسون أو يكدسون في السفن هربا من مستوى معيشي منخفض إلى حيث لا يعلمون ، فكانت عملية الهجرة مثل « لعبة اليانصيب » يربح فيها بعضهم ويخسر الكثيرون كل شيء حتى حياتهم .

ولقد كانت معظم تلك الهجرات من أوروبا الشمالية الغربية ، أي من بريطانيا وأيرلندا واسكندينافيا وألمانيا . وكان الكثيرون منهم ينشدون الحرية السياسية أو الدينية ، بالإضافة إلى إغراء بلاد حرة مباحة بما ينطوي عليه ذلك من جاذبية كبرى . فقد كان المهاجرون الأوربيون يبحثون من وراء الهجرة عن فرص اقتصادية أفضل . وكذلك لعب الاضطهاد الديني دورا كبيراً في الهجرة بين يهود شرق أوروبا . غير أننا نجد أختلافا في الرأي بين الذين تصدوا لدراسة الهجرة في تحديد أهمية كل من عامل الطرد الذي يتمثل في المتاعب الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الأصلية للمهاجرين وعامل الجذب الذي يتمثل في الفرص الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات المستقبلة لهم[1] ذلك أن تغلب

(١) نيس هـ : رونج : علم السكان : ترجمة الدكتور محمد صبحي عبد الحكم : مكتبة مصر بالفجالة بمصر . القاهرة ص ١٣٣

أحد العاملين على الآخر كان أمراً ملحوظاً فى فترات متعددة . فى أيرلندا — على سبيل المثال — كان عدد سكان تلك الدولة الصغيرة سنة ١٦٧٠ حوالى مليون نسمة . ولم يحن عام ١٨٤٥ حتى بلغ تعدادها ثمانية ملايين نسمة بفضل إدخال البطاطس كمحصول رئيسى فى تلك الدولة . غير أن هذا المحصول عندما منى بوباء فتاك فى الفترة من ١٨٤٨ — ١٨٥٤ وبذلك لم يتوافر للسكان المصدر الرئيسى للقوت ، فقد مات حوالى مليون إيرلندى جوعا ، وهاجر ضعف هذا العدد تقريبا . ولذلك انخفض عدد السكان بعد عشر سنوات من تاريخ تلك النكبة إلى ٦ر٥ مليون نسمة . . وعلى أية حال فإن العلاقة الوثيقة بين ظروف العمل فى الولايات المتحدة الأمريكية وحجم الهجرات قد برهنت على أن عامل الجذب كان أبرز أثرا من غيره بصفة دائمة .

وقد استطاع « بريتلى توماس » أن يخرج من دراسة صادرات رأس المال والتجارة الدولية والاستثمار المحلى والدخل القومى بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية بنتيجة هامة فى مجال الهجرات . وهى أن درجة النمو الاقتصادى فى مجتمع الوفود ترتبط بدرجة كبيرة بدرجة الهجرة بين البلدين بمعنى أنه قد وجدت هناك علاقة عكسية بين الاستثمار المحلى ومستوى الدخل فى بلد المهجر من ناحية الهجرة وصادرات رأس المال من ناحية أخرى . كما وجد علاقة إيجابية بين الهجرة (فى مجتمعات المهجر) والاستثمار والدخل فى المجتمع المهاجر إليه . أى أن المجتمع الذى ينخفض فيه مستوى الدخل هو الذى تزيد نسبة الهجرة منه والمجتمعات المتلقية للمهاجرين هى التى يزيد فيها الدخل عن المجتمعات السابقة والاستنتاج الذى انتهى إليه هو أن التحركات الدورية للعمل ورأس المال تنطوى على رد فعل مباشر أو غير مباشر فى المجتمعات المصدرة للسكان والمتلقية لهم . كما وجد أدلة قوية على وجود علاقات عكسية بين التقلبات فى نسبة الهجرة الدولية والاستثمار المحلى من ناحية ونسبة المهاجرين وتصدير رأس المال من ناحيه أخرى(١) .

---

(١) فيليب هوسر : السكان والسياسات الدولية ترجمة الدكتور خليل حسن ومراجعة الدكتور سعيد النجار ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

والخلاصة أن انخفاض مستوى الدخل وسوء الأحوال السياسية والاجتماعية وضعف شبكة العلاقات الاجتماعية . . . من العوامل التى تدفع الأفراد إلى الهجرة إلى مجتمعات أخرى تكون فيها الدخول مرتفعة والأحوال السياسية والاجتماعية طيبة ، وفرص تكوين شبكة جديدة من العلاقات الاجتماعية متاحة(١) .

ومنذ أوائل القرن الحالى أصبحت الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية أقل أهمية ، وتقدمت أمريكا فى القدرة الاقتصادية وفى إعداد سكانها وحشدت تدابير قوية من أجل « صد هؤلاء الأجانب » منذ سنة ١٩٢٤ ويصل مجموع الهجرة الى الولايات المتحدة حاليا الى حوالى ٤٠٠,٠٠٠ مهاجر سنويا ، أو ما يقرب من خمس الزيادة الإجمالية فى سكانها فى مقابل أربعين ألفا يهاجرون فى كل عام منها الى دول أخرى ، ويذهب أكثر من نصفهم الى كندا ، والباقى الى اسرائيل واستراليا وبريطانيا ... الخ . وترحب الولايات المتحدة الأمريكية بنوع معين من المهاجرين حيث يقول « جورج كيلريك » Keeleric, G. « إن استيراد أربعة ملايين من البالغين المهرة أو المتعلمين المهيئين للإنتاج بدلا من تربية وتعليم العدد ذاته من الأمريكيين ، عملية تجارية طيبة جدا(٢)

ولقد كان القرن التاسع عشر — بحق — العصر الذهبى للهجرة الفردية الحرة ، حيث شهدت هذه الفترة أعظم ما سجله التاريخ من هجرات بشرية ، فقد قدر عدد المهاجرين من العالم الغربى بنحو ٥٨ مليون نسمة على الأقل .

ومن جهة أخرى فإن تدفق الناس من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية داخل المجتمع الواحد ، أصبح هو الشكل الحديث للهجرات الكبيرة بعد أن

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : علم الاجتماع الحضرى والمدن المصريه . مرجع سابق ، صفحة ٢٩٩ .

(2) Science Review. Augnst, 1970, P. 817

كانت من دولة إلى أخرى . وليس معنى ذلك إنعدام الهجرات الخارجية بين مختلف المجتمعات ، وإنما يعنى أن الصورة الحديثة للهجرات من مجتمع الى آخر مثل تساقط الرذاذ ، بعد أن كانت مثل تساقط السيول .

وقد أدى المسار الحديث للهجرات الى أن أصبحت المناطق الحضرية فى كافه أرجاء العالم تنمو بسرعة تزيد على سرعة المناطق الريفية . وإذا كان ازدياد المدن الكبرى فى الحجم – قبل الانقلاب الصناعى – يرجع الى الهجرة الداخلية وحدها ، إذ كان عدد الوفيات فيها يزيد على عدد المواليد فى أكثر الأحيان . وتدل التقديرات على أن عدد الوفيات كان يزيد – فى مدينة لندن على سبيل المثال - على عدد المواليد بنصف مليون فى المدة من سنة ١٧٠٠ حتى سنة ١٧٥٠ بينما تقوم الزيادة الطبيعية بالدور الرئيسى فى الوقت الحاضر . ومالم تحدث نكبة سكانية ، فلن يحين عام ٢٠٠٠ حتى تكون نسبة المناطق الحضرية (المدن) الى مساحة العالم أكبر مما هى الآن بكثير . وستكون مشكلة تغذية وإسكان وتوفير الأعمال لهؤلاء البلايين من المشاكل المعقدة ، وذلك على نقيض الزراعين الذين يميلون الى إعالة أنفسهم بأنفسهم .

غير أن المسار الحديث للهجرات لن يؤد الى حل مشكلات المجتمعات التى تعانى من الاكتظاظ السكانى مثل الهند والصين على سبيل المثال . ذلك أنه بالرغم من أن الحدود لم تعد حاجزا أمام الهجرة ، فإن المناطق التى ترحب بالمهاجرين فى عالمنا المقسم بالسياسات القومية لم تعد ذات فعالية .

ولكن لماذا لا تستخدم الهجرة فى إجراء توازنات سكانية على نطاق يشمل العالم كله . لمساعدة الدول المزدحمة بالسكان على علاج مشكله ذلك الازدحام ؟ فلدى دولة مثل الهند زيادة . ومن الميسور لدول مثل استراليا وكندا أن تفيد من مزيد من السكان ، فأى حل يفوق هذا منطقا ؟ يكفى تحويل ١٥٠ مليون هندى الى استراليا أو إليها والى كندا . غير أن كثيرا من المشكلات تقف أمام هذا الحل . . . ولعل أولها عدم رغبة الهنود أنفسهم فى تلك

الهجرة . . . وثانيها عدم وجود الإمكانات التى تسمح بتهجير هذه الأعداد الضخمة ... وثالثها وأهمها عدم رغبة الدول الأخرى فى قبول مهاجرين جدد بهذه الأعداد الكبيرة وبتلك المواصفات التى تتجسد فى الفقر والجهل والمرض .

والحل الثانى الميسور من الناحية النظرية والمستحيل فى الوقت الحالى من الناحية العملية هو إرسال الأفراد الزائدين عن طاقة الكرة الأرضية الى أجرام سماوية أخرى مثل المريخ والزهرة . . . حيث تشير الأبحاث الحالية الى إمكانية الحياة فوق هذين الجرمين وكذلك فوق القمر . غير أنه بجانب صعوبات إرسال أعداد كبيرة من الناس الى هذه الأجرام السماوية والحفاظ عليهم فيها ، فإن هذه الأجرام أصغر فى مساحتها من الأرض بصورة واضحة، بحيث لا تمثل امتداد طبيعيا للارض . ومعنى ذلك أن هذا الحل يستحيل التعديل فيه .

وللأسباب السابقة يبدو لنا أن أيام الهجرات الكبرى قد ولت وانتهت، حيث لم تعد هناك قارات أو حتى أجزاء من تلك القارات غير مأهولة بالسكان. ومن جهة أخرى فإن النزعات القومية قد أصبحت تعرقل حركة الهجرة وقيدتها بوضع مواصفات محددة فيمن تقبلهم من المهاجرين . وبالإضافة الى ذلك فقد ظهر تيار فكرى عالمى فى الدول التى تتمتع بالعدد المناسب من السكان . وتلك التى تعانى من الاكتظاظ السكانى ، تعتبر الهجرة حلا همجيا ، بل وعلاج ضار يجب تلافيه ، فقد انتهى عصر الهجرات من وجهة نظر هؤلاء ، وطالبوا — أيضا — بألا يفكر المرء فى حل المشكلة السكانية فى آسيا والشرق الأقصى عن طريقها ، حيث سيترتب على تلك الهجرات مزيد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، على اعتبار أن نتائج الدراسات التى دارت حول الهجرات تؤكد أن الهجرة لا تكلل بالنجاح والفاعلية إلا إذا تمت فى نطاق بعض الأراضى الصغيرة المحدودة ، مثل الهجرة الى بعض الجزر التابعة لبلد كبير أو عن طريق استصلاح أراضى جديدة ينقل إليها السكان من المناطق

ذات الكثافة السكانية العالية إلى تلك التى تعانى من التخلخل السكانى داخل المجتمع الواحد.

ومما يلاحظ أن الولايات المتحدة قد استوعبت أكثر من نصف المهاجرين الأوروبيين، وربما وصلت إلى الثلثين قبل الحرب العالمية الأولى. واستوعبت أيضا نسبة كبيرة من المهاجرين تصل إلى النصف تقريبا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، ونحو الثلث فيما بعد الحرب العالمية الثانية.

والخلاصة أن الهجرات قد لعبت دورا كبيرا فى إعادة توزيع السكان فيما بين مختلف القارات، ويتضح الأثر الصافى للهجرة بين القارات من الزيادة فى سكان أوروبا والجزء الآسيوى من الاتحاد السوفيتى من ٢٧٤ مليون نسمة إلى ٥٩٤ مليون نسمة، وفى شمال أمريكا من ٢٦ مليون نسمة الى ١٦٦ مليون نسمة، وفى أمريكا اللاتينية من ٣٣ مليون نسمة إلى ١٦٢ مليون نسمة، وبذلك ارتفعت نسبة سكان أجزاء الدنيا الجديدة فى منطقة الحضارة الأوروبية من ١٨ ٪ من سكان العالم سنة ١٨٥٠ إلى ٣٦ ٪ فى سنة ١٩٥٠.

ومن الضرورى ألا ننسى عند دراسة موضوع الهجرة أنه على الرغم من أن المهاجرين يعلنون عند نزوحهم أنهم يهاجرون بصفة نهائية. فإن كثيرا من المهاجرين عادوا إلى مجتمعاتهم الأصلية بعد فترة إقامة طالت أم قصرت فى مجتمع المهجر. ففى الولايات المتحدة الأمريكية وهى على رأس قائمة المجتمعات التى استوعبت الكثيرين من المهاجرين، يبلغ متوسط هجرة الأجانب منها من ٢٥ ٪ إلى ٣٥ ٪ من الهجرة الكلية إليها من النصف الثانى من القرن التاسع عشر والعقد الثالث من القرن العشرين. وقد كانت عودة المهاجرين إلى أوطانهم كبيرة فى بعض الأحوال بدرجة تكفى لجعل نتيجة الهجرة الدولية سلبية، وخلال العقد الرابع كان الناتج الصافى عددا ضئيلا من المهاجرين(١).

---

(١) فيليب هوسر: السكان والسياسات الدولية. مرجع سابق، صفحة ١٥٠

ومن الصعوبات التى تواجه الهجرة فى الوقت الحالى عدم رغبة الشعوب البيضاء فى مخالطة الملونين ، حيث يفتح ذوى البشرة البيضاء الأبواب للبيض فى أوروبا وأمريكا فى الوقت الذى يوصدون فيه الأبواب تماما أمام الملونين، وعلى سبيل المثال فإن أمريكا منذ سنة ١٩٢٤ تضع نسبا متغيرة لمن تقبلهم من المهاجرين حيث حددت فى هذه السنة حصة معينة مقدارها ٣ ٪ من المهاجرين من الملونين وذلك بالإضافة إلى القيود الأخرى مثل استبعاد المصابين بأمراض المناطق الحارة، وفرض رسوم باهظة على تأشيرة الدخول ، وضرورة تقديم خطابات ضمان مصرفية لتغطية نفقات العودة، بينما كانت الدول المهاجر إليها فى القرن الماضى، تدفع لهم إعانات وكانوا يمنحون مساحات من الأراضى الزراعية بدون مقابل أو بأثمان إسمية تدفع على آجال طويلة .

وترفض حكومة استراليا ـ على سبيل المثال ـ قبول مهاجرين من غير ذوى البشرة البيضاء ، وأصدرت انجلترا قانون الملونين فى نوفمبر ١٩٦١ والذى منعت بمقتضاه هجرة الملونين إليها بزعم الخوف من تفاقم مشكلة التفرقة العنصرية ودخلت نقابات العمال بثقلها المعروف فى الدول الرأسمالية للوقوف أمام المهاجرين الجدد فى آسيا وأفريقيا حتى لا تنخفض الأجور التى يحصل عليها أعضاء هذه النقابات ، كما وأنهم يعارضون فى أن تسمح الحكومات للمهاجرين الملونين بالاستمتاع بألوان الرعاية الاجتماعية التى يحصل عليها العمال البيض بدعوى أن ذلك يضيف أعباء جديدة عليهم ، ومن المعوقات العنصرية أمام الهجرات فى الوقت الحالى الزعم بأن فتح أبواب الهجرة أمام المهاجرين الملونين بما يمتازون به من الإفراط فى الانجاب ، الأمر الذى سيؤدى إلى تغيرات جذرية فى الأبنية السكانية تكون لها أصداء سياسية مدمرة . ومن المعوقات الكمالية ـ التى تقوم على المغالطة ـ أمام الهجرات، القول بأن مناخ أمريكا واستراليا لا يلائم الملونين، ومن ثم فلا مصلحة لهم فى الهجرة إلى هذه البلاد ، وقد أدت كل هذه المعوقات

إلى عدم زيادة عدد المهاجرين من الهند على سبيل المثال عن ثلاثة ملايين مهاجر بصفة عامة[1] .

د ـ زيادة الانتاج الصناعى على الغذائى :

وبالنسبة للتقدم التلكنولوجى فى إنتاج الطعام ، فإن كل الخبراء فى هذا المجال يؤكدون أن نتائجه محدودة الأثر إذا لم تقترن باستغلال كل شبر على وجه الكرة الأرضية من الأراضى الصالحة للزراعة فى إنتاج المحاصيل الغذائية، وفى هذا يقول « بولدنج » صاحب نظرية « الثورة الخضراء » إن نجاح المكسيك والهند وباكستان وغيرها فى تحقيق الاكتفاء الذاتى فى القمح يمكن أن يفيد العالم عشرين أو ثلاثين عاما على الأكثر ، وقد مضى منها الآن حوالى عشر سنوات، وإذا استمرت زيادة السكان على معدلها الحالى، فإن ذلك سوف يحطم أهم مقومات الحياة على الأرض .

إن تطور المجتمعات الآخذة فى النمو بإمكاناتها الزراعية والاقتصادية والطبيعية والبشرية الهائلة، هو السبيل الوحيد والسليم . ولكن، كيف ؟ وأغلب شعوبها منهوبة الثروات وتدور فى فلك نظام عالمى اقتصادى ، تجارى ، مالى ونقدى عاجز عن مواجهة حقائق عالمنا المعاصر ومتطلباته ، ومن هنا ما نرى من خلاف بين المجتمعات الآخذة فى النمو والمنتجة للمواد الأولية ... وبين المجتمعات المنتجة للغذاء والسلع الآلية ، والتى تنعم بالرخاء ، ولا ترغب فى أن تتنازل عن رخائها المنهوب فى أغلب عناصره من المجتمعات الآخذة فى النمو .

ومما يؤكد عدالة هذا المطلب ماجاء فى تقرير السيد / فرانسيس بلانشار مدير عام مكتب العمل الدولى والذى ينطوى على دراسة شاملة عن الفقر فى العالم

---

(١) الدكتور على الجريتلى : السكان الموارد الاقتصادية فى مصر . القاهرة ١٩٦٢ صفحة ١٤٨

وبوجه خاص فى الدول الآخذة فى النمو ، ومن أهم نتائج الدراسة مطالبة النظام الاقتصادى العالمى بتوفير - بطريقة أو بأخرى - أكثر من مليار (ألف مليون) فرصة عمل جديدة من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ وذلك باعتبار فرص العمل هذه الوسيلة الجديدة للقضاء على البطالة المزمنة والمنتشرة ، وإنقاذ الأجيال القادمة من الفقر ، وعلى أن يكون ٩٠٪ من فرص العمل هذه فى الدول الآخذة فى النمو حيث تعيش الأغلبية العظمى من الفقراء ، وحيث يتعرض ٤٠٪ من القوى العاملة فى هذه المجتمعات للبطالة الكاملة أو الجزئية أو تتقاضى أجورا فى مستوى حد الكفاف .

ويشير التقرير إلى مفهوم جديد وهو التأكيد على العمالة كعنصر رئيسى لخلق عمل منتج يفى بالاحتياجات المحلية الأساسية ويعمل على التوسع فى الصادرات للتغلب على النقص الحاد فى النقد الأجنبى الضرورى لاستيراد السلع الحيوية . وذلك مع التركيز على العمالة فى مجالين تجاهلتهما - حتى الآن وإلى حد كبير - كثير من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وهما : القطاع الريفى التقليدى وكذلك مايسمى بالقطاع الحضرى غير الرسمى . وهما معا يشكلان الأغلبية الساحقة من فقراء العالم .

وفى هذين القطاعين فإن مشروعات التنمية الريفية المتكاملة والحوافز الملائمة للمشروعات الحضرية الصغيرة يمكن جمع وضم مصادر هائلة من الأيدى العاملة والمهارات الفنية مع استخدام التكنولوجيا الإنتاجية التى تركز على العمالة والتى أوضحت بحوث مكتب العمل الدولى أنها كثيرا ماتكون اقتصادية كالأساليب المستوردة المكثفة لرأس المال .

وذلك حتى يستطيع الإنسان فى المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو أن يجد القوت الضرورى ، فقد أكدت دراسات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن ٦٠٪ من السكان فى تلك المجتمعات - أى أكثر من مليار

شخص يعانون من الجوع الواضح وغير الواضح . ويموت سنويا من جراء تأثير الجوع وسوء التغذية حوالى ٣٥ مليون شخص[١] .

وليس الجوع وحده وبأكثر أشكاله حدة هو الدليل على الوضع الغذائى الصعب فى المجتمعات الآخذة فى النمو ، بل وكذلك سوء التغذية أو الغذاء السيء والناس يمكن أن يظلوا على قيد الحياة وهم جياع ، لكنهم بالرغم من ذلك يصابون بالإنهاك من جراء قلة الأطعمة ذات القيمة الغذائية الكاملة .

وأنواع الأطعمة التى تستهلكها جماهير المجتمعات الآخذة فى النمو والمتخلفة محدودة ، وتتألف فى العادة ـ وبصورة رئيسية ـ من الهيدروكربونات وتفتقر إلى الزلاليات ، لاسيما الحيوانية الأصل منها . والنقص فى الزلاليات التى هى المصدر الرئيسى للنمو البدنى والعقلى للفرد ، هو السبب الرئيسى لسوء التغذية فى تلك المجتمعات . ومن جهة أخرى فإن الحبوب باعتبارها المادة الغذائية الرئيسية تحتوى على حوالى من ٦ - ١٢ من الزلاليات ، ومن هنا فإنه حتى لو توافرت الإمكانيات للفلاحين فى تلك المجتمعات لاستهلاك كل ماينتجونه من الحبوب ، لما كان بمقدورهم أن يضمنوا لأنفسهم الغذاء الكافى .

وعلى سبيل المثال فإن استهلاك الحبوب فى المجتمعات الآسيوية المتخلفة والآخذة فى النمو هو ١٤٦ كيلو جرام للفرد الواحد سنويا ، وتلك الكمية تزيد بمقدار مرتين ونصف عما يستهلكه المواطن الأمريكى . وعلى العكس من ذلك فإن استهلاك المواطن فى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول المتقدمة يزيد بمقدار من ١٠-١٥ مرة فى اللحوم والبيض والدهنيات والحليب والخضروات والفواكه ومنتجات الأسماك الغنية بالبروتينات . . الخ عن استهلاك المواطن فى المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو . . وتبدو علامات سوء التغذية فيما يتعرض له الجسم من ضعف ، فالنقص فى الفيتامينات يقلل من مناعة الجسم

---

1 — U. N. : The world Food Survey " FAO " Rome, 1963 , P. 2

وبالتالى يصاب مثل هذا الجسم بأمراض الكساح والبلاجرا والإسقربوط والبوبرى وما إلى ذلك ، فضلا عن ارتفاع معدلات الوفيات .

فمن النتائج الخطيرة التى تترتب على سوء التغذية فى المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو ، إنخفاض متوسطات الأعمار . وعلى سبيل المقارنة فإن متوسط الأعمار فى انجلترا هو ٦٧ سنة للرجال و٧٤ للنساء وفى سويسرة هو ٦٩ سنة للرجال و٧٤ سنة للنساء . على حين أنه فى الهند لايزيد عن ٤٢ سنة للرجال و ٤١ سنة للنساء ولا يصل فى بعض بلدان أفريقيا إلا إلى ٣٣ سنه فقط .

هذا وينعكس الجوع وسوء التغذية على النشاط الإنتاجى للأفراد ، حيث تنخفض معدلات أدائهم بصورة ملحوظة ، الأمر الذى تنعكس آثاره السيئة على قدرة الأيدى البشرية على الإنتاج وعلى الدخل القومى .

وتنعكس آثار سوء التغذية على وفيات الأطفال ذلك أنه طبقا لمعطيات الأمم المتحدة فإن نسبة الوفيات بين الأطفال حتى سن الخامسة فى المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو أعلى بما يتراوح بين ١٠ و١٥ مرة عما هى فى المجتمعات المتقدمة ففى بعض مجتمعات أفريقيا مثل ليبيا يتحتم على الأم اختياريا أن تلد خمسة أطفال لتضمن أن أحدهم على الأقل يمكن أن يصل ولو إلى سن الخامسة عشرة . وفى شمال البرازيل فإن ٤٨٪ من الأطفال يموتون قبل أن يبلغوا السنة الواحدة من عمرهم ، و٦٣٪ منهم قبل أن يبلغوا الرابعة ويموت فى بعض مناطق جنوب شرق آسيا ٤٠٪ من الأطفال قبل أن يبلغوا سن الرابعة .

هذا وفى أواخر سنة ١٩٧٢ وأوائل سنة ١٩٧٣ وإلى نهاية سنة ١٩٧٤ نجم وضع غذائى سيء نتيجة للجفاف الشديد الذى حدث فى مجموعة من دول أمريكا الوسطى مثل ، كوستاريكا ، هندوراس ، نيكاراجوا ، سلفادور ، جواتيمالا ، وكذلك فى أفريقيا الغربية مثل « موريتانيا ، مالى ، السنغال ، فولتا العليا ، النيجر ، وتشاد ، وفى شرق أفريقيا مثل الصومال » . كما تفاقم الوضع الغذائى

بشكل جاد فى كل من أندونيسيا وافغانستان والفلبين ، كما اضطربت حالة توفير الأغذية لسكان كثير من ولايات ومناطق الهند ونيبال وبنجالاديش وكمبوديا .. ألخ .

ومما يثير الدهشة أن الدول المتقدمه تلقى بتبعة المجاعات المتوقعة على سكان المجتمعات الآخذة فى النمو والمتخلفة باعتبارهم أكثر المجتمعات نموا فى السكان ومن الاحصاءات التى قاموا بها من أجل توضيح وجهة نظرهم هذه تلك الإحصائية .

جدول رقـــم (٨)

لسكان المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو وتوقعات الزيادة فى المستقبل[١]

السنة	مجموع السكان بالآلاف	السنة	مجموع السكان بالآلاف
٢٠٠٠	٥٠٤٠	٢٠٥٠	٨٧٣١
٢٠١٠	٦٠٠١	٢٠٦٠	٨٧٧٨
٢٠٢٠	٦٩٢٩	٢٠٧٠	٨٥٣١
٢٠٣٠	٧٧٦٤	٢٠٨٠	٨٠٤٤
٢٠٤٠	٨٣٨٠		

وعلى أساس بيانات هذا الجدول يقول عالم الاجتماع البريطانى « ماك كروماك » أن تلك الزيادة السريعة فى السكان فى البلدان المتخلفة والآخذة فى النمو سوف تخلق كثيراً من المشاكل المستعصية (اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا)

1—N. N. : Estimates of Total Population Crade Birth and Death rates and Annual Rates of Growth for Developing Regions. 2000 — 2080, 1970.

ويطالب باتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذه الزيادة(١) . ويتصور كروماك مثل بول إرليك أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها هى القادرة على إنقاذ مجتمعات العالم الثالث من الجوع عن طريق تنفيذ خطة عالمية لتنظيم زيادة السكان وتطوير الزراعة والتصنيع(٢) .

ويشير خبير التغذية الأمريكى ريتشار هول إلى أنه سيحدث خلال العشر أو العشرين سنة القادمة هبوط تدريجى فى مستوى محتوى الغذاء اليومى بالنسبة لنصف عدد سكان العالم على الأقل(٣) .

وطبقا للتقديرات التى قامت بها منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو) سنة ١٩٦٦ فإن الطلب على الأغذية من جانب البلدان النامية سيزداد بنسبة ١٤٠ ٪ وإذا لم يتم تطوير وسائل إنتاج الأغذية فى المستقبل القريب فإن المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو ستضطر حتى سنة ١٩٨٥ إلى استيراد المواد الغذائية بكميات هائلة يمكن أن تبلغ ٢٦ مليار دولار سنويا . ومن هنا تحذر (فاو) تلك المجتمعات بضرورة زيادة إنتاجها من الأغذية بمقدار ٦٠ ٪ إذا أرادت تفادى النقص المفجع فى الأغذية ، وذلك على إعتبار أن خبراء الأمم المتحدة يتوقعون عجز هذه المجتمعات عن توفير الطعام اللازم لسكانها فى سنة ١٩٨٥ التى ستشهد أكبر أزمة طعام فى العالم .

على حين أن العالم الاقتصادى « ألبرتينى » يتوقع حدوث تلك المجاعة فى المجتمعات الآخذة فى النمو والمتخلفة سنة ١٩٨٠ وأن النتيجة النهائية لتلك المجاعة هى حدوث إنفجار سياسى فى العالم كله(٤) . ويشاركه الأستاذ البلجيكى

1—Mc. Cromack, A. : The Population Problem, J. Crowell Co., N. Y., 1970.

2—Erlich, P. R. ; The Population Bomb. Ballantine Books inc., N. Y., 1979, p. 224.

3—« U. S. : News and world Report » September 27, 1970, p. 66,

4—Albertini Jean-Marie ; Les Mecanismes du Souresdeveloppement. Paris, 1967, p. 13.

« بيروك » فى رأيه حول المجاعة ، حيث يتوقع أنه فى السنوات العشر القادمة « سيكون من المستحيل عمليا ، أو سيكون من الصعب بدرجة كبيرة حل مشكلة الجوع فى البلدان الآخذة فى النمو والمتخلفة »[١] :

إذاً المجتمعات الفقيرة التى تطالب بالمساعدة على التطور وحل مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية التى تهدد البشرية كلها ، ينبغى أن تلقى مطالبها آذانا صاغية من المجتمعات المتقـــدمة التى ينبغى أن تدرك مصالحها قبل مصالح المجتمعات الآخذة فى النمـو على المدى البعيد ، فصالح البشرية كلها رهن بمساعدة الشعوب الآخذة فى النمو على رفع مستواها الاجتماعى والاقتصادى .

إن الخطر يكمن فى تقسيم العالم أكثر فأكثر إلى قلة قليلة شبعانة . . وكثرة ساحقة جائعة . . لاسيما فى عصر أسلحة الدمار الشامل . والخطر كل الخطر فى تجاوز عدد سكان العالم لقدرته على توفير متطلبات الحياة لسكانه ، بينما أغلب ثرواته الهائلة لا تجد إمكانات الاستغلال . . والخطر كل الخطر فى استمرار الهوة الحضارية Cultural lag المتزايدة باستمرار بين المجتمعات المتقدمة وتلك الآخذة فى النمو ، دون العمل على مواجهة مشكلات العالم الملحة .

إن الدول المتقدمة بما وصلت إليه فى الإنتاج الصناعى المعروف بالإنتاج الضخم Mass productiou مثل اليابان وألمانيا الغربية . . . والتى يغطى إنتاجها مختلف المجتمعات الآخذة فى النمو . حيث تجد منتجات هذه الدول أسواقا فسيحة لتسويق منتجاتها . ومن هنا فإن زيادة السكان فى تلك المجتمعات الآخذة فى النمو سوف تؤدى إلى أرتفاع أسعار السلع الغذائية وبالتالى فلن يتبق من دخول أفراد هذه المجتمعات ما يسمح باقتناء السلع الصناعية . الأمر الذى سيؤدى بالضرورة إلى عدم وجود الأسواق الضرورية لتسويق المنتجات الصناعية التى تنتجها المجتمعات المتقدمة . ومن هنا تصاب مؤسسات الإنتاج

1—Bairock, P. : Diagnostic de L' évolution Eceuomique du Tiers Monde. Paris, 1969, p. 46.

الصناعى فى هذه المجتمعات بالركود الاقتصادى ، وعلى ذلك تتكرر مأساة الكساد الاقتصادى العالمى التى حدثت سنة ١٩٣٠ وإذا كان العالم قد استطاع التغلب على الكساد الاقتصادى الأول بفضل وجود الكثير من الثروات الطبيعية غير المستثمرة بالإضافة إلى عدم تفاقم المشكلة السكانية بصورة حادة كما هى الآن ، فإن الكساد الاقتصادى المتوقع لن يقوم للعالم منه قائمة لعدم وجود أية ثروات طبيعية غير مستثمرة .

نظرية الصفر فى السكان أو النظرية الاجتماعية :

إذا كان المجتمع هو المسئول - قبل الأسرة - من حيث الخطوط العريضة عن توفير الرفاهية للأطفال والحفاظ على حياتهم ، فمن الضرورى أن تكون لهذا المجتمع سلطة تقرير متى يمكن إنجاب هؤلاء الأطفال وأعدادهم أيضا ، حيث لم يعد الركون إلى الأسلوب الاختيارى فى تنظيم الأسره مجديا ، بعد أن أتضح أن نتائجه أقل مما يجب بكثير من جانب ، فضلا عن فوات فرصة الركون الكامل إليه من جانب آخر ، وذلك بالإضافه إلى أننا قد وضعنا أقدامنا على أعتاب عصر .

— لا يحكمه سوى مبدأ « كل شخص ينهش الآخر » .

— وأن الأبوين اللذين ينجبان أكثر مما ينبغى لن يخلفا وراءهما سوى أقل عدد . وليس أكبر عدد من الأبناء ، لأنهما يعجزان عن رعاية أطفالهما الرعاية الضرورية إذا كانت كل أسرة لا تعتمد إلا على مواردها الخاصة .

— وأن أبناء الآباء « غير الحكماء » سيموتون جوعا ، ذلك أن حوالى ثلث الأطفال فى المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو يعانون من سوء التغذية مما يترك آثارا عميقة فى حياتهم اللاحقة ، وفى حالتهم البدنية والعقلية ويعوق صحتهم النفسية ، ويكون سببا فى تعرضهم لإنحرافات سلوكية ، وتبدو على

نسبة من الأطفال حوالى من ٥٠ — ٧٠ ٪ من الذين وصلوا إلى السن المدرسية علامات سوء التغذية[١] .

— وأن الإفراط فى الإنجاب ستعود عواقبه السيئة على السلالة .

— وأنه كما قال أحد علماء السكان الهنود « شاندرا سيكار » بالرغم من أن ملايين الناس لا يموتون ، فإنه لا يجوز اعتبارهم أحياء إذا فهمنا من ذلك وجوب كونهم أناسا أصحاء على درجة ما من النشاط ، ويعملون ويكسبون قوت يومهم . وما الحياة بالنسبة لهؤلاء الرجال والنساء الذين لا إمكانية لهم للجوء إلى إستشارة الطبيب ، والذين لم يحصلوا طوال الفترات التى مرت من حياة كل منهم على مجرد جرام واحد من الأدوية أو أوقية واحدة من الصيدلانيات ، إلا سلسلة من الآلام التى تتزايد على الدوام[١] .

— إن معدل ما يستهلكه الفرد من الأغذية فى الدول الآخذة فى النمو هو أقل من الحد الأدنى الضرورى والذى يقدر بما يتراوح بين ٢٢٥٠ و ٢٤٠٠ سعر حرارى طبقا لتقديرات خبراء منظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة[٣] » .

ومن هنا فإن المجتمع إستناداً إلى مسئوليته عن رفاهية الأطفال ينبغى أن يكون ذا رأى فى الأمر ، بمعنى أن تكون له سلطة متى يمكن إنجابهم وبأى عدد حتى لو تطلب الأمر اللجوء إلى تغيرات اجتماعية أليمة ، مثل اعتبار إنجاب الأطفال حقاً مقيداً وليس امتيازاً .

والذى لايصدق أن الإفراط فى الإنجاب قد أصبح من النكبات الاجتماعية

1—Jonhston, j ; Statement. May 27, 1966, Press-release «AID».

(٢) تشاندرا سيكار : سكان الهند . موسكو ، ١٧٤٩ ، ص ١١٠ .

3—N. N. ? The world Food Survey « FAO » Rome; 1963, p. 2.

عليه أن يرجع إلى الأحوال السائدة فى شبه القارة الهندية حيث أخذ عدد السكان يتزايد بمعدل خمسة ملايين نسمة سنوياً منذ سنة ١٩٤٠ بينما إنتاج الطعام هناك كان قد وصل إلى ذروته منذ تلك السنة . وبذلك أضطرت الحكومة إلى استيراد ما يوازى ١٠ ./. من استهلاكها من الطعام . وقد أدى دعم الطعام إلى نتيجة عكسية وهى استمرار معدل المواليد فى الزيادة .

وفى نفس الوقت كان ٩٠ ./. من ساعات العمل فى الهند يخصص لإنتاج الطعام ولا يعمل فى الصناعة إلا ٤ ./. من مجموع السكان ، بمعنى أن الهند كانت دولة زراعية بالدرجة الأولى . ومع ذلك لم تكن تستطيع توفير الطعام لسكانها . ولم يكن أمام الهند إلا أن تلجأ إلى الزراعة الكثيفة ، ولقد كانت كثيفة بالفعل إلى الحد الذى لم يسمح بتحويل أى عدد من العمال الزراعيين إلى العمل فى المشروعات الإنمائية البعيدة المدى .

وفى هذا قال « فوربز » وهو واحد ممن شاهدوا تلك الأحوال فى الهند . قال « يكاد يكون من المستحيل أن ننتزع من الحقول مليون شخص ليعملوا فى بناء سد . إذ لو تم ذلك لتوقف إنتاج كل ما كان ينتجونه من الأطعمة ، وبذلك يصبح من الضرورى الحصول على الطعام اللازم لبناة السد من أفواه المزارعين ، فيموت هؤلاء جوعا . ومن الأمثلة التى تؤكد ذلك ما حدث فى مجاعة البنغال سنة ١٩٤٣ عندما جندت حكومة الهند أعداداً كبيرة من العمال لبناء الطرق والمطارات والثكنات وغيرها من المنشآت التى كانت ضرورية للجيوش البريطانية والأمريكية التى كانت مرابطة هناك يومئذ أثناء حملة « بورما » وأدى إنشغال هؤلاء العمال عن إنتاج الطعام لأنفسهم إلى ضرورة جلب الطعام لهم من داخل البلاد ، الأمر الذى أدى إلى أرتفاع الأسعار ، وبذلك باع المزارعون ما كانوا يختزنونه من الطعام ظناً منهم أنهم سوف يحصلون على غيره بثمن أقل ، بيد أن الأسعار واصلت أرتفاعها بصورة عجزوا

إزاءها عن الحصول على الطعام ، وبالتالى مات ما يتراوح بين مليونين وثلاثة ملايين من المزارعين جوعاً » .

ويؤكد « فوربز » أن الهند كانت قبل الاستعمار البريطانى أمة غنية وقوية ، ثم يتساءل « أية نكبة أو سوء إدارة وصل بها إلى هذا الفقر والجوع الدائمين يومئذ ، ثم يجيب على تساؤله بقوله : إنه لم ينزل بالهند أية كوارث عظمى ، وإنما كل ما هنالك أحداث قضت بها القوانين الطبيعية الحتمية ، حيث كانت الطبيعة تمطرهم بسيل منهمر من النكبات الصغيرة على هيئة أطفال صغار يولدون بمعدل ٤٦ لكل ألف من السكان سنويا . ويضيف أنه إذا لم يصدم القارىء بالتعبير عن الأطفال بالنكبات ، فإنه على يقين من أن الدراسة الميدانية فى ولاية كلكتا بالهند سوف تقنعه بأنه ما دامت نسبة الطعام إلى عدد السكان قليلة ، فإن المواليد الجدد يعدون نكبة على ذويهم وعلى الأمة كلها [1] .

ولقد بدأت الهند أخيراً سلسلة من الخطط الخمسية الاقتصادية والاجتماعية تنطوى على إنشاء الصناعات الثقيلة وإستغلال الأنهار ومشروعات الصحة العامة ومكافحه الأمية وزيادة المحاصيل الزراعية والتوسع فى الرقعة الزراعية والعمل على تنظيم الأسرة . وفى حالة استمرارها فى رسم وتنفيذ تلك الخطط فإنها تكون قد بدأت فى طريق طويل وعر يستلزم اجتيازه عقوداً كثيرة من السنين وإذا عجزت عن التوفيق بين نقل عدد كبير من العاملين فى الزراعة إلى المصانع ، مع العمل على زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية والسلع الصناعية مع تخفيض معدلات المواليد فى نفس الوقت ، فإن جهودها مقضى عليها بالفشل لتفوق النمو السكانى على النمو فى الإنتاج الغذائى .

... ومن تصورات « بول إرليك » أحد أساتذة البيولوجيا الأمريكيين أنه

1—Forbes, W. H. : Federation Pseceding, 1925.

خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الهند لن تستطيع مواجهة ذلك الفيض الكبير من عدد السكان ، وذلك على أساس عدم وجود الفرصة التى تسمح بالتوسع الأفقى فى الأراضى المنزرعة ، وكذلك لصعوبة الحصول على الأغذية من البحار والمحيطات [١] وهذه التصورات تؤكد وجهة نظر فوربز السالفة الذكر .

وما الهند إلا نموذج من نماذج مناطق الجوع العظمى فى العالم ، التى يزداد الموقف الغذائى فيها حرجا عاما بعد عام ، فقد جاء فى أحد تقارير هيئة التغذية والزراعة بالولايات المتحدة الأمريكية أن « معظم الذين كانوا جياعا خلال السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية ، قد أصبحوا اليوم أكثر جوعا . فإن الإنتاج فى معظم المناطق التى تعانى من نقص التغذية عاجز عن مسايرة نمو السكان .

ويتوقع « بول إرليك » تعرض العالم لأزمة جوع شاملة يصعب تقدير عواقبها فى السنوات التسع القادمة (اعتباراً من سنة ١٩٧٠) إذا لم تتخذ تدابير حاسمة لتحديد النسل باعتبار ذلك الوسيلة الوحيدة القادرة على منع حدوث مجاعة عالمية فى السبعينيات وقد إنتهى إلى هذا الرأى بعد استعراض شامل لمعدلات النمو السكانى فى الدول المتقدمة والآخذة فى النمو والمتخلفة [٢] .

ولم يعد التعرض لموضوع المجاعة فى البحوث والدراسات مجرد فصول قصيرة داخل تلك المؤلفات ، وإنما أصبحت هناك مؤلفات عنوانها وموضوعها الرئيسى هو « المجاعة سنة ١٩٧٥ » مثل كتاب الأخوين « بادوك » مع عنوان فرعى وهو « من الذى سيكتب له البقاء ؟ [٣] » . كذلك كتاب وزير الزراعة

1—Ehrlich; R. : The Population Bomb. Ballantine Books inc. N. R., 1970, p. 224.

2—Ibid.

3—Paddock, William and Paul : Famine-1975 American's Decision Who Shall survive ? . Boston, 1967.

الأمريكى « فريمان » بعنوان « العالم بلا جوع » [١] . وهو ينطوى على دراسة شاملة لمعدلات الإنتاج الغذائى فى العالم وإن كان ينطوى بصورة غير مباشرة على دعاية للبرنامج الأمريكى « الغذاء من أجل السلام » . وكذلك كتاب « براون » بعنوان « الإنسان والأرض والغذاء . لمحة حول متطلبات العالم الغذائية فى المستقبل [٢] وكذلك كتاب « الحرب ضد الفاقة » للسيناتور الأمريكى « ماكجفرن » والذى صدر سنة ١٩٦٣ [٣] .

وإلى جوار تلك المؤلفات هناك دوريات متعددة تسير فى نفس الاتجاه مثل المجلة الشهرية التى تحمل عنوان « الحرب ضد الجوع [٤] » وكذلك النشرة التى تحمل عنوان « الغذاء من أجل السلام [٥] » .

إذاً نحن اليوم فى منتصف موجة تكاثر سكانى لابد لها فى النهاية أن تقف بعدد الناس عند مستوى جديد . . . فأين يقف هذا المستوى ؟ وما هى العوامل التى سوف تحدد عدد سكان العالم فى السنوات والقرون التالية :

إن الفترة التى تستطيع فيها أية امرأة أن تنجب أطفالا قلما تزيد على ثلاثين سنة (من الخامسة عشرة إلى الخامسة والأربعين من عمرها) . فإذا استبعدنا من هـذه الفترة مدة كل حمل وهى تسعة أشهر بالإضافة إلى فترة راحة بعد كل عمليه ولادة ، لتبين لنا أن أقصى عدد من الأطفال تنجبه إمرأة واحدة يبلغ نحو عشرين طفلا ، ويمكن أن يرتفع إلى أكثر من ذلك إذا كانت ترزق بتوائم فى كل مرة أو فى بعض المرات . وإذا سارت فترة خصوبة المرأة سيرها الطبيعى كما هو الحال لدى إناث الحيوانات الأخرى غير الناطقة

1—Fieeman, O. L. ; World Without Hunger. Praeger, 1968.

2—Brown, B. R. : Man; Land, and Food Looking Ahead at World Food Needs. Washington, 1963.

3—Mc Govern. G. S.: War Against Want. N. Y., 1964.

4—War on Hunger.

5—Food For Peace.

وإذا قدر لجميع المواليد من الإناث الحياة إلى نهاية مرحلة الخصوبة ، لتضاعف عدد سكان العالم عشر مرات فى كل جيل . غير أن السرعة الحقيقية التى ينسل بها الإنسان ، يندر أن تساوى قدرته على الإخصاب فكثير من النساء يمتن قبل أن يصلن إلى نهاية سن الإنجاب . . . وبعضهن يتعرض لأمراض واضطرابات تقلل من فرص الحمل أو تمنعه بالمرة أو تعجز المرأة — لضعفها — عن الاحتفاظ بالجنين إلى نهاية مدة الحمل فيسقط قبل موعدة ميتاً .

والذى لا شك فيه — بجوار ذلك كله — أن الفروق فى سرعة الإنجاب التى تلاحظ بين مختلف الجماعات البشرية ترجع إلى فروق اجتماعية لها دورها الواضح فى تحديد أنماط السلوك الجنسى. أكثر مما ترجع إلى خصائص بيولوجية ، فالمرأة الأمريكية على سبيل المثال فى أعقاب حرب التحرير كان متوسط إنجابها ثمانية أطفال وفى سنة ١٨٥٠ هبط المتوسط إلى أقل من ستة أطفال . وفى سنة ١٩٠٠ هبط إلى أربعة أطفال واليوم ليس بوسعها أن تتوقع أكثر من ثلاثة أطفال . . . بينما فى إحصاءات سنه ١٩٧٢ فى مصر كانت المرأة المصرية فى الفئه أقل من ٢٥ سنة يمكن أن تنجب أربعة أطفال وفى الفئة ٢٠ — ٢٤ يمكن أن تنجب سبعة أطفال وفى الفئة من ٢٥ وإلى أكثر من ٤٥ سنة يمكن أن تنجب عشرة فأكثر . وكل هذه الأرقام تنطبق على الريف والحضر ، فقد ولد فى هذه السنة ٤٥٧٨٧٠ طفلا لأمهات حضريات و ٧٢٩٤١٦ طفلا لأمهات ريفيات وكانت الجملة ١١٨٧٢٨٦ طفلا ولدوا جميعا أحياء(٥) . . وهكذا يؤدى طابع الحياة الاجتماعية والثقافية إلى هبوط معدل الإنجاب إلى مستوى منخفض جداً أو زيادته إلى مستوى مرتفع جدا إذا قورن بقدرة الإخصاب التى وهبتنا إياها الطبيعة .

والعوامل الأجتماعية التى تبين معدلات المواليد والثقافات متشابكة ويصعب

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : المواليد والوفيات ١٩٧٢ » مرجع رقم ١٣٥ لم ١١ /٧٥ صدر فى القاهرة فى ديسمبر ٧٤ جدول رقم ١٣ ص ٦٤ .

إستخلاصها ، فكل منها سبب وكل منها نتيجة ، ففي بعض المجتمعات يحدث الزواج في سن مبكرة وفي البعض الآخر في سن متأخرة ، وبعضها يرحب بمقدم طفل عقب الزواج والبعض الآخر يتجهم له . وبعض المجتمعات تستخدم سيداتها عقاقير مانعة للحمل ، بينما البعض الآخر لا يستخدمها . . وأيضا الإجهاض مشروع في قليل من المجتمعات وجريمة في غالبية المجتمعات . وبالنسبة لرضاعة الأطفال فقد تطول في بعض المجتمعات ، على حين تفطمهم بعضها صغارا ، وبعض المجتمعات تعتبر الأطفال عونا اقتصاديا ومظهرا من مظاهر الخصوبة والحيوية ، بينما تعتبرهم بعضها عبئا ثقيلا ، بل وحماقة وطيشا .

ولكل هذه العوامل المتنوعة فإن مدى استطاعتنا تقدير اتجاهات المستقبل فيما يتعلق بمعدلات عدد الأطفال يتوقف إلى حد كبير على مدى استطاعتنا تقدير إتجاهات أنماط الثقافة في المستقبل . . وهو تقدير يستحيل التنبؤ به بصورة مؤكدة .

هذا وهناك عدد من المجتمعات يبلغ مجموع سكانها معا ربع سكان العالم على وجه التقريب ، وقد انتهت من اجتياز الطريق الطويل من نسب المواليد والوفيات المرتفعة إلى نسب المواليد والوفيات المنخفضة . وتوجد هذه المجتمعات في شمال وغرب وجنوب ووسط أوربا وفي الولايات المتحدة الأمريكية . . . ومعدل النمو السكاني في هذه المجتمعات لا يزال في صعود ، ولكن أسباب صعوده لا ترجع إلى زيادة المواليد ، وإنما إلى زيادة عدد الذين يعيشون إلى سن الشيخوخة .

وعلى النقيض من ذلك في المجتمعات التي تبلغ نسبة المواليد فيها أقصى حدودها البيولوجية ، وتمثل هذه المجتمعات ٥٠ ٪ تقريبا من سكان العالم وهي تشمل الصين ومعظم البلاد الإسلامية والهند ومعظم أمريكا الجنوبية والوسطى وأفريقيا . . . فإن إدخال الوسائل الصحية والطبية ، وما أدى إليه خفض نسب الوفيات بدرجات متفاوتة ، قد أدى إلى ارتفاع نمو السكان في هذه المجتمعات بصورة تفوق سرعة النمو في جميع بقاع العالم .

وبين هؤلاء وهؤلاء يمر الربع الرابع والأخير من سكان العالم بمرحلة إنتقالية تمتاز بهبوط فى نسبة المواليد ، وبنسبة منخفضة فى الوفيات ، ومع ذلك لا يزال سكانها يتزايدون بسرعة واضحة وهى مجتمعات اليابان ومعظم أوربا الشرقية والاوقيانوسية .

وعلى ذلك فإن ٥٠ ٪ من سكان العالم وهم من يعيشون فى المجتمعات المتخلفة ينبغى أن يلجأوا إلى استخدام إجراء اجتماعى طبى صارم لمواجهة الزيادة البشرية الرهيبة والتى تنذرهم بأوخم العواقب ، وبالرغم من ذلك يقفون أمامها ولا حول لهم ولا قوة .

وعلى هؤلاء من وجهة نظرنا ألا ينتظروا النكبات أو الأوبئة أو الحروب التى تقلل من عدد سكان مجتمعاتهم ، وإنما عليهم أن يعملوا على استخدام نظرية الصفر السكانى أو النظرية الاجتماعية السكانية . . بمعنى ألا يزيد عدد المواليد عن عدد الوفيات حتى يتوقف عدد السكان فى كل المجتمعات عن النمو إلى فترة وجيزة ثم يعود إلى التراجع قليلا بعد ذلك .

ولنضرب مثلا على ذلك من مصر ، ففى سنة ١٩٧٢ كانت جملة عدد المواليد الاحياء ١١٨٧٢٨٦ وكانت جملة الوفيات ٤٩٩٦٣٨ وبالتالى بلغت الزيادة الطبيعية ٦٨٧٦٥٨ نسمة والمطلوب طبقا لنظريتنا أن نتخلص من هذه الزيادة الطبيعية قبل وقوعها ، أى أن يكون عدد المواليد مساويا - إلى حد ما - لعدد الوفيات . ولن يتحقق لنا ذلك بعمل سحرى ، وإنما بقانون لتنظيم الإنجاب . وعلى ألا يحرم هذا القانون مواطننا من حقه فى الإنجاب من أجل إشباع دوافع الأبوة او الأمومة لديه ، وإنما فى نفس الوقت لا يبالغ فى الإنجاب بصورة تضر بالمجتمع وتضر به هو من قبل ذلك . والطريق إلى ذلك الا يسمح القانون لأى مواطن بإنجاب أكثر من إثنين من الأبناء بنين فقط أو بنات فقط أو بنين وبنات إلا فى حالات الضرورة القصوى . وسوف لا يؤدى ذلك إلى تطابق عدد المواليد مع عدد الوفيات على الفور ، ولكنه سينتهى

إلى ذلك على التدريج . وقد يعترض البعض بأن السلوك الإنجابى يمكن تنظيمه بالثقافة وبالتعليم وليس بالقانون ، ولكننا نقول مع القائل بأن الله يذع بالسلطان مالا يذع بالقرآن .

هذا وهناك مجتمعات كثيرة طبقا لإحصاءات سنة ١٩٧٢ قد توصلت إلى مستوى من النمو السكانى قريب من هذا الذى نقترحه بمحض ظروفها الاجتماعية والثقافية مثل ألمانيا الغربية التى يبلغ عدد سكانها حوالى ٦١ مليونا ومعدل المواليد فيها ١١٫٤ لكل ألف ومعدل الوفيات ١١٫٨ لكل ألف . ومعنى ذلك أن معدل الزيادة الطبيعية فيها بالناقص (—٠٫٤) لكل ألف . ويزيد هذا المعدل المنخفض فى ألمانيا الشرقية — ٢٫٠ لكل ألف من السكان ، بينما فى بلجيكا التى يبلغ عدد سكانها حوالى عشرة ملايين كان معدل المواليد ١٣٫٨ لكل ألف ومعدل الوفيات ١٢٫٠ لكل ألف ، وبالتالى كان معدل الزيادة الطبيعية ١٫٨ لكل ألف من السكان . . . وفى المملكة المتحدة كان عدد السكان حوالى ٥٦ مليون وكان معدل المواليد ١٤٫٩ لكل ألف ومعدل الوفيات ١٢٫١ لكل ألف وبالتالى كان معدل الزيادة الطبيعية ٢٫٨ لكل ألف من السكان[1] . . . بينما كان عدد سكان مصر فى نفس السنة حوالى ٣٤ مليون وكان معدل المواليد ٣٤٫٤ لكل ألف ومعدل الوفيات ١٤٫٥ لكل ألف . وبالتالى كان معدل الزيادة الطبيعية ١٩٫٩ لكل ألف من السكان[2] وهو معدل واضح الارتفاع بالمقارنة إلى المعدلات السالفة الذكر .

وعلى ذلك فإذا استطعنا أن نهبط بمعدل المواليد إلى ما يوازى معدل الوفيات عن طريق إلزام كل زوجين بعدم إنجاب أكثر من إثنين ، وإذا انفصلا وتزوج أحدهما أو كلاهما للمرة الثانية من زوج أو زوجة لم تنجب من قبل ، فمن الضرورى الا تسمح له أولها بإنجاب أكثر من واحد فقط .

---

1 — U. N. ; Demographic year Book, 1972 .

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء « احصاءات المواليد والوفيات سنة ١٩٧٢ » مرجع سابق ؛ صفحة ٣

وبذلك يمكن أن نتجنب المشاكل الحادة المتوقعة لزيادة السكان فى المستقبل . وحبذا لو أخذت كل دول العالم الثالث التى تعانى من الكثافة السكانية العالية بهذه النظرية ، فإنها يمكن أن ترنو بأبصارها إلى مستقبل أزهى مما هى فيه اجتماعيا واقتصاديا ، بل وسياسيا .

وتلك النظرية سوف يهاجمها الماركسيون لأنهم يرون فى تنظيم الأسرة العدو الأول للشيوعية على اعتبار أن تنظيم الأسرة سيقلل من البؤس فى العالم ، وهم يرغبون فى زيادة البؤس والبؤساء . حتى تنقسم المجتمعات إلى طبقتين إحداهما أكثر عددا وأسوأ حالا والأخرى أقل عدداً وأسعد حالا ، وبالتالى تقضى الطبقة الأولى على الثانية وتتحقق الشيوعية وعلم الاجتماع يرفض تحقيق أى نظام اجتماعى بالدم طبقا للأساليب الماركسية غير الانسانية .

هذا ما أراه ، فماذا ترون أنتم أيها المصريون ، وغيركم من سكان المجتمعات الآخذة فى النمو والمتخلفة ؟ إن الذى أراه وأعتقد أنكم تشاركوننى فى هذا الرأى — بعد ما أدركنا أبعاد مشكلة النمو السكانى السريع فى العالم وفى مصر — أن يكون كل منكم مثالا ولا ينجب أكثر من طفلين . . لكى يستطيع كل منا أن يساهم فى توفير حياة طيبة لهذين الطفلين .

إن الوصول إلى نقطة الصفر فى النمو السكانى مسألة تتوقف على قرار الفرد (أو عدم قدرته على الحسم فى مختلف الأمور) وقرار المجتمع . . . مسألة تتوقف على رغبات الأسرة ومشتهياتها فى وجه حاجات المجتمع . . إنه الفرق بين تنظيم الإنجاب وتنظيم السكان .

فلنتأمل هذا الفرق عن طريق الغوص فى أعماق مسألة تنظيم الإنجاب فى الفصل التالى :

الفصل السادس

تنظيم الأسرة

يقصد بمفهوم « تنظيم الأسرة » Family planning مجهودات الأسرة لإنجاب كثير أو قليل من الأطفال طبقاً لرغبتها . وتنظيم الأسرة هو فى الواقع أحد الحلول الحاسمة والمناسبة لمشكلة الإفراط السكانى Over pupulation فى كل أنحاء العالم ، والخطوة الأولى فى العلاج الإيجابى السريع لأزمات الجوع المتوقعة على المدى القريب بالرغم من أن تنظيم الأسرة لايزال تحت السيطرة المباشرة لإرادات الأفراد ، بعكس غيره من الحلول مثل الهجرة ، والتنمية الإقتصادية والإجتماعية اللذان يتوقفان إلى حـــد بعيد على ظروف خارج نطاق قدرات الأفراد .

هـــذا وتنظيم الأسرة يختلف عن مفهوم آخر وهو « تنظيم النسل » population Control ويقصد به جهود المجتمع للتأثير على معدلات نمو السكان فى مجموعهم داخل المجتمع بالتشجيع على إستخدام الوسائل والأساليب المانعة للحمل ، وباستخدام خطط التنمية الإقتصادية والإجتماعية وغيرها من أجل مضاعفة الدخل القومى لمواجهة متطلبات السكان الحاليين والقادمين .

وهذان المفهومان يختلفان عن مفهوم « تحديد النسل » كما هو معروف فى الصين مثلا، والتى تقضى قوانينها بالإجهاض الإجبارى بعد عدد محدد من الأبناء لكل فرد بشروط معينة. والتحديد هو الوقوف بالذرية عند حد معين لايتعداه كل من الرجل والمرأة ، واللجوء فى ذلك إلى تعقيم الرجل والمرأة بعد حد معين من الذرية . وهذا حرام . لما يستتبع ذلك من الحسرة أو الحزن عند فقد الأولاد ، بعد حين ولا يستطيع كلاهما فيه الإنجاب .

هـذا ومفهوم تنظيم الأسرة — وكما يطبق حاليا فى مصر — يعنى به الملاءمة بين حجم الأسرة وظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية . ولئن كان تنظيم الأسرة الآن فى مصر يقصد به التحديد الجزئى للسكان بأساليب شرعية، فإن مرد ذلك هو عدم ملاءمة الموارد الاقتصادية المتاحة حاليا مع عدد من السكان . وكذلك إلى ارتفاع معدلات النمو الاقتصادية بنفس درجة ارتفاع معدلات النمو السكانى . غير أن هذا لا يمنع إذا ما تغيرت الظروف فى مجتمع مثل مجتمعنا عن طريق تفوق حجم الموارد الاقتصادية على الموارد السكانية ، من إعادة النظر فى سياسة التنظيم الحـــالية ، لتبنى على أساس تشجيع زيادة النسل ، أو الاحتفاظ بمعدل معين طبقاً للظروف .

ومن هنا يمكن القول أن « تنظيم الأسرة » مفهوم مرن يستهدف التحكم فى معدلات النمو السكانى . وبالتالى فى الحجم الكلى للسكان ، ليصبح الحجم الأمثل الذى يلائم ظروف المجتمع . وبذلك فإن تنظيم الأسرة يمكن أن يعمل ، فى حالة الحاجة الشديدة إلى الأيدى العاملة وزيادة الموارد الاقتصادية ، يعمل على تخفيض عدد السكان . وذلك بجوار مساعدة المرأة العقيم على إشباع دوافع الأمومة لديها .

تنظيم الأسرة فى الماضى :

تتكاثر المخلوقات إما عن طريق التوالد أو البيض أو البذور بشكل يتميز بالغذارة طبقا لحكمة إلهية ، حتى يستمر الوجود الكونى بما ينطوى عليه من بشر وحيوانات وطيور وأسماك وحشرات وما إلى ذلك من مخلوقات . وقد ساعد على استمرار الرغبة الشديدة فى الإنجاب لدى البشر ذلك الأمر الإلهى الذى ورد فى التوراة موجها إلى نوح وقومه عقب الطوفان الذى قضى على كل البشر دون نوح وزوجه وأبناؤهما الثلاثة وزوجات الأبناء الثلاث فى قوله « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » فبالرغم من أن هذا الأمر كان مرهونا

بظروف مؤقتة ، فقد تمسك به رجال الدين إلى يومنا هذا ، حتى أصبح عادة لدى كل البشر لمواجهة الأوبئة والأمراض التى كانت تحصد الملايين من البشر بين آونة وأخرى .

ولعل أول أسلوب غير مباشر لتنظيم النسل — دون ما معرفة بهذا المفهوم — هو الاعتزال الطويل للنساء عقب الوضع ، والذى كان يمتد إلى أكثر من عام كامل حتى تتطهر الوالدة من نجس الوضع . كما كانت عشائر « أرونتا » فى استراليا أيضاً لا تتردد فى قتل أى وليد مهما كان نوعه إذا لم تكن الأم قد فرغت بعد من إرضاع الوليد السابق . وكانت المعتقدات الخرافية والمحظورات العقائدية تساعد أفراد تلك القبائل على استخدام هذا الأسلوب . وتتشابه هذه الأساليب أيضا مع تحريم المخالطة الجنسية للنساء ، إلا فى مواسم محدودة ، وإن كان الأسلوب الأخير ليس بفعالية الأساليب الأولى .

ومن الأساليب القديمة غير المباشرة — أيضا — والتى رفضتها الأديان السماوية ، ذلك الأسلوب الذى ظهر نتيجة لعادة الاسكيمو Eskimos وسكان استراليا البدائيين ، وهو وأد البنات الوليدات من أجل زيادة عدد الذكور على الإناث . وقد هذا الأسلوب إلى نظام تعدد الأزواج[1] polygamous system (عدة أزواج لإمرأة واحدة) وتحريم الزواج ثانية على الأرامل من الرجال . هذا وقد عرف الفراعنة المصريون طريقة « العزل » كأسلوب مباشر من أساليب تنظيم الأسرة .

ويمكن إعتبار وأد البنات أيضاً لدى عرب الجاهلية أسلوبا من الأساليب غير المباشرة لتنظيم النسل . وقد قرر القرآن الكريم تحريم وأد البنات تحريما قاطعا بقوله تعالى « وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت » آية ٨ ، ٩ من سورة التكوير .

---

1 — Abraham, J. H. ; Sociology. The English universities press Limited. London, 1966, p. 126

تلك هى بعض نماذج لأساليب تنظيم النسل فى الماضى وكلها أساليب غير مباشرة فى الغالب. على حين أن تنظيم الأسرة بصورته الحديثة لم يعرف إلا فى أواخر القرن الماضى بتأثير الحركة الفكرية التى أثارتها نظرية مالتس حول الإفراط السكانى والندرة الغذائية.

الأديان السماوية وتنظيم الأسرة :

أوضحنا من قبل أن تنظيم الأسرة يختلف عن تحديد النسل أو تنظيم السكان ومثل تلك المفاهيم تلقى معارضة شديدة من المتخصصين فى الدين حتى من قبل التعرف على مضامينها، الأمر الذى يتطلب تحليل هذا الموضوع دينيا وإجتماعيا ليكون الأمر واضحا للجميع.

هذا وهناك دافعان يحكمان السلوك الإنجابى وهما :

١ — حافز يدفع الإنسان إلى الاستمتاع بالحياة.

٢ — باعث إجتماعى يدفعه إلى أن يترك مولودا على صورته عن طريق إنجاب الأطفال.

غير أن الإنسان باعتباره حيوانا عاقلا ينبغى أن يقدم العقل على العاطفة، بمعنى أنه وهو يميل إلى إنجاب الأطفال (حافز) يبحث — أو يجب أن يبحث — عن المحافظة على مستوى معيشى معين لهؤلاء الذين سينجبهم (باعث) فإذا توافق الدافع والباعث وهما «الرغبة فى إشباع الدوافع الجنسية» مع «الرغبة فى إشباع دوافع الأبوة والأمومة» فإنه لن تكون هناك ثمة مشكلة. أما إذا سيطرت الرغبة الأولى دون تقدير للرغبة الثانية، كما هو الحال لدى غالبية سكان المجتمعات المتخلفة والآخذة فى النمو، فإن النتيجة لكل ذلك هى إفراط سكانى مدمر.

فهل نأخذ برأى «مالتس وغاندى» وغيرهما ونطالب الشباب المقبل على الزواج بالتعفف «وتأجيل الزواج» أو الزهد فى الزواج، مع مايترتب على

ذلك من انحرافات أخلاقية واضطرابات نفسية وعقلية وأمراض جسمانية ؟ .. أم نأخذ بتنظيم الأسرة ؟

الواقع أن تنظيم الأسرة هو أفضل الحلول المتاحة لمواجهة مشكلة الإفراط السكانى ، لاسيما وأن تنظيم الأسرة لا يتجاهل إشباع الرغبتين اللتين تقوم عليهما الحياة الزوجية ، وذلك عن طريق تمكين الإنسان من إشباع دوافعه الجنسية دون الخوف من إنجاب أطفال غير مرغوب فيهم . أى أن تنظيم الأسرة كما وصفه كاتب هندى هو « أحد الاكتشافات التى تدخل السعادة والسرور إلى قلوب الملايين من السكان ، وخاصة الفقراء منهم »[١] .

غير أن المتخصصين فى الأديان اعتبروا ذلك تدخلا فى إرادة الخالق ، أو على الأقل اعتبروا ذلك من الجرائم الخلقية . ولكن الجرائم الخلقية من المعايير التى يضعها الإنسان لتقويم علاقات ومعاملات الناس فى المجتمع . والأخلاق كظاهرة إجتماعية تتصف بالنسبية ومن ثم فإن مايعتبر جريمة أخلاقية فى مصر ، قد لا يعتبر كذلك فى السويد على سبيل المثال ، بمعنى أن اختلاف الزمان والمكان له تأثيره على مقاييس الأخلاق . ولقد كان الرجل — على سبيل المثال — قبل الاسلام يتزوج أى عدد من النساء يريده ، ويتخذ من الإماء مايشاء ، حتى جاء الإسلام وأباح للرجل أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ووضع لذلك شروطا مانعة تكاد تقضى بالزواج من واحدة فقط . « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . . » وهانحن أولاء نجد الذين ارتقوا حضاريا فى مجتمعنا يكتفون بزوجة واحدة ، أما الإماء ، فقد وضع الإسلام شروطا لتحرير تلك الطبقة وتحررت بالفعل[٢] . ولذلك نرى أن ما أباحه

---

(١) دكتور س . شاندرا سكهار : مشكلة السكان وخطة تحديد النسل فى الهند ترجمة خديجة برادة ومراجعة محمود عبد الحميد عثمان . مطابع الدار القومية ، صفحة ٢٧ .

(٢) أنظر مقالا لنا بعنوان «التخطيط الاجتماعى الإسلامى » مجلة « منبر الإسلام» عدد أغسطس ١٩٧٤

الدين قد أصبحت الإستجابة له تتفق مع روح التحضر التي وصلنا إليها . وعلى هذا فإن ما يتصل بالعادات والأعراف والتقاليد حول موضوع الإنجاب يمكن أن يخضع للتطوير بالصورة التي تتفق مع صالح المجتمع .

فما هو موقف الأديان السماوية من موضوع تنظيم الأسرة في ضوء كل هذا ؟ :

أولا : الديانة اليهودية وتنظيم الأسرة :

يعارض رجال الدين اليهودي أسلوب تنظيم الأسرة على أساس النص الوارد في التوراة « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » وسبق أن أوضحنا أن هذا النص كان مرهونا بحادث عارض وليس سياسة سماوية دائمة . هذا بالإضافة إلى عدم وجود نص في العهد القديم يدعو إلى تنظيم الأسرة ، فضلا عن دعوى الديانة اليهودية إلى تعدد الزوجات « وامرأة مع أختها لا تتخذ لتكون ضرتها لتكشف سوءتها معها في حياتها »[1] . وقد أثار هذا النص خلافا بين أحبار اليهود حول المقصود بالأخت هنا التي يحرم الزواج عليها . وكان الرأي الغالب أن المقصود بالأخت هنا هو الأخت الشرعية ، شقيقة لأب أو لأم . وما عدا ذلك فإن التوراة تجيز تعدد الزوجات بشرط ألا يكون بين الزوجات أختان في عصمة رجل واحد . غير أن المستوى الحضاري الذي يتمتع به غالبية اليهود يدفعهم ذاتيا إلى تنظيم أسرهم على اعتبار أن النصوص الدينية اليهودية لم تحرم تنظيم الأسرة .

ثانيا : الديانة المسيحية وتنظيم الأسرة :

تنقسم الديانة المسيحية إلى ثلاثة مذاهب رئيسية هي الكاثوليكية والبروتستانتينية والأرثوذكسية ، ولكل مذهب من هذه المذاهب موقف ما من تنظيم الأسرة نعرض له فيما يلي :

---

(١) سفر الأحبار ، الأصحاح ١٨ العدد ١٨ .

١ ـ الكاثوليك وتنظيم الأسرة :

حتى قبل سنة ١٩٣٠ كان الكاثوليك يرون عدم مشروعية تنظيم الأسرة ، إستنادا إلى أن الإنسان صورة من خالقه سبحانه وتعالى ، الذى وهب لنا أجسادنا ، وجعل لكل عضو فيها وظيفة يقوم بها[١]. وترتيبا على ذلك يرون أن أى محاولة لمنع أى عضو من هذه الأعضاء من ممارسة الوظيفة التى خلق من أجلها يعتبر خطيئة .

وإزاء الدعوة الجارفة لضرورة تنظيم الأسرة ، واجهت الكنيسة الكاثوليكية فى الثلاثينيات من هذا القرن مجموعة من التساؤلات من اتباع هذا المذهب حول تحديد حجم الأسرة بمثل هذه الطريقة ؟ وما هو تخطيط الكنيسة لعملية تحديد حجم الأسرة بمثل هذه الطريقة ؟ وهل توافق الكنيسة على أن يمارس الآباء وسائل منع الحمل ؟ وما هى المسئولية الدينية التى يمكن أن يتحملها الآباء فى حالة اتخاذ قرارات وتنفيذها من أجل تحديد حجم الأسرة . وفى حالة موافقتها ، فما هى الوسائل التى تحددها لتحقيق هذا الهدف ؟

ونتيجة للخلافات المتعددة بين رجال المذهب الكاثوليكى أصدر البابا « بيوس الحادى عشر » Pope Pius فى بيانه الدورى المشهور سنة ١٩٣٠ فقرة تحت عنوان « حول الزواج المسيحى » Gasti Connubii تؤكد التحريم الكاثوليكى لاستخدام الوسائل الصناعية فى تنظيم الأسرة . غير أن فقرة أخرى وردت فى البيان الذى صدر سنة ١٩٣١ تشير إلى أن معارضة الكنيسة لاستخدام منع الحمل يقصد بها هؤلاء الذين يستخدمونها فى إيقاف الإنجاب

---

(١) الإنجيل ، الإصحاح ١ ـ ٢٦ « إن الله خلق الرجل على صورته ، وجاء فى سفر التكوين ٢٦ ، ٢٧ » نعمل الإنسان على صورتنا ، كشبهنا فيتسلطون على أسماك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل ما فى الأرض ، من الدواب التى تدب عليها ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكورا وأناثا خلقهم » .

أو بالأحرى منعه نهائيا عن عمد . ومن هنا فإن إستخدام أية وسيلة مهما كان نوعها — من وجهة نظر الكنيسة — من أجل هذا الغرض يؤدى إلى الإخلال بالقوة الطبيعية لخلق حياة جديدة ، يعتبر إنتهاكا وعدوانا على قانون الرب والطبيعة وعلى ذلك ترى الكنيسة أن هؤلاء الذين ينغمسون فى مثل هذا العمل موصومون بارتكاب خطيئة كبرى .

ومعنى ذلك أن إعتراض الكنيسة ليس على تحديد حجم الأسرة طبقا للإمكانات الاقتصادية والإجتماعية لعائلها ، وإنما على منع الإنجاب نهائيا ، فقد أباح الوسيلة التى يطلق عليها اسم « فترة الأمان » أو الوسيلة المتناسقة مع العادة الشهرية Rhythm Method ، وهى وسيلة فسيولوجية بحتة ، حيث قال البابا بيوس : إن هؤلاء المتزوجين الذين يستخدمون حقهم بطريقة حكيمة ضد الطبيعة لوقف الإنجاب لا يرتكبون إثما ضد المجتمع ، لأن الزواج واستخدام حقوق الزواج يتضمن أيضا بعض الأهداف الثانوية مثل التعاون والمساعدة وحتى جنى ثمار الحب المتبادل ، طالما أن الطبيعة الخاصة بإنجاب الأطفال لا تزال قائمة دون إلغاء »[1] .

وفى سنة ١٩٥١ عادت الكنيسة الكاثوليكية على لسان البابا بيوس الثانى عشر فى حديثه أمام مجموعة من السيدات فى شهر أكتوبر من تلك السنة معلنا أن هناك بعض الظروف الخاصة التى يمكن فيها استثناء الزوجين من الإلتزام العادى بإنجاب الأطفال ، وبعد شهر من ذلك التاريخ قال قداسته أمام « منظمة الأسرة » ما نصه « إننا نؤكد شرعية الإتجاهات الخاصة بتنظيم إنجاب الأطفال بالطريقة التى لا تتعارض مع قانون الرب ، بعكس ما يسمونه باسم « تحديد النسل » ونأمل أن يستطيع العلم أن يتوصل إلى وسيلة علمية وميسورة تقوم على أساس الوسيلة المتناسقة « فترة الأمان » وتكون

1—Casti Connubii, Encyclical Letter of Pope Pius given on december. 31, Paulist Press, N. Y., P. 17.

مضمونة النتائج . أما استخدام الوسائل الصناعية ، أى الميكانيكية أو الجرثومية ، لتحديد النسل فإنها تنتهك وتخرق مايطلق عليه اسم القانون الطبيعى .

وعلى ذلك فإن الكاثوليك غير ممنوعين دينيا من تحديد حجم الأسرة إذا لجأوا إلى الوسائل الطبيعية مثل التعفف والإمتناع أو إتباع الوسيلة المتناسقة . ومعنى ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية توافق على تنظيم الأسرة بالوسائل المتناسقة ، وسوف يتبين لنا فى نهاية هذا الفصل ، أن اللوالب أو أقراص منع الحمل هى وسائل تنسيقية فى هدفها ، بينما تعارض الكنيسة الأساليب غير الطبيعية فى تحقيق هذا الهدف .

ب — البروتستانت وتنظيم الأسرة :

لقد أكدت مجموعة الكنائس الرئيسية للمذهب البروتستانتى وهى الكنائس الأسقفية ، النظامية ، اللوثرية ، البريسبيترية ، والمسيحية المتحدة(١) موافقتها على مدى أهمية القرار الدينى والأدبى الذى يتخذه الآباء فى مجال تحديد عدد الابناء وعدد مرات الحمل ، مع الموافقة على استخدام جميع وسائل منع الحمل ، وإتباع أساليب تحديد حجم العائلة . وبجوار ذلك فقد رفضت كل تلك الكنائس الإجهاض رفضا قاطعا ، وعبرت عن احتياجات العالم إلى دراسات جديدة حول السماح بما يعرف بالعقم الاختيارى .

وعلى ذلك فلاغبار على لجوء الأبوين إلى تنظيم الأسرة من أجل تحديد حجم العائلة ، حيث وافقت الكنائس البروتستانتينية على إطلاق الحرية للأبوين لاستخدام مامنحه العلم لهما لتحديد حجم الأسرة بصورة خلقية بشرط موافقة الطرفين على استخدام تلك الوسيلة ، وبشرط ألا تكون ضارة بالصحة العامة

---

1 — Episcopal church, Methohcdist church, Lutheian chuich, presbyterian church, and united church of chiist.

وأن تكون مناسبة وفعالة . أما الوسيلة الدورية ، أى الوسيلة المتناسقة السابقة ، فقد تعتبر أنسب الوسائل لبعض الازواج ولكنها ليست كذلك للآخرين . ومعنى ذلك أنها ليست مثالية من الناحية الخلقية . ولهذا فإن الاعتقاد البروتستانتى العام هو أن الدافع وليست الوسيلة هى التى يجب أن تشكل الاتجاه الأساسى للمسألة الخلقية .

وحتى تتلاقى قواعد الدين مع أهداف كل من الأسرة والمجتمع ترى غالبية الكنائس البروتستانتينية إلتزام كل أسرة بمراعاة مايلى :

١ — للوالدين الحق فى إنجاب الأطفال وحبهم ، ورعايتهم وتعليمهم وتدريبهم على عبادة الرب واحترام تعاليمه . وللأطفال الموجودين الحق فى رعاية آبائهم لهم ، وفى إشباع كل حاجاتهم الاجتماعية .

٢ — على الوالدين أن يتبصرا بصحة الطفل المتوقع ورفاهيته فوق ماهو موجود لديهم من الأطفال ، والنظر بعين الاعتبار إلى احتياجات الأطفال وأماكن إقامتهم داخل المنزل .

٣ — الاهتمام برعاية الزوجة الوالدة من الناحية الصحية ، بمعنى ألا تؤدى كثرة الإنجاب إلى إرهاقها صحيا .

٤ — مراعاة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، حتى لا يؤدى الإفراط فى الإنجاب إلى خلق ضغوط هائلة على المؤسسات والمرافق العامة فى المجتمع ، مع المخاطرة بالنظام الاجتماعى .

ج — الارثوذكس وتنظيم الأسرة :

لا يختلف موقف الكنيسة الارثوذكسية كثيرا عن الكنيسة البروتستانتينية فى موضوع تنظيم الأسرة ، فقد أعلن أحد المسئولين فى الكنيسة الأرثوذكسية « القبطية » بأن « التناسل بدون تنظيم وبدون نظرة واقعية للمسئوليات التى

تتطلبها تنشئة الأطفال ورعايتهم فى ظل تعاليم الرب ، يعتبر خطيئة متعمدة . ولذلك يجب أن تقوم الصلة الجنسية بين الزوجين على أساس الترتيب واللياقة والنظر بعين الاعتبار إلى الظروف التى تعيش فيها الأسرة بشرط عدم إتباع الطرق التى فيها قتل الروح مثل الإجهاض » .

هذا وقد قرر مؤتمر الكنائس العالمى الذى عقد سنة ١٩٥٩ أن « على الزوجين أن يمارسا سلطاتهما ومسئولياتهما أمام الرب نحو إعداد أطفالهما . وهذا يتطلب التخطيط لحمايتهما الأبوية بالنسبة لقدراتهما على إمداد أطفالهما بالغذاء المادى والروحى والسلوك المستقيم ، ويجب أن يكون لصحة الأم اعتبار فى هذا الشأن ، كما يجب أن يتفق تحديد عدد الأطفال مع إمكانات القدرة الحيوية بالنسبة لتكوين هؤلاء الأطفال . أما اختيار وسائل تنظيم الأسرة وطرقها فمن الضرورى أن تكون من المسئوليات الطبية الكاملة للطبيب المختص » .

هذا وقد قرر مجلس الكنائس المسيحية القومى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى بيانه الذى صدر سنة ١٩٦١ الإلتفات بعين الاعتبار إلى الوسائل المسموح بها لتحديد حجم العائلة كضرورة إجتماعية ، وأضاف البيان ما نصه « إن إنجاب الأطفال يعتبر مخاطرة تتطلب درجة عالية من الشجاعة والثقة بعظمة الرب . ويجب أن نؤكد هنا أنه لا يوجــــد اختلاف كبير بين البروتستانت وبقية المذاهب المسيحية الأخرى حول ضرورة رفاهية الأسرة وصيانتها طبيا وإجتماعيا وإقتصاديا » .

وهكذا فإن الديانة المسيحية لا تمانع فى تنظيم الأسرة بالصورة التى يطبق بها هذا التنظيم فى مصر .

ثالثا : الديانة الاسلامية وتنظيم الأسرة :

إذا كان النظام أساسا فى جميــع المعاملات ، فهو أيضا أساس فى جميــع

العبادات ، والأمثلة بين أيدينا كثيرة من مواقيت الصلاة والصوم والحج ومقادير الزكاة وحساب الأحوال الشخصية من حقوق وواجبات ، فلا دين بغير تنظيم . فإذا انتقلنا من هذه الدائرة الواسعة إلى دائرة تنظيم الأسرة ، وجدنا هدفا رئيسيا ومحورا تدور حوله الحياة فيها ، هو الحب القائم على أساس من الوعي والشعور بالمسئولية . فما هو تنظيم الاسلام للأسرة ؟

لقد اختلف رأى الكثير من علماء الدين الإسلامى حول ما إذا كان الدين قد تعرض فى جوهره أو فى قواعده العرضية لموضوع تنظيم الأسرة ، ومنع وقوع الحمل وتحديد النسل ... أم لم يتعرض لمثل هذه المسألة بالتوضيح القاطع ؟ وقد نشأ هذا الاختلاف فى حقيقة الأمر بسبب عدم وجود نص صريح فى القرآن الكريم أو فى الأحاديث القدسية أو فى الأحاديث النبوية ، يشير إلى الأخذ بمبادىء تحديد النسل أو ممارسة وسائل منع الحمل ، على أساس أن تلك هى المصادر الأساسية للتعاليم الدينية الإسلامية . بل إن العكس هو الصحيح ، ذلك أن الدين الإسلامى يحض على التحلى بالأخلاق الفاضلة ، ومن ذلك دعوته إلى الزواج أو التعفف إذا تعذر ذلك الزواج ، تطبيقا للحديث النبوى الشريف ، حيث قال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب . . . من استطاع منكم الباءة — أى القدرة على الإنفاق على نفسه وزوجته ومايتجبانه من أطفال — فليتزوج ، وإلا فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء[1] . وإذا كان قادرا على الوفاء بأعباء الزوجية فإن عليه أن يعمل بما يحقق السعادة له ولذريته وذلك يحتاج منه إلى النظر فى موارده والعمل الدائب على تنميتها ، وفى ضوء ذلك فإن عليه أن يعيش فى الإطار الذى وضعه القدر فيه ، ومن خلاله ينشد السعادة لأسرته وثمارها وهم أبناؤه .

والإسلام لم يحدد عددا معينا من الذرية ، بل ترك ذلك لعوامل كثيرة

---

(١) الترغيب ج ٤ صفحة ١١٤ .

أهمها : مقدار تحمل كل من الزوجين لأعباء المعيشة بالنسبة الأولاد حتى يمكنهم الاعتماد على أنفسهم ، وعلى أساس ذلك تكون القلة أو الكثرة فى الأولاد . وهو يهدف إلى مراعاة هذه الظروف بالنسبة للولد وأبويه . وهذا هو هدى الإسلام .

ولقد وجه الإسلام إلى الأخذ بما يتيح فرصة بين كل مولود وآخر تجعل كلا من الوالدين يتفرغ لرعاية الولد حتى ينضج بعض النضج ولا يزاحم بمولود آخر يحرمه بعض ماكان يتمتع به من رعاية صحية وراحة نفسية ، فرغب فى الرضاع فترة معينة تتفرغ فيها الأم لمولودها . فقال تعالى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » آية ٢٣٣ من سورة البقرة .

ومع ذلك فإن الإسلام يحض على الزواج وعلى التكاثر تطبيقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا فأنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » غير أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يباهى بالمسلمين يوم القيامة ، إذا كانوا أمة لم تحسن تربية أبنائها ورعايتهم . والمباهاة هنا ـ أساسا ـ مباهاة نوعية وليست كمية ـ فالكثرة لاترتبط فى القرآن بالفضل دائما.

وفى هذا نقرأ قول الله تعالى « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » آية ١٦٦ من سورة الأنعام ، فهل هؤلاء أكثر من فى الأرض مجالا للمباهاة والمفاضلة ؟ .

ويقول الله تعالى أيضا « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » آية ٧٤ من سورة الفرقان . ومعنى ذلك أن تكون الذرية قرة أعين . غير أن الإنسان لا تقر عينه بولده لا يستطيع حسن تربيته وتوفير كل متطلباته . ذلك أن الأب لا يفخر ولا يسعد إلا بابنه الموفق ، يذكره دائما ، بينما يتحاشى ذكر ولده إذا كان فاشلا أو منحرفا . ولذلك فإن

الزواج فى الإسلام تختلف ضرورته من إنسان إلى آخر ، حيث يقول صاحب الدر المختار « الزواج يكون فرضا عند تيقن الزنا لو لم يتزوج ، وواجبا عند شدة الاشتياق إلى النساء وسنة حالة الإعتدال أو المقدرة على المهر والنفقة ، ومكروها عند خوف الجور على الزوجة وحرا ما إذا يتقن الجور والظلم »(١)

ولو نظرنا إلى الدين الإسلامى كظاهرة اجتماعية ، فأننا نعتقد أن مشكلة الإفراط فى الإنجاب لم تكن قد وضحت على هذه الصورة فى صدر الإسلام . ومن ثم خلت تلك الفترة من أى نص يدعو إلى تنظيم الأسرة ، كما أن الإنسان لم يكن مقيدا بحدود جغرافية أو سياسية . ذلك أن الإسلام يدعو إلى الهجرة فى ملكوت الله حيث يوجد الرزق وتوجد الحرية وتوجد الكرامة « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا إليها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » آية ٧٨ من سورة النساء .

وفى عصرنا الحالى ازدحم سطح الكرة الأرضية بما فوقه من البشر ، فقد بدأت دراسة الموضوع بصورة تتفق مع الظروف الحالية . ومع ذلك فهناك من يستند فى دعوته إلى عدم إتباع وسائل منع الحمل ، على اعتبار أن القرآن الكريم يعتبر الأبناء - كالمال - زينة الحياة الدنيا « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » على حين أننا نرى أن هناك بعض الآيات القرآنية التى لو اجتهدنا فى تفسيرها دون تحميل كلماتها أية معانى إضافية ، لوجدناها تدعو إلى تنظيم الأسرة ، حيث تنص إحدى الآيات على أن « البنين » ليسوا زينة الحياة الدنيا دائما ، وإنما قد ينقلبوا إلى أعداء إذا لم يجدوا الطعام واللباس والتعليم والسكن والعمل . . . ونص هذه الآية « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم

---

(١) صاحب الدر المختار : شرح تنوير الأبصار ؛ حاشية ابن عابدين عليه . الجزء الثانى ، طبعة بولاق الثالثة . القاهرة ١٢٢٧ هجرية ، صفحة ٢٦٧ ؛ ٢٦٨ .

فاحذروهم » ، وتؤكد آية أخرى هذا المعنى ونصها «إنما أموالكم وأولادكم فتنة » وتكاد تكون الآية الأخيرة متناقضة فى المعنى مع الآية الأولى ، فنى الآية الأولى نجد المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وهى فى الآية الأخيرة فتنة ، ولذلك ينبغى عدم الإسراف فى جمع المال وكذلك عدم الإسراف فى إنجاب الأطفال ، حتى لا يتحولوا إلى فتنة تعصف بالأسرة كلها ، لاسيما وأن هناك آية أخرى تقول « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . . » ولذلك نرى أن كثرة الإنجاب مع عدم القدرة الاقتصادية والتربوية على تربيتهم ورعايتهم وتوفير كل احتياجاتهم ، نوع من إلقاء النفس فى الهلاك ، وليس هذا من الدين فى شيء .

وقديما عرف المسلمون منع الحمل عن طريق العزل « وهو أن يطأ الرجل إمرأته فيعزل عنها قبل أن يقع الماء فيها مخافة الحبل » ويقولون أنه الموءودة الصغرى . ولذلك نزلت الآية الكريمة « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »[1] . ويراد بذلك فمن شاء عزل ومن شاء لم يعزل . وروى عن عطاء عن جابر ، قال : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل ، وما منع من العزل « متفق عليه »[2] وعن مسلم : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فلم ينهنا[3] . وكذلك عالج أئمة الطب فى الإسلام منع الحمل ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن سينا فى كتابه « القانون » من احتمال المرأة بالقطران ومسح الذكر به ، وكذلك الاحتمال بشحم الرمان ونقاع الكرنب وبذره عند الطهى وقبل الجماع وكذلك الحنظل ... إلخ[4] .

وبالرغم من ذلك فقد تعرض الكثيرون من علماء المسلمين والاسلام

(١ ، ٢) السمرقندى فى بستان العارفين ، طبعة مصر ؛ صفحة ١٠٥ .

(٣) نيل الأوطار للشوكانى : الجزء الخامس ؛ طبعة الحلبى «باب العزل» صفحة ١٦٧

(٤) ابن سينا : القانون ؛ طبعة مصر ؛ صفحة ٥٠٩ .

لمسألة تنظيم الأسرة وانتهوا إلى أنه طالما كان هناك وعيا صحيا أو اقتصاديا يدفع الزوجين إلى إتباع سبيل التنظيم فإنه يعتبر أمرا جائزا شرعا بشرط ألا تتبع أو تستخدم الوسائل المكروهة أو المحرمة دينيا مثـل وأد الأطفـال أو الإجهاض . وقد وردت أحاديث ومناقشات تشير إلى أن « العزل » أى منع إلتقاء الحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل أثناء الجماع ببويضة الأنثى داخل الرحم عن طريق القذف خارج رحم المرأة بعد إنتهاء الاتصال الجنسى، كان شائعا . وكان القصد منه منع المرأة من الحمل لأى سبب من الأسباب . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « وأنا أكره أن تحمل ، وأنا أريد ما يريد الرجال » . ذلك إن رجلا قال يا رسول الله : إن لى جارية وأنا أعزل ، وأن اليهود تحدثوا بأن العزل هو الموؤدة الصغرى ، فقال عليه الصلاة والسلام « كذبت اليهود ، لو أراد الله أن يخلقه ما استطاعت أن تصرفه » .

هذا وقد أشار الامام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » عن «العزل» وأوضح أن العزل يخضع لأربعة مذاهب[1] هى .

(ا) الاباحة المطلقة . (ب) التحريم المطلق .

(حـ) رضاء الزوج مع الزوجة .

(د) إباحته فى الأمة « الرقيق » وعدم إباحته بالنسبة للزوجة الحرة .

غير أن الامام الغزالى يميل إلى إباحة العزل إذا كانت الأسباب الداعية لذلك قوية . فإذا اعتبرنا أن العزل ليس سوى وسيلة بدائية لمنع إلتقاء الحيوان المنوى من الذكر بالبويضة الأنثوية لتلقيحها وإيقاع الحمل . وأنه كان مقبولا ومعمولا به فى عهد نزول القرآن ، فإن التوصل إلى وسائل طبية لمنع وقوع هذا الحمل يعتبر أمرا مقبولا من الناحية الدينية الاسلامية ، كبديل علمى حضارى للعزل .

---

(١) الشيخ الدكتور أحمد الشرباصى : مقال بعنوان « الدين وتنظيم الأسرة » فى مجلة « المجتمع العربى الجديد » عدد ١٠٤ فبراير ١٩٦٦ صفحات من ٢٢ – ٢٧ .

هذا وقد أباح الإسلام بأسلوب غير مباشر تأجيل الحمل لفترة مؤقتة، حيث جاء فى القرآن الكريم « الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وهذا ما دفع النبى عليه الصلاة والسلام إلى أن ينهى المرضع عن الحمل . ومن الآية السابقة يمكن القول أن فترة الرضاعة التى تستمر تسعة أشهر ، تعنى أنه يمكن تأجيل الحمل عامين كاملين وتسعة أشهر . وبذلك فإن المرأة الولود يمكن أن تنظم مواعيد ميلادها كل ثلاث سنوات . وفى هذا راحة لأجهزتها التناسلية وضمان لعدم إنهيار صحتها . ولما كان العزل هو الأسلوب المباح حينئذ لتأجيل الحمل فإن أقراص « أوفيلين ٥٠ » Ovulen half 50 التى تنتجها شركة القاهرة للأدوية والصناعات الكيماوية على سبيل المثال هى البديل العلمى الذى يتفق مع وجهة نظر الإمام الغزالى .وبذلك يمكن تحقيق الحكمة من الآية الكريمة السابقة وهى دفع الضرر الذى يقع على المولود الجديد وعلى الأم ، لأن ابن المرضع الحامل يضر بالرضيع ويضر بصحة الأم نفسها .

ومما هو جدير بالذكر أن تنظيم الأسرة بإتباع الوسائل الحديثة لتنظيم الأسرة مثل الأقراص واللوالب وما إليها لا يعتبر قتلا للنفس ، لأن النفس لم تخلق بعد حتى يقع القتل . ذلك أن إستخدام هذه الوسائل يحول دون تكوين الأجنة فى بطون أمهاتها ، وبالتالى فإن الأرواح لاتبعث فيها، حتى يمكن أن توصف هذه الوسائل بأنها قاتلة للنفس .

وعن إبن عبد الحكم أن الصحابى الجليل عمرو بن العاص أحد قادة الاسلام العسكريين الذين لا تزال خططهم العسكرية فى الفتوحات الاسلامية محل تقدير خبراء الاستراتيجية العسكرية المعاصرين والذى تولى مساعدة المصريين على طرد الاستعمار الرومانى من بلادهم فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، خاطب أهل مصر قائلا « يا معشر الناس : إياكم وأربعا فانها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة :

إياكم وكثرة العيال ، وإنخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال من غير درك ولا نوال »[١] ومن المؤكد أنه يقصد من ذلك أن البلاء يشتد ويقوى من كثرة العيال وعدم وجود ما تتطلبه حياتهم من مطالب وأسباب . ولعل هذا يعتبر دعوة صريحة إلى تنظيم الأسرة ، وفيه مراعاة للظروف الاقتصادية فى العائلة وظروف المجتمع بأسره عند إنجاب الأطفال .

على أن الاسلام وإن كان يرغب فى الكثرة ، فان ذلك لا يعنى زيادة التعساء ، وإنما زيادة الأقوياء ، فالمؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف . فاذا ما ترتب على زيادة عدد الأبناء انخفاضا فى مستوى المعيشة عن المستوى الضرورى ، أو ضررا يلحق بالزوجة أو المجتمع ؛ فان الاسلام يبيح تنظيم الأسرة بل ومنع الإنجاب فى بعض الحالات . وهذا ما أجمع عليه المفسرون فقد قال الامام الغزالى وغيره « بأن منع الإنجاب بصفة مؤقتة مباح ولا كراهة فيه ، وأن النهى إنما يكون بنص أوقياس على منصوص ، ولا نص فى الموضوع ولا أصل يقاس عليه ، بل إن الاباحة أصل يقاس عليه وهو ترك الزواج أصلا .

تنظيم الاسرة لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية :

التنظيم بمعنى تأجيل الحمل لفترة معينة بأن تستعمل المرأة طريقة من الطرق التى تؤجل الحمل ولا تمنعه ، لكى تأخذ فترة من الراحة تسترد فيها صحتها وقوتها حتى تتمكن من تربية طفلها تربية سليمة من الأمور الجائزة لأن الاسلام يدعو إلى حفظ النشىء من الإهمال والضياع[٢].

---

(١) ابن الحكم : فتوح مصر

(٢) سلسلة مكتبة الإمام التى تصدرها الادارة العامة للدعوة بوزارة الاوقاف عدد ربيع الثانى ١٣٨٩ هجرية — يوليو ١٩٦٩ صفحة ٢٢ .

هذا وعندما كان فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد المجيد سليم مفتيا للديار المصرية ، أصدر بتاريخ ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣٧ فتوى جاء فيها ما نصه « يؤخذ من نصوص الفقهاء « أنه يجوز أن تتخذ بعض الوسائل لمنع الحمل ، كإنزال الماء خارج المرأة ، أو وضع المرأة شيئا يسد رحمها ليمنع وصول ماء الرجل إليه.. وجملة القول أنه يجوز لكل من الزوجين برضاء الآخر ، أن يتخذ من الوسائل ما يمنع وصول ماء الرجل إلى الرحم منعا للتوالد ، وهذه الفتوى تجيز ، بل تقر إستخدام العزل والأقراص واللوالب . وهى صادرة عن شخصية تمثل الدين الاسلامى رسميا ودينيا .

ومن جهة أخرى فان الدكتور « فيدال » قد طلب من مشيخة الأزهر إجابة صريحة حول هذا الموضوع ، وتم تشكيل لجنة من بعض أعضاء جماعة كبار العلماء الذين يمثلون المذاهب الاسلامية الأربعة لبحث ودراسة وجوه الرأى فيه من الناحية الشرعية وقد وضع فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو اللجنة يومئذ — وشيخ الأزهر فيما بعد — مشروع الجواب ونصه « وقد بحثنا هذه المسألة ورأينا أن بعضهم يرى أن الولد حق للوالد وحده ، فله إن شاء أن يحصل عليه وإن شاء ألا يحصله . ومن أصحاب هذا الرأى الامام الغزالى . وبناء عليه يرى أن منع الحمل مباح ولا كراهة فيه ... وقد مثل « الغزالى » للباعث المباح باستبقاء جمال المرأة ونضرتها ، وبالخوف من شدة الحرج بسبب كثرة الأولاد — فالمسألة نظرية ويجب فيها مراعاة صالح الأمة من جهة الاحتفاظ بنسلها الذى يخلع عليها ثوب الحياة القومية النافعة، والشريعة لا تمنع من نافع مفيد ، وإنما تمنع من ضار مفسد للفرد وللجماعة »[١].

---

(١) الاستاذ الدكتور عبد العزيز عزت : ثورة التحرير والاصلاح الاجتماعى القاهرة ١٩٥٥ صفحة ١٤٢ وما بعدها . وكذلك إحياء علوم الدين ج ٢ صفحة ٥١

ورأى الامام الغزالى أن منع الولد مباح ولا كراهة فيه يستند إلى أن النهى إنما يكون بنص أو قياس على منصوص ، ولا نص فى الموضوع ، ولا أصل يقاس عليه ، بل فى الاباحة أصل يقاس عليه وهو ترك الزواج عند عدم المقدرة ، لقوله تعالى « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » آية ٢٣ من سورة النور .

ومن رأى الامام أبو حنيفة رضى الله عنه أن منع الحمل مباح بشرط أن تستأذن فيه الزوجة لاشتراكها فى حق الولد . قال صاحب الهداية « ولا يعزل عن زوجته إلا بإذنها لأن تحصيل الولد من حقها » وفى هذا يقول ابن عباس : تستأمر الحرة فى العزل ولا تستأمر الأمة السرية، وإن كانت أمة تحت حر كان عليه أن يستأمرها .

وقال الامام القرطبى أيضا إن النطفة ليست بشىء يقينا ولا يتعلق بها حكم إذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم فهى كما لو كانت فى صلب الرجل[1] .

وبذلك يصبح حكم العزل واضحا من الوجهة الشرعية ، وكذلك الغرض منه وهو تنظيم الإنجاب ، مع ملاحظة أن كل وسيلة مانعة من وصول ماء الرجل إلى مكانه الطبيعى من رحم الأنثى يعد عزلا إلا إذا تم ذلك بغير الوسائل الكمائية . ذلك أن الوسائل الكيميائية التى لاتؤثر فى الحيوان المنوى أو تؤثر على أجهزة الإخصاب ، وعلى كليهما معا بصفة مؤقتة فهى شبيهة بالعزل من حيث الغرض بشرط ألا تؤدى إلى العقم وأن تكون مأمونة العاقبة[2] .

وزيادة على ذلك فقد عاد الشيخ محمود شلتوت وأكد الفتوى السابقة أثناء

---

(١) القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٢ ص ١٨

(٢) سلسلة مكتبة الإمام مرجع سابق ، ص ٢٦

حديثه عن تحـــديد النسل بمعنى تنظيم الأسرة للمرأة التى يسرع إليها الحمل ، أو خشية إنتقال مرض معدى وراثى ، أو لمن لا يقدر على إعالة أولاده ، لأنه لا يجد معونة من حكومته أو من الموسرين فى أمته ، فإنه يكون مباحا له لأنه تنظيم فردى[1] .

وإذا كان الإسلام قد شرع الزواج من أجل الإنجاب والنسل ، كما جاء فى الأحاديث الشريفة « تزوجوا الودود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة » فإن مادعت إليه الشريعة من تكوين الأسرة طبقا لشرائع الزواج وأحكامه، يوضح الهدف من هذا الحديث فقد قال عمر بن الخطاب «ما أتزوج إلا لأجل الولد » بمعنى أن آيات الدعاء وأحاديث الموضوع تريد نوعية من النسل — لا كما فحسب — لأن العدد من حيث هو عدد قد يكون عبئا ثقيلا على الأسرة وعلى الدولة . وقد تنظر إليه الشريعة بعدم الاعتبار وعدم الاكتراث على نحو ما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .. قالوا : أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل إنكم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل وبقصد هنا مايسوقه السيل أمامه من البقايا التافهة وأوراق الشجر ونحوها ، فالأمر ليس أمر العدد ولكنه أمر النوع . وما كل ألف لا يعد بواحد وقديما قال القائل :

إنى لأفتح عينى حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

والله سبحانه وتعالى يقول « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ومن هنا كانت الأحاديث الموجهة إلى تربية الشباب وتأديب الأولاد « فمن حق الولد على أبيه أن يحسن أدبه ويتخير إسمه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ذلك بأنهم زينة الحياة الدنيا وذخيرة الوطن وعدة الجهاد وإمتداد أجل الآباء والأمهات وتمام آمالهم.

---

(١) الشيخ محمود شلتوت : الفتاوى .

وخلاصة ذلك أن من حق المسلم أن يحصل على الولد النافع لنفسه ولأمته لا مجرد الولد الذى قد يكون نكالا ووبالا على نفسه وأهله وبلده . وصدق الله العظيم إذ يقول « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ، وقد يهدينا إلى ذلك مثل قوله تعالى « رب هب لى من لدنك ذرية طيبة » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

ومن وجهة نظر علم الاجتماع فتساءل : كيف يتأتى لضعيف الحال كثير العيال أن يلزم أولاده وأن يحسن أدبهم ؟ وكيف يتأتى له أن يجعلهم قرة أعين وأن يوجههم ليكونوا ذرية طيبة وأولادا صالحين ؟ مادامت الشريعة الإسلامية تبيح لكل من الرجل والمرأة أن يقبل التزوج بالعقيم ومن عرف أنه لا ينجب لأى سبب من الأسباب . فإن فى ذلك إذن ضمنى لبعض الأفراد بعدم تحصيل الولد . وعلى ذلك فإن تحصيل العدد الأقل — بلا ريب — أولى من عدم التحصيل مطلقا لما فيه من استمرار بقاء الخلفاء فى الأرض .

وترتيبا على ذلك فإن الشريعة الاسلامية تبيح للزوجين أن يتجنبا سبب أسباب الحمل إذا اقتضت حالتهما ذلك وبدون اقتضاء أيضا متى رضيا بتجنبه . وقد كان بعض الصحابة يفعل ذلك على عهده صلى الله عليه وسلم ولم ينههم عنه حين علم بفعلهم كما جاء فى الأحاديث الصحيحة . فقد كان يقول فى مقام اقرارهم على مافعلوا « إن الله تعالى لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه » وهذا حق لا مرية فيه . وقد يدعونا هذا إلى فعل ما نفعل بالنسبة إلى التنظيم مع تسليم الأمر إلى الله . وعلى ذلك فإن تنظيم الأسرة على حسب ظروف الأحوال أو تنظيم الفرد لذلك فى حدود ظروفه الخاصة لا شيء فيه ، بل قد يكون مطلوبا إذا وجد موجبه . وقد يكون من موجباته قلة اليسار أو نقص للموارد أو فساد الزمان أو اختلال أحوال الناس . ولا يدخل هذا فى باب الخوف من الرزق وما يتصل بقوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » فإننا نعلم أنه « ما من دابة فى الأرض ، إلا على الله رزقها » موسعا كان أم

مضيقا . والايمان بالخالق الرازق شيء وتنظيم الأسرة فى إطار مارسمت الشريعة شيء آخر. ولا فرق بين هذا التنظيم وتنظيم أمر المعيشة فيما يصل إلى يدى المرء من موارد مع تمام إيمانه بأنه تعالى « هو الرزاق المتين » وأنه « بيده الأمر وهو على كل شيء قدير »(١) .

أما النهى عن قتل الأولاد ، فإنما يراد به عدم الاعتداء عليهم بإذهاب حياتهم بعد وجودهم . على حين أن الانتفاع بالسبب المانع من تحصيل الولد أو الامتناع عن السبب المؤدى إلى تحصيله فلا صلة له بذلك فى قليل أو كثير(٢) .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الدين الاسلامى يقر الأساليب الحديثة كتنظيم الأسرة مادامت بعيدة عن الاجهاض أو ما فيه قتل للنفس ، ذلك الدين الذى ورد فى دستوره الأساسى وهو القرآن الكريم « بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره »(٣) الأمر الذى يجعل الانسان مسئولا عن تنظيم أسرته بما يتفق مع دخله ومع إمكاناته الأخرى .

وعلم الاجتماع يقر تنظيم الأسرة باعتباره أسلوبا لايقوم على منع الإنجاب - كما يقول البعض - فذلك مخالف للشريعة وللطبيعة . ولا يقول بتشريع يقفه عند حد معين بالنسبة إلى جميع الأسر والأفراد كإثنين أو ثلاثة مثلا ، فهذا غير جائز أيضا إلا إذا زاد عدد السكان عن طاقة المجتمع . ولكنه يقول بوقوف كل أسرة على حالها وصدقها مع واقع حياتها ، وما كلفها ربها به من العناية بالأبناء والبنات وإحسان تربيتهم وتأديبهم والقوامة عليهم فى حدود مسئولية كل راع عن رعيته ، فإن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

هذا وكان الإمام أبو حامد الغزالى الملقب بحجة الاسلام رضى الله عنه ،

(١ ، ٢ ، ٣) كلمة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر السابق فى ٢٥ / ٦ / ١٩٧٢ فى المؤتمر الأول للقيادات السياسية والشعبية والتنفيذية لتنظيم الأسرة . فى مطبوعات الجهاز المركزى لتنظيم الأسرة . القاهرة ١٩٧٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

قد أجاز الإنتفاع بالسبب المؤدى إلى منع الحمل فى مراحله الأولى ، ولو كان ذلك لاستبقاء جمال الزوجة لاستدامة العشرة أو للخوف على حياتها من خطر الولادة .. كما أجاز الانتفاع به أيضا للخوف من كثرة الحرج بكثرة الأولاد أو للإحتراز من الحاجة إلى التعب فى الكسب ودخول مراحل السوء فى تحصيل ماقد يحتاجون إليه . ونكرر هنا قوله تعـــالى « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ولا نغفل فى هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم « جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء » وجهد البلاء — كما يقول صاحب القاموس — هو الحالة التى يختار عليها الموت ، أى يتمنى من أجلها الموت وقد قال إبن عباس : كثرة العيال .. أحد الفقرين ، وقلة العيال أحد اليسارين . وفى هذا الحديث يكاد الفقر أن يكون كفرا[1] والعياذ بالله .

والخلاصـــة أننا نرى أن يضع الإنسان نفسه حيث يطمئن ، ولينتفع بالرخصة الشرعية من تقتضيه ظروف أحواله الإنتفاع بها ، وما أحسب أحدا منا إلا عالج هذا الأمر فى خاصة نفسه ، وإنما الأعمال بالنيات ولكل إمرىء مانوى » .

وسائل تنظيم الاسرة :

أثناء وقوع الاتصال الجنسى بين الزوجين ، يخرج من عضو التناسل للرجل (القضيب) إلى قناة الولادة للمرأة (المهبل) مايعادل ربع ملعقة كبيرة من السائل المنوى الذى يحتوى على حوالى مليون واحدة من الحيوانات المنوية . وهذه الحيوانات تبلغ من الصغر حدا لا يمكن رؤيته إلا بواسطة المجهر . ولكل حيوان منوى رأس وذنب وهو قادر على الحركة ، ومن ثم تسبح الحيوانات المنوية إلى المهبل فيصعد بعضها إلى الرحم مجتازا فتحته الصغيرة (عنق الرحم) حتى يصل إلى قناة (فالوب) ويبقى فيها قادرا على أداء وظيفته لمدة ٤٨ ساعة .

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ٢١ ، ٢٢

على حين أن مبيض المرأة يحتوى على عدد من الحويصلات بكل منها بويضة أو بويضتين . وعندما تبلغ الفتاة سن البلوغ ينمو لديها شهريا عدد من هذه الحويصلات خلال ١٤ يوما ثم تضمر جميعها إلا واحدة تنطلق منها بويضة أصغر من النقطة فتتسرب إلى قناة فالوب . وهناك إن لم تلتق خلال ٢٤ ساعة بأحد الحيوانات المنوية ، فإنها تضمر وتتحلل فيمتصها الجسم . وفى اليوم الرابع عشر بعد الإباضة «أى خروج البويضة من المبيض» يسقط الغشاء المبطن للرحم ، فينزل الطمث وتنتهى بذلك إحدى الدورات الحيضية التى تتكرر كل ٢٨ يوما فى معظم النساء

أما إذا التقى حيوان منوى بالبويضة خلال مدة حياتهما فى قناة فالوب فإنه يتحد بها ، وبالتالى تبدأ حياة جديدة فى النشوء ، وتصبح المرأة حاملا ، حيث تنتقل البويضة التى تم تلقيحها تاركة البوق لتنغرس فى الغشاء المبطن للرحم ، حيث تنمو مكونة الجنين الذى يولد بعد تسعة أشهر من خلال فتحة عنق الرحم وقناة الولادة .

ومن هنا فإنه فى حالة الرغبة فى منع الحمل ، فمن الضرورى أن يحال بين منى الرجل والإلتقاء بالبويضة داخل الرحم ، وبهذه الطريقة يستحيل تكوين الجنين . فكيف يمكن منع هذا الإلتقاء ؟ هناك عدة وسائل لذلك وهى :

توجد على سبيل المثال بعض المواد الكيمائية التى تحتوى على أصناف متعددة من الرغوات والقشدات (الكريمات) والهلامات والأقراص والأقماع والرقائق التى تستطيع المرأة إذا وضعتها فى المهبل فتغطى عنق الرحم ، الأمر الذى يؤدى إلى إتلاف الحيوانات المنوية . وهناك وسيلتا الغطاء الحاجز الذى يغطى عنق الرحم ، أو الغلاف الواقى الذى يكسو به الرجل عضوه التناسلى (القضيب) . وهذا بالإضافة إلى ما يعرف « باللولب » الذى يتولى الطبيب وضعه فى الرحم فيعوق إلتقاء الحيوانات المنوية بالبويضة ، وكذلك الحبوب التى تتعاطاها المرأة لإعاقة عملية الإباضة لديها . . . وكل تلك الوسائل والأساليب لا تقضى على الجنين بعد نشوء الحياة فيه ، وإنما تمنع الحمل قبل حدوثه ، أى تمنع تكوين الجنين أساسا :

هذا وسوف نتناول بالتفصيل هذه الطرق الشائعة وهى بالفعل أفضل وسائل تنظيم الأسرة .

(ا) العزل :

تلك هى أيسر وأقدم وسائل تنظيم الأسرة وبمقتضاها ينبغى على الرجل أن يستوثق من إخراج قضيبه من المهبل قبل أن يقذف المنى ، وبذلك يحول دون تسربه إلى المهبل ويقذف بالمنى خارج رحم الأنثى . ويمكن اللجوء إلى هذه الطريقة عندما يستحيل اللجوء إلى طريقة أخرى غير أنها ، لا تناسب إلا الرجال القادرين على إطالة مدة الجماع حتى تنال المرأة حظها من اللذة الجنسية ، دون أن يكلفه ذلك مشقة عصبية . وتتطلب تلك الطريقة مهارة من الرجل فى توقيت إخراج القضيب من المهبل قبل القذف ولو بثانية واحدة ، لأن نقطة واحدة من المنى ، يكفى حيوان منوى واحد من الآلاف التى تحتوى عليها لتلقيح البويضة . وتلك الطريقة كانت شائعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه ، أى أنها من الطرق التى يقرها الإسلام .

(ب) الاجهزة الرحمية لمنع الحمل :

وتصنع بعض هذه الأجهزة من البلاستيك ، والشائع منها هو ما يعرف « باللولب » وبعضها من النايلون أو الصلب على هيئة حلقات ، وإما على هيئة ثمانيتين متلاصقتين . . . وجميع هذه الأجهزة تنتهى عند طرفها الأسفل بخيط دقيق . وتتعدد أشكالها والمواد التى تصنع منه ، الهدف منه هو التوصل إلى شكل أكثر فاعلية وأقل إحداثا الأعراض الجانبية ، وأقل من غيره فى نسبة طرد الرحم له . وهذا الجهاز — أيا كان — يوضع فى داخل الرحم بواسطة الطبيب . وبمجرد وجود أحد هذه الأجهزة داخل الرحم يعوق تلقيح البويضة .

ودرجة فاعلية هذه الأجهزة تبلغ حوالى ٩٧،٥ — ٩٨٪ فقط فى النساء

فى السنة الأولى لاستعمالها . واحتمال الحمل معها أقل فى النساء الأكبر سنا وكذلك فى حالة استخدام الأجهزة الأكبر حجما . وتمتاز هذه الأجهزة الرحمية على أقراص منع الحمل فى عدم وجود عنصر السهو أو النسيان . ويمكن أن ترتفع نسبة فاعليتها إلى ١٠٠ ٪ إذا عملت السيدة التى تستخدمها على متابعة مراقبة وجود الجهاز داخل رحمها ، بمداومة جس خيطه المتدلى من عنق الرحم إلى المهبل للاطمئنان على وجوده . ذلك أن أرحام بعض السيدات تعمل على لفظ الجهاز فى غفوة من النساء ، ومن ثم يمكن أن تحمل فى حالة الجماع مع عدم وجود الجهاز . وهذه الأجهزة يمكن الاعتماد عليها أكثر من بقية الوسائل باستثناء التعقيم (أى ربط بوقى الرحم فى المرأة أو ربط الحبل المنوى فى الرجل) وهذه الأجهزة دائمة العمل منذ لحظة وضعها فى الرحم . وهى لا تحتاج إلى جهدمن جانب الزوج أوالزوجة . وبهذا لا تسمح بتدخل المصادفات فى فاعليتها . وذلك بالإضافة إلى إنخفاض تكلفتها بالصورة التى تناسب سيدات الأسر الفقيرة . فضلا عن صلاحيتها للاستخدام إلى أجل غير محدود دون الحاجة إلى تغييرها ، إلا إذا سبب وجودها أعراضا جانبية توجب إستخراجها .

ولا ريب أن الطبيب هو أقدر من غيره على التعرف على مدى سلامة إستخدام هذه الأجهزة ومتابعتها فى الحالات اللائقة طبيا وتركيبها بالحذر الكافى لتجنب إلحاق أى أذى بالرحم ، وعلى معرفة الحمل المبكر والأورام الرحمية الليفية أو السرطانية والتهابات الحوض ومسببات النزف الرحمى التى تتعارض جميعها مع هذه الأجهزة . وبذلك ينصح بعدم إستخدامها ، ويتكفل بعلاج ما يترتب عليها من أعراض .

ومن مميزات الأجهزة الرحمية أنها لا تؤثر على معدلات إدرار اللبن أثناء فترة الرضاعة مثل الأقراص ، الأمر الذى يسمح باستخدامها قبل مرور أربعين يوما على الولادة ، أو قبل أن تتعرض المرضع لحمل جديد ، ومما تجدر الإشارة

إليه أن الرضاعة ، حتى ولو صحبها إنقطاع الحيض لا تقى المرأة حتما من الحمل خلافا لما هو شائع . ومن جهة أخرى فإن هذا الجهاز لا يؤثر فى الشعور الجنسى ، بل إنه يعفى الزوجين من كل إجراء وقائى من جانبهما قبل وأثناء الجماع أو بعده ، مما قد يؤثر فى القدرة على ممارسته أو يشغلهما عن النشوة . ومن جهة ثالثة فإن كلا من الزوجين لا يشعر بوجود الجهاز داخل الرحم . وفى بعض الأحيان النادرة قد يحس الزوج بالخيط المتدلى من عنق الرحم إلى المهبل مما يوجب تقصيره بواسطة الطبيب .

ومن الأعراض الجانبية لهذه الأجهزة ظهور بعض المغص أسفل البطن لمدة قصيرة قد تصل إلى بضع ساعات بعد وضع الجهاز مباشرة ، أو بعده بفترة ما ، وخاصة فيمن لم تحملن من قبل ، ولا يتعدى هـذا الألم ما يشبه مغص الحيض العادى . إلا أن النساء يختلفن فى مدى تحملهن الألم ومدى تعبيرهن عنه . وقد يحدث بعض النزف فى بعض الأحيان لمدة قصيرة فى الفترة التى تعقب تركيب الجهاز ، نتيجة لاحتكاكه بالغشاء المبطن للرحم ، ولا يستمر النزف فى غالب الأحيان أكثر من شهرين أو ثلاثة . ونادرا ما يستمر أكثر من ذلك ، وفى حالة إستمرار النزف فمن الضرورى نزعه واللجوء إلى وسيلة أخرى لمنع الحمل إذ لم يكن النزف نتيجة محاولة الرحم لطرد الجهاز أو نتيجة مرض لا علاقة له به . وفيما عدا المغص والنزف فليس للجهاز تأثيرات أخرى ، اللهم إلا بعض الإفرازات المهبلية التى لا تلبث أن تزول بعد الحيض التالى لتركيبه :

(ح) أقراص منع الحمل :

تتعدد وتختلف أنواع وأحجام أقراص منع الحمل ، وهى كلها تحتوى على خليط هرمون الاستروجين وهرمون البروجستوجين المماثلة لهرمونى المبيض . وكلها تؤخذ فى اليوم الخامس إبتداء من أول يوم للحيض ولمدة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ يوما متتالية كل شهر تبعا لكل نوع منها . وإذا نزل الحيض مبكرا

عن ذلك وجب أخذ الحبوب فى اليوم الخامس إبتداء من أول يوم للحيض . وكل أنواع الأقراص لا تتلف بالوقت ولا بتقلبات الجو أو المناخ .

ووظيفة معظم هذه الأقراص منع المبيض من تكوين البويضة أو خروجها منه . وكذلك من آثارها أن تصبح بمثابة سدادة مخاطية تسد عنق الرحم عن أن تجتازه حيوانات الرجل المنوية . ووظيفة البعض الآخر تغيير الوسط الملائم فى البوق لتلقيح البويضة . والبعض الآخر يزيد سرعة إنقباض البوق فتنتقل البويضة إلى الرحم قبل أن يتم تلقيحها . كما أن بعض الأقراص تحول دون إنغراس البويضة الملقحة فى الغشاء المبطن للرحم إذا تمكنت بعض الحيوانات المنوية من الوصول إليه .

هذا وإذا دوامت الزوجة بانتظام على تناول الأقراص فإن فاعليتها تصل إلى ١٠٠ ٪ حيث تصبح الزوجة فى مأمن من الحمل منذ اليوم الأول لأخذ الأقراص ، إذا أخذتها فى اليوم الخامس ابتداء من أول يوم للحيض . وأغلب الأقراص يحتوى على كمية من الهرمونات يستمر مفعولها لمدة ٤٨ ساعة بعد تعاطى القرص الواحد . ومن ثم فلا خوف إذا لم يؤخذ القرص فى يومه المحدد بسبب السهو ، أو لتعذر وجوده مادام موعد القرص الثانى لم يحن بعد ، حيث يمكن أن يؤخذ القرص المنسى حين تذكره أو بمجرد الحصول عليه . ويؤخذ القرص الثانى فى موعده المحدد دون تأخير ، حتى ولو ترتب على ذلك تناول قرصين فى يوم واحد .

ومن مساوىء الأقراص لاسيما فى البيئات الريفية والمتخلفة والتى تعانى فيها المرأة من أعباء تفوق ضعف طاقتها الجسمانية ، أنها كثيراً ما تنسى تناول الأقراص فى مواعيدها المحددة . ومن ثم فإذا نسيت لمدة يومين متتالين تناول الأقراص فإن فاعليتها تصبح معدومة . ومن الضرورى اللجوء إلى وسيلة أخرى لمنع الحمل حتى موعد الحيض التالى ، مثل العزل أو استخدام الزوج للغلاف الواقى الذى يصنع

عادة من المطاط الرقيق (لاتكس) يكسو به الرجل عضوه التناسلى (القضيب) أثناء انتصابه قبل بدء وأثناء الجماع ، فيحجز المنى عند خروجه ويمنع تسربه إلى المهبل ، وبذلك يستحيل وصوله إلى البويضة ، وبالتالى لايحدث الحمل .

وكذلك فإن الزوجة التى سيتغيب عنها زوجها لمدة لاتزيد على ثلاثة شهور ينبغى أن تستمر فى تناول الأقراص إلى أن يعـــود زوجها حتى لايعرضها الانقطاع عن تناولها إلى اختلال فى الدورة الحيضية من ناحية ، ومايصحب استئناف تناول الأقراص من تأثيرات جانبية لايتعودها الجسم قبل ثلاثة أشهر من ناحية أخرى .

وهناك تأثيرات جانبية للأقراص تنعكس على معدلات إدرار اللبن لدى المرضع ومايحتويه اللبن من عناصر غذائية فى الشهر الأول لتعاطى الأقراص . وفى تلك الفترة أيضا قد يحدث شعور بالغثيان فى الأيام الثلاثة الأولى من الشهر الأول لتعاطى الأقراص . ومن التأثيرات الأخرى الإحساس بثقل الثديين وسرعة الانفعال والتقلصات والشعور بالتعب وزيادة الإفرازات المهبلية وقلة كمية الحيض أو زيادتها . وقد يزيد أو ينقص وزن التى تتناول الأقراص .. ومثل هذه التأثيرات يستطيع الطبيب التقليل إلى أدنى حد من تأثيراتها .

هذا ومن الضرورى تردد الزوجة التى تتناول الأقراص على الطبيب المعالج للفحص والإرشاد والمتابعة للوقوف على مدى سلامة استخدام الأقراص فى كل حالة على حدة ، والاستفادة من إرشاداته عن الطريقة المثلى لتناول كل نوع منها .

(د) التعقيم :

وتلك وسيلة جراحية لمنع الحمل ، وهى متاحة لكلا الزوجين ، ولكن ينبغى ألا يلجأ إليها الزوجان أحدهما أو كلاهما ، إلا إذا عزما على عدم الإنجاب

مرة أخرى ، إما لإعتلال صحة الزوجة أو لكثرة الأبناء مع ضيق ذات اليد وعليهما أن يتفقا معا ويعلما أنهما قد لا ينجبان أبدا بعد ذلك لعدم ضمان نجاح عملية استعادة الإخصاب فى غالب الأحيان .

وعملية التعقيم بسيطة ، إذ أنها لاتعدو فى المرأة قطع بوقى الرحم ثم ربطهما من خلال فتحة صغيرة فى جدار البطن أو فى المهبل ، وتحتاج من أربعة إلى ستة أيام للبقاء فى المستشفى ... وبالنسبة للرجل فإنها تتلخص فى قطع الحبلين المنويين ، وربطهما من خلال فتحتين صغيرتين على جانبى الصفن (كيس الخصيتين) تحت تأثير المخدر الموضعى ، وتجرى فى حوالى عشرين دقيقة ولا تستدعى البقاء فى المستشفى .

ومما تجدر الاشارة إليه أن تعقيم الرجل أو المرأة لا يؤثر على الشعور الجنسى لكل من الزوجين ، كما لا يؤثر على الرغبة فى الجماع والقدرة على ممارسته ، وبلوغ الغاية القصوى من شبق الاتصال الجنسى ولذته ، كما أنه لايلحق أى أذى بالمبيضين والخصيتين ولا يؤثر فى نزول الطمث .

غير أن التعقيم بمعنى منع الإنجاب أصلا ، وذلك بالقضاء على أسباب التناسل فى الرجل أو المرأة أو كليهما حرام لأن فيه فناء للبشرية وقطع لأسباب البقاء فى الأرض وذلك من وجهة نظر رجال الدين ، على اعتبار أن الله عز وجل قد أراد عمارة هذه الأرض بخلافة النوع الإنسانى حتى تصل الحياة إلى مستقرها فقد قال تعالى « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه وإليه النشور » على حين أن التعقيم المؤقت وبصورة فردية وليست جماعية لا يخرج عن كونه تنظيما ولا حرج فيه[1] ... ويؤكد ذلك قول الإمام

---

(١) سلسلة مكتبة الامام عدد ربيع الثانى ١٣٨٩ هجرية ، صفحة ٢٢ .

البجرمى رضى الله عنه وهو شافعى المذهب بأنه « يحرم إستعمال مايقطع الحمل من أصله ، أما مايبطىء بالحمل مدة ولا يقطعه من أصله فلا يحرم ، بل إن كان لعذر كتربية ولد ولم يكره أيضا وإلا كره(١) » ... غير أننا وقد رأينا عدم ضمان نجاح عملية عودة القدرة على الإخصاب بعد عملية التعقيم ، فإننا لا ننصح باللجوء إليه للإبطاء من الحمل ، اللهم إلا فى حالة زيادة عدد الأبناء عن طاقة الوالدين الاقتصادية ، وعدم رغبتهما فى زيادة أخرى من الأبناء .

(هـ) الاجهاض : Abortion

عرضنا من قبل للوسائل التى يلجأ إليها الأفراد عندما يرغبون فى تأجيل الحمل أو منعه طبقا لفلسفة تنظيم الأسرة . ومن المعروف أن لكل من هذه الوسائل نسبة من الإخفاق ، فينتج عن ذلك حمل لم تكن الأسرة تتوقعه لعدم حاجتها إليه . وهنا يفكر البعض فى التخلص منه . ولذلك فقد تلجأ المرأة إلى استخدام الوسائل الشائعة مثل الحمام الساخن أو « شربة » الزيت الخروع أو بعض العقاقير أو « توليفات العطار » أو ما إلى ذلك من الوسائل التى تأكد طبيا أنها لاتؤدى إلى إنهاء الحمل بصورة طبيعية . وكذلك قد تعبث المرأة برحمها أو تستعين بمن تعبث بها دون دراية طبية تخصصية ، فينالها من الأذى مالا يمكن أن تقدر مداه .

وهناك من تضطر للإجهاض فى حالة إصابتها بالحمى الألمانية أو لضعفها الجسمانى أو ما إلى ذلك . وما على هؤلاء إلا اللجوء إلى الإجهاض على يدى طبيب متخصص ، بعد التأكد من وقوع الحمل . وله أن ينهيه إذا تراءى له ذلك ، دون أن يلحق بالحامل أى ضرر ودون مخالفة القواعد الإسلامية .

ومن الناحية الطبية فإنه لا خطورة إذا تمت عملية الإجهاض بعد انقطاع

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ٢٦

أول حيض ، وإذا انقطع الحيض أكثر من ثلاث مرات ، تصبح العملية من الخطورة بمكان(١) .. وحتى لا تضطر المرأة إلى الإجهاض وإلى مخالفة القواعد الدينية فإنه من الأفضل اليقظة فى استخدام وسائل تنظيم الأسرة المشروعة السالفة الذكر . ذلك أن الإجهاض حرام قطعا ، ما لم يكن الأمر يتعلق بحياة الأم ونحوه وبقرار من الطبيب الماهر المختص غير المتهم فى شىء ، وبمعرفة ورضاء كل من الزوجين(٢) .

والإجهاض بهذه الصورة وهو قتل الجنين وإزاله بأية وسيلة . حكمه أنه حرام إذ هو قتل للنفس التى تكونت وتخلقت . وقد أجمع العلماء على حرمته وأنه لا يجوز الإقدام عليه إلا فى حالة واحدة ذكرها الفقهاء وهى حالة هلاك الأم إذا بقى الجنين فى بطنها ، فقد قال الإمام الغزالى « وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية »(٣) .

تلك هى الأسس الإجتماعية والدينية والطبية لتنظيم الأسرة ، ونحن نحض على الالتزام بقواعد تنظيم الأسرة بالأساليب التى لا تتعارض مع الأديان السماوية « اليهودية والمسيحية والإسلام » السائدة فى مصر وغيرها . ونرفض بشدة القول بأن كثرة الولد كثرة للقوى البشرية للأمة . وعامل من عوامل قوتها ونهضتها ، وفى تنظيم النسل إهدار لهذه القوة . ذلك أن كثرة النسل تكون كثرة للقوى البشرية فى الأمة وعامل من عوامل نهضتها حينما تكون هذه الكثرة متناسبة مع موارد الدولة ، ويكون للدولة فائض يتسع لمصالحها . وحينما

---

(١) الدكتور محمد إسماعيل رجب : تنظيم الأسرة ووسائله . نشرة صادرة عن الجهاز المركزى لتنظيم الأسرة . الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧١ من صفحة ١ — ٢٣ .

(٢) كلمة الشيخ عبد العزيز عيسى ... مرجع سابق .

(٣) سلسلة مكتبة الإمام .. مرجع سابق ، صفحة ٢٢ .

تتوافر الوسائل لتربية هذه الكثرة ورعايتها صحيا وإجتماعيا ونفسيا . وحينما تتوافر لها أسباب العلم ومناهل المعرفة وما إلى ذلك . فكثرة النسل فى دولة مثل المملكة العربية السعودية وكذلك فى كل دول الخليج العربى وفى السودان وليبيا والدول الأخرى المماثلة تكون كثرة للقوى البشرية فى الأمة وعامل من عوامل نهضتها ، فموارد مثل تلك الدول تسمح بزيادة السكان وفلسفة تنظيم الأسرة لاتتعارض مع تلك الكثرة السكانية .

على حين أن هذه الكثرة فى مصر — والدولة عاجزة عن الوفاء بمتطلباتها — فإنها بالضرورة ستمتص دخل الدولة فى نفقات طعامها وشرابها . ولا يبقى هناك فائض للانفاق على رعاية تلك الكثرة وإعدادها . ولا تتمكن الدولة من النمو والتقدم ، ولا تستطيع القيام بأعبائها فى مجال الخدمات والإنتاج ، فلا تعليم ولا تصنيع ولا تقدم . ومعنى ذلك أن الكثرة ستكون مستهلكة فقط وليست منتجة ، طالما أن نمو الدولة لم يسمح بعد بإعدادها الإعداد السليم من مختلف النواحى .

وعلى ذلك فإن الكثرة بهذا الشكل تشكل عبئا ثقيلا على نفسها وعلى أمتها ، وتعوق الدولة عن توفير وسائل الدفاع لتأمين حدودها وحماية استقلالها وتدعيم مركزها بين دول العالم وتجعلها طعمة للغاصبين وذيلا للأمم المتقدمة تمد إليها يد الاستجداء ، وتعيش متخلفة فى ظل سيطرة دولة من الدول . وعلى ذلك فإن القلة الجيدة أجدى على أمتها ، لأنها هى التى تدفعها إلى التقدم وتضمن لها العزة والسيادة .

والخلاصة أن تنظيم الأسرة بالنسبة للمجتمع المصرى بأوضاعه الحالية ، وبالنسبة لغيره من المجتمعات المشابهة ضرورة تحتمها تلك الأوضاع المحلية والعالمية ... هذا وفى الفصل التالى سوف نعرض لنتائج مسح إجتماعى ميدانى عن السلوك الإنجابى فى المجتمع المصرى ، لكى نقف على عمق إدراك أفراد العينة لأبعاد الكارثة السكانية المتوقعة فى مصر وفى العالم كله .

الفصل السابع

تنظيم الأسرة ميدانيا

«القيم والمبادىء والمعايير والسنن الاجتماعية التي تحكم السلوك الانجابي»

نبتت فكرة تلك الدراسة الميدانية فى أوائل سنة ١٩٧٣ من خلال قيام المؤلف بتدريس مادة «قواعد البحث الاجتماعي» وكذلك لعلم السكان لطالبات قسم الدراسات الاجتماعية بكلية البنات الإسلامية . وقد تبلور الهدف من الدراسة الميدانية حول ضرورة التعرف على «القيم والمبادىء والمعـــايير والعادات والأعراف والتقاليد التي تحكم السلوك الإنجابي[1] » لعينه من سكان

---

(١) وقد وافق الأستاذ الدكتور حسن سعفان رئيس قسم الدراسات النفسية والاجتماعية على موضوع المسح ، ووافقت الأستاذة الدكتورة عميدة الكلية على اشتراك الطالبات فى جمع البيانات من أجل تدريبهن العملي . وبذلك تم استئذان الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٥ وورد للكلية فى ١٩٧٤/١/٢١ قرار رئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء رقم ٢٠٤ لسنة ١٩٧٣ بالموافقة وقد نشرت هذه الموافقة بجريدة الوقائع الرسمية فى العدد ٤٠١ لسنة ١٩٧٤ ومن هنا تم إبلاغ شرطة قسم مدينة نصر بتاريخ جمع البيانات فى الفترة من فبراير ١٩٧٤ حتى مارس ١٩٧٤ وقد قام العقيد خالد حمدى مأمور قسم شرطة مدينة نصر بتكليف بعض رجال الشرطة بتوفير عوامل الأمن للطالبات أثناء جمع البيانات . وبالاتصال بالاتحاد الاشتراكى تطوعت السيدة أمال فهمى أمينة التنظيم النسائى بالحى وبعض زميلاتها وزملائها من أعضاء التنظيم الشعبي بالحى لمرافقة الطالبات أثناء ترددهن على المنازل وتيسير لقائهن بربات البيوت وإقناعهن بأن جميع البيانات التى ستدلى بها كل منهن لن تترتب عليها أية أضرار للسيدات وللعلاقة الطيبة بين السيدة أمال فهمى وزوجها =

مدينة القاهرة . وذلك حتى يمكن الربط بين مناهج البحث الاجتماعى من جهة وعلم السكان من جهة أخرى ، وموضوع له أهميته القصوى وهو « تنظيم الأسرة » من جهة ثالثة . مع ربط كل هذا بالبيئة ، حيث تم اختيار الحى السادس والحى السابع المجاورين لكلية البنات الإسلامية كمجال جغرافى للدراسة الميدانية .

وكانت الافتراضات التى استقر عليها الرأى لهذا المسح الاجتماعى هى :

١ — تنظيم الإنجاب تحكمه عوامل دينية وإجتماعية وصحية وبالتالى لا يتحقق إلا باقتناع دينى وإجتماعى بأساليب شخصية وجماعية .

٢ — أنشطة الجهاز التنفيذى لتنظيم الأسرة ذات فعالية محدودة فى الأحياء الشعبية التى هى فى أشد الحاجة إلى تلك الأنشطة .

٣ — عدم توافر خدمات تنظيم الأسرة فى الأحياء الشعبية بعكس غيرها من الأحياء الراقية .

وبعد استقرار الرأى على موضوع الدراسة وتحديد مجالها الجغرافى بدأت المرحلة الثانية وهى العمل على تحديد المدلول السليم للسلوك الإنجابى مع إعطاء « وزن » لكل قيمة أو مبدأ أو معيار أو عادة أو عرف أو تقليد إجتماعى ، بحيث يتناسب هـــذا الوزن مع قرب كل منها من التعبير السليم عن السلوك الإنجابى . وبذلك إنتهينا إلى مجموعة من الأنماط السلوكية والإدراكية لكل

= السيد / المهندس الزراعى صفوت عزت برجال وبسيدات الحى ، أتيح للطالبات الحصول على كل الإجابات المطلوبة على أسئلة استمارات الاستبار . وكنت أتخذ من مقر الاتحاد الاشتراكى فى الحى مركزاً لتوزيع الاستمارات على الطالبات وتحديد المنازل التى سيتم التردد عليها لجمع البيانات وتحديد من من عضوات التنظيم النسائى التى سترافق كل مجموعة من الطالبات أثناء تواجدهن فى منازل المبحوثات .

منها «وزنه الخاص» من حيث أهميته كتعبير عن المفهوم السليم للسلوك الإنجابي في المجتمع ، ويأتي في مقدمة هذه الأنماط ما يلي :

١ — الفهم السليم للسلوك الإنجابي ودوافعه مع محاولة توجيهه الوجهة التي تتفق مع أهداف المجتمع ومصلحته .

٢ — فهم المشاعر الإنسانية واحترامها في إطار مصلحة كل من الأسرة والمجتمـــع .

٣ — الإعتراف بوجود فروق فردية (في القدرات والمهارات والدوافع والإمكانات وأساليب التفكير) بين الأفراد وبعضهم البعض ، مع محاولة الإستفادة من خصائص ومميزات كل فرد ، بما يعود على المجتمع بالنفع وعلى الأسرة بالرفاهية والسعادة .

٤ — الإعتراف بوجود نوع من الإعلام الشعبي له تفوقه على الإعلام الرسمي للدولة ، مع العمل على ضرورة لفت أنظار السيدات للاهتمام بالإعلام الرسمـــي .

٥ — الإعتراف بوجود آثار متبادلة بين السلوك الإنجابي للفرد والسياسة القومية للسكان في المجتمع .

التأليف الأولى لاستمارة الاستبار :

ثم انتقلنا إلى المرحلة الثالثة وهي محاولة صياغة مجموعة من الأسئلة التي تتصل بمواقف واقعية في مجال السلوك الانجابي داخل الأسرة ، بحيث تغطي ما أمكن أهم أنماط السلوك الانجابي التي رأينا أهميتها كتعبير سليم عن موضوع الدراسة . ثم انتقينا لتلك الأسئلة نوعيات محددة من الاستجابات التي دلت الملاحظة الشخصية على تكرار حدوثها في مجال السلوك الإنجابي داخل الأسرة ، ثم عدنا مرة أخرى إلى إعطاء « وزن » لكل من هذه الاستجابات يتناسب مع قربه أو بعده عن التعبير السليم عن السلوك الإنجابي ثم إخترنا

من بين هذه الاستجابات أكبرها « وزنا » ، واستخدمنا الأسئلة واستجاباتها المختارة ، فضمناها « استمارة استبار » .

صدق وثبات استمارة الاستبار :

بعد التأليف الأولى لاستمارة الاستبار جرى إستخدامها وتطبيقها على عينة من أمهات طالبات السنة الثالثة بقسم علم الاجتماع بكلية البنات ، من اللاتى أشركتهن معى فى التأليف الأولى لاستمارة الإستبار ، على إعتبار أنى سأستعين بهن فى عملية جميع البيانات وتفريغها ، ولتكون كل منهن على علم ووعى وفهم كامل بالهدف من كل سؤال تنطوى عليه تلك الاستمارة .

وعلى هدى التطبيق الأولى لاستمارة الاستبار ، تم تعديل وترتيب وإعادة صياغة بعض الأسئلة . وبعد ثلاثة أسابيع أعيد ملء مائة إستمارة إستبار أخرى لنفس السيدات ، وكانت نتيجة معامل الإرتباط (سبيرمان) بين نتائج الاستمارين ٧٩ر٠ وهو معامل مرضى . وكذلك كانت نسبة الثقة لاستمارة الاستبار ٨١ر٠ وهى نسبة مرضية أيضا . وبناء على ذلك تم طبع إستمارة الاستبار فى شكلها النهائى الموجود فى آخر هذا الكتاب وهى تنطوى على ثمانية أسئلة ديموجرافية و٤٤ سؤالا من الأسئلة التفصيلية .

المجال البشرى للمسح الاجتماعى :

من بين ثمانية مناطق تنقسم إليها مدينة نصر (حى مدينة نصر) وقع الاختيار على المنطقتين السادسة والسابعة[1] اللتين تحيطان بمبانى كليات جامعة

---

(١) المنطقة السادسة وتقع شرق المنطقة الأولى وبنفس العمق وتصل إلى الحد الشرقى للمدينة وتبلغ مساحتها ٧٦١ فدانا ، بكثافة ٧٠ فرداً للفدان وتتكون من أربعة أقسام مستقلة يتوسطها جزء مخصص للخدمات العامة . . . وتقع المنطقة السابعة قبلى المنطقة الأولى وتبلغ مساحتها ٣ ٥ فدان بكثافة قدرها ٩٢ فرداً للفدان الواحد وتتكون من ثلاثة أقسام .

الأزهر السكائنة فى مدينة نصر . والمنطقة السادسة وهى منطقة سكنية وعدد سكانها حوالى ٤٨٩٠٨ نسمة[١] .

وللتأكد من صحة هذه البيانات تم عد البلوكات السكنية فى القسم السادس وتبين أنها ٢٤٠ بلوك وكل بلوك يرتفع إلى خمسة طوابق وكل طابق ينقسم إلى أربعة شقق ، على حين ينقسم الحى السابع إلى ثلاثة أقسام بها ١٨٠ بلوك يرتفع كل منها إلى خمسة طوابق ، وكل طابق ينقسم إلى أربعة شقق . فإذا كان المتوسط العام لعدد أفراد الأسرة ٥ أفراد ، فإن عـــدد السكان فى هاتين المنطقتين هو :

٤٢٠ عدد البلوكات × ٥ عدد الطوابق × ٥ متوسط عـــدد أفراد الأسرة = ٥ ١ ألف نسمة[٢].

غير أنه لوحظ وجود عدد كبير من المهجرين قد خصص لهم أربع بلوكات مع تجميع المهجرين فيها بحيث كانت تخصص حجرة واحدة لكل أسرة . وقد تم إستبعاد هؤلاء المهجرين من المجال البشرى للمسح . ومعنى ذلك أن ٤ بلوكات × ٥ طوابق × ٤ شقق × ٥ أفراد متوسط عدد أفراد الأسرة = ٤٠٠ نسمة ، يمكن إستنزالهم من التقدير السابق للسكان . ومن هنا يمكن القول أن عدد السكان فى هاتين المنطقتين حوالى ١٠٠,٠٠٠ نسمة .

ولما كان حدى المدى بالنسبة لأعمار السيدات اللاتى وقع عليهن الاختيار

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : كتيب بعنوان « مدينة نصر ١٩٧١/٥٩ » من إعداد المهندس كمال الدين فهيم مدير عام شركة مدينة نصر .

(٢) قام بعد البلوكات وتقدير السكان على هذا النحو عبدالوهاب حلمى ومصطفى عبد المقصود نجم ومحمد على محمد أبيق من تلاميذنا ببكالوريوس هندسة الأزهر واشترك معهم مجدى أحمد المطوى تلميذنا ببكالوريوس المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

لجمع البيانات منهن يتراوح بين ١٦ر٤٨ سنة ولما كان تقديرنا لعدد السكان فى الفئة ١٦ إلى أقل من ٤٨ سنة هو حوالى ٤٠٫٠٠٠ نسمة من الذكور والأناث فإن معنى ذلك أن عدد الإناث فى هاتين المنطقتين هو حوالى ٢٠٫٠٠٠ أنثى فإذا إستبعدنا من لم تتزوج منهن ومن لم تنجب ، فإنه يمكن تقدير عدد السيدات اللاتى تنطبق عليهن شروط المسح الاجتماعى بنحو ١٦٫٠٠٠ سيدة[١]

عينة المسح الاجتماعى للسلوك الانجابى :

هذا وقد تم طبع ٢٠٠٠ إستمارة وبعد ملئها ومراجعتها واستبعاد الاستمارات التى تنقصها بعض الإجابات كان العدد الباقى هو ١٦٠٠ إستمارة أى بنسبة ١٠ ٪ من مجموع المجال البشرى للمسح الاجتماعى وهى نسبة لا بأس بها .

جمع البيانات :

هذا وقد تمت الاستعانة بعدد ٢٣ طالبة من طالبات[٢] السنة الثالثة بقسم الدراسات الاجتماعية والنفسية (شعبة علم الاجتماع) بكلية البنات الاسلامية

---

(١) لقد لجأنا إلى التقديرات الشخصية للوقوف على عدد السيدات اللاتى يدخلن فى المجال البشرى للمسح الاجتماعى لعدم وجود بيانات إحصائية تفصيلية عن حي مدينة نصر كله لدى الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .

(٢) والطالبات اللاتى اشتركن فى جمع البيانات هن عفاف محمد سعد ، درية عبد المنعم طوبار ، نجلاء محمد السيد ، أميمة أحمد عبد الله ، وفاء محمد عبد الله ، عايدة مبروك محمد ، جوهرة سيد أحمد ، توحيدة إسماعيل محمد ، كاميليا عزازى ، نبيلة حامد سليمان ، كوكب إبراهيم المهزاع (من دولة الإمارات العربية المتحدة) ، فضيلة حسين ، عفاف السيد محمد ، ليلى محمد أحمد ، فاتن محمد عبد الصمد ، نارعمان الشافعى ، نارعمان حلمى البرهامى ، سهير متولى أحمد ، محمده محمود محمد ، وان فوزية عبد الله (ماليزية) ، فاطمة الزهراء محمد جمال الدين ، كريمة محمد لطفى =

ومعيدتين[١] بعد تدريبهن على كيفية ملء الاستمارات «بحيث تأتى الاجابات بصورة طبيعية متماثلة بين كل منهن والأخرى وقد تم جمع البيانات فى الفترة من يناير ١٩٧٤ إلى مارس ١٩٧٤ وتم تفريغ البيانات يدويا فى الفترة من إبريل إلى مايو ١٩٧٤ وتوليت خلال صيف ١٩٧٤ تحليل البيانات وإعداد التقرير النهائى للمسح . ولأول مرة تنشر هنا بيانات وتقرير الدراسة .

تعريف بأفراد العينة :

لقد كان السؤال الأول من استمارة الاستبار يدور حول إسم المبحوثة ، وكانت الغالبية منهن يرفض الإدلاء باسمائهن ، وكانت جامعات البيانات لا يلححن فى طلب الاسم باعتبار الإجابة على هذا السؤال إختيارية[٢] .

وقد بلغ عدد أفراد العينة ١٦٠٠ سيدة كانت منهن ١٤٣ بنسبة ٩٪[٣] تتراوح أعمارهن بين ١٦ وأقل من ٢٤ سنة . وكانت ٦٢٥ منهن بنسبة ٣٩٪ تتراوح أعمارهن بين ٢٤ وأقل من ٣٢ سنة . وكانت ٥٢٠ منهن بنسبة ٣٣٪ بين ٣٢ وأقل من ٤٨ سنة . وكانت ٣١٢ منهن بنسبة ٢٠٪ أعمارهن ٤٨

= وشقيقتها زينب محمد لطفى ، نجوى عبدالعزيز الزغبى ، زينب عبد الحميد البيه ، هدى أحمد حسن ، سلمى عبد الننى ، عزيزة عبد الراضى ، فوزية مسلم ابراهيم ، ناهد محمد صلاح .

(١) ومن المعيدات التى اشتركن فى جمع البيانات السيدة نادية وافى ، والآنسة ليلى عبد الواحد .

(٢) كانت التعليمات تقضى فقط بتدوين رقم الشقة ورقم المنزل واسم الشارع على الاستمارة بعيداً عن انتباه المبحوثة حتى يمكن استيفاء بعض الاستمارات اللاتى قد تنقصها بعض الإجابات .

(٣) النسبة الصحيحة هى ٨٫٩٣٪ وقد تم تقريبها إلى ٩٪ تسهيلا للطبع ، وقد استخدمت تلك القاعدة فى كل النسب التالية .

فأكثر . وواضح أن الفئة المتوالية هي فيما بين ٢٤ وأقل من ٣٢ سنة ، أي فئة المتزوجين منذ عهد قريب وتليها الفئة من ٣٢ والى أقل من ٤٨ سنة .

ومن حيث الديانة فقد كانت ١٥٢٠ منهن بنسبه ٩٥٪ من المسلمات و٨٠ سيدة منهن بنسبة ٥٪ من المسيحيات ، ولا توجد ديانات أخرى .

ومن الناحية التعليمية كانت ٨٧٠ منهن بنسبة ٥٤٪ أميات وكانت ٣٦٥ منهن بنسبة ٢٣٪ يعرفن القراءة والكتابة وكانت ١٤٣ منهن بنسبة ٩٪ من الحاصلات على الشهادة الإعدادية . وكانت ١٦١ منهن بنسبة ١٠٪ من الحاصلات على مؤهلات متوسطة . وتسع سيدات منهن من الحاصلات على مؤهلات فوق المتوسطة و٥٢ منهن بنسبة ٣٪ من الحاصلات على مؤهلات عالية . ولا توجد بينهن من حصلت على مؤهلات فوق الليسانس أو البكالوريوس . والفئة المتوالية هي فئة الأميات وهي تعادل أكثر من سبعة أضعاف فئة الحاصلات على الليسانس أو البكالوريوس ، بمعنى أن هذا الحي من الأحياء الشعبية .

وبالنسبة للناحية المهنية فقد كانت ١٣٤٠ منهن بنسبة ٨٤٪ ربات بيوت ومنهن ٣٦ من العاملات العاديات و ٥٤ من العاملات الفنيات و ٢٧ تعملن بالتجارة و١٢٥ موظفة بنسبة ٨٪ وتسع سيدات فى وظائف تخصصية ومثلهن مازلن يطلبن العلم . ومعنى ذلك أن هذا الحي لايقبل على السكنى فيه إلا الفئات ذات الدخول المحدودة .

أما عن مهن الأزواج فقد كان ٣٠٠ منهم بنسبة ١٩٪ من العمال العاديين و٢٦٠ منهم بنسبة ١٦٪ من العمال الفنيين و٩٠ من الباعة الجائلين ومثلهم من التجار و٧٨٠ منهم بنسبة ٤٩٪ من الموظفين و ٦٢ منهم يعملون بالمهن الحرة ذات المستوى الرفيع و ١٨ منهم فى وظائف تخصصية . والفئة المتوالية هنا هي فئة الموظفين . وقد لوحظ أن غالبيتهم ممن يعملون بمحافظة القاهرة ، على اعتبار أن منازل غالبية هذه المنطقة ملك للحكومة .

ومن جهة الحالة التعليمية للأزواج فقد كان ٣٤٦ منهم بنسبة ٢٨٪ من الأميين و ٤٨٠ منهم بنسبة ٣٠٪ يعرفون القراءة والكتابة و ١٨٠ منهم بنسبة ١١٪ من الحاصلين على الشهادة الإعدادية و ٢٨٨ منهم بنسبة ١٨٪ من الحاصلين على مؤهلات متوسطة و ١٨ منهم من الحاصلين على مؤهلات فوق المتوسطة و ٢٧٠ منهم بنسبة ١٧ ٪ من الحاصلين على مؤهلات عالية ، و ١٨ منهم بنسبة ١٪ من الحاصلين على مؤهلات فوق العالية . والفئة المنوالية هى فئة الأميين ويرجع ذلك إلى أن غالبية لسكان من العاملين فى محافظة القاهرة ، ممن يعملون فى الإسكان والمرافق (البلدية) ويلاحظ وجود نسبة ١٪ من الحاصلين على درجتى الماجستير والدكتوراه وذلك لوجود بعض المساكن المستقلة (فيلات) التى يقطنها بعض أساتذة الجامعات فى المنطقة المجاورة لكلية البنات الإسلامية .

وبالنسبة لأعمار الأزواج فقد كان ١٨ منهم يتراوح أعمارهم بين ١٨ وأقل من ٢٥ سنة . و ٢٠٦ منهم بنسبة ١٣٪ بين ٢٥ وأقل من ٣٢ سنة . و ٤٥ منهم بنسبة ٢٩٪ بين ٣٢ وأقل من ٣٩ سنة . و ٤٥٠ منهم بنسبة ٢٩٪ بين ٣٩ وأقل من ٤٦ سنة . و٣١٥ منهم بنسبة ٢٠٪ بين ٤٦ وأقل من ٥٣ سنة . و٨٩ منهم بين ٥٣ وأقل من ٦٠ و ٧٢ منهم أعمارهم ٦٠ سنة فأكثر . والفئة المنوالية هى ما بين ٣٢ وأقل من ٤٦ سنة .

نتائج المسح الاجتماعى للسلوك الانجابى :

لقد كانت السمة الاقتصادية لأفراد العينة هى عدم زيادة دخل ثلاثة أرباع العينة عن ثلاثين جنيها شهريا ، فقد كان عدد الأسر التى يقل دخلها الشهرى عن خمسة جنيهات تسعة ، والتى يتراوح دخل كل منها بين ٥ وأقل من ١٠ جنيهات ، كان عددها ٧١ أسرة والتى يتراوح دخلها الشهرى بين ١٥ وأقل من عشرين ٢٨٠ بنسبة ١٨٪ والذين يتراوح دخلهم بين ٢٠ وأقل من ٥٢ فهم ٣٨ بنسبة ٢٤٪ والتى يتراوح دخلها بين ٢٥ وأقل من ٣٠ عددهم

١٧٧ بنسبة ١١ ٪ والتي يزيد دخلها عن ثلاثين جنيها شهريا عددهم ٤٠٣ بنسبة ٢٥ ٪ ومعنى ذلك أن سكان تلك المنطقة من الفئات المحدودة الدخل . ومن ثم فإن الربط بين تلك النتيجة وبين نتيجة السؤال الخاص بالناحية التعليمية والتي أكدت أن الغالبية من غير ذوى المؤهلات أو بمؤهلات تقل عن المستوى المتوسط فإنه يمكن القول بأن المجال الجغرافي للمسح من المناطق التي تحتاج إلى جهود حكومية مكثفة للتبصير بأهمية تنظيم الأسرة ولتوفير وسائل وأسباب هذا التنظيم ، وضرورة ترشيد السلوك الإنجابي .

وبالنسبة لمساحة المساكن فقد تبين أن ٩١٧ أسرة بنسبة ٥٧ ٪ تقطن كل منها في حجرتين ، وأن ٣١٠ أسرة بنسبة ١٩ ٪ تقطن كل منها في ثلاث حجرات وأن ٢٨٣ أسرة بنسبة ١٨ ٪ تقطن كل منها في أربع حجرات وأن ٩٠ أسرة بنسبة ٥ ٪ تقطن كل منها في خمس حجرات ، مع ملاحظة أن الصالة تعتبر حجرة ، ويلاحظ هنا أن نسبة كبيرة ٥٧ ٪ من هذه العينة تقيم كل أسرة منها في (شقة) عبارة عن حجرة واحدة وصالة ، وهي شقة لا تصلح كمسكن إجتماعي سليم ، حيث يتجمع الكبار مع الصغار في حجرة واحدة ليلا ونهارا بصورة تتيح للصغار الوقوف على خبرات لا تتفق مع حداثة أعمارهم وقد تدفعهم إلى الانحراف عندما يتقدم بهم العمر والفئة المنوالية هنا هي فئة المسكن ذى الحجرتين ، ولما كانت الفئة المنوالية في السؤال التالي المتعلق بعدد الأبناء هي فئة الأبناء الثلاثة ، فإن كثافة الحجرة الواحدة هي ٢٫٥ فرد بعد إضافة الأبوين .

وبالنسبة لعدد الأبناء هناك ٥٤ أسرة بدون أبناء وهم من الأسر حديثة التشكيل ، وهناك ٧٩٧ أسرة بنسبة ٥٠ ٪ عدد الأبناء فيها يتراوح بين واحد وثلاثة أبناء ، وهناك ٥٤٣ أسرة بنسبة ٣٤ ٪ لديهم من ٤ إلى ٦ أبناء وهناك أيضا ١٠٦ أسرة بنسبة ٦ ٪ لديهم من ٧ إلى ٩ أبناء ، وبالنسبة لفئة عشرة أبناء فأكثر فلا يوجد . وإذا ربطنا بين نتيجة هذا السؤال والسؤال التالي ، حيث الفئة المنوالية لأعمار المبحوثات كانت من ٢٤ إلى أقل من ٣٢ سنة وهي

سن الخصوبة الكاملة ، فإنه يلاحظ أن الأسر التسحائة الذين يتراوح عدد أبنائها بين ١ ، ٣ لا يزال الطريق مفتوحا على مصراعيه أمامهم للإنجاب ، لاسيما وأن بعض الأسر فى هذه العينة بنسبة ٦ ٪ تقريبا لديهم من ٧ إلى ٩ أبناء وهو مؤشر يعبر عن نوعية السكان فى المجال الجغرافى للسح الاجتماعى الذى نحن بصدد تحليل نتائجه .

وبالنسبة لاتجاهات السكان نحو قبول أو رفض السلوك المنظم للإنجاب فقد تبين أن ١٢١٢ مبحوثة بنسبة ٧٦ ٪ يوافقن جدا على التنظيم وأن ٣٠٨ مبحوثة بنسبة ٦٩ ٪ يوافقن على تنظيم الإنجاب ، وأن المبحوثات اللاتى لا توافقن على التنظيم وكذلك اللاتى لا توافقن بالمرة وأيضا اللاتى لم تكشفن عن موقفهن نسبتهن حوالى ٥ ٪ وهى نتيجة تدل على وعى شبه كامل بضرورة تنظيم الأسرة ، ولا يحتاج الأمر إلا إلى القليل من الجهود الحكومية ليتحقق الهدف .

ولمن أجابت على السؤال السابق بالإيجاب كانت إجابتها على الزمن الذى حاولن فيه العمل على تنظيم أسرتها تبين أن ٢٤١ مبحوثة بنسبة ١٦ ٪ حاولن تنظيم الإنجاب بعد الطفل الأول و ٣٩٩ مبحوثة بنسبة ٢٦ ٪ بعد الطفل الثانى و٢٣٨ مبحوثة بنسبة ١٥ ٪ بعد الطفل الثالث ، و ١٤٧ مبحوثة بنسبة ٩ ٪ بعد الطفل الرابع و ٤٠٥ مبحوثة بنسبة ٢٧ ٪ بعد الطفل الخامس . ونتيجة ذلك السؤال تتعارض مع نتيجة السؤال السابق ، حيث أن ٩٥ ٪ من المبحوثات فى السؤال السابق توافق على تنظيم الإنجاب — التنظيم كما حددناه لهن ألا يزيد عدد الأبناء عن ثلاثة — بينما ٢٧ ٪ فى هذا السؤال لم تحاولن التنظيم الإنجابى إلا بعد الطفل الخامس ... وهذا يعنى أنهن كن يحاولن عقليا دون أن يحاولن فعليا ، أو أنهن يرغبن فى تنظيم الإنجاب ولا يجدن الفرصة .

أما اللاتى يرفضن تنظيم السلوك الإنجابى وعددهن ٨٤ مبحوثة من ١٦٠٠ مبحوثة ، أى بنسبة ٥ ٪ لأسباب مختلفة وهى نسبة محدودة جدا ، فإنه يمكن

بقليل من التوعية المباشرة والتبصير الاجتماعى القضاء عليها ... غير أن الأمر ليس هو بجرد الموافقة ، وإنما المطلوب هو أن يقترن الاقتناع بتنظيم الإنجاب بالسلوك الذى يعبر عنه ، وهو مايتطلب توفير كل وسائل التنظيم بصورة ميسورة ومريحة ، ثم قياس سلوك الناس بعد ذلك .

وبالنسبة لمدى الإيمان بضرورة تنظيم الإنجاب لدى الأزواج ، فهناك ١١٥٢ زوجا بنسبة ٧٢ ٪ كانت موافقتهم تامة على ضرورة تنظيم الإنجاب فى الأسرة ، و٣١٦ زوجا بنسبة ٢٠ ٪ يوافقون على تنظيم الإنجاب ، والذين لا يوافقون ولا يرفضون من الأزواج عـــددهم ٥٤ بنسبة ٤ ٪ والذين لا يوافقون ويمكن إقناعهم عددهم ٢٧ بنسبة ٢ ٪ والذين لا يوافقون نهائيا من الأزواج عددهم ٥١ بنسبة ٣ ٪ وهؤلاء يحتاجون إلى جهود مكثفة لكى يصبح الاقتناع بضرورة تنظيم السلوك الإنجابى قاعدة إجتماعية .

وعن الوسيلة المفضلة لتنفيذ عملية تنظيم الإنجاب ، هناك ٣٦ بنسبة ٢ ٪ يلجأون إلى العزل ، ويرفض الجميع استخدام أسلوب فترة الأمان لعدم الثقة فيه ، وربما لعدم معرفة أصوله ، بينما ٢٠٢ بنسبة ١٣ ٪ يلجأون إلى استخدام اللوالب ، واللاتى يستخدمن الأقراص عددهن ١١٧٨ مبحوثة بنسبة ٧٣ ٪ واللاتى يستخدم أزواجهن « الواقى » عددهن ٩ واللاتى تلجأن إلى الوصفات البلدية عددهن ٢٧ مبحوثة ، على حين أن اللاتى ينمتعن بميزة التنظيم الطبيعى للإنجاب عددهن ١٢١ مبحوثة بنسبة ٧ ٪ وكان هناك تسع سيدات يستخدمن الحواجز الرحمية ، ومثلهن كذلك يستخدمن المراهم وأيضا مثلهن يستخدمن الحقن . والملاحظ من الفئة المبحوثة إن الغالبية منهن يستخدمن الأقراص فى تنظيم عملية الإنجاب . وبالرغم من ذلك كانت هناك شكوى عامة من صعوبة الحصول عليها ، أما اللاتى يلجأن إلى غير اللوالب وكذلك اللاتى يتمتعن بميزة التنظيم الطبيعى للإنجاب ، فقد أوضحن أن الوسائل الطبية لتنظيم الإنجاب غير متاحة بصورة ميسورة ، وهى شكوى تستحق الاهتمام من الأجهزة الرسمية

لتنظيم الأسرة ، ليس على مستوى حى مدينة نصر ، وإنما على مستوى الأحياء المشابهة على مستوى الجمهورية ، باعتبارها من الأحياء التى تقدم أعلى معدلات المواليـــد .

وبالنسبة لمدى الوعى باتفاق أسلوب تنظيم السلوك الإنجابى مع الدين من عدمه ، فقد تبين أن ٨٠٣ مبحوثة بنسبة ٥٠ ٪ يعتقدن باتفاقه الكامل مع الدين . وأن ٣٨٧ مبحوثة بنسبة ٢٤ ٪ يحتجن إلى قليل من التوعية الدينية والاجتماعية ليكون اقتناعهن كاملا باتفاق أو بعدم تعارض تنظيم الإنجاب مع الدين . بينما أمسكت ١٩٠ مبحوثة بنسبة ١٢ ٪ عن إبداء الرأى بالموافقة أو بالمعارضة ، على حين أن ١٢١ مبحوثة بنسبة ٧ ٪ أوضحن أن تنظيم السلوك الإنجابى لايتفق مع الدين وهذه النسبة يمكن تغيير موقفهن هذا بقليل من التوعية ، وأن ٩٩ مبحوثة بنسبة ٥ ٪ أوضحن أن تنظيم الإنجاب لايتفق مطلقا مع الدين : ومثل تلك النتيجة تتطلب إدخال مادة تنظيم الأسرة إجتماعيا ودينيا وطبيا ضمن المواد التى تدرس فى معهد الإمامة التابع لوزارة الأوقاف ، بل وفى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر حتى لا يعارض دعاة الدين من المتخرجين فى جامعـــة الأزهر ، تنظيم الأسرة لاسيما وأن لرأيهم الدينى وزنه الكبير فى الريف المصرى .

هذا ويتنوع الدافع إلى تنظيم الإنجاب فهناك ١٠٥٥ مبحوثة بنسبة ٦٦ ٪ يؤكدن أن النواحى الاقتصادية (ضيق ذات اليد) هى التى تدفعهن إلى البحث عن وسائل تنظيم الإنجاب ، ومعنى ذلك أنه لولا قلة الإمكانات الاقتصادية لمابحثن عن وسائل تنظيم الإنجاب ، بينما الضعف الجسمانى لدى المبحوثات دفع ٣٧٦ منهن بنسبة ٢٣ ٪ إلى ضرورة تنظيم الإنجاب . واللاتى بحثن عن تنظيم الإنجاب حتى يتمكن من تربية أبنائهن تربية سليمة كان عددهن ٨١ مبحوثة بنسبة ٥ ٪ وهناك ٩ مبحوثات لجأن إلى تنظيم الأسرة لمجرد التقليد ، و ٣٩ مبحوثة لمجرد الحرص على مظهر الأسرة من الكثرة التى تجعل الأم مع أبنائها أشبه بالأرنبة .

وبالنسبة لتوزيع دخول تلك الأسر على مختلف أوجه الإنفاق ، فقد تبين أنه بالرغم من سكنهن فى منازل شعبية حكومية بإيجارات محدودة ، تبين أن السكن يستهلك ٢٥ ٪ من الدخل وهى نسبة عالية إذا ماقورنت بالمجتمعات المتقدمة التى لا يستهلك السكن فيها أكثر من ١٠ ٪ من الدخل ، وكذلك يستهلك الغذاء ٤٠ ٪ من الدخل، وهذا يبين ارتفاع معدلات الإعالة ، حيث يعمل الزوج فقط فى الغالب ، بينما الزوجة والأولاد لا يعملون فى الغالب . وهو ما يتطلب التوعية بضرورة اشتغال المرأة للتقليل من معدلات الإعالة من جانب ولزيادة أحساسها بأهمية تنظيم الأنجاب من جانب آخر. أما الكساء فإنه يستهلك ٩ ٪ من الدخل بينما — وهذا مايثير الدهشة ويتطلب الدراسة الاجتماعية — تستهلك المكيفات ١٦ ٪ والنثريات ١٠ ٪ على حين أن ما يؤكد عدم كفاية دخول أفراد تلك العينة من المواطنين — وربما سوء الإنفاق — أن الادخار ليس له نصيب من الدخل على الإطلاق .

ويؤكد نتيجه السؤال التالى نتيجة السؤال السابق حيث تقوم ١٠١٨ مبحوثة بنسبة ٦٤ ٪ بتنظيم انجابهن بعيدا عن أى إشراف طبى مجانى أو مدفوع الأجر لعدم قدرتهن المادية ولعدم وجود الخدمة المجانية الميسورة ، وأوضحت ٢٨٩ مبحوثة بنسبة ١٧ ٪ خضوعهن للإشراف الطبى المتقطع لمكتبى رعاية الأمومة والطفولة فى العباسية ومصر الجديدة ، حيث لا يوجد مكتب لرعاية الأمومة والطفولة فى كل أحياء مدينة نصر بالرغم من حاجته الملحة أكثر من حى مصر الجديدة لهذه الخدمة الطبية المجانية . ولكن تخطيط الخدمات الطبية المجانية لتنظيم الإنجاب مثل الخدمات التموينية المعانة تتاح أكثر لمن لايحتاجون إليه وتنعدم أو تكاد عند من تشتد حاجتهم إليها . هذا وهناك ٢٣٤ مبحوثة بنسبة ١٥ ٪ يخضعن لإشراف طبى خاص ، و ٥٩ سيدة يتمتعن بالتنظيم الطبيعى للإنجاب .

وعن أثر أجهزة الإعلام والأجهزة الشعبية والأقارب . . . اتضح أن

٤٥٩ مبحوثة بنسبة ٢٩ ٪ اقتنعن بتنظيم الإنجاب عن طريق الإذاعة ، وهذا يؤكد دور الإذاعة فى التوعية بتنظيم الإنجاب والتبصير بمآس كثرة الأبناء فى الأحياء الشعبية والقرى الريفية لإرتفاع نسبة الأمية ، بينما أوضحت ٥٥ مبحوثة بنسبة ٤ ٪ أنهن اقتنعن عن طريق التليفزيون . . . ويرجع انخفاض أثر التليفزيون عن الإذاعة فى هذا المجال بالرغم من فعالية التليفزيون — من وجهة نظرنا — إلى أن جهاز التليفزيون لا يزال من الأجهزة الارستقراطية الغالية الثمن وليس من الأجهزة غير الارستقراطية الرخيصة الثمن مثل الراديو وكان للتعليم أثره فقد أوضحت ٢٣٥ مبحوثة بنسبة ١٥ ٪ أن اقتناعهن بأهمية تنظيم الأنجاب يرجع إلى تعليمهن . وقد شجع الأزواج ٢٢٦ من الزوجات المبحوثات بنسبة ١٤ ٪ على الإقتناع بفكرة تنظيم الإنجاب . ومما يلاحظ أن ٢٥٣ مبحوثة بنسبة ١٦ ٪ اقتنعن بتشجيع من الصديقات ، الأمر الذى يوحى بضرورة الاستعانة بالسيدات المقتنعات بتنظيم الإنجاب فى إقناع غير المقتنعات بذلك . وكان للتنظيم النسائى [1] دور لا بأس به فقد أوضحت ١٢٧ مبحوثة بنسبة ٨ ٪ أنه كان للتنظيم النسائى بعض الجهد فى اقتناعهن بفكرة تنظيم الانجاب .

وكان عدد اللاتى اقتنعن وحدهن بفكرة تنظيم الإنجاب ١١٧ مبحوثة بنسبة ٧ ٪ واللاتى لم تقتنعن عددهن ٦٣ واللاتى يتمتعن بالتنظيم الطبيعى للإنجاب عددهن ٦٥ مبحوثة .

ولأهمية دور الأزواج فى إقناع زوجاتهم من المبحوثات بفكرة تنظيم الإنجاب كان هذا السؤال حيث تبين أن ٩٦٣ زوجا بنسبة ٦٠ ٪ عملوا على تشجيع زوجاتهم على الإقناع الكامل بفكرة تنظيم لإنجاب ، بينما ٤١٧ زوجا

(١) ويرجع الفضل فى ذلك إلى جهود السيدة آمال فهى مسئولة التنظيم النسائى فى الحى ؛ فهى سيدة تسخر كل جهودها لخدمة بنات جنسها بصورة فريدة تستحق الإشادة والتقدير .

بنسبة ٢٦ ٪ عملوا على تشجيع زوجاتهم على الإقتناع المبدئى ، على حين أن الأزواج الذين وقفوا بين التشجيع على الاقتناع وعدم الاقتناع بفكرة تنظيم الإنجاب كان عددهم ٨٤ زوجا بنسبة ٥ ٪ والذين لم يشجعوا زوجاتهم كان عددهم ٢٦ زوجا ، والذين رفضوا التشجيع على الإيمان بهذه الفكرة نهائياً عددهم ١٠٢ بنسبة ٦ ٪ هذا وبالرغم من أن ٨٦ ٪ من الأزواج عملوا على تشجيع زوجاتهم على الإيمان بفكرة تنظيم الإنجاب ، فإن النسبة الباقية مرتفعة وتحتاج إلى مضاعفة الجهود لتوعية الرجال ولا سيما الشباب المقبلين على الزواج بضرورة الأخذ الفعلى بمبدأ التنظيم الإنجابى وليس الأسلوب الاتكالى ، لا سيما وإن غالبية الذين أجابوا بأقتناعهم بفكرة تنظيم الإنجاب، يبدو أنهم لم يقتنعوا بها إلا بعد أن اكتووا بنار عدم الاقتناع بها .

وعن الزمن الذى اقتنعت فيه المبحوثات بفكرة تنظيم الإنجاب تبين أن ١٢٨ مبحوثة بنسبة ٨ ٪ قد اقتنعن قبل ميلاد الطفل الأول و٢٥٢ مبحوثه بنسبة ١٦ ٪ بعد ميلاد الطفل الأول و٣٥٣ مبحوثة بنسبة ٢٢ ٪ بعد الطفل الثانى . و٢٢٧ مبحوثة بنسبة ١٤ ٪ بعد الطفل الثالث و٢٤٤ مبحوثة بنسبة ١٤ ٪ بعد الطفل الرابع و٤٨ مبحوثة بنسبة ٣ ٪ بعد الطفل الخامس و٤٦ مبحوثة لم تقتنعن بفكرة تنظيم الإنجاب . ويلاحظ أن اللاتى اقتنعن بتنظيم الإنجاب قبل وبعد ميلاد الطفل الأول والطفل الثانى مجموع نسبتهن ٤٦ ٪ وكان ينبغى أن تكون ١٠٠ ٪ حيث ينبغى — طبقاً لنظريتنا الاجتماعية فى السكان — ألا يزيد عدد أبناء كل أسرة عن طفلين إثنين فقط أياً كان نوعهما من الذكور والإناث أو من الذكور فقط أو من الإناث فقط .

وبالنسبة لموضوع التواكل على الله وعلاقته بالسلوك الإنجابى ، فقد أوضحت ٢٧١ مبحوثة بنسبة ١٦ ٪ بالنسبة لرأيها فى القول المأثور « كل مولود ورزقه معاه » إن هذا القول معقولا جداً وقالت ٢٠٩ مبحوثة بنسبة ١٣ ٪ أنه معقول فقط ، ووقفت ١٢٩ مبحوثة بنسبة ٨ ٪ على الحياد من هذا

القول ، بينما أوضحت ٣٨١ مبحوثة بنسبة ٢٤٪ عدم معقولية هذا القول ، وأكدت ٦١٠ مبحوثة بنسبة ٣٨٪ عدم معقوليته بالمرة . ويلاحظ أن اللاتى يؤمن بهذا القول ويقفن على الحياد منهن نسبتهن ٣٧٪ وهى نسبة مرتفعة وتؤكد انتشار التواكل فى موضوع السلوك الإنجابى ، الأمر الذى يتطلب جهوداً مكثفة من الأجهزة الحكومية والأهلية المسئولة عن تنظيم الأسرة .

وبالنسبة لوصية بعض الأمهات لبناتهن قبل الزواج بمضمون العرف الشائع ونصه « إلحميه بالعيال » فقد أوضحت ١٩ مبحوثة موافقتهن التامة على هذا العرف و٢١ مبحوثة وافقن فقط ، واللاتى لم تبدين رأيهن بالموافقة أو بالرفض على هذا العرف عددهن ٩٦ مبحوثة بنسبة ٦٪ بينما لم نوافق عليه ٢٧٤ مبحوثة بنسبة ١٧٪ ولم توافق عليه كلية ١١٨٠ مبحوثة بنسبة ٧٤٪ ويلاحظ أن العزة بالإحساس بالفردية قد دفعت غالبيتهن إلى تأكيد عدم إيمانهن بهذا العرف ، بينما ارتفاع معدلات الإنجاب بين أفراد تلك العينة من النساء تشير إلى عكس ذلك .

وبالنسبة لمن وقف من الأهل والأقارب موقف المعارضة من السيدات المقتنعات بفكرة تنظيم الإنجاب تبين أن ١١٩٧ مبحوثة لم تلقين معارضة من الآباء ، ووجدت ٧٣ مبحوثة معارضة من الأمهات ، ووجدت ١٠٩ مبحوثة بنسبة ٧٪ المعارضة من الحموات . ووجدت ٢١ مبحوثة معارضة من أسرة الزوج ، ووجدت ٢٢ مبحوثة معارضة من الصديقات ، وبدافع شخصى عارضت ٩٨ مبحوثة بنسبة ٦٪ فى تنظيم الإنجاب .

وبالنسبة لدور الأهل والأقارب والجيران فى إقناع المبحوثات من أفراد العينة قبل اقتناعهن بتنظيم الإنجاب ، تبين أن الآباء أقنعوا عشر مبحوثات فقط واقنعت الأمهات مائة مبحوثة بنسبة ٦٪ وأقنع الأزواج ١٤٢ مبحوثة بنسبة ٩٪ وأقنعت الحموات ١٧ مبحوثة ، وأقنعت أسرة الزوج ٢٧ مبحوثة

وأقنعت الصديقات ١٢٨ مبحوثة بنسبة ٨٪ واللاتى اقتنعت بدافع شخصى عددهن ١٠٩٦ مبحوثة بنسبة ٦٩٪ وهناك تسع مبحوثات لم يقتنعن . . . وهذا يؤكد أن الغالبية يعتقدن بأهمية تنظيم الإنجاب ولكن ليست لديهن القدرة على المبادأة ، أو أنهن يمثلن الأوضاع السائدة فى المجتمع حيث تختلف الأفعال عن الأقوال على كل المستويات .

أما عن الأعراض المرضية المصاحبة لتنظيم الإنجاب ، فقد تبين أن ٤٩٨ مبحوثة بنسبة ١٤٪ يشعرن بالدوخة و٢٢٢ مبحوثة بنسبة ١٤٪ يعانين من السمنة على حين أن ١٥٧ مبحوثة بنسبة ١٠٪ يعانين من النحافة . وهذه النسبة والنسبة السابقة حول النحافة والسمنة تمثل فرضاً علمياً يحتاج إلى الدراسة الطبية . ويؤدى تنظيم الإنجاب إلى إصابة ٢٣ مبحوثة بنسبة ٧٪ بالنزيف المتقطع وليس المستمر ، وتصاب ٦٧ مبحوثة بالتوتر العصبى ، و٢٤٣ مبحوثة بنسبة ٥٠٪ بالصداع ، وعشرة بالقيء ، وهناك ٢٨٠ مبحوثة بنسبة ١٧٪ لا يتعرضن لأية أعراض مرضية ، ويدخل فى هذه النسبة من لا تمارسن تنظيم الإنجاب بمختلف أساليبه . ويلاحظ أنها كلها أعراض مرضية غير خطيرة ، وإنما هى — من وجهة نظرنا — ترجع إلى الضعف الجسمانى الناتج عن سوء التغذية .

وبالنسبة للفترة المناسبة بين ميلاد كل طفل وآخر من وجهه نظر المبحوثات تبين أن ١٦٤ مبحوثة بنسبة ١٠٪ يفضلن أن تقل عن سنة ، وهذه النسبة تعبر عن لهفة المصريات على الإنجاب لاسيما فى المرة الأولى باعتبار الإنجاب نوع من الضمان لاستمرار الزواج ، بينما أوضحت ٩٢٨ مبحوثة بنسبة ٥٨٪ أنهن يفضلن أن تتراوح المدة بين سنة وأقل من ثلاث سنوات ، على حين أن ٨ ٥ مبحوثة بنسبة ٣٢٪ يفضلن أن تزيد المدة على ثلاث سنوات ، وكانت القائلات بالرأى الأخير ممن جربن مشاكل الإنجاب المتقارب .

وبالنسبة لأثر تنظيم الإنجاب على المستوى المعيشى للأسرة ، فلم يكن واضحاً لعدد ٢٣٨ مبحوثة بنسبة ٢١٪ وهناك ١٢٤ مبحوثة بنسبة ٨٪ تعانى أسرهن من إنخفاض مستوى المعيشة دون إيضاح سبب مقبول ، وربما كان الانخفاض فى المستوى المعيشى وضعاً سابقاً للتنظيم الإنجابى ولا حتماً له ، بينما ١١٢٨ مبحوثة بنسبة ٧١٪ أوضحت ارتفاع مستوياتها المعيشية .

أما عن أثر التنظيم الإنجابى على صحة الأم فقد تبين أن ١٦٤ مبحوثة بنسبة ١٠٪ لم تشعرن بأى ارتفاع أو انخفاض فى مستواها الصحى ، بينما تشعر ١٢٨ مبحوثة بنسبة ٩٪ بانخفاض مستواها الصحى ، على حين أن ١٢٩٨ مبحوثة بنسبة ٨١٪ تشعرن بتقدم ملموس فى صحتهن نتيجة أخذهن بأسلوب تنظيم الإنجاب ، فضلا عن شعورهن بالراحة من عمليات الحمل والولادة المتلاحقة وما يترتب عليها من رضاع وتربية وتكاليف اقتصادية .

وعن أثر الأخذ بأسلوب تنظيم الإنجاب على تعليم الأبناء وحتى نهاية المراحل التعليمية ، وعلى استكمال بعض الأجهزة المنزلية الناقصة ، وعلى وجود وقت فراغ يمكن استثماره إقتصادياً . . . تبين أن ١٣٩٣ مبحوثة بنسبة ٨٧٪ يؤكدن أن تنظيم الإنجاب يساعد على تعليم الأبناء حتى نهاية مراحله وأن ١٦٣ مبحوثة بنسبة ١٠٪ يؤكدن أن تنظيم الإنجاب يساعد على استكمال بعض الأجهزة المنزلية الناقصة أو تجديدها وصيانتها مثل الثلاجة والغسالة والسخان وما إلى ذلك . . . كما أكدت ٤٤ مبحوثة أن تنظيم إنجابها ساعدها على التفرغ الجزئى لبعض الأعمال ذات العائد الاقتصادى مثل حياكة الملابس وأعمال التريكو والتطريز وبعض الأعمال التجارية وما إلى ذلك . ومن ثم فان عدم استيعاب المدارس الابتدائية للملزمين ، وعدم استمرار الذين أنهوا المرحلة الإبتدائية والإعدادية والثانوية إلى نهاية المراحل التعليمية يرجع فى جانب منه إلى كثرة الأبناء وعدم قدرة الآباء على توفير كل متطلباتهم حتى نهاية التعليم . ومن هنا يضطر بعضهم إلى التخلف عن التعليم والالتحاق

ببعض المهن والحرف . وليس ذلك ذكاء من الآباء والأبناء على اعتبار أن خريجي الورش الصغيرة والعاملين فيها الآن أفضل فى مستقبلهم الإقتصادى من مستقبل خريجى الجامعات فالعامل الذى يعمل فى البنـــاء أو التبليط أو التبييض أو الحياكة أو السمكرة أو الميكانيكا . . . يحصل على دخل شهرى يعادل على الأقل أربع مرات دخل المتخرج فى الجامعة ، وإنما تتصور كل الأسر ذات الدخل الحدى أن عدم استمرار الأبناء فى التعليم حتى نهاية المرحلة الجامعية مأساة ، بل ومستقبل ضائع بالنسبة لأبنائهم ، وهم لا يعلمون أن الوقت الحاضر والمستقبل هو للعمال المهنيين والحرفيين وليس لخريجى الجامعات الذين انخفضت مرتباتهم إلى حد أفسد الهدف المقصود من بيت الشعر الذى يقول :

العلم يرفع بيوتا لا عماد لها　　　والجهل يهدم بيوت العز والشرف

وهو نهاية غير متصورة للعلم والعلماء .

وعن عدد مرات الولادة تبين أن اللاتى لم تلدن عددهن ٥٤ مبحوثه بنسبة ٤ ./. ومن ولدن من مرة إلى ثلاث مرات عددهن ٨٩٣ مبحوثة بنسبة ٥٦ ./. ومن ولدن من أربع إلى ستمرات عددهن ٥٤١ مبحوثة بنسبة ٣٤ ./. ومن ولدن من سبع إلى تسع مرات عددهن ١٠٢ مبحوثة بنسبة ٦ ./. ومن ولدن عشر مرات فأكثر كان عددهن سبع مبحوثات . . . ونتيجة هذا السؤال تؤكد صدق استمارة الاستبار المستخدمة فى هذه الدراسة الميدانية إذا ربطنا بينه وبين السؤال الذى يدور حول عدد الأبناء . هذا ووجود إختلاف ضئيل فى الأرقام يرجع بالضرورة إلى وفاة بعض المواليد ، فهناك بعض المبحوثات ولدن أكثر من عشر مرات، ولكن لا يوجد بين المبحوثات من لديها عشرة أبناء كلهم أحياء .

وبالنسبة لمعرفة المبحوثات بوجود مكتب لرعاية الأمومة والطفولة بالحى من عدمة ، تبين أن ٧٠٤ مبحوثة بنسبة ٤٤ ./. يعلمن بعدم وجود مثل هذا

للمكتب ، بينما ٨٩٦ مبحوثة بنسبة ٥٦ ٪ لا يعلمن بوجود أو عدم وجود مثل هذا المكتب ويرجع ذلك إلى أن الكثير من المبحوثات ينحدرن من أصل ريفي ممن تقتصر دائرة تجوالهن فى الحى على مسافات قصيرة ، كما تقتصر رغبتهن فى المعرفة على مجرد المعلومات المتعلقة بالحاجيات الاستهلاكية .

وعن مدى معرفة المبحوثات من أفراد العينة بالتكاليف الرمزية التى تدفع فى مقابل الاستمتاع بخدمات تنظيم الأسرة أوضحت ٧٠١ مبحوثة بنسبة ٤٤ ٪ أنهن يعرفن ذلك ، بينما أوضحت ٨٩٩ مبحوثة بنسبة ٥٦ ٪ أنهن لا يعرفن بذلك . ونتيجة هذا السؤال مع ربطها بنتيجة السؤال السابق تؤكد مدى صدق استمارة الاستبار المستخدمة فى هذا المسح الاجتماعى ، كما تؤكد مدى قصور الجهاز المركزى لتنظيم الأسرة فى المجال الإعلامى .

وبالنسبة لاتجاهات السيدات المبحوثات من أفراد العينة نحو تعليم بناتهن تبين أن ٧٤ مبحوثة بنسبة ٤ ٪ يفضلن تعليم البنات حتى نهاية المرحلة الابتدائية فقط ، بينما ٩٦ مبحوثة بنسبة ٦ ٪ يفضلن حتى نهاية المرحلة الإعدادية ، على حين أن ١٥٤ مبحوثة بنسبة ٩ ٪ يفضلن تعليم بناتهن حتى نهاية المرحلة الثانوية وهناك ١٢٢٣ مبحوثة بنسبة ٧٠ ٪ يفضلن التعليم وصول بناتهن فى التعليم إلى المستوى الجامعى و ١٥٣ مبحوثة بنسبة ٩ ٪ يرغبن فى وصول بناتهن فى التعليم إلى المستوى فوق الجامعى . ويرجع ذلك إلى شعور الطبقة الدنيا فى المجتمع بالنقص بالنسبة للتعليم العالى ، بينما التعليم الفنى المتوسط ، ربما كانت دخول المتخرجين فيه أفضل من دخول المتخرجين فى الجامعة ، ولكنه الانسياق الجماعى غير المستنير نحو التعليم الجامعى .

وعن العرف السائد ومبناه « إن البنت مسيرها تتجوز » وأثره على التجاوز عن العناية بتعليم البنت أكدت ٢٨ مبحوثة صحة هذا العرف الكاملة ، بينما أوضحت ١٠٢ مبحوثة بنسبة ٦ ٪ أنه صحيح إلى حـــد ما ، ولم توضح ١١٢ مبحوثة بنسبة ٧ ٪ مدى صحة أو خطأ هذا العرف ، على حين أن ٥٦٢

مبحوثة بنسبة ٣٥ ٪ أوضحن أن هذا العرف خاطىء إلى حد ما ، وأكدت ٧٩٦ مبحوثة بنسبة ٥٠ ٪ الخطأ الكامل لهذا العرف . ومعنى ذلك أن ٥٠ ٪ من أفراد العينة لا يدركن ضرورة التخطيط الاجتماعى لأسرة قبل تكوينها وأثناء استمرارها ، وهو أمر يتطلب إنشاء مكاتب عديدة للترشيد الأسرى ، مع إلزام المقبلين على الزواج بالحصول على شهادة منها بالتهيئة المبدئية للزواج.

وعن المشاكل التى دفعت المبحوثات من أفراد العينة إلى اللجوء إلى تنظيم الإنجاب كعامل مساعد على حل تلك المشاكل أوضحت ١١٠٤ مبحوثة بنسبة ٦٩ ٪ أن ضآلة دخل الأسرة هو الذى دفعهن إلى التفكير فى تنظيم الإنجاب. وهى نسبة عالية جدا ، ويمكن أن تفسر على أساس أن الفقراء أو محدودى الدخل هم الذين يلجأون إلى تنظيم الإنجاب للتغلب على المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الفقر ، ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك ، حيث ترتفع معدلات الإنجاب بين الطبقات الفقيرة وتنخفض كثيرا بين الأثرياء . . . هذا وقد أكدت ١٠٦ مبحوثة بنسبة ٧ ٪ من السيدات العاملات من بين أفراد العينة أن عدم وجود شغالات « خادمات » أو دور حضانة هو الذى دفعهن إلى التفكير فى تنظيم الإنجاب ، ومعنى ذلك أن تشغيل المرأة — فى ظروف صعوبة الحصول على شغالات — يؤدى آليا إلى اهتمامهم بضرورة تنظيم الإنجاب . . . وأرجعت ٢٩٨ مبحوثة بنسبة ١٨ ٪ أخذهن بتنظيم الإنجاب إلى ضعف الحالة الصحية . و ٢٢ مبحوثة إلى أمراض وراثية ، و ١٨ مبحوثة إلى مشاكل تربوية . . . وأكدت ٥٢ مبحوثة بنسبة ٣ ٪ عدم وجود مشاكل وبالتالى فلا داعى للتفكير فى تنظيم الإنجاب .

وعن مدى تفضيل المبحوثات لتعليم الذكور على الإناث ، تبين أن ٢٩٢ مبحوثة بنسبة ١٩ ٪ يوافقن بالكامل على ذلك ، بينما توافق ١٦ مبحوثة بشكل مبدئى على ذلك . على حين أن ١٩٣ مبحوثة بنسبة ١٢ ٪ سكتن عن التفضيل من عدمه بينما رفضت ٦٤٦ مبحوثة بنسبة ٤٠ ٪ هذا التفضيل إلى

حد ما ، وكذلك رفضت ٣٥٣ مبحوثة بنسبة ٢٨ ٪ هذا التفصيل رفضا كاملا ، ومعنى ذلك أن حوالى ٢٨ ٪ من أفراد العينة لا يزال تعليم الذكور على الإناث مفضل لديهم .

ومن الأسباب التى تحول دون مواصلة تعليم البنت أجابت ١٠٤٨ مبحوثة بنسبة ٦٣ ٪ بأنه لا يوجد مايحول دون مواصلة البنت لتعليمها ، بينما أكدت ٤١٢ مبحوثة بنسبة ٢٦ ٪ أن الذى يحول دون مواصلة تعليم البنت هو ضآلة دخل الأسرة وأجابت ٣٢ مبحوثة بنسبة ٢ ٪ بأن تقدم سن الفتاة ونموها هو الذى يحول دون مواصلتها لتعليمها ، حيث أصبحت من وجهة نظرهم (على وش جواز) وأجابت ثمانى سيدات بالاكتفاء بتعليم الذكور . وأجابت ٣١ مبحوثة بأفضلية الزواج للبنت على التعليم ، وأوضحت ٢٧ مبحوثة أن « إشتغال البنت عيب » ، وأشارت ٤٢ مبحوثة إلى أسباب متنوعة تحول دون مواصلة البنت لتعليمها .

وعن ضرورة إنجاب البنات بجوار البنين أجابت ١٣٥٨ مبحوثة بنسبة ٨٥ ٪ بأنه لا داعى لمواصلة الإنجاب حتى ترزقن بأنثى مادام الله قد منّ على كل منهن بولدين — مثلا — بينما أكدت ٢٤٢ مبحوثة بنسبة ١٥ ٪ بضرورة مواصلة الإنجاب حتى تحصل كل منهن على أنثى ، وبررن ذلك بأن « البنت حبيبة أمها » ، والواضح أن كل أم تريد أن ترزق بأنثى لتساعدها فى أعمال المنزل فحسب ، وأضافت بعضهن أنهن يطلبن إنجاب الإناث خدمة للآباء باعتبار إنجاب البنات من العوامل التى تزيد الرزق طبقا للعرف السائد الذى يقول بأن الله يقول للبنت عند ميلادها « روحى وأنا فى عون أبوك » .

وأما عن ضرورة إنجاب الذكور بجوار الإناث ، فقد أكدت ٨١٦ مبحوثة بنسبة ٥١ ٪ ضرورة مواصلة الولادة حتى يرزقن بالذكور وعللن ذلك بإرجاعه إلى رغبة الآباء لاسيما الآباء الذين يؤمنون بالمثل العامى الذى يقول بأن الله عندما يرزق شخصا بولد يقول لهذا المولود « روح فى عون

أبوك » ، بينما أكدت ٧٨٤ مبحوثة بنسبة ٤٩ ٪ أنه لا داعى لمواصلة الإنجاب لحين مجيء الولد ، على اعتبار عدم وجود فروق بين البنين والبنات لاسيما وقد أصبحت الفتاة تكافئ الفتى فى كل مجالات العمل ... غير أن المرأة ليست مخيرة هنا ، وإنما الأمر كله يرجع فى الغالب إلى رغبة الرجل ، والرجل المصرى لأسباب كامنة فى التراث الاجتماعى يفضل إنجاب البنين على البنات ، بل إن بعضهم يتزوج أكثر من زوجة لظنه أن بعض الزوجات لا ينجبن سوى الإناث ، فالكثرة من البنين الذكور « عزوة » فى نظر الرجل المصرى والذكور هم الذين يحفظون تركات الآباء ضمن ممتلكات العائلة بدلا من توزيعها على العائلات الأخرى التى ستتزوج فيها البنات ... الخ .

وعن مدى استفادة السيدات من أفراد العينة من خدمات ومساعدات مكاتب تنظيم الأسرة مثل الأقراص واللبن الجاف والدقيق والعمليات الجراحية المتعلقة بتنظيم الإنجاب مثل تركيب اللوالب وما إلى ذلك أكدت ٩٤ مبحوثة بنسبة ٤ ٪ استفادتهن بالأقراص فقط من مكاتب تنظيم الأسرة ، بينما أكدت ١٥٣٦ مبحوثة بنسبة ٩٦ ٪ عدم استفادتهن من أية خدمات من تلك التى تقدم فى مكاتب تنظيم الأسرة ، ويرجع ذلك إلى عدم وجود مكاتب لتنظيم الأسرة فى هذا الحى . وعن تركيب اللوالب أو علاج النزيف وما إلى ذلك فقد أكدن جميعا أن الطبيب المختص فى مكاتب تنظيم الأسرة لا وجود له ، وربما كان موجودا ولكنه لا يمارس أى نشاط مجانى فى هذه المكاتب .

ومما تجدر الإشارة إليه أننى أستطيع استنادا إلى الملاحظة الشخصية أن أؤكد أن أطباء مكاتب تنظيم الأسرة (رعاية الأمومة والطفولة) يقضون وقت العمل فى إعمال إدارية وإعطاء أجازات للموظفين المرضى ولا يعلمون شيئاً عن تنظيم الإنجاب سوى الحصول على نصيب الأسد من عائد بيع الأقراص للمترددات من الأمهات ، بينما كانت الحكيمة المختصة[1] فى المكتب الذى

---

(١) السيده فتحية ممتاز حكيمة مكتب صحة المجوزه بمحافظة الجيزه .

لاحظت فيه ذلك أنها هي التي تقوم باستقبال المترددات وتوفير الأقراص لهن وإرشادهن صحيا بمواجهة الطوارىء الصحية المترتبة على تناول الأقراص .

وبالنسبة للصعوبات التي تواجه المبحوثات من أفراد العينة في الحصول على أقراص تنظيم الإنجاب تبين أن ٨٢ مبحوثة بنسبة ٥ ٪ يجدن صعوبة في الحصول على هذه الأقراص ، وأكدت ٢٩٨ مبحوثة بنسبة ١٨ ٪ أنهن في بعض الأحيان يجدن صعوبة في الحصول على هذه الأقراص ، وأكدت ١٠٢٧ مبحوثة بنسبة ٦٤ ٪ عدم وجود صعوبات في الحصول على هذه الأقراص ، بينما لا تجد ١٩٣ مبحوثة بنسبة ١٢ ٪ الوقت الكافي للبحث عن أقراص تنظيم الإنجاب .

وعن تفضيل المبحوثات من أفراد العينة تزويج بناتهن صغارا لكي يعودن بواسطة أزواجهن على طباعهم أكدت ٢٥٨ مبحوثة بنسبة ١٦ ٪ أفضلية ذلك ورفضت ١٣٤٢ مبحوثة بنسبة ٨٤ ٪ الموافقة على تزويج بناتهن صغارا وعللن ذلك بعدم صلاحية البنات الصغار للزواج قبل أن ينضجن إجتماعيا وينلن حظهن الميسور من التعليم .

وعن العرف الشائع ومبناه « يرزق الدودة في الحجر » ومدى التشابه بين الإنسان والدودة في الرزق أكدت ٣٥٧ مبحوثة بنسبة ٢٢ ٪ أنه لافرق بين الإنسان والدودة فالله يرزق كل مخلوقاته كما يقول القرآن الكريم ، بينما رفضت ١٣٤٢ مبحوثة بنسبة ٧٨ ٪ هذا التشبيه ... وتلك نتيجة تؤكد أن الرزق ـ من وجهة نظر هؤلاء ـ يعتمد على العمل وليس على التواكل .

وعن ضرورة القدرة على الإنفاق على الأبناء قبل إنجابهم قالت ١١١٦ مبحوثة بنسبة ٧٠ ٪ أنه من الضروري أن يكون في الدخل ما يكفي للإنفاق على المولود الجديد قبل إنجابه ، فأسر البنات لاتوافق على زواجهن من أزواج غير قادرين « على فتح بيت » ولكن هذه « القدرة على فتح بيت » عملية نسبية

من مبحوثة إلى أخرى فالأرزاق على الله كما تقول الكثيرت منهن ... هذا ، بينما لم يكن لموضوع الدخل أهمية فى عملية الإنجاب بالنسبة لعدد٤٨٤ مبحوثة بنسبة ٣٠٪ ، فالرزق على الله مضمون كما تؤكد الكثيرات منهن « وربنا ما بينساش حد » على حد تعبيرهن . وهذا هو التواكل بعينه الذى يتناقض مع أسس وقواعد التخطيط الاجتماعى الأسرى .

وعن مدى الإيمان بالمثل العامى الذى يقول « كل فم جديد له رزق جديد » أوضحت ٣٩٦ مبحوثة بنسبة ٢٥٪ أن دخل زوجها سيزيد كلما زاد عدد أطفالها تطبيقاً لقوله تعالى « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » بينما أكدت عكس ذلك ١٢٠٤ مبحوثة بنسبة ٧٥٪ هذا ونتيجة هذا السؤال تتشابه مع نتيجة السؤال قبل السابق والذى يدور حول المثل الشائع ونصه « يرزق الدودة فى الحجر » الأمر الذى يؤكد صدق الاستمارة التى استخدمت كأداة لجمع البيانات فى هذا المسح الاجتماعى .

وبالنسبة لمن لجأت إلى الإجهاض كوسيلة من وسائل تنظيم الإنجاب ، فقد تبين أن ٣٧ مبحوثة ، أى بنسبة٢٪ هن اللاتى فكرن — وفى الواقع أنهن اضطررن — إلى اللجوء إلى الإجهاض عن طريق استخدام الوسائل البدائية بينما استنكرت ذلك ١٥٦٣ مبحوثة بنسبة ٩٨٪ غير أن لجوء أو اضطرار ٣٧ مبحوثة إلى الأساليب البدائية للإجهاض وما يترتب عليه من نزيف وأمراض مزمنة وربما الوفاة تتطلب ضرورة إتاحة الأساليب والأدوات والعقاقير الطبية الضرورية لتنظيم الإنجاب وبتكاليف ميسورة حرصا على صحة وحياة السيدات .

وعن قيام مكتب تنظيم الأسرة بتركيب لوالب للسيدات اللاتى يرغبن فى استخدامها كوسيلة من وسائل تنظيم الإنجاب ، تبين أن سبع مبحوثات من ١٦ مبحوثة هن اللاتى تم تركيب لوالب لهن لدى أطباء خصوصيين . ومعنى ذلك أن أضمن وسيلة لتنظيم الإنجاب وهى اللوالب غير متاحة فى الأحياء

التى هى فى أشد الحاجة إليها . ونقول أضمن وسيلة ، لأن المبحوثات أشرن مرارا إلى أن الإجهاد المستمر الذى تعيش فيه المرأة المصرية يجعلها تنسى تناول الأقراص فى مواعيدها . وقد سمعت هذه الشكوى فى قريتنا الريفية[1]، حيث تعمل المرأة طول النهار وشطرا كبيرا من الليل وبالتالى تنسى تناول الأقراص ، ومن ثم تفقد هذه الأقراص فعاليتها .

وبالنسبة لرأى المبحوثات من أفراد العينة فى موضوع تنظيم الإنجاب فقد أكدت غالبية المبحوثات أهميته وضرورته ، مع إشتراط ألا يكون فى تنظيم الإنجاب ما يتعارض مع الدين . . . ويلاحظ أن أفعالهن كثيرا ما تتناقض مع أقوالهن .

التقرير النهائى للدراسة الميدانية :

يتطلب التقرير النهائى لهذه الدراسة الميدانية الأولى من نوعها فى مثل تلك الأحياء الشعبية الحديثة ضرورة إلقاء نظرة على النمو المورفولوجى والفزيوجى لهذا الحى والأحياء المشابهة على مستوى القاهرة الكبرى . فقد اتسعت مدينة القاهرة عمرانيا على حساب محافظتى الجيزة والقليوبية ، حيث كان معدل النمو السكانى فى الفترتين التعداديتين الأخيرتين (٤٧/١٩٦٠) و (٦٠/١٩٦٦) يقل بعض الشىء عن مثيله فى الفترة التعدادية السابقة (٣٧/١٩٤٧) ويمكن إرجاع ذلك إلى النمو السكانى والنمو العمرانى الإقليمى للقاهرة ، الذى لم يعد يعترف بالحدود الإدارية لمحافظة القاهرة فاتجه غربا عبر النيل إلى الجيزة وليس أدل على ذلك من أن سكان مدينة الجيزة قد زاد عددهم من ٦٦١٥٦ نسمة سنة ١٩٤٧ إلى ٢٥٠٥٣٤ نسمة سنة ١٩٦٠ وإلى ٦٤٧٢٢٧ نسمة سنة ١٩٦٦ وبذلك سجلت مدينة الجيزة فى الفترة التعدادية الأخيرة معدل نمو سريع للغاية يربو على ٢٠٪ سنويا .

(١) قرية الرقة مركز العياط ، محافظة الجيزة .

وتأتى محافظة القليوبية بعد الجيزة حيث يتجه كثير من سكان القاهرة إلى شبرا الخيمة التى تمثل هى الأخرى امتدادا عمرانيا للقاهرة وتدخل فى نطاق القاهرة الكبرى . وذلك بالإضافة إلى التوسع العمرانى لمدينة القاهرة شرقا فى صحراء مدينة نصر ومصر الجديدة وشمالا فى الخانكة وخط الزيتون وجنوبا إلى حلوان وبعض قرى مركز الصف .

وباختصار فإن سكان مدينة القاهرة بحدودها الإدارية طبقا للإحصاء التقديرى الذى أعلن فى أول يونيو ١٩٧٦ بلغ ٦٫١١٥٫٠٠٠ نسمة وأصبح سكانها يمثلون ١٦٪ من سكان الجمهورية . أما النطاق العمرانى للقاهرة الكبرى والذى يشمل أقسام مدينتى القاهرة والجيزة وجميع قرى مركز الجيزة ومدينة شبرا الخيمة الداخلة ضمن إقليم القاهرة الكبرى فإن عدد سكانه ٧٫٠٥١٫٠٠٠ نسمة وبذلك نجد النطاق العمرانى يضم ١٩٪ من سكان الجمهورية . بينما النطاق الإقليمى للقاهرة الكبرى ويشمل أقسام مدينتى القاهرة والجيزة وجميع قرى مركز الجيزة ومدينة شبرا الخيمة وجميع قرى مركز الخانكة وقليوب ومركز القناطر الخيرية وبعض قرى مركز الصف ومركز البدرشين وبعض قرى مركز امبابه من أقسام ومراكز محافظة الجيزة .

ولذلك أصبحت القاهرة الكبرى تشمل الكثير من الأحياء الشعبية الحديثة المماثلة لأحياء مدينة نصر . وهذه الأحياء تضم غالبية المهاجرين من المحافظات الأخرى إلى القاهرة الكبرى ، كما تضم الذين هاجروا إليها منذ فترة طويلة نسبيا ، فضلا عن أن بعض سكان القاهرة الذين تهدمت منازلهم ، حيث تنشىء الدولة بعض المساكن الاقتصادية لمواجهة الحالات الطارئة . وتشتمل هذه الأحياء على المساكن التى يشيدها المواطنون لسكناهم ولسكنى من يرغب من غيرهم ، وتقع هذه الأحياء بجوار كردون القاهرة الكبرى وفى أحيان كثيرة خارج هذا الكردون حيث لا تتوافر الخدمات الحضرية المتعارف عليها مثل المياه النقية والمجارى والكهرباء فضلا عن الخدمات الصحية التى ترتبط بموضوع الدراسة .

ومن ذلك يمكن القول بأن الثقافة التى ليست ريفية كاملة أو حضرية كاملة هى التى تسود مثل سكان تلك الأحياء . ويمكن أن يتضح لنا حجم سكان مثل تلك الأحياء إذا استعرضنا مؤشرات الهجرة إلى القاهرة الكبرى ، وماتؤدى إليه من زيادة سكانية بالغة لم تعد تتسع لها الأحياء القديمة فى مدينة القاهرة .

جدول رقم (٩)

عن تطور سكان القاهرة فى الفترة من ١٧٩٨ — ١٩٦٦ [١]

التعداد	محافظة القاهرة		إقليم القاهرة الكبرى	
	عدد السكان بالألف	معدل النمو السكانى	عدد السكان بالألف	معدل النمو السكانى
١٧٩٨	٢٥٥	—	—	— [٢]
١٨٩٧	٥٩٧	—	١٨٦	—
١٩٠٧	٦٨٤	١ر٣٦	١١٣٣	١ر٤٠
١٩١٧	٨٠٢	١ر٥٩	١٣٣٧	١ر٦٦
١٩٢٧	١٠٧٣	٢ر٨٩	١٦٧٦	٢ر٢٥
١٩٣٧	١٣١٢	٣ر٤٠	٢٠١٧	١ر٨٥
١٩٤٧	٢٠٧٩	٤ر٥٢	٢٩٦٢	٣ر٨٠
١٩٦٠	٢٣٥٣	٣ر٤٧	٤٨٢٠	٣ر٥٤
١٩٦٦	٤٢٢٠	٤ر ٢	٦١١٣	٤ر١٥
١٩٧٦	٦١١٥	٣ر٦٤	٨٧٧٠	٤ر١٠ [٣]

(١) مؤتمر دراسة التضخم السكانى وتزايد الهجرة إلى إقليم القاهرة الكبرى (مارس ١٩٧٥) ورقة عمل حول النمو السكانى فى القاهرة الكبرى ودور الهجرة فيه مقدمة إلى لجنة التخطيط القومى الشامل من إعداد الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم جدول رقم ١ صفحة ٤

(٢) ج . دى شابرول : وصف مصر « دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين » ترجمة زهير الشايب . القاهرة ١٩٧٦ صفحة ٨ ، ٩

(٣) الاحصاء التقديرى الذى أعلنه الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء . جريدة الأهرام فى ٣/٦/١٩٧٦

ومن هذا الجدول يتضح أن سكان القاهرة الكبرى سنة ١٩٤٧ كان عددهم ٢٫٩٦٢٫٠٠٠ نسمة وطبقا للإحصاءات التقديرية بلغ عدد سكان القاهرة الكبرى حوالى ثمانية ملايين نسمة . وحيث أن معدل النمو السكانى الطبيعى على مستوى القاهرة فى حدود ١ ٪ فإن أربع أخماس هذه الزيادة تأتى عن طريق الهجرة إلى القاهرة الكبرى ، بمعنى أن أربعة ملايين من المهاجرين هم الذين يقيمون فى أحياء مثل مدينة نصر والمقابر المجاورة لها والتى امتلأت بالسكان فى الفترة الأخيرة وأطراف مصر الجديدة ومدن خط الزيتون وخط حلوان بالقاهرة ، وكذلك حى إمبابة وساقية مكى وشارع الأهرام وقرى مراكز الخانكة والجيزة والصف وما إليها .

وعلى ذلك فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تعبر بصدق عن حالة تلك الملايين الأربعة فى الأحياء السالفة الذكر ، كما تعبر عن الأحياء المماثلة فى سائر المدن المصرية .

ولعل من أهم النتائج التى انتهت إليها الدراسة الميدانية أن ٥٤ ٪ من أفراد العينة من الأميات وأن ٢٣ ٪ ممن يعرفن القراءة والكتابة ، أى أن ٧٧ ٪ من المبحوثات أميات أو شبه أميات ، كما كانت غالبيتهن ٨٤ ٪ من ربات البيوت ، وأن ٩٠ ٪ من أزواج المبحوثات يعملن فى وظائف الخدمة المعاونة فى دواوين الحكومة وفى الإسكان والمرافق بالمحافظة . وبعضهم من صغار العاملين ، وكثير منهم من الباعة الجائلين .. وعلى ذلك فإن السمة العامة الغالبة لسكان هذا الحى هى الأمية والدخول المنخفضة (٧٥ ٪ من أفراد العينة لا يزيد دخل كل منهم عن ثلاثين جنيها شهريا) والثقافة السائدة هى الثقافة شبه الريفية . ومن ثم فإن مثل تلك البيئة الاجتماعية فى أشد الحاجة إلى خدمات حكومية مجانية مثل خدمات مكاتب رعاية الأمومة والطفولة . ولكن الذى يدعو إلى الدهشة أن هذا الحى خال تماما من مكاتب رعاية الأمومة والطفولة ، حيث تشكو المبحوثات من أن أى سيدة فى حالة وضع ويتصل

أقاربها بمكتب رعاية الأمومة بحى العباسية ، فإن الرد الدائم هو عدم وجود سيارة لنقل الحكيمة من مكتبها إلى منزل الوالدة ، ولا مانع لديها من الذهاب إذا تم تدبير سيارة أجرة أو خاصة لنقلها وإعادتها ... ولذلك ففى كثير من الأحيان يعتمد سكان الحى على « الدايات » فى عمليات الولادة ، وبالتالى فى كل مايتصل بالسلوك الإنجابى ، وويل لمجتمع تتولى النصح فيه « دايات » جاهلات وكاهن من العجائز الذين يحملون فى أذهانهن ثقافة القرن الماضى ، الثقافة التى كانت تقوم على العصبية العـــددية والتى ترتبط بالتخلف السكانى وبانتشار الأمراض والأوبئة . ويضاف إلى ذلك أن ٥٦ من المبحوثات لايعلمن بوجود أو عدم وجود مثل تلك المكاتب ولا بما تقدمه من خدمات شبه مجانية وماتقدمه من مساعدات عينية وعلاجية .

وذلك فى الوقت الذى توافق فيه ٧٦ ٪ من أفراد العينة على فكرة تنظيم الانجاب ، وينقصهن وجود الخدمات المجانية أو الميسورة لإقران الفعل بالاقتناع بالفكرة ، حتى لا يعشن بدون تنظيم أو بتنظيم بدائى غير دقيق كما عاشت ٢٧ ٪ منهن إلى أن أنجبن الطفل الخامس ، ولا يزال الطريق مفتوحا أمامهن للإنجاب على مصراعيه .

ومن الوسائل المفضلة لتنظيم الانجاب أكدت ٧٣ ٪ من أفراد العينة أنها الأقراص وهى وسيلة مؤكدة طبيا وفى الأحياء التى تتمتع فيها المرأة بشىء من الراحة ، ولكن سيدات مثل هذا الحى تعانين من العمل المنزلى المتواصل ، وربما فى مساعدة زوجها إذا كان من العاملين فى الأنشطة الخاصة ، طوال ساعات النهار وشطراً غير قليل من الليل ، يصبحن بعده منهوكات القوى ، وبالتالى فإنه إذا توافرت الأقراص ، فانهن ينسين تناولها فى مواعيدها . ومثل هؤلاء السيدات حبذا لو وفرت وزارة الصحة — أو جهاز تنظيم الأسرة — الأطباء الأخصائيين لتركيب « لوالب » لهن بالمجان ، حيث لا توجد مثل تلك الخدمة المجانية نهائيا فى هذا الحى ،

حتى لا يؤدى النسيان إلى إفساد الهدف من تنظيم الانجاب ، ولا مانع من توفير بقية الوسائل الطبية لتنظيم الإنجاب ، لتختار منها كل سيدة ما تريد ، حيث تتأثر سيدات هـذا الجيل بما يشاع — ولو كان غير صحيح — عن الأعراض المرضية المصاحبة لبعض وسائل منع الحمل ، لا سيما وقد تبين أن ٦٦ ٪ منهن تحمل وتلد وتنظم إنجابها بعيدا عن أى إشراف طبي مجانى أو مدفوع الأجر .

ومما أكدته النتائج أيضا اقتناع ٥٠ ٪ من أفراد العينة بمعارضة الدين لتنظيم الإنجاب ، الأمر الذى يتطلب إقناع أئمة المساجد باتفاق تنظيم الإنجاب مع الدين ، وكذلك إقناع طلاب كليات أصول الدين بجامعة الأزهر بذلك ، ثم الاستفادة من جهودهم فى إقناع السكان بعد ذلك .

وأكدت النتائج أيضا أن « ضيق ذات اليد » أو الفقر هو الذى يدفع ٦٦ ٪ من أفراد العينة — وليس الطموح إلى مستوى معيشى أرقى — إلى البحث عن تنظيم الإنجاب وهذا ما يتطلب إيقاظ روح المبادأة والطموح فى نفوس سكان مثل تلك الأحياء حتى يكون اتجاههن نحو تنظيم الإنجاب قائما على أسس اجتماعية وليس مجرد رد فعل للفقر يزول بزواله .

هـذا ولا يزال الراديو سيد الموقف الإعلامى بالنسبة للتوعية بتنظيم الإنجاب والتبصير بعواقب سوء التنظيم أو اللا تنظيم ، وأكدت النتائج أيضا أن دور التليفزيون ثانوى فى الإعلام بتنظيم الإنجاب ، فضلا عن عدم وجود أى أثر ترشيدى أو توجيهى مباشرا وغير مباشر لمكاتب تنظيم الأسرة . ونظرا لأن ٤٠ ٪ من الأزواج لا يشجعون زوجاتهم على الإيمان بفكرة تنظيم الإنجاب فمن الضرورى إنشاء مكاتب لترشيد المقبلين على الزواج بضرورة تنظيم إنجابهم ، حيث لم تفكر ٥٤ ٪ من أفراد العينة من المبحوثات فى تنظيم إنجابهن إلا بعد الطفل الثالث ، والتفكير عندهن يقع بعيدا عن التنفيذ .

أما عن القيم والأعراف والمبادىء والمعايير التى تحكم السلوك الإنجابى — والتى عرضنا لها تفصيلا من قبل — فإن ٦٠ ٪ على الأقل من أفراد العينة يؤمن بما يدعو منها — منها — إلى الإكثار من الإنجاب ، وهذا يحتاج إلى جهود الأخصائيين الاجتماعيين ، لبث قيم وأعراف ومبادىء ومعايير أكثر تقدما وتحضرا أو رشدا بدلا من تلك التى جرت الكثير من المشاكل الاجتماعية السكانية . والأخصائيون الاجتماعيون - لكى يزداد دورهم فعالية - ينبغى أن يكافأوا مكافأة تزيد على مكافأة الأطباء ، بدلا من تلك التى لا تذكر بجوار مكافآت الأطباء ، على حين يقع العبء كله على الأخصائيين الاجتماعيين إذا أخذنا بالأسلوب المقترح .

أما عن الأعراض المرضية التى تصاحب إستخدام وسائل تنظيم الإنجاب ، فإنها كلها فى الغالب وقتية أو عرضية ، وبمرور الزمن تصبح من الأمور العادية وإن كانت الأقاويل ذات أثر أقوى من آثار الوسائل المستخدمة نفسها ، والأمر كله يرجع إلى ضعف أو قوة السيدة التى تستخدم تلك الوسائل التنظيمية من الناحية البدنية ، وفى النهاية فإن تنظيم الإنجاب سوف يقلل من سوء التغذية الذى تعانى منه المرأة المصرية فى كثير من الأحيان وهذا ينعكس على قواها البدنية والمعنوية إيجابياً .

وأكدت النتائج أيضا رغبة المبحوثات فى ضرورة التعليم الجامعى لأبنائهن بنسبة ١٠٠ ٪ ولبناتهن بنسبة ٧٠ ٪ ولا يدرك هؤلاء — نتيجة لشعورهن بالنقص المترتب على الأمية التى يعش فيها — أن التعليم الفنى المتوسط يحصل خريجوه إذا عملوا فى مجال القطاع الخاص — على دخول تفوق عدة مرات دخول المتخرجين فى الجامعة ، فضلا عما يوفره من جهد ومال على ذويهم أثناء تنشئتهم الاجتماعية .

وتؤدى ضرورة إنجاب البنات بالنسبة للسيدات وإنجاب البنين بالنسبة للرجال والنساء إلى الإفراط فى الإنجاب بلا داع ، إلا لمجرد اعتقاد الآباء

بأفضلية البنين على البنات إتباعا منهم لقيم إجتماعية لم تعد تتفق مع أوضاع المجتمع المعاصر ، بمعنى أنها أفضلية موروثة منذ عهد المجتمعات غير المتحضرة، وكذلك لمجرد اعتقاد الأمهات بأن « البنت حبيبة أمها » مع أن المشاكل التى تجلبها البنات للآباء والأمهات لا نهاية لها ، والنتيجة النهائية لذلك هى النمـــو السكانى السريع .

وأكدت النتائج أيضا اختفاء دور الأطباء الذين يحصلون على نصيب الأسد من عائد بيع الأقراص ، مع عدم قيامهم بتركيب اللوالب وعدم كشفهن على المرضى من المترددات ، وعدم معالجة العاقرات منهن ... الخ .

وهذا يتطلب إعادة النظر فى خطة تنظيم الإنجاب ، وضرورة اختيار أجهزة فعالة ، لأن الأمر ليس بجرد لافتات ترفع هنا وهناك ، ولا تعبر عن أى مضمون فعلى .

والنتائج التى ينطوى عليها هذا التقرير جاءت تفاصيلها هى وغيرها من خلال التحليل السابق لكل سؤال من أسئلة استمارة الاستبار التى استخدمت كأداة لجمع البيانات لهذا المسح الاجتماعى الميدانى .

الفصل الثامن

السياسة القومية للسكان

يعانى المجتمع المصرى من آثار الإفراط السكانى الذى لا تتناسب معدلاته مع معدلات التنمية الإجتماعية والاقتصادية ، تلك الحالة التى تؤدى بالتبعية إلى انخفاض مستوى المعيشة للمجتمع وللأسرة وللفرد . ومن ثم أصبحت مشكلة الإفراط السكانى من المشاكل التى تحول دون وصول المجتمع إلى مستوى أرقى مما هو عليه ، بل ولا تسمح له حتى بمجرد الاحتفاظ بالمستوى الذى هو عليه الآن ، ذلك أن النمو السكانى يلتهم كل زيادة فى النمو الاقتصادى بصورة تحول دون وجود فائض إقتصادى يمكن إستثماره لصالح الأفواه الجديدة ، حتى لا تأكل تلك الأفواه مما هو مخصص للسكان الحاليين ، الأمر الذى يؤدى إلى زيادة سوء التغذية لكل من الأفواه القديمة والجديدة . ومن ثم فهذه المشكلة كما يقول « الميثاق » من أصعب المشاكل التى تعترض التنمية وتهددها ، وهى من أخطر العقبات التى تواجه جهود الشعب المصرى فى انطلاقه نحو رفع مستوى الإنتاج فى بلاده بطريقة فعالة وقادرة. وعنها يقول « برنامج العمل الوطنى » أيضا « ولو أن هذه المشكلة استمرت لقضت على كل أمل للتطور والتقدم ، بل ولهددت أيضا بمجرد إستمرارنا » .

تلك هى المشكلة كما حددتها المواثيق السياسية ، وأسفرت عنها الدراسات والمؤتمرات والبحوث العلمية ، وأكدتها التجارب العملية ، وأيدتها المشاهدات لخبرات الآخرين ممن تتشابه ظروفهم مع ظروفنا الاجتماعية .

وظلت مصر على المستوى الرسمى حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين تعيش فى حالة توازن سكانى قائم على التخلف وما يعنيه التخلف من

فقر وجهـــل ومرض ، دون أن تعطى آذانا صاغية لصيحات المفكرين الاجتماعيين المصريين أمثال إسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد وغيرهما ممن ساهموا فى عقد مؤتمر للسكان فى مصر سنة ١٩٣٧ للإشارة إلى أخطار النمو السكانى السريع ومايترتب عليه من مشاكل إجتماعية واقتصادية وسياسية . ولكن تحذيراتهم ذهبت أدراج الرياح .

هذا ولم تلتفت الحكومة المصرية إلى المسألة السكانية إلا فى أوائل الخمسينات نتيجة لكتابات علماء الاجتماع[١] ونتيجة للاتجاه القومى الذى ساد فى مصر غداة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ونتيجة أيضا الأخذ بأسلوب خطط التنمية الإجتماعية والاقتصادية، ومايتطلبه ذلك من المقارنة بين النمو الاقتصادى والنمو السكانى وضرورة زيادة النمو الاقتصادى على النمو السكانى حتى يمكن تحقيق فائض يمكن استثماره لصالح الأفواه الجديدة ولرفع مستوى المعيشة بالنسبة لبقية السكان الذين بلغ عددهم ٣٨ مليون فى أول يونيو ١٩٧٦ وأصبح يولد مصرى كل ٢٣٫٣ ثانية ويموت مصرى كل ٦١٫٨ ثانية ويزيد المصريون واحد كل ٣٧٫٥ ثانية[٢] .

وازداد الإحساس بخطر النمو السكانى السريع عقب الأخذ بالأسلوب التكنولوجى فى المجال الطبى ، الأمر الذى أدى إلى انخفاض معدلات الوفيات مع استمرار المعدل المرتفع للمواليد . وإذا كانت معدلات المواليد قد انخفضت انخفاضا ضئيلا ، فإنها استمرت مرتفعة نسبيا نتيجة لعوامل إجتماعية وإقتصادية سائدة فى ريف المجتمع المصرى وإلى حد ما فى الحضر . ومن هنا أخذت مشكلة النمو السكانى السريع طابعا سياسيا .

---

(١) الدكتور عبد العزيز عزت : فى الاحصاء . مرجع سابق .

(٢) بيان الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء المنشور فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٧٦ .

وبصرف النظر عن الاحصاءات المتعددة والعديدة المبالغ فيها عن معدلات الإنتاج وزيادة الدخل القومى وارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى، فإن معدل المواليد الجدد كاد يقترب من ٣ ٪ وكان يلتهم كل نمو إقتصادى، وبذلك لم تتوافر لدى الدولة رءوس الأموال الفائضة التى يمكن استثمارها لصالح المواليد الجدد والقدامى . ومن هنا أخذت المسألة السكانية طابعا معقدا، فضلا عما تنطوى عليه من أبعاد إقتصادية وسياسية وإجتماعية، حيث تبين للدولة بوضوح أن التزايد السكانى عنصر معوق أمام تحقيق أى نوع من الرخاء والرفاهية . ومن هنا اكتسبت قضية تنظيم الإنجاب بعدها السياسى، لاسيما عندما تم تحديد الاستراتيجية العليا لجمهورية مصر العربية فى بناء الدولة الحديثة . ذلك أن تحقيق هذه الاستراتيجية يتطلب إنجاز العديد من المهام الرئيسية، وعلى رأسها تنظيم الإنجاب، لماله من أهمية بالغة وآثار مباشرة على إقتصادنا القومى، وعلى حاضر مصر ومستقبلها الاجتماعى والإقتصادى والسياسى .

وانتهت الآراء إلى أن الحل العلمى للمشكلة السكانية، إنما يكمن فى وضع خطة تهدف إلى خفض معدل الخصوبة ليتوازن مع معدل الوفيات . الذى سبق تخفيضه، والذى سوف يستمر فى الانخفاض . وذلك مع استمرار وتكثيف التنمية وصولا إلى التوازن السكانى على طريق التقدم والرخاء الاجتماعى والاقتصادى . وكانت عناصر هذا الحل هى :

١ — وضع سياسة سكانية واضحة المعالم مع إعلانها .

٢ — تحديد الأهداف المطلوب تحقيقها خلال مدة الخطة .

٣ — تحديد الأسس التى يمكن على أساسها الوصول إلى الأهداف المرجوة .

٤ — تحديد الأنشطة التى يتحقق بتنفيذها تحقيق هذه الأهداف .

٥ — تحديد الأجهزة التى تقوم بهذه الأنشطة تحديدا واضحا مع تحديد مسئوليات أدائها .

٦ — وضع البرامج العلمية والزمنية التى تتناول هذه الأنشطة .

٧ — وضع المعـــايير والمقاييس التى تساعد على وضع برنامج تقويمى لقياس مدى تحقيق الأهداف ، وأثر العوامل ، وإنجازات الأنشطة ، وتطوير الخطط والبرامج فى الأوقات المناسبة .

هذا وقد اكتسبت قضية السكان بعدا شعبيا بانعقاد المؤتمر الأول لتنظيم الأسرة فى الفترة (٢٥ — ٢٨ يونيو ١٩٧٣) بواسطة الاتحاد الإشتراكى العربى والذى اشترك فى إجتماعاته كل من المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة وممثـــلى الوزارات المعنية . وعلى هدى التوصيات التى انتهى إليها هذا المؤتمر بعد مناقشة أوراق العمل المقدمة من مختلف أعضائه ، تم وضع الجزء الأول من مشروع الخطة القومية العشرية (١٩٧٣ — ١٩٨٢) للسكان وتنظيم الأسرة فى مصر .

المشروع القومى للسكان :

يتلخص المشروع القومى للسكان فى ضرورة خفض معدل النمو السكانى كهدف لإحداث توازن لصالح التنمية . وهذا الهدف يتحقق من خلال خطط التنمية الاقتصادية والإجتماعية الشاملة التى تأخذ بها الحكومة ، وأيضا عن طريق اعتباره كجزء أساسى من سياسة وأهداف وأنشطة كل المؤسسات الدستورية ، وعن طريق التنسيق بين جهود مختلف الأجهزة الحكومية والأهلية المعنية . وذلك كله من أجل الارتقاء بالمستوى الكيفى للأسرة المصرية ، والوصول بها إلى حالة من الرخاء والرفاهية .

أهداف السياسة القومية للسكان :

وإزاء التهديد المستمر الناتج عن النمو السريع للسكان ، وعملا على زيادة

قدرة المجتمع المصرى على مواجهة أخطار المشكلة السكانية التى تهدد حاضره ومستقبله ، استقر الرأى على العمل من أجل إيجاد توازن بين معدلات النمو السكانى ومعدلات التنمية الإجتماعية والإقتصادية الشاملة فى نهاية الخطة العشرية السكانية التى تنتهى سنة ١٩٨٢ وذلك من خلال :

١ — خفض معدل النمو السكانى وقدره ٢٠٫٦ فى الألف سنة ١٩٧٣ إلى ١٠٫٦ فى الألف سنة ١٩٨٢[١] وذلك عن طريق :

(ا) خفض معدل المواليد من ٣٣٫٦ فى الألف سنة ١٩٧٣ إلى ٢٣٫٦ فى الألف سنة ١٩٦٢ .

(ب) عدم زيادة معدل الوفيات الذى يبلغ ١٤٫٩ فى الألف (متوسط السنوات ٦٩ — ١٩٧١) من ١٣ فى الألف سنة ١٩٨٢ .

٢ — الوصول بحجم السكان فى مصر مقدرا بعدد ٤١ مليون نسمة سنة ١٩٨٢[٢] مع إعادة توزيع السكان بين الريف والحضر على النحو التالى :

— سنة ١٩٧٠ : الريف ٥٨ ٪ والحضر ٤٢٪[٣]

— سنة ١٩٨٢ : الريف ٥٣ ٪ والحضر ٤٧٪

---

(١) بفرض انخفاض معدل المواليد بمقدار واحد فى الألف سنويا عن المعدل الرسمى لسنة ١٩٧١ وقدره ٣٤٫٦ فى الألف وهبوط معدل الوفيات إلى ١٣ فى الألف

(٢) وفى حالة انخفاض معدل المواليد بمقدار نصف فى الألف سنويا ، فان تقدير عدد السكان سنة ١٩٨٢ هو ٤٢ مليون نسمة على حين أنه إذا استمر المعدل الحالى فان تقدير عدد السكان سنة ١٩٨٢ سيصل إلى ٤٣ مليون نسمة .

(٣) طبقا لبيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لعام ١٩٧٠ وعلى أساس التغيير فى الريف والحضر فى السنوات الأخيرة .

أساليب قياس تحقيق الأهداف القومية للسكان :

هذا ويمكن قياس تحقيق الأهداف القومية للسياسة السكانية فى مصر من خلال المقاييس التالية :

١ — متوسط الانخفاض السنوى فى معدل المواليد ومقداره واحد فى الألف .

٢ — خفض معدل الخصوبة العام[١] من ١٥٩ فى الألف سنة ١٩٧٢ إلى ١١٢ فى الألف سنة ١٩٨٢ بمتوسط سنوى مقداره ٥ر٤ فى الألف .

٣ — خفض معدل الخصوبة النوعى[٢] للمتزوجات من ٣٢٦ فى الألف سنة ١٩٧٢ إلى ١٦٠ فى الألف سنة ١٩٨٢ بمتوسط سنوى مقداره ٦ر٧ فى الألف .

٤ — انخفاض متوسط ترتيب المولود[٣] من ٦ر٣ طبقا لآخر إحصاء رسمى سنة ١٩٦٩ عن المواليد والوفيات إلى ٥ر٢ سنة ١٩٨٢

دوافع الانجاب فى المجتمع المصرى :

يعرف الدافع بأنه كل ما يدفع إلى السلوك ذهنيا كان أم حركيا . . . ويعرفه البعض تعريفا أضيق من التعريف السابق بأنه « عامل واستعداد داخلى يثير السلوك ويواصله ويسهم فى توجيهه إلى أهداف محددة . . . وليس هناك ثمة داع للسير وراء التعاريف ومحاولة الوصول إلى تعريف محدد ، لأن الدوافع من أكثر الاصطلاحات النفسية شيوعا بين علماء النفس ،

---

(١) معدل الخصوبة العامة « عدد المواليد أحياء خلال العام لكل الف سيدة متزوجة فى سن الحمل (١٥ — ٤٥ سنة) » .

(٢) معدل الخصوبة للمتزوجات « عدد المواليد أحياء خلال العام لكل الف سيدة متزوجة فى سن الحمل (١٥ — ٤٥ سنة) » .

(٣) متوسط ترتيب المولود بين المواليد أحياء خلال العام بالنسبة لإخوته ، ويحسب على أساس مجموع ترتيب كل مولود من المواليد الأحياء خلال العام مقسوما على عددهم .

وبالتالى فلا يزال تعريف الدافع موضع جدل وخلاف كبيرين[١] . وإنما الذى يعنينا هنا هو أن عملية الإنجاب عملية سلوكية بالدرجة الأولى . وكل سلوك خلفه دافع ونسق من القيم الاجتماعية . وبالتالى نتساءل عما هى الدوافع والقيم التى تدفع المواطن المصرى إلى الإفراط أو الإقلال فى الانجاب ؟ ولكى نجيب على هذا التساؤل ، فمن الضرورى تصنيف المواطنين المصريين طبقا للبيئات الاجتماعية التى يعيشون فيها لاختلاف الدوافع والقيم الاجتماعية الكامنة وراء السلوك الانجابى من بيئة اجتماعية إلى أخرى . . . وهذه البيئات الاجتماعية هى[٢] :

١ — المجتمع البدوى :

ويتمثل فى القبائل التى تتخذ من الصحارى المصرية الشرقية والغربية وسيناء مقرا لإقامتها وأحيانا لتجوالها حيث ينتقل بعضها من وقت إلى آخر خلف المراعى وآبار المياه ، ويستقر بعضها فى بعض الأماكن . ولعل أهم مجتمع قبلى محلى مستقر هو مجتمع الواحات وأفراد مثل هذه المجتمعات المحلية البدوية يعيشون فى مساحات شاسعة ، ولا يجدون العلاج الطبى الحديث بصفة عامة ، وبالرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة عن الوفيات والمواليد فى هذه المجتمعات البدوية ، فإنه يمكن القول بارتفاع معدلات المواليد والوفيات هناك فى نفس الوقت. ومن ثم فإن مبدأ « الكثرة عزوة » من أهم المبادىء التى تحكم السلوك الإنجابى لا سيما وأن مثل تلك القبائل تعتمد على رجالها فى حماية نفسها . والنتيجة أن الإفراط السكانى هو الاتجاه السائد فى مثل تلك المجتمعات المحلية البدوية .

والسياسة القومية للسكان لم تشر إلى الظروف السكانية للمجتمعات المحلية

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتابنا بعنوان « علم الاجتماع المهنى » مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ صفحة ٦٤ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، صفحة ٨٤ وما بعدها .

البدوية لا من حيث العلاج ولا من حيث تنظيم الإنجاب ، ويبدو أن القائمين على السياسة القومية للسكان قد نظروا إليها باعتبارها — ربما — من المجتمعات المحلية الريفية . . . ولكننا نرى غير ذلك . ونرى أنه من الضرورى العمل على تحويل تلك المجتمعات المحلية البدوية إلى مجتمعات محلية ريفية مع تغيير اتجاه الرجال هناك نحو العمل اليدوى من الاحتقار إلى الاحترام ، حتى تتوافر لهم فرصة الاستفادة من خدمات التنمية الاجتماعية والاقتصادية مثل : الزراعة ، التعليم ، الصحة ، والنواحى الاجتماعية ، تمهيدا لمساعدتهم على الانتقال فيما بعد إلى حياة المجتمع الصناعى .

٢ — المجتمع الريفى :

المجتمع الريفى هو المجتمع الذى يعمل أفراده بالزراعة وفى الحرف الأخرى المتصلة بالزراعة مثل الرى وتصنيع منتجات الألبان وبعض الصناعات الريفية مثل صناعة الفخار والحصير ، النسيج اليدوى والمخللات وما إلى ذلك(١) . ولدينا فى مصر مجتمعات محلية ريفية فقط ، وهى لا تزالى متخلفة ، حيث تستخدم فيها أقدم طرز الآلات الزراعية فى العالم ، تلك التى كانت تستخدم فى أيام أجدادنا الفراعنة . ومن هنا فإن مثل هذا الأسلوب الزراعى يحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة ، وبالتالى فإن الأطفال الصغار يجدون فرص العمل الموسمى فى جمع القطن وحصاد الأذرة ومختلف الخضروات ونقل الأتربة وما إلى ذلك . ومن هنا فإن الغلمان الصغار ابتداء من سن العاشرة يمكن اعتبارهم من الوحدات المنتجة ، وبالتالى فإن الإفراط فى الإنجاب ليست له من وجهة نظرهم مضار ، وإنما له فوائد ، فضلا عن عدم إدراكهم للقواعد الدينية التى ترفض فوضى الإنجاب وذلك بالإضافة إلى انتشار الظلام منذ وقت غروب الشمس حتى شروقها ، الأمر الذى يجعل من المتعة الجنسية بين الزوجين الهواية الوحيدة التى يمكن ممارستها فى فترات الليل التى يبتعد فيها النوم عن أجفانهم ونتيجة هذه الهواية فى غياب الأقراص واللوالب وكل وسائل تنظيم الإنجاب — فى ظل العدو الثلاثى : الفقر والجهل والمرض —

هى الإفراط السكانى الذى لا يتناسب مع طاقة المجتمع فى توفير الغذاء والتعليم والعمل لكل قادم جديد . ومن هنا فإن السياسة القومية للسكان — إزاء هذه الأوضاع — تقوم على ضرورة .

(أ) الميكنة الزراعية :

فادامت كثرة الأيدى الزراعية العاملة مطلوبة للزراعة بأسلوبها التقليدى فإن استخدام ماكينات الحرث والدراس والرى ... سوف تقلل من الحاجة إلى الأيدى العاملة . وبالتالى فإن الاتجاه نحو كثرة الإنجاب سيفقد الأسس التى يقوم عليها . ذلك أن إحلال الآلات البسيطة ، ثم المعقدة محل القوى البشرية ، سوف يساعد على تكوين اتجاهات جديدة نحو الإنجاب ، تأخذ به من الإنجاب الزائد إلى الإنجاب المنخفض بالإضافة إلى أن إحلال الآلات محل القوى البشرية سوف يرفع من المستوى الصحى للمزارعين وأفراد أسرهم ومواشيهم ومن مستوى الوعى والدخل الأسرى وسوف يقلل من مستوى الأمية حيث لا يضطر الآباء إلى تشجيع أبنائهم على ترك التعليم الإبتدائى والعمل فى الحقول ، بما يسرع فى التأثير فى خفض معدل النمو السكانى . ذلك أن سلوكهم الإنجابى المرتفع رد فعل طبيعى للظروف الإجتماعية والاقتصادية فى تلك المجتمعات المحلية الريفية .

(ب) تصنيع الريف :

تعانى المجتمعات المحلية الريفية فى مصر من اكتظاظ سكانى ، ناتج عن ضيق المساحة الملائمة للزراعة ، ولارتفاع معدل الإعانة . وبالتالى فإن ميكنة الزراعة سوف تؤدى إلى وجود فائض فى الأيدى العاملة ، وهذا الفائض يمكن من إيجاد فرص العمل المنتج أمامه عن طريق تصنيع الريف . وأهم مجالات التصنيع الريفى هى : تربية النحل ، تربية دودة القز ، الدواجن ، الطلائق ، الغزل والنسيج اليدوى ، مخلفات البيئة ، تصنيع الألبان ، السكارينا ، أقفاص

الجريد ، تعبئة الموالح ، تغليف العجوة ... الخ[١] وذلك مع تنمية التوسع فى المحاصيل السكرية والزيتية والبستانية ، والبدء فى إنشاء مشروعات التكامل الزراعى الصناعى فى الأراضى الجديدة وإنشاء مصانع لتصنيع المخلفات النباتية والحيوانية ، مع زيادة نسبة العاملات فى هذه المشروعات لاستيعاب الأيدى المتعطلة كليا أو جزئيا فى الريف .

(حـ) تخفيض معدل وفيات الأطفال :

لما كان ارتفاع معدل وفيات الأطفال من العوامل المساعدة على تنشيط دوافع الأبوين نحو الإنجاب الزائد تعويضا لوفياتهم التى يصل معدلها فى مصر إلى ١١٩ فى الألف ، بينما ينخفض هذا المعدل فى بعض الدول المتقدمة إلى ١٠ فى الألف ، فإنه من الضرورى العمل على تخفيض وفيات الأطفال إلى ٨٠ فى الألف حتى سنة ١٩٨٢ بمتوسط انخفاض سنوى قدره ٤ فى الألف ، مع الرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحى للأمومة والطفولة . ولا يتحقق ذلك إلا بالتركيز على رعاية الأم والطفل صحيا وإثارة الاهتمام بتغذيتهما مع إصحاح البيئة وتشجيع الجهود التطوعية والحكومية فى هذا المجال . ونشر الثقافة الصحية بين السكان ، لاسيما الوالدين والأطفال ، وتوجيه وترشيد الأسر بما يساعد على تدعيم الروابط الأسرية . وتوفير مياه الشرب النقية والصرف الصحى[٢] والمساكن الريفية لا سيما فى المجتمع الريفى .

فإذا انخفض معدل وفيات الأطفال نتيجة لعديد من الأنشطة الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، فإن ذلك يؤدى إلى اطمئنان الآباء على ضمان استمرار حياة أطفالهم ... وإن كان من المعروف أن تأثير انخفاض

---

(١) انظر تفاصيل هذه المشروعات فى مؤلفنا بعنوان (علم الاجتماع الريفى) مرجع سابق ص ١٦٠ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠

وفيات الأطفال على السلوك الإنجابى يتحقق على المدى البعيد ، إذا دوامت الأجهزة المختصة على بذل كل جهد من أجل تحقيق هذا الهدف .

(د) التعليم :

يؤثر التعليم فى النمو السكانى عن طريق توسيع وتعميق مدركات الفرد ، وخلق تطلعات جديدة لديه نحو حياة إجتماعية أفضل ، وبالتالى فإن استمراره فى التعليم إلى منتهاه يصرفه عن الزواج المبكر ، الأمر الذى يؤثر فى خفض معدل الخصوبة . ومن ناحية أخرى فإن التعليم يدفع الإنسان إلى الإنصراف عن العلاج البدائى ، وبالتالى تقل نسبة الوفيات ، ويزداد الإيمان باستمرار حياة الإنسان مادامت بعيدة عن الأمراض ، وهذا يجعله يلتقى بأقل عدد من الأطفال مادامت حياتهم مضمونة إلى حد ما .

ويتطلب ذلك إعداد القادة والمعلمين للتنبيه بالمشكلة السكانية ، وتنمية الوعى المتصل بتنظيم الإنجاب وتنبيه أذهان الطلاب للمشكلة السكانية وتنمية مدركاتهم لتنظيم الإنجاب ، ورفع سن التشغيل للأحداث من ١٢ إلى ١٥ سنة ليتفق مع التعليم الإلزامى ، وحتى لاتعتمد الأسرة على أطفالها فى سن مبكرة كمصدر دخل لها . وذلك مع إدخال الدراسات السكانية ضمن مناهج دور المعلمين والمعلمات وكليات التربية والإفادة من التشكيلات المدرسية وأنشطتها فى إقناع التلاميذ وأولياء أمورهم فى مختلف المدارس بالموضوعات المتصلة بالسكان والأسرة .

٣ — المجتمع الانتقالى :

ويتكون من المهاجرين الجدد القادمين من الريف حيث يعيشون فى أحياء شبه حضرية على أطراف المدن مثل حى إمبابة ومدينة نصر فى بعض أجزائها وسكان مقابر الخفير والدراسة وسكان الأحياء الواقعة على خط الزيتون وخط حلوان ، هؤلاء بالرغم من أنهم يعيشون فى مدن تأخذ بمعدل الإنجاب

المنخفض ، فإن ثقافتهم الريفية القائمة على الإكثار فى الإنجاب تظل مسيطرة على سلوكهم الإنجابى ... وفى الفصل السابق دراسة ميدانية لمثل هذا المجتمع .

٤ — المجتمع الحضرى :

وأفراد هذه المجتمعات المحلية الحضرية من سكان المدن ممن اكتسبوا الاتجاه المنخفض فى الإنجاب ، حيث تغيرت الأسباب الدافعة إلى الإنجاب نتيجة لوصول هذا المجتمع إلى درجة من النمو الاجتماعى والاقتصادى ، بالإضافة إلى الدخول المحدودة والمنازل الضيقة وإشتغال المرأة ، فضلا عن بقاء الأبناء كوحدات مستهلكة إلى ما بعد العشرين من أعمارهم أو حتى ينتهوا من تعليمهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا توجد حدود اجتماعية أو إدارية أو جغرافية فاصلة بين كل من هذه المجتمعات الأربعة بمختلف أنواعها ، وإنما توجد كلها بنسب وخصائص فى كل مكان بجمهورية مصر العربية ، الأمر الذى يتطلب القيام بمسوح اجتماعية شاملة تسهم فى الحصول على أطلس اجتماعى للسكان فى مصر .

ويضاف إلى ذلك بالنسبة للأنواع الأربعة السالفة الذكر من المجتمعات المحلية فى مصر وفى غيرها من المجتمعات المشابهة ضرورة :

— تشغيل المرأة لأن عملها وخاصة خارج المنزل يؤدى إلى إكسابها مكانة جديدة فى المجتمع ، كما يرفع من دخل الأسرة ، ويقلل من الخوف الذى تعيش فيه عندما يسيطر عليها شبح الطلاق أو تعدد الزوجات إذا لم تنجب لزوجها البنين قبل البنات أو إذا توافر معه ما يسمح له بالزواج من أخرى . وتعبر الأعراف السائدة فى مصر عن ذلك مثل العرف الذى يوجه إلى المرأة المتزوجة حديثا ونصه « قصقصى ريشه » ، وكذلك العرف الذى يقول « إلحنية بالعيال » وهدفهما هو أن تنجب المرأة لزوجها أكبر عدد من الأبناء حتى لا يفكر فى الزواج من غيرها ، وأن تعمل على إنفاق كل قرش يكسبه زوجها حتى

لا يدخر شيئا يشجعه على الزواج من غيرها . ولذلك فإن العمل ذى الدخل المنتظم يزيد من ثقة المرأة بنفسها ومن إطمئنانها على مستقبلها ، فتستعين بحريتها — وليس بكثرة أبنائها — على ضمان مستقبلها . وذلك يتطلب ضرورة زيادة نسبة الإناث العاملات من ٧ ٪ سنة ١٩٧٢ إلى ٢٠ ٪ سنة ١٩٨٢ من إجمالى القوى العاملة المنتجة النشيطة . وتخطيط المشروعات التى تؤدى إلى تشغيل نسبة عالية من الإناث ورسم سياسة للقوى العاملة تخدم هذا الهدف واقتراح وإصدار التشريعات التى تضمن تنفيذ هذه السياسة .

وما دامت المرأة ستشكل قوة عاملة ضمن القوى العاملة فى المجتمع ، فإن ذلك سيخفض من معدلات الإعالة ، ويؤدى إلى تغيير النمط الاقتصادى للأسرة ، ومن ثم من تغيير سيكلوجية الأسرة تجاه الإفراط فى الإنجاب نتيجة للتناقض الذى سوف ينشأ بين عمالة المرأة وبين مقتضيات مكانتها الجديدة كامرأة عاملة ينبغى أن تحرص على رخاء أسرتها ورفاهيتها بالتقليل إلى أدنى حد من الأعباء . وهذا يتطلب ضرورة التوسع فى إنشاء دور الحضانة لأطفال العاملات .

— ضرورة التوعية والتبصير بخطورة المشكلة السكانية ولمسئولية الأفراد قبل الحكومة تجاهها ، عن طريق أجهزة الإعلام وقادة الرأى المحليين ، مع إثارة اهتمامهم بأهداف تنظيم الإنجاب ومزايا الأسرة المحدودة العدد ، وبالوسائل والخدمات المتعلقة بها ، ودحض الأفكار الخاطئة والشائعات المضللة . وحث الجماهير على ترشيد سلوكهم الإنجابى ، وإكسابهم الاقتناع بعدم الإفراط فى الانجاب . ويتطلب ذلك تعريف الجماهير بالمشكلة السكانية وأبعاد تنظيم الأسرة ، وكذلك بالعوامل المؤثرة بالإسراع فى خفض النمو السكانى التى عرضنا لها من قبل فى هذا الفصل بالإضافة إلى تدعيم مشروع الرائدات الريفيات والأندية النسائية كمدخل رئيسى للتوعية بين النساء ، مع التوسع فى تدريب القيادات المحلية والدعوة إلى تنظيم الإنجاب بين العمال

فى المنشآت الصناعية والتجمعات العمالية ، وفى مجتمعات الأراضى المستصلحة مثل مديرية التحرير والوادى الجديد ومنطقة أبيس .

وذلك بالإضافة إلى إعداد وتنفيذ البرامج الإعلامية فى كل وسائل الاتصال الجمعى مثل الإذاعة والتليفزيون والصحافة وغيرها من خلال استراتيجية محددة للعمل الإعلامى يراعى فيها ملاءمة الأشكال والوسائل الإعلامية لنوعية الجماهير المستهدفة مع اختيار المدخل المناسب للرسالة الموجهة إلى الجماهير . وكذلك اختيار المادة العلمية المعبرة عن أثر العوامل المتصلة بالإسراع بخفض النمو السكانى ... وعلى أن يساندكل هذا قيادات دينية مؤمنة بضرورة تنظيم الإنجاب ، ومزودة بالفتاوى والمراجع التى تؤكد وجهات نظرها .

— ضرورة توفير مختلف خدمات تنظيم الانجاب فى الوقت والمكان المناسبين وبصورة مجانية أو شبه مجانية وعلى أرقى مستوى ، سواء أكانت اجتماعية أو طبية أو تنظيمية أو إدارية ، مع متابعة ترددهم على وحدات تنظيم الأسرة أو إنقطاعهم والأسباب التى تؤدى إلى ذلك ومحاولة علاجها . وكذلك الكشف الطبى الدورى على المقتنعات بتنظيم الإنجاب ، مع اختيار الوسيلة المناسبة وعلاج الأمراض الجانبية المترتبة على استخدام بعض تلك الوسائل ، وقيام الطبيبات من السيدات بهذه المهام فى المجتمعات البدوية والريفية وكذلك الانتقالية ، حيث تحول التقاليد دون قيام الأطباء من الرجال بهذه الأعمال : وذلك مع توفير ورفع مستوى الخدمة لعدد يتزايد من المستفيدين من ٥٤٣ر٠٠٠ سنة ١٩٧٢ ومقدرا أن يصل عددهم إلى ٢ر٥٠٣ر٠٠٠ سنة ١٩٨٢ بما يساوى ٤٠ ٪ من المتزوجين فى سن الإنجاب .

وهذا يحتاج إلى إقناع المترددات على الوحدات الصحية بأهداف تنظيم الأسرة عن طريق الاستفادة من خبرات الاخصائيات الاجتماعيات ، وكذلك ضرورة الوصول إلى منازل غير المترددات لإقناعهن ، ومتابعة التردد والانقطاع وأسبابه وعلاجه بواسطة الاخصائيات الاجتماعيات أيضا ،

وجمع البيانات حول الاحصاءات الحيوية من خلال عيادات خاصة لتنظيم الأسرة كجزء من الخدمات الاجتماعية والطبية فى المنشآت الصناعية والمشروعات الزراعية .

— ضرورة الأخذ بنظام الضمان الاجتماعى الشامل ، حتى يزول الاعتقاد بأن الأبناء هم الضمان لتأمين مستقبل الوالدين عند الشيخوخة . وإذا حل الضمان الاجتماعى والتأمينات التى يوفرها المجتمع للأسرة ، فإن النتيجة المنطقية أن ينعكس أثر ذلك على اكتساب الأبوين للاتجاهات الجديدة نحو الإنجاب المنخفض .

— ضرورة رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة عن طريق تشجيع الجهود الأهلية لإقامة مشروعات الصناعات الريفية والبيئية بمختلف أشكالها وتنشيط مشروعات محو الأمية والتوسع فى مشروعات استصلاح الأراضى بغرض زيادة مساحة الرقعة المنزرعة ، من أجل زيادة دخول المهجرين إليها وتكوين مجتمعات حضرية متكاملة تتوافر فيها المساكن الصحية المزودة بالماء والكهرباء والشوارع المرصوفة ، فضلا عن توافر الخدمات الثقافية ووسائل التسلية الإيجابية . . . وتطوير مشروع الأسر المنتجة لزيادة فعاليته وزيادة الكفاية الانتاجية عن طريق مشروعات خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية . وتوجيه هذه الزيادة نحو رفع مستوى المعيشة وتعميق الوعى للتخطيط لأسرة محدودة العدد ، وذات مستوى اجتماعى مناسب .

— ضرورة إيجاد أماكن للإيواء الجماعى وللحيوانات الطيور فى المجتمع الريفى وفى المزارع الحكومية للقضاء على مصادر التلوث التى تؤدى إلى ارتفاع معدل وفيات الأطفال(١) .

---

(١) الفلاح المصرى فى غير المزارع الحكومية والتعاونية يرفض أسلوب الإيواء الجماعى للحيوانات والطيور . . . وتفاصيل ذلك فى كتابنا بعنوان « علم الاجتماعى الريفى » مرجع سابق صفحة ٢٦١ وما بعدها .

— إعتبار مشكلة السكان قضية قومية اجتماعية سياسية وإلزام القيادات السياسية على مختلف مستوياتها بالدعوة إلى تنظيم الأسرة . وإدخال موضوع السكان وتنظيم الأسرة ضمن أنشطة التثقيف والتدريب القيادى والنوعية الجماهيرية التى تقوم بها كافة الأمانات باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى . وذلك من خلال الدعوة إلى رفع قيمة الانسان وتكريمه فى شتى نواحى الحياة مع العمل والإنتاج والتنظيم والتخطيط للمستقبل والارتقاء بمستوى الفرد والأسرة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة والآراء المضللة .

الاجهزة المعنية بالسياسة القومية للسكان :

هذا والأجهزة الحكومية الملتزمة بتحقيق أهداف السياسة القومية للسكان وتنظيم الأسرة هى وزارات : الصحة ، الشئون الاجتماعية والتأمينات الاجتماعية ، الإعلام والثقافة ، الزراعة والإصلاح الزراعى واستصلاح الأراضى ، الأوقاف وشئون الأزهر ، التعليم ، القوى العاملة ، الحكم المحلى ، الاتحاد الاشتراكى وجهاز السكان وتنظيم الأسرة .

هذا وفى ضوء أهداف السياسة القومية للسكان التى عرضنا لها من قبل ، يمكن تحديد مسئوليات كل من هذه الأجهزة على النحو التالى :

١ — وزارة الصحة :

وتلتزم بخفض معدل وفيات الأطفال من ١١٩ فى الألف سنة ١٩٧٣ إلى ٨٠ فى الألف سنة ١٩٨٢ عن طريق التركيز على رعاية الأم والطفل صحيا ، وإثارة الاهتمام بتغذيتهما بأطعمة ذات سعرات حرارية متكاملة ، وإصحاح البيئة ، وتنمية الأنشطة الوقائية ، وتكثيف الرعاية الصحية فى دور الحضانة وفى المدارس من خلال الاستفادة من مجالس إدارة المستشفيات والمجالس الصحية القروية والأنشطة الاجتماعية بالمستشفيات .

وكذلك تلتزم بتوفير الوسائل والخدمات المتعلقة بها لعدد يتزايد من المستفيدين بها من ٥٤٣٠٠٠ر سيدة سنة ١٩٧٧ إلى ٢ر٥ مليون سيدة سنة ١٩٨٢ بما يساوى ٤٠٪ من المتزوجين فى سن الإنجاب . وعليها من أجل ذلك الاستفادة من خبرات الإخصائيات الاجتماعيات فى إقناع المترددات على الوحدات الصحية بأهداف تنظيم الأسرة والوصول إلى منازل غير المترددات ومتابعة التردد والانقطاع وعلاجهما وتوفير كل ما تحقق النجاح لهـذه الأهداف .

٣ ـ وزارة الشؤون الاجتماعية والتأمينات :

وتلتزم بالتنمية والرعاية الاجتماعية للأسرة حتى تصل إلى المستوى الذى تكتسب عنده اتجاهات الإنجاب المنخفض ... وذلك عن طريق تشجيع الجهود الأهلية فى مشروعات الصناعات الريفية والبيئية ، مع تنشيط العمل فى محو الأمية ومراكز التدريب المهنى للفتيات .

وتلتزم أيضا بتشجيع تشغيل المرأة خارج البيت والحقل ، حيث يضطرها العمل إلى ضرورة تخفيض مرات إنجابها . . . وذلك عن طريق توفير فرص العمل البيئية لها والتوسع فى دور الحضانة لأطفال العاملات من أفراد المجتمع الانتقالى .

وتلتزم أيضاً بالرعاية والتثقيف الاجتماعى الأمومة والطفولة من أجل التأثير فى خفض معدل وفيات الأطفال . وذلك عن طريق التوجيه والإرشاد الأسرى المدعم للروابط الأسرية ، ورعاية الأطفال .

وتلتزم أيضاً بإحلال الضمان الاجتماعى محل الضمان الذى يعطيه الطفل لأسرته مما يدفع الأبوين إلى الإنصراف عن الإنجاب المرتفع إلى الإنجاب المنخفض . . وذلك عن طريق إجراء الدراسات الضرورية لتشريعات الضمان الاجتماعى للأسرة فى حالات العجز أو الشيخوخة أو الوفاة .

وكذلك تلتزم بتوفير ورفع مستوى الخدمة ... عن طريق توفير وتطوير الخدمات الاجتماعية في مراكز أداء الخدمة الأهلية والحكومية ، وتدعيم مكاتب التوجيه الأسرى وتطويرها . . وإقناع الجماهير المستفيدة من هذه الخدمات بأهداف تنظيم الأسر وإجراء الدراسات والاحصاءات الضرورية .

٣ ـ وزارة الاعلام والثقافة :

وتلتزم بالتعريف بالمشكلة السكانية وتنظيم الأسرة . . . وذلك عن طريق توجيه العمل الإعلامى المتصل بالسكان وتنظيم الأسرة إلى الجمهور بمختلف فئاته وقياداته حسب دوافعه نحو الإنجاب فى البدو والريف وفى المجتمع الانتقالى والحضرى . وعمل البرامج الإعلامية المستثمرة لكل وسائل وأشكال الاتصال الجماهيرى مثل الإذاعة والتليفزيون والصحافة وأجهزة الاتحاد الاشتراكى من خلال استراتيجية محددة للعمل الإعلامى العلمى .

وتلتزم أيضاً بالارتقاء بالمستوى الثقافى والحضارى للأسرة لتحقيق رفاهيتها وزيادة قدرة المجتمع المصرى على مواجهة المشكلة السكانية مواجهة ثقافية مستنيرة . . . وذلك عن طريق التركيز على المجتمع الريفى للتأثير فى اتجاهاته وأنماط سلوكه نحو الانجاب ، والعمل بشتى الوسائل على رفع المستوى الثقافى والحضارى والاقتصادى للمواطنين الريفيين ، والعمل على إصدار التشريعات التى تمنع تشغيل الأحداث فى الريف فى سن مبكرة وتوجيههم مهنياً . ودعوة كتاب القصة السينمائية والمسرحية والفنانين التشكيليين إلى عرض المشكلة من خلال مؤلفاتهم وإنتاجهم الفنى ، وتدريب القيادات الثقافية والعاملين فى الثقافة الجماهيرية على الأساليب الفعالة لمخاطبة الجماهير وإقناعهم بالحلول المثلى لتلك المشكلة .

٤ ـ وزارة الزراعة والاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى .

وتلتزم برفع مستوى الدخل الفردى والدخل القومى . . وتغيير النمط

الاجتماعى للأسرة فى الريف بغية تقريبها من المستوى الحضرى باستثمار أوقات الفراغ والحد من البطالة الموسمية . . . وإيجاد العمل الملائم للمرأة مثل الرجل . . وتعديل البناء الاجتماعى للأسرة بما يؤثر إيجابيا فى اتجاه تخفيض الخصوبة . وإصلاح البيئة فى المجتمع الريفى عن طريق التوجيه لتجميع الحيوانات والطيور فى أماكن تبعد عن السكن ، مما يؤدى إلى خفض الوفيات فى الأطفال ويؤثر عكسيا فى الإنجاب . وإقناع الجماهير فى المجتمع الريفى بتنظيم الإنجاب (١) . . . وذلك عن طريق زيادة الكفاية الانتاجية لمشروعات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتوسع فى التصنيع الزراعى وتنمية التوسع فى المحاصيل السكرية والزيتية والبستانية والألبان . . . وإحلال الآلات الزراعية محل العمل العضلى . والدعوة إلى إيجاد أماكن الإيواء الجماعى للحيوانات والطيور . . والارشاد الزراعى بالاتصال الفردى والجماعى لرفع مستوى المعيشة وتعميق الوعى للتخطيط لأسرة محدودة العدد ، ذات مستوى إجتماعى مناسب .

وتلتزم أيضا بتغيير النمط الإجتماعى الأسرة المهجرة إلى الأراضى الجديدة بغرض زيادة الإنتاج الزراعى وزيادة دخل الأسرة الريفية وتخفيف الضغط السكانى على المناطق ذات الكثافة السكانية العالية . . . وذلك بالتوسع فى مشروعات الاستصلاح الزراعى ومشروعات التكامل الزراعى والتهجير من أجل زيادة التوازن السكانى بين مناطق التخلخل والكثافة السكانيتين .

وكذلك تلتزم بإقناع الجماهير المستوطنة الأراضى الجديدة بأهداف تنظيم الأسرة وذلك عن طريق إقامة الجمعيات التعاونية العامة للأراضى المستصلحة من خلال الجمعيات التعاونية الزراعية والعاملين فيها بإرشاد أعضائها نحو

---

(١) عملية إقناع الجماهير فى الريف بتنظيم الإنجاب يقدر عليها سوى الأخصائيون الاجتماعيون وليس المهندسون الزراعيون أو مساعديهم عملا بوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب .

الإيمان بأهداف تنظيم الأسرة ... وإنشاء عيادات لتنظيم الأسرة كجزء من الخدمات الاجتماعية والطبية بكل مشروع زراعى صناعى .

٥ — وزارة الاوقاف وشئون الازهر :

وتلتزم بتعضيد الدعوة إلى رفع قيمة الإنسان من أجل ضرورة علاج التخلف والإسراع فى الأخذ بوسائل الرقى بالأسرة والمجتمع . وذلك بالدعوة إلى رفع قيمة الإنسان وتكريمه ، مع التركيز على القيم الاجتماعية الدينية التى تمجد العمل والإنتاج والتنظيم والتخطيط للمستقبل والارتقاء بمستوى الفرد والأسرة . وكذلك العمل على تصحيح المفاهيم والأفكار الدينية الخاطئة ، مع إسناد كل تلك الأعمال إلى العلماء المتخصصين . وتزويد القيادات الدينية فى المساجد وكذلك الجماهير بالمراجع والفتاوى الداعية إلى تنظيم الأسرة بمختلف أنواعها .

٦ — وزارة التعليم :

وتلتزم بإعداد القادة والمعلمين للتنبيه بالمشكلة السكانية وتنمية الوعى المتصل بتنظيم الأسرة ، وتنبيه أذهان الطلاب للمشكلة السكانية وتنمية إدراكهم لتنظيم الأسرة ، ودفع ومساندة مختلف الأنشطة لباقى الجهات المعنية بتنظيم الأسرة . وذلك عن طريق تدعيم الدراسات السكانية ضمن مناهج دور المعلمين والمعلمات والتعليم الثانوى العام والفنى . وكذلك فى مجالات البحث العلمى التربوى وتنشيط جهود محو الأمية ، وتكليف إدارة المعينات الدراسية والوسائل التعليمية بإعداد الأفلام والشرائح والرسوم البيانية التوضيحية التى تخدم الموضوعات ذات الصلة المباشرة بتنظيم الأسرة . والتخطيط لتنظيم معارض إقليمية ثابتة حول هذه الموضوعات . وإدراج موضوع تنظيم الأسرة فى كل حلقات تدريب المعلمين والمعلمات والنظار والناظرات ومن إليهم من العاملين فى الحقل التعليمى .

٧ ـ وزارة القوى العاملة :

وتلتزم برفع سن التشغيل من ١٢ إلى ١٥ سنة . . . وزيادة نسبة العاملات من ٧٪ سنة ١٩٧٢ إلى ٢٠٪ سنة ١٩٨٢ والدعوة لتنظيم الأسرة بين العمال وتشكيلاتهم النقابية . . . وذلك عن طريق إنشاء مراكز التدريب المهنى للصبية والبالغين واقتراح التشريعات الكفيلة بمنع تشغيل الصبية أقل من ١٥ سنة وتكليف النقابات العمالية بتوصيل الدعوة إلى تنظيم الأسرة إلى كل عامل فى مقر عمله من خلال الاتصال الشخصى والجماعى .

٨ ـ وزارة الحكم المحلى :

وتلتزم بالإشراف على تنفيذ الخطة القومية العشرية للسكان وتنظيم الأسرة على مستوى المحليات ، والدعوة إلى الإسراع بخفض معدل النمو السكانى . . وذلك عن طريق قيام المحليات (أجهزة الحكم المحلى على مستوى القرية والمركز أو القسم والمدن الصغيرة والكبيرة) بالتنسيق بين البرامج التفصيلية للوزارات والهيئات والأجهزة المعنية ووضعها فى برامج محلية عشرية وسنوية وتدريب أعضاء مجالس القرى والمدن على القيام بمسئوليات التنظيم الإنجابى . وكذلك قيام أجهزة الإعلام المحلية بالتعريف بالمشكلة السكانية وتنظيم الأسرة وتوجيه العمل الإعلامى المحلى بما يتفق مع خصائص البيئة والجمهور المحلى وتقسيماته من حيث دوافعه نحو الإنجاب .

٩ ـ دور الاتحاد الاشتراكى العربى :

ويلتزم بتأكيد قومية تنظيم الأسرة باعتبارها قضية اجتماعية سياسية من أولى مهام التنظيم السياسى ، ورقابة تنفيذ السياسات والأنشطة والتشريعات المتعلقة بالسكان وتنظيم الأسرة وقياس آراء الجماهير فيما يتصل بالجهود المبذولة فى مجال السكان وتنظيم الأسرة والاستجابة الفورية السريعة لنتائج القياس . وعلى أن تقوم لجان الاتحاد الاشتراكى على مستوى المحافظات والمراكز أو البنادر

والقرى بنشر وتعضيد الدعوة إلى أهداف الخطة القومية للسكان وتنظيم الأسرة وإقناع الجماهير بذلك من خلال العمل الوطنى .

١٠ - المنابر :

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأجهزة أيضاً تلك التنظيمات الثلاثة التى انبثقت عن الاتحاد الاشتراكى العربى : وهى تنظيم اليمين وتنظيم اليسار تنظيم الوسط .

وإذا كان من المعروف أن الماركسية ترفض الدعوة إلى تنظيم السلوك الإنجابى ، فإن منبر اليسار المصرى لا ينتظر منه المساهمة بإيجابية فى الدعوة لتنظيم الإنجاب . وكذلك الحال بالنسبة لمنبر اليمين حيث يأخذ بالدين كما كان منذ أربعة عشر قرنا دون الأخذ بوجهة النظر الموضوعية فى الدين . . . ومن ثم فإن الأمل معقود على منبر الوسط فى أن يسهم بجهود وافرة وذات نتائج ملموسة فى مجال الدعوة لتنظيم الأسرة من خلال مؤتمراته السياسية وتشكيلاته التنظيمية وأعضائه المستنيرين أو الذين نرجو أن يكونوا مستنيرين حول هذه القضية .

١١ - دور جهاز تنظيم الاسرة :

ويلتزم بإعداد الدراسات القومية وتحضير مشروعات القرارات التى يتخذها المجلس الأعلى للسكان وتنظيم الأسرة ، والبحوث التى تحتاج إليها الخطة فى مجالات اختصاصه . . . وذلك عن طريق :

(ا) اقتراح مشروعات الخطة العامة لتنظيم الأسرة وبرامجها .

(ب) متابعة وتنفيذ الخطة التى يقرها المجلس وتقديم تقارير دورية إلى المجلس عن تنفيذها ، وما يعترض التنفيذ من عقبات ، ومقترحاته بشأن تذليلها .

(ج) إبلاغ قررات المجلس الأعلى إلى الجهات المعنية ومتابعة تنفيذها :

(د) إعداد مشروع الموازنة العامة والحساب الختامى .

(ه) إعداد مشروع الهيكل التنظيمى وجداول الوظائف بالجهاز .

(و) إعداد مشروع خطة تدريب العاملين فى مجال تنظيم الأسرة وتنسيقها مع الوزارات وتوجيههم بغية تحقيق أكبر كفاية إنتاجية ميسورة .

(ز) إعداد الدراسات والقيام بالبحوث المتعلقة بتنظيم الأسرة والمسائل السكانية فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والصحية وما إليها .

(ح) إعداد وتنفيذ البرامج العلمية والتدريبية والإعلامية وغيرها من البرامج اللازمة لتنفيذ خطط وبرامج تنظيم الأسرة .

(ط) الاتصال بالجهات والهيئات الأجنبية والدولية لتبادل المعلومات والخبرات فى مجال تنظيم الأسرة .

(ى) قبول المنح الدراسية والإيفاد فيها وفى البعثات والإجازات والمؤتمرات والندوات والحلقات والدورات التى تبحث فى شئون تنظيم الأسرة بعد موافقة المجلس الأعلى ووفقا للقواعد المعمول بها .

(ك) تنفيذ كل ما يعهد به المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة إلى الجهاز[1] .

تعقيب :

بعد أن استعرضنا السياسة القومية للسكان وتحديد دور كل وزارة أو هيئة فى إنجاز أهداف الخطة القومية العشرية (٧٢ — ١٩٨٢) للسكان . وبالرغم من الأرقام المذهلة التى أعلنت[2] يوم ٢ / ٦ / ١٩٧٦ بأن عدد سكان مصر وصل فى نهاية مايو ١٩٧٦ إلى ٣٨ مليون نسمة وفقا للتقديرات العلمية لخبراء الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، وأن كل ٢٣٫٣ ثانية يولد طفل مصرى . وكل ٦١٫٨ ثانية يموت مصرى وكل ٣٧٫٥ ثانية يزيد المصريون

(١) المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة كتيب بعنوان « السياسة القومية للسكان وتنظيم الأسرة » ١٩٧٢ — ١٩٨٢ بدون تاريخ وقد أهدانى إياه الزميل الفاضل الأستاذ مصطفى العنانى مدير الإعلام بجهاز تنظيم الأسرة والمذيع التليفزيونى المعروف .

(٢) جريدة الاهرام بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٧٦

واحدا . وأنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فسوف يصل سكان مصر إلى ٧٠ مليون نسمة مع نهاية القرن الحالى، ويصل عدد سكان القاهرة الكبرى وحدها إلى ٢٠ مليون نسمة ، حيث وصل عـــدد سكان مدينة القاهرة إلى ٦٫١١٥٫٠٠٠ وعدد سكان النطاق العمرانى للقاهرة الكبرى إلى ٧٫٠٥١٫٠٠ نسمة وعدد سكان النطاق الإقليمى للقاهرة الكبرى إلى ٨٫٧٧٠٫٠٠٠ نسمة بمعدل زيادة فرد واحد كل ١٥٠ ثانية .

هذا وقد فاقت كثافة السكان بمدينة القاهرة كثافة السكان بالجمهورية على طول السنين ما بين ١٩٢٧ و ١٩٧٦ وتتراوح الكثافة السكانية بين حوالى ٧ آلاف نسمة للكيلو متر المربع بقسم قصر النيل إلى مايقرب من ١٥٢ ألف نسمة للكيلو متر المربع فى قسم باب الشعرية .

ويلى قسم باب الشعرية من حيث الكثافة السكانية قسم روض الفرج حيث تصل فيه الكثافة السكانية إلى أكثر من ١٢٦ ألف نسمة للكيلو متر على التوالى . وتتراوح الكثافة السكانية فى كل من أقسام الساحل ، عابدين ، حلوان ، الظاهر ، الموسكى . والدرب الأحمر بين حوالى ٧٩ ألف نسمة فى قسم الساحل و ٦٥ ألف نسمة فى الدرب الأحمر . ثم تأتى بعد ذلك أقسام الزيتون والأزبكية والخليفة والجمالية ومصر القديمة فالوايلى وهى ذات كثافة سكانية منخفضة حيث تتراوح الكثافة السكانية فيما بين أكثر من ٤٢ ألف نسمة فى الزيتون و ٢٨ ألف نسمة فى الوايلى ... فضلا عن سكان المقابر الذين يتزايدون من حوالى ١٤ ألف نسمة سنة ١٩٦٦ إلى ١٢٠ ألف نسمة سنة ١٩٧٦ وإن كانت أرقام سكان المقابر لا تمثل ربع الحقيقة من ملاحظاتى الشخصية من خلال البحوث الميدانية التى أقوم بها .

ومما يثير الانتباه أن قسم الجمرك فى محافظة الاسكندرية به أعلى كثافة سكانية على مستوى الجمهورية ، حيث تبلغ ١٫٧٠ ألف نسمة للكيلو متر المربع وهو رقم قياسى لم يبلغه أكثر الأقسام إزدحاما بالسكان فى مدينة

القاهرة وهو قسم باب الشعرية (١٥٢ ألف نسمة) ويلي قسم الجمرك من حيث الكثافة السكانية فى مدينة الاسكندرية أقسام محرم بك ، المنشية ، كرموز ، اللبان ٩٨ ، ٩٢ ، ٧٤ ، ٥٤ ألف نسمة للكيلو متر المربع على التوالى . على حين أنه أقل الأقسام كثافة بالسكان هى أقسام مينا البصل ، الدخيلة ، والمنتزه حيث بلغت الكثافة ٤٠ ألف نسمة بالقسم الأول ، ثم ألفى نسمة فى كل من الأقسام التالية .

وبالرغم أيضا من أن المساحة الكلية لجمهورية مصر العربية حوالى مليون كيلو متر مربع (٩٩٧٫٧ ألف كيلو متر مربع) فإن الجزء المأهول من هذه المساحة لا يتعدى ٥٫٥ ٪ من هذه المساحة كلها . أى نحو ٥٥٠٢٩ كيلو متر مربع ، وتبلغ الكثافة السكانية ٦٩٠ نسمة للكيلو متر المربع فى مقابل ٣٨٠ نسمة فى كل كيلو متر مربع من مجموع مساحة الوطن . . . فإن المساحة المأهولة كانت ٣٥٫٥٨٠ كيلو متر مربع سنة ١٩٦٠ وأصبحت ٥٥٫٩ كيلو متر مربع فقط وذلك برغم ملايين الجنيهات التى تطويها أسرار الصحراء والتى ذهبت إلى غير أغراض التوسع فى مساحات الأرض المستثمرة . ويلاحظ أنه تم فى الآونة الأخيرة ضم مساحات جديدة إلى محافظات الاسكندرية والسويس والإسماعيلية والبحيرة والفيوم تمهيدا لتعميرها وتأهيلها بالسكان . . . وحبذا لو شملت تلك الخطة محافظة سيناء . هذا ويلي إقليم القاهرة الكبرى من حيث الكثافة السكانية ، محافظة الاسكندرية فقد بلغ عدد سكانها ٢٫٣٧٧٫٠٠٠ نسمة وتنمو سكانيا بمعدل فرد واحد كل عشر دقائق . وتأتى الدقهلية بعد ذلك حيث بلغ عدد سكانها ٢٫٧٨٢٫٠٠ نسمة ثم محافظة الجيزة وعدد سكانها ٢٫٥٦٠٫٠٠ نسمة ، ثم محافظة المنيا وعدد سكانها ٩٦٢٫٠٠٠ نسمة . ويلاحظ أن فى محافظتى الجيزة والقليوبية ترجع الزيادة السكانية فيها إلى قربهما من مدينة القاهرة . وتعتبر محافظات سوهاج وأسوان وأسيوط من أكثر محافظات الوجه القبلى كثافة فى السكان بعد الجيزة ، كما تعتبر

محافظات الغربية والمنوفية من أكثر محافظات الوجه البحرى كثافة فى السكان بعد القليوبية . . . وتعتبر البحيرة وكفر الشيخ أقل محافظات الوجه البحرى كثافة ، بينما تعتبر الفيوم وبنى سويف أقل محافظات الوجه القبلى كثافة .

هذا ويزيد عدد الذكور على الإناث على مستوى الجمهورية بمقدار ٣٦٩٫٠٠٠ ذكر ، وتزداد نسبة الذكور فى جميع محافظات الجمهورية عدا محافظة كفر الشيخ والغربية والبحيرة وبنى سويف التى يزيد عدد الإناث فيها على عدد الذكور والفيوم هى المحافظة الوحيدة التى يتساوى فيها عدد الإناث تماما مع عدد الذكور .

واستعراضنا هنا لأرقام آخر إحصاء تقديرى للسكان فى مصر ، مع ربطه بمختلف المحافظات وإيضاح معدلات الكثافة السكانية فيها ، كان من أجل تبيان خلو السياسة القومية السكانية من خطة لإعادة توزيع السكان على مستوى الجمهورية للتقليل من الازدحام أو الاكتظاظ الذى يلوث مختلف البيئات المكتظة. فضلا عن النمو الواضح فى البيئات المزدحمة بالسكان والتخلف الواضح فى البيئات المتخلخلة سكانيا ، الأمر الذى يتطلب ضرورة إجراء توازنات سكانية على مستوى الجمهورية بإنشاء أقطاب جديدة جاذبة للسكان فى مناطق التخلخل السكانى . فمن غير المقبول أن يتزاحم ثمانية ملايين من البشر فى مسافة طولها أربعين كيلو متر من حلوان حتى شبرا الخيمة بينما تعانى مناطق أخرى شاسعة من التخلخل السكانى ومن الحرمان من المشروعات الصناعية التى تؤدى إلى تطوير البيئة الاجتماعية فى مختلف النواحى .

الفصل التاسع

الاتجاهات السكانية فى مصر حتى سنة ٢٠٠٠

تعمل الدول الآخذة فى النمو مثلها مثل الدول المتقدمة على تحقيق زيادة رفاهية الجماهير فى أقصر وقت ميسور ، وذلك عن طريق إتاحة فرصة العمل المنتج بأجور مناسبة ورفع مستوى المعيشة بشكل عام ، مع توفير الخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية وما إليها ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر أن يتوافر لدى المخطط الاجتماعى كافة البيانات الضرورية عن حجم السكان ومعدلات نموهم وتوزيعاتهم حسب السن والنوع فى الحاضر والمستقبل .

هذا ويمكن تحديد العناصر السكانية المؤثرة فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى حجم السكان وفى نموهم . وتنشأ المشاكل إما عن زيادة هذه العناصر أو نقصها ، ولو أن معظم البلاد تعانى من مشكلة زيادة حجم السكان ومعدل نموهم .

وقد قام بعض الباحثين بمحاولات عديدة لإبراز حاضر ومستقبل المجتمع السكانى لجمهورية مصر العربية . وتتفاوت الصورة التى تظهر كنتيجة لهذه المحاولات وفقا لعوامل كثيرة من أهمها الفروض المستخدمة فى إعداد الإسقاطات . وفى هذا الفصل سوف نحاول متابعة نمو وتوزيع السكان بهدف إلقاء بعض الضوء على المسألة السكانية التى تشكل الأرضية الأساسية لكل تخطيط ولكل بحث اجتماعى . وهذه المحاولة تعتمد بصفة أساسية على مختلف المراجع والمصادر ، مع الاستفادة من البيانات والإحصاءات المتاحة التى تصدر عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .

الأصل السلالى لسكان مصر :

يزعم الأنثربولوجيون استناداً إلى داروين أن أجداد البشرية ومن بينهم سكان مصر من القردة ، ويرددون أن الإنسان دائم المغالاة فى تقدير ذاته ، وأن كثيراً من الآراء التى نرفضها فى حياتنا اليومية ، نرفضها بدوافع من هذا النوع . ولكننا نرى أن الإنسان لم ينحدر من أى نوع من أنواع القردة العليا التى ما زالت باقية حتى الآن ، فهذه القردة ليست بالقطع أجدادنا البعيدة ، ولعلها من أبناء عمومتنا . وعلى ذلك فإن زعم الأنثربولوجيين بأن أجدادنا كانوا قردة تتراكض فوق فروع الأشجار على أربع لا يستند إلى أساس . وإنما الكلام الذى يستند إلى أقدم مرجع علمى وهو القرآن الكريم يؤكد أن الإنسانية تعود إلى أصل واحد ، تعود إلى إنسان عاقل ، كان هو الجد الأول للبشرية . والذى يؤكد ذلك أنه منذ أكثر من مليون سنة لم يتحول قرد واحد إلى إنسان وأتصور أن ذلك لن يحدث . غير أن الذى يذهل بالفعل هو هذه الثقة الشديدة التى يتحدث بها الأنثربولوجيون عن أحقاب زمنية بعيدة . إنها ولا شك جرأة بالغة منهم أن يتكلموا بهذا اليقين عن عصور سحيقة غاية فى البعد . بينما لا يتوافر فى أيديهم القرائن والأدلة التى تؤكد آراءهم . إن الأمر كله لا يخلو من أن يكون مجموعة من الاستنتاجات التى قد تكون خطأ وربما تكون صوابا . إن الإنسان لم يكن قد اكتشف الكتابة . فمن أين أتوا بكل هذه التفصيلات ؟

حقيقة إن أجدادنا الأوائل عاشوا بين الأشجار . وإذا كان أسلاف القردة العليا يعيشون حتى الآن بين الأشجار ، فقد أخذ أسلافنا من الجنس البشرى يعيشون فوق الأرض . ومن المرجح أنه لم تكن صورتهم على نفس الصورة الحالية ، ويمكن — بحكم الجوار — أن بعض الأجداد من البشر كانوا يسيرون على أربع ، وقد يكون لبعضهم — ذيل — يختلف عن مثله لدى أبناء عمومتنا من القردة العليا . وبينما ظلت القردة العليا تستخدم ذيلها

فى التأرجح بين أغصان الأشجار وبذلك استمر قائماً ، على حين استخدم الأسلاف ذراعهم فى ذلك ، ومن ثم تلاشى ذلك الذيل إذا كان موجوداً من قبل وإن كنا نشك فى ذلك . وبذلك حدثت تغيرات هامة كانت هى الأساس للتطور الكبير الذى حدث فى جسم الإنسان . وبذلك أصبحت قامته أقصر من ذى قبل ، وأكثر اكتنازا . وأخذت عضلات البطن تقوى حتى تحوى الأحشاء ثابتة فى مكانها . أما الحوض فقد أصبح أعمق مما كان وأكثر استدارة حتى يستطيع حمل الأحشاء . ونتيجة لذلك لانت مفاصل الكتفين بحيث أمكن تحريك الذراعين بشكل ميسور فى دائرة تكاد تكون كاملة . وعندما انتصبت — بفعل ذلك كله — قامة الإنسان لم يعد فى حاجة إلى أن يستخدم قدميه الأماميتين فى السير . وهكذا عرفت « الذراعان » مهمة أخرى واستطالت أصابعهما . وفى كل يد إبتعدت إحدى الأصابع عن الأخرى لتصبح إبهاماً .

غير أن الأنثربولوجيين عثروا على بقايا كثيرة ترجع إلى أب البشرية — الإنسان الأول كما يقولون — فى مناطق متفرقة من العالم ، فى نياندرتال بالقرب من دوسلدروف فى ألمانيا . وفى بكين . وفى جاوة ، وفى وادي كوم إمبو إلى الشمال من أسوان عثروا هنا وهناك على بقايا هياكل عظيمة قديمة وجماجم تبين من دراستها أنه كان لهذا الإنسان جسم يماثل جسمنا البشرى باستثناء الرأس الذى كان يماثل رءوس القردة من وجهة نظرهم . وهو ليس كذلك فى الواقع ، لأنه لم تكن له الأنياب الكبيرة التى نراها فى القردة العليا . وإنما كانت أسنانهم تشبه أسناننا الحالية ، الأمر الذى يؤكد أن هؤلاء الأجداد كانوا يأكلون نفس الأطعمة التى نأكلها حالياً ، مثل اللحوم والخضر والنشويات ، مما يؤكد عدم التشابه بين الإنسان والقردة العليا . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان مخ الإنسان الأول أكبر نسبياً من مخ القردة العليا ، بصرف النظر عن تراجع جبهة الإنسان الأول إلى الخلف قليلا .

ويحدد بعض العلماء أجناس هذه البشرية بثلاثة أجناس هى :

١ — الجنس الزنجى . ٢ — الجنس القوقازى ويتكون ثلاث سلالات هى : الآرية والساميه والحامية . ٣ — الجنس المغولى .

ولقد تعارف العلماء على أن الجنس المغولى بمميزاته التشريحية المعروفة ظهر فى أقصى الشرق ، حيث لا تزال مجموعات من أحفاده تعيش حتى الآن فى شرق آسيا واليابان . . . أما الجنس القوقازى فقد كان يعيش فى المناطق الشمالية من آسيا وبالذات السلالة الآرية من هذا الجنس التى تجمعت حول بحر قزوين وفى السهول الممتدة جنوباً فيه شرقاً وغرباً . وفيما يتعلق بالسلالة السامية من هذا الجنس ، فقد كانت تعيش فى مناطق جنوب غربى آسيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب ، ثم تبقى السلالة الحامية وكانت تعيش فى الجزء الشمالى الممتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً .

وثمة نظرية تقول إن الجنس الزنجى نشأ فى مناطق جنوبى شبه الجزيرة العربية ، وهى المناطق المطلة على المحيط الهندى ... وفى عصور غارقة فى القدم طغت أمواج المحيط على هذه المنطقة ، فهب أصحابها مهاجرين ... جماعات منهم نحو الشرق وجماعات نحو الغرب ، وجماعات أخرى سارت شمالا مع نهر النيل حيث استقرت فى منطقة الخرطوم . وظهر بعض منها فى مصر فى عصور تؤرخ بحوالى القرن التاسع عشر والعشرين قبل الميلاد .

وإذا لم يكن هناك ما يمكن أن يميز الإنسان الأول الذى تم العثور على جماجمه فى كوم امبو عن الإنسان الأول الذى ظهر فى مناطق متفرقة من العالم فمتى على وجه التحديد أصبح ممكناً أن نتكلم عن جماعة بشرية عاشت على ضفاف النيل وأطلق عليها إسم المصريين ؟ أو بالأحرى متى كنا لأول مرة فى هذا المكان ؟ .

من المرجح أنه خلال العصر الحجري القديم لم تكن هناك جماعة بشرية نستطيع أن نطلق عليها إسم المصريين ، حيث لم يكن الإنسان قد عرف بعد معنى الاستقرار فى مكان معين أو ما يسمى بمرحلة الجمع والإلتقاط ، حيث كانت بعض جماعات الإنسان الأول الدائمة التجول وراء الصيد ، كانت تهيم على وجهها فى كل مناطق الشمال الأفريقي وكان بعضها بجوار النهر لصيد أفراس البحر والأسماك والبعض الآخر بجوار البحيرات الممتدة والمستنقعات المتعددة غرب النهر نتيجة للأمطار الغزيرة التى كانت تهطل بصفة مستمرة يومئذ أو عصرئذ، وذلك بالإضافة إلى وصول مياه البحر المتوسط فى أوقات المد إلى منطقة إسنا فى الصعيد حتى الألف السادس قبل الميلاد . وقبل مجيء عصر الجفاف .

ونتيجة لهذا الجفاف هاجر الإنسان والحيوان إلى وديان الأنهار ليجد الماء والعشب . وكانت تلك الهجرات من الأحداث البشرية الضخمة ، بحيث يطلق على تلك الفترة (عصر الهجرات الأولى) ، فقد هاجرت من قلب الجزيرة العربية أمواج من البشر (جماعات سامية) هرباً من الجفاف يشدها إلى الشمال مناطق الهلال الخصيب ... ومن هذه الموجات الكثيفة عبرت جماعات بشرية سامية برزخ السويس إلى أفريقيا . . . إلى وادى النيل ، كما اتجهت الجماعات البشرية الحامية التى كانت تعيش فى مناطق شمال أفريقيا هى الأخرى إلى ولتا النيل وهى من جنس البحر الأبيض المتوسط ، بالإضافة إلى جماعات أخرى حامية جنوبية كانت تعيش فى مناطق أفريقيا الوسطى وهاجرت إلى الشمال يشدها نهر النيل .

ومعنى ذلك أن الإنسان الأول فى مصر كان من أكثر من سلالة .

(ا) سلالة سامية دخلت من الشرق وأتت معها بمميزات حضارية استقرت فى شرق الدلتا ، وهناك نشأت اللغة المصرية القديمة لا سيما فى الجزء

الشرق من الدلتا . وهذه اللغة كانت تحوى نسبة كبيرة من خصائص اللغة السامية مثل تاء التأنيث وواو الجماعة ومختلف الضمائر والأفعال الثلاثة الماضى والمضارع والأمر .

(ب) سلالة حامية جنوبية وقد أتت مع الذين وصلوا إلى مصر من الجنوب .

(ج) سلالة حامية أتت مع الذين دخلوا إلى مصر من مناطق شمال أفريقيا التى تقع إلى الغرب من مصر . وهذه السلالة الأخيرة كانت هى الغالبة فى أوائل الاستيطان البشرى لوادى النيل الأسفل (مصر) .

ومن هنا يمكن القول إن الشعب المصرى على مدى تاريخه الطويل تكون من سلالتين واضحتى المعالم فى حضارته الطويلة هى : السلالة السامية والسلالة الحامية ، وتلك السلالتين تنتميان إلى الجنس القوقازى .

وعلى ضفاف النهر إختلطت هذه الجماعات ذات السلالات المختلفة . وبدأت فى الاستقرار ، وأصبحت حياتها مرتبطة بمساحة معينة . ومن ثم استأنست الحيوان وعرفت الزراعة ، فقد عثر فى آثار قرية مرمدة بنى سلامة التى لا تبعد عن القاهرة أكثر من أربعين كيلو متر . عثر على بعض الأوانى الفخارية ، وفى قاعها بقايا من حبوب الشعير والقمح . وكان البيت الأول الذى عثر عليه البحاث هناك فى بقايا هذه القرية الصغيرة هو وغيره عبارة عن أكواخ صنعت فى خطوط مستقيمة يفصل بين الواحد والآخر شارع عريض . والأكواخ مبنية من قوائم خشبية تشكل أركان البيت الأربعة . وعلى هذه القوائم كانوا يسدلون الحصر المجدولة لتقوم بوظيفة الحائط . وأقامت هذه الجماعات القرى وبذلك وجدت الحضارة فى هذا الوادى موطنا من أقدم مواطنها ، ذلك أننا لا نجد فى أى بلاد أخرى من العالم نهرا مثل نهر النيل سخيا بمائه ، وإن كان فى بعض الأحيان يؤدى إلى إغراق الحقول ومن النصوص المصرية القديمة التى تؤكد ذلك « ويرتعد أولئك الذين يرون حابى (النيل) يضرب الأرض

بأمواجه . ولكن المراعى تبتسم والشواطىء تزدهر » وتارة أخرى تقول « وأصبح الوادى كله كأنه بحر وغطت الأمواج المعابد وأصبح الناس كلهم وكأنهم طيور مائية » . . . وإلى النيل بالإضافة إلى الميل الطبيعى لدى الإنسان ، اضطرت الجماعات التى عاشت على ضفاف النيل إلى أن تتعاون لإتقاء خطر فيضان النهر وخطر الحيوانات المتوحشة . وشكلوا بذلك أول جماعة بشرية يمكن أن نطلق عليها صفة المصريين . وراحوا يبحثون عما يؤدى إلى الوحدة بينهم ، وعرف المصرى منذ فجر تاريخه شق الترع لتوصيل مياه النهر إلى حقوله حيث لم يعتمد المصرى الأول على الأمطار فى الزراعة . . . وبذلك انتقل المصريون الأوائل من العصر الحجرى القديم إلى العصر الحجرى الحديث .

وعلى ضفاف النهر وفى ربوعه بعد أن تكونت الدلتا وأصبحت صالحة للسكنى امتزجت هذه السلالات البشرية حتى تألف من إمتزاجها شعب واحد ، هو الذى أوجد مصر التاريخية . ومنذ ذلك العهد السحيق بدأ سكان الوادى أعمال الرى وشق الترع وإقامة الجسور . وبدأوا أيضا فى قطع الأدغال وتجفيف المستنقعات وتغلبوا على تماسيح النهر وأفراسه وعرفوا صناعة الفخار وخزن الحبوب والإدخار ومايسمى اليوم بالإقتصاد البدائى . وأجهدوا أنفسهم فى تأسيس الحضارة الإنسانية الأولى قبل عصر الأسرات — أو قبل بداية التاريخ . وقبل معرفة الكتابة — بزمن طويل . وكانت كل أدواتهم من الأحجار ، ولذلك يسمى عصرهم بالعصر الحجرى الحديث .

ومن مظاهر الحضارة المصرية أدلة الإثبات ، حيث انتشرت فى حضارة العصر الحجرى الحديث كثير من الأدوات التى كانت مستعملة بين جماعات ليبيا وتونس والجزائر . وقد عثر عليها فى منطقة الفيوم (حضارة فيوم) وفى مرمدة بنى سلامة غرب الدلتا . وكذلك كانت الآلهة المصرية فى تعددها الكبير تنقسم إلى آلهة تخيلها المصرى على هيئة حيوانات وطيور . . . وبعضها الآخر تخيله على هيئة بشر . ومن الطريف أننا نجد فى مناطق (فزان) فى

ليبيا أدلة على أن الإنسان فى هذه المنطقة كان يتعبد آلهة صورت على هيئة حيوان ... على حين أن جميع آلهة المناطق التى تقع إلى الشرق من مصر والتى ظهرت فيها الحضارة السامية البحتة كانت على هيئة بشرية .

ويذهب العلامة « سيرجى » إلى أن أهل جنوب وغرب أوروبا فى العصرين الحجرى القديم والحديث ينتمون إلى سلالة جنس البحر الأبيض المتوسط مثل المصريين الأولين . وأن جبل طارق كان منفذ الهجرة بين القارتين الإفريقية والأوربية ، كما كان برزخ السويس ممرا للهجرة بين القارتين الآسيوية والإفريقية . وآية ذلك أن المنطقة العربية كانت تسودها وحدة اثنولوجية . حيث كان الليبيون يهيمون على وجوههم فى شمال أفريقيا متوغلين فى بعض الأحيان فى غرب الدلتا . هذا وقد بذلت محاولات من أجل تأكيد وجه التشابه بين اللغة المصرية القديمة واللغة السامية ولغة البربر(١) .

غير أن المصريين الأوائل الذين يعودون فى الأصل إلى هذه السلالات المختلفة ، فمن الساميين الذين جاءوا من قلب الجزيرة العربية إثر عصر الجفاف وعبروا برزخ السويس إلى الوادى . . . إلى سـلالة جنس البحر الأبيض المتوسط الذين كانوا يهيمون على وجوههم فى صحراء الشمال الافريقى ، ثم استقر بهم المقام على ضفاف النهر . . . إلى هؤلاء القادمين من مناطق أفريقيا الوسطى . . إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط الذى امتزجت فيه العناصر الإغريقية والإرمنية والسامية . وكذلك النوبيـون الذين ينتمون إلى العنصر الليبى .

---

(١) الدكتور أحمد فخرى : تاريخ الشرق القديم . ص ٨٣ وأيضا .

Hall, H.R. ; Ancient Historg of the Near East. London. 1913.
Elliot Smith ; The Ancient Eggptins.
De Morgan, J. ; Rechaches sur l,origine de L'Eggpte. paris, 1896.
Moret, A. and Davg, E. ; From Tribe to Empire. Lonaon, 1926.

هذا ولم يكن النهر وحده هو الذى صنع وحدتهم، وإنما ساعد فقط على تهيئة الظروف لامتزاجهم اجتماعياً ، ولكن بعد عصر طويل من التنافس والصراع إتجهوا إلى التعاون والإندماج ، حيث كانت هذه الأقوام تعيش فى حالة إنقسام على ضفاف النهر وفى مختلف أحواضه ، فقد كانوا منقسمين فى البداية أقساما ينتسب سكان كل قسم إلى أصل واحد ، بالإضافة إلى سكان الضفة الشرقية للنيل فى الجنوب وهم الموازى ، أى قبائل البشاريين الحالية التى كانت تجوب صحراء النوبة ، وبذلك لم تعرف مصر الوحدة فحسب ، ولكن لابد وأن يكونوا قد حققوا الوحدة السياسية لأول مرة خلال هذا التاريخ ما بين شمال الوادى وجنوبه . وأصحاب هذه النظرة يرون أن هذه الوحدة قد حدثت فى حوالى ٤٥٠٠ قبل الميلاد . وأن عاصمة هذه الوحدة كانت هيلوبوليس ، وإن كانت هذه الوحدة لم تستمر طويلا ، حيث حدث الإنفصال مرة أخرى وانقسمت البلاد إلى قطرين : مملكة الشمال ومملكة الجنوب . ومعنى ذلك أن « مينا » لم يكن هو أول موحد للقطرين ويؤكد ذلك الوثيقة المعروفة بحجر « الرمو » والتى تضم أسماء عدد من الملوك الذين حكموا مصر ، ومن بينهم من حكموا المملكتين قبل إسم مينا .

وفى وقت من الأوقات دخلت سلالة آرية عن طريق شمال أفريقيا ممثلة فى القبائل التى كانت تحاول باستمرار دخول الدلتا من العرب ، إما بالقوة أو بالتسلل . وهى القبائل المعروفة باسم (التمحو) ولأول مرة ظهرت بعض خصائص هذه القبائل ممثلة فى زوجة الملك خوفو التى عثر على مقبرتها فى الجبانة الشرقية بمنطقة الأهرامات وكانت تتميز بشعرها الأصفر وعيونها الزرق ولون بشرتها الفاتح مع إختلاف واضح فى طراز الملابس .

شعب مصر وشعب مروى :

وكما أن البحث فى أصل سكان مصر يعتبر إحدى العلامات البارزة فى تاريخ أفريقيا ، فإن البحث حول شعب مروى ولغته ودورة فى الربط بين سكان

مصر وسكان أفريقيا له أهمية . ففى أواخر عصر الدولة الحديثة فى تاريخ مصر الفرعونية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد بدأت النوبة تتبوأ مكانة مرموقة بين شعوب ذلك العصر ، للدرجة التى جعلت أحد أبنائها (بعنخى) يتمكن من حكم مصر ويؤسس الأسرة الخامسة والعشرين التى اتخذ ملوكها منطقة « نباتا » فى السودان بالقرب من الشلال الرابع مقرالهم . وإزدهرت مملكة «نباتا» فترة ثم اضمحلت . ونشأت مملكة «مروى» التى تبعد عن الخرطوم شمالا بحوالى ٢٣٠ كيلو متر فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ووطدت علاقاتها بمصر حتى أن أحد ملوكها بنى معبدا مصريا فى الدكة بالنوبة . ومن جهة أخرى فقد كانت حياة الناس فى (مروى)متشابهة مع الحياة فى مصر . فإنهم كانوا يقدسون ملوكهم كالمصريين ثم إن الديانة المصرية قد أثرت فى المرويين تأثيرا كبيرا بالرغم من وجود آلهة خاصة بهم .

وكانت تمتد بلادالنوبة التى كان قدماء المصريين يطلقون عليها اسم « كوش » على صفتى النيل الشرقية والغربيةفيما بين حدود السودان ومصرالحالية . وكان النوبيون ينتمون إلى العنصر الليبى . وبالإضافة إلى ذلك عاش الموازنى و البشاريون الحاليون على الضفة الشرقية للنيل . وعلى جبال وسهول الصحراء الغربية عاش الليونتو Luntiu وهم بدو ساميون أو بالمفاهيم الحديثة « أعراب أو عرب » وكل الدراسات الإثنوجرافية لهذه المنطقة تدل دلالة واضحة على وجود صلات وتفاعلات اثنولوجية وثقافية من آسيا وشبه الجزيرة العربية ووادى النيل وشمال أفريقيا على نحو ما تعنى به المؤلفات المتخصصة فى دراسة نشأة وتاريخ الحضارات لتلك المنطقة. وتتلخص آيات الآثار القديمة أو الأركيولوجية Archeology فى أن سكان وادى النيل وشمال أفريقيا وجنوب وشرق البحر الأبيض المتوسط وجنوب غربى آسيا قد امتزجوا منذ أقدم العصور إمتزاجا يكاد يكون منهم وحدة إثنولوجية أصيلة .

وقد استخدم المرويون : الشادوف والساقية فى الرى .. . كما كان الحال

فى مصر كما استخدموا آلات مشابهة للآلات المستعملة فى مصر ، وإن كانت مصنوعة من الحديد بسبب وقوع (مروى) بالقرب من مناجم خام الحديد الذى كان يصهر فى أفران تحرق فيها أشجار السنط التى تنمو هناك بكثرة . ومن « مروى » انتشرت طريقة صهر الحديد لأول مرة إلى كل أفريقيا وإلى كل بلاد العالم .

وفى صعيد مصر عرفت عقيدة الخلود بعد الموت منذ أول استقرار المصريين فى وادى النيل ، تلك العقيدة التى استلزمت تكديس نماذج مختلفة من أدوات الإنسان التى كان يستخدمها فى حياته اليومية داخل المقبرة إلى جوار جسده لكى يتمكن من استخدامها مرة أخرى خلال حياته الثانية . فقد عثر العالم الأثرى الانجليزى « فليندرز بترى » سنة ١٨٩٠ على كثير من تلك المقابر بأدواتها وكما أكدت ذلك الكتابة التصويرية القائمة على الرسوم والتى عرفها المصريون الأوائل قبل بداية عصر الأسرات .

ولقد عرف سكان مصر الأوائل فى شرق الدلتا الكتابة الهيروغليفية . وبانتشار تلك اللغة فى شمال الوادى وجنوبه . ومع عودة الوحدة السياسية مرة أخرى يمكن القول بوجود سكان فى تلك المنطقة يمكن أن يوصفوا بأنهم مصريون .

وهؤلاء السكان المصريون ليست لدينا إحصاءات دقيقة عنهم فى الوقت الحالى ، بالرغم من أن أجدادنا الفراعنة عرفوا تعداد السكان وتصنيفهم إلى فئات كما عرفوا معدلات المواليد والوفيات والزواج والطلاق والدخل والإنفاق وحجم القوات البحرية وأنواع العمليات الدينية والسحرية (١) .

وقد سجل المؤرخ الاجتماعى (هيردوت) أول دراسة عن سكان مصر منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة ، تلك التى اشتملت على أنشطة السكان وأنماطهم الثقافية من عادات وعرف وتقاليد وغيرها ، كما اشتملت على المعتقدات الدينية والحروب والثورات (٢) . وقد جاء فى تاريخ هيردوت كلمة « أراييا »

(١ ، ٢) دكتور زيدان عبد الباقى : قواعد البحث الاجتماعى ، الطبعة الثانية ، مكتبة دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦ : صفحة ١٨٥ ؛ ٣٠

Arabia فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . وأصبح هذا الأسم معروفا بين كتاب اليونان ، وهم لايقصدوا به بلاد العرب بحدودها الجغرافيا المعروفة وإنما كانوا يقصدون به شبه الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء وصحراء مصر الشرقية ، وأحيانا بعض جوانب شرقى الدلتا(١) .

لاسكان بلا تهجين :

النقاء "سلالى ليس مفضلا بالمرة فى تاريخ الشعوب وحضاراتها ... لأن الحضارات المتقدمة لا يمكن أن تستمر فى تقدمها دون تهجين مستمر ... ولقد تمتعت مصر بشهرة عالية على أنها حوت شعباً استطاع منذ أول العصور أن يقدم للبشرية حضارة متكاملة .. ولم ينضب معينه فى إستكمال مقومات هذه الحضارة منذ أن ظهر على ضفاف النيل فى القرن الستين قبل الميلاد حتى وقتنا الحالى .. والسبب هو تلك التيارات المستمرة من شعوب مختلفة الأجناس تحاول أن تستقر على ضفافه وفى دلتاه .. تاتى ومعها مظاهر حضارات مختلفة لا يلبث المصرى أن يستوعبها ، ثم يقدمها فى صورة تكاد تكون مصرية فى ألوانها المختلفة وعناصرها المميزة . وعلى سبيل المثال فقد اشترى بعض المصريين سيدنا يوسف بثمن بخس دراهم معدودة ، وعندما استوى يوسف على خزائن الأرض وجاء إخوته لشراء الغذاء ومعرفته إياهم ودعوته لهم ولأبيهم للإستقرار فى مصر طبقا لرواية القرآن الكريم . ومن ثم دخل اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق) مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نسماً ، وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه ٢٢٠ سنة(٢) ، حيث تداولهم ملوك القبط من الفراعنة بالتشتيت طوال

---

(١) الأستاذ محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام . وكذلك الأستاذ محمود كامل : العرب ، تاريخهم بين الوحدة والفرقة . صفحة ٧ ، ٨

(٢) دكتور زيدان عبد الباقى : التفكير الاجتماعى ، نشأته وتطوره . الطبعة الثانية ١٩٧٦ صفحة ١٥١

مدة بقائهم فى مصر . وكذلك هجرة النبطيين الى مصر وهى قبائل هاجرت من الجزيرة العربية واستقرت فيما بين فلسطين والعراق (فى وادى موسى) وقد هاجر كثير منهم الى مصر لاسيما وأنه كانت لهم السيطرة على الطريق بين بلاد العرب وبلاد البحر الأبيض المتوسط ، واتسعت مناطق نفوذهم حتى قضى عليهم الرومان سنة ١٠٦ ميلادية . وكذلك مجىء الإغريق إلى مصر بعد فتح الاسكندرية لمصر تحت حكم البطالمة . . . وفدت الى مصر بعض الهجرات من جنوب أوربا ، فضلا عن الهجرات التى وفدت الى مصر عندما استعانت بالعرب على طرد الرومان من مصر ، هؤلاء الرومان الذين عاثوا فى أرض مصر فساداً واضطهدوا سكان مصر المسيحيين يؤمئذ وقبل دخول غالبيتهم فى الاسلام بعد دخول الإسلام الى مصر مع عمرو بن العاص . وقد هاجر الى مصر كثير من أفراد القبائل التى تنتمى الى عمرو بن العاص ، وكذلك كثير من أفراد قبائل جزام ولخم وبعض القبائل القرشية فى عهد الخلفاء الراشدين[١] . وهاجر إلى مصر أيضا كثير من أفراد قبائل بنى أمية فرارا من العباسيين وبنى العباس ومنها قيس عيلان سنة ١٢٧ م فى ولاية هشام بن عبد الملك الذى نقل منهم نحو ثلاثة آلاف[٢] ، ثم كثر عددهم بعد ذلك . وكان ذلك فى عهد الأمويين والعباسيين . وكذلك هجرة « أولاد الكنز من ربيعة » فى عهد المتوكل على الله سنة ٧٥٤ ميلادية .

وفى العصر الفاطمى تم تهجير بعض القبائل السورية إلى مصر لكى يأمنوا شرهم ، وبالإضافة إلى ذلك دعوة الخليفة العزيز أبو منصور لبطون قيس من

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٤ الجزء الثالث صفحة ٣٢٩ — ٣٣٣

(٢) المقريزى : البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعرب دار المعارف بمصر ١٩١٦ صفحة ٤٨

(بنى سليم وبنى هلال) لسكنى مصر . ودعـــوة الوزير أبو محمد اليازورى سنة ٤٤٢ هـ (القرن الحادى عشر الميلادى) لقبائل (سنبس) التى كانت تقيم حول غزة للإقامة فى محافظة البحيرة . كما وفدت قبائل أخرى من طيء ، وقد زاد نفوذهم بشكل واضح فى أواخر عهد الفاطميين . ولا سيما عندما جاء صلاح الدين ببقايا قبائل طيء وقبيلة تعلبه وبعض أفخـــاذ قبيلة (جرم) إلى مصر .

ويقول المقريزى[1] إن العرب الذين نزلوا مصر امتزجوا بمن فيها من السكان وتسربت دماء المصريين إليهم واختلطوا بعناصرهم ، لاسيما وأن مصر منذ بداية التاريخ تتلقى أمواجا من الهجرات العربية وغيرها إليها . غير أن بقايا سمات بعض هذه القبائل لا تزال واضحة فى بعض محافظات مصر مثل :

— قبائل سنبس فى البحيرة وهم الذين قاموا بثورة ضد المماليك فى عهد عز الدين أيبك التركمانى . ولكن المماليك شتتوا شملهم فتفرقوا إلى مديريتى الغربية ودمياط .

— قبيلة جزام ومن أقسامها أخاذ بنى كحيل وبنى سعد وغيرهما ممن إختلطوا بسكان مصر وإستقر بعضهم فيما بين ميت غمر وزفتى وفاقوس والبعض الآخر فى ضواحى الاسكندرية .

— قبيلة بنى هلال وهم بطن من بنى عامر وقد استقروا فى الصعيد ومنهم بنى قره فى إخميم وبنى رفاعة وبنى عقبة وبنى جميله فى إسنا .

— قبيلة « بلى » من الشام وتمثل ثلث قبيلة « قضاعة » ولها بطون منها بنى حماد بمنفلوط وبنى حيار بفرشوط .

---

(١) المرجع السابق ، صفحة ٢٠ ، ٢١

- وقبيلة جهينة اليمنية ولها بطون كثيرة تشكل غالبية العرب الذين هاجروا إلى صعيد مصر وقد نزلت فى إخميم وقبيلة قريش التى ينتسب اليها الجعافرة والربانية بالصعيد الأعلى وكذلك بنو صالح وبنو شاكر وبنو إدريس فى المنطقة فيما بين منفلوط وسمالوط . وفى أسيوط توجد طائفة تنتسب إلى أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق وتربطهم بأولاد الأشراف وبنو طلحة فى طما وبنو عروة بن الزبير فى البهنسا علاقات قرابة .

- وقبيلة الأنصار من عشائر الأزد ومنهم بنو محمد وبنو عكرمة وديارهم بحرى منفلوط . وهى تنتهى فى نسبها إلى قيس عيلان ومنها أفخاذ فى الفيوم والبحيرة وفى برقة بليبيا وفى بلاد المغرب ، ومن القبائل التى تحتفظ بكثير من أنماطها الثقافية التى جاءت بها من مواطنها الأصلية قبائل المعازة بصحراء مصر الشرقية وقبائل أولاد على بالبحيرة وقبائل الحرابى بالفيوم ، وقبائل الحويطات بالمطرية .

ويضاف إلى ذلك فى العصر العثمانى حيث وفدت إلى مصر هجرات متتالية من أجناس متعددة وصل عددها إلى ٤٣ جنسية[١] . كما وفدت إلى مصر هجرات متقطعة من الجزيرة العربية ومن شمال غربى أفريقيا ومن جنوب حوض نهر النيل فى أفريقيا . ومع الغزو الفرنسى والإستعمار الإنجليزى تعرضت البلاد لنوع من الإحتلال الحرفى والمهنى والإقتصادى ، حيث وفدت إلى البلاد جحافل من اليونان وقبرص ومالطة وبقية دول جنوب أوروبا بصورة أشبه بالغزو لهذه المجالات الحيوية .

وبذلك أصبحت فى مصر فئات وديانات متعددة ، غير أن الذين يمكن أن يوصفوا بأنهم مصريون هم المصريون المسلمون والمسيحيون ، لا سيما وأننا

(١) السيد السندوبى : تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى . الطبعة الأولى ١٩٤٨ صفحة ٧٦ .

قد أكدنا أن كل المصريين المعاصرين أقباط وبعضهم قبطى مسيحى والغالبية من الأقباط المسلمين. ذلك أن سكان مصر الحاليين من المسلمين والمسيحيين كان أجدادهم فى العصر الفرعونى من الأقباط. أى من الرعاة. وعندما دخلت المسيحية إلى مصر أسرعوا باعتناقها شأن كل دين جديد نتيجة للمظالم التى كانت سائدة لاسيما فى عهد الأباطرة الرومانيين.

وإزاء سماحة الإسلام والمسلمين، وعدم تعارض أهداف الدين الإسلامى مع أهداف الدين المسيحى، فإن غالبية المصريين المسيحيين اعتنقوا الدين الإسلامى [١].

وفيما يلى سوف نتناول عناصر الإتجاهات السكانية :

أولا : نمو سكان مصر فى العصر الحديث :

إن أول دراسة شبه علمية لسكان مصر، هى تلك التى تمت أثناء الحملة الفرنسية على مصر، حيث جاءت نتائج هذه الدراسة كما يلى :

فئات السكان :

(ا) المصريون المسلمون : وهم الغالبية العظمى.

(ب) المصريون المسيحيون : وهم من الأقليات المحدودة العدد.

(ح) الأروام : وبعضهم من الكاثوليك الذين يخضعون للبابا، والبعض الآخر من المنشقين الذين يخضعون للبطاركة المحليين.

(د) الأرمن : وبعضهم من الكاثوليك الذين يخضعون للبابا، والبعض الآخر من المنشقين الذين يخضعون لأحد البطاركة.

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى. المرأة بين الدين والمجتمع. مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٦ صفحة ٧٤.

(هـ) المارونيون : وهم من الكاثوليك الذين يخضعون لبطريك فى لبنان. هذا ولا يوجد فى مصر لا كنعانيون ولا لوثريون

(و) اليهود : وغالبيتهم من طائفة القرائين ، وهؤلاء كان عليهم مثل الأوربيين والأروام وبقية الرعايا الآخرين ، إذا ما قابلوا أثناء جولاتهم مملوكا بسيطا أن ينزلوا أمامه — من على ظهور دوابهم — على الأرض دليلا على الاحترام .

(ز) المماليك وعددهم لا يزيد عن عشرة آلاف رجل ، وكانوا يأنفون من الزواج من مصريات . ولذلك لم يكن تكاثرهم بذى بال .

(ح) العبيد السود ، الذين كانوا يجلبون من أعماق أفريقيا ضمن الفئات الأجنبية التى استوطنت مصر ليباعوا فى أسواق القاهرة ، وهى من المتاجر المرذولة، ومع ذلك لم تكن ثمة أسرة ميسورة الحال ولو قليلا، إلا وكانت تمتلك على الأقل واحدا أو أكثر من العبيد السود .

(ط) النوبيون ، وهم من الفئات المتماسكة اجتماعيا والتى تحترم عاداتها وتقاليدها مثل تلك التى تقضى بأن يكون الزواج بين أفرادها من الداخل .

(ى) العربان أو الأعراب وهؤلاء ينقسمون إلى قبائل وعددهم يومئذ كان حوالى أربعين ألفا ينتشرون فى مختلف ولايات مصر ، حيث كانت :

١ — توجد فى ولاية المنصورة قبائل درنة ، وهى من أقوى القبائل ثم قبيلة بوحشيش وقبيلة حسن طوبار .

٢ — وتوجد فى ولاية البحيرة قبيلة الهنادى وهى أقوى القبائل يومئذ وشيخها يدعى « سعد » ثم قبيلة أولاد على وشيخها يدعى « حرام » .

٣ — وتوجد فى ولاية الشرقية كثير من القبائل الرحل من الطبقة الأولى

مثل : بلى ، رفاعات ، سمدانى ، وأولاد على . ثم قبائل من الطبقة الثانية[1] مثل جميله ، بنى . جميلات ، والحيوان . وهم لا يعرفون الزراعة ، وإنما يعيشون على السلب والنهب وقطع الطرق ، وتوجد فيها أيضا بعض القبائل المستوطنة مثل قبائل القصاصين والسماكين والصوالحة وعابد والزملى وأولاد موسى وهم من الطبقة الأولى وقبائل أولاد زهيرة ومتولى وهم من الطبقة الثانية .

٤ — وتوجد فى ولاية قنيوب قبائل : الصوالحة وجهينة والحويطات من الطبقة الأولى وقبائل الأعيادية وطرادين من الطبقة الثانية .

وخلاصة ما تقدم أننا إذا حللنا التكوين الديموجرافى لسكان مصر ، يتبين لنا أنه قد انطوى على عناصر عربية مختلفة تعاقبت على مصر على فترات تاريخية متعاقبة وأن كل موجة من المهاجرين العرب كانت تختلط وتنصهر على درجات متفاوتة من المرونة والمطاوعة فى تكيفها وإندماجها للبيئة الاجتماعية التى تعيش بين ظهرانيها ، حيث إتخذت من الزراعة مصدراً للحياة . ذلك أن من خصائص الشعب المصرى القدرة على امتصاص وإستيعاب الخصائص العنصرية الدخيلة عليه ، بحيث يتمثلها ويفنيها فى شخصيته الذاتية . ومن هنا إستمد أصالته الحضارية .

وقد لفتت هذه الظاهرة الديموجرافية الإثنولوجية انتباه كثير من الباحثين الأجانب فى أبحاثهم حول الأصل السلالى لسكان مصر مثل دراسات (شانتر) Chanter و (كريج) Craig و (إليوت سميث) E. Smith والتى إنتهوا فيها إلى أن الطابع الديموجرافى العربى الأصيل لا يزال غالبا بين سكان محافظات

---

(١) لا يرجع هذا الترتيب إلى أسس التدرج الطبقى ، وإنما مظاهر القوه ترجع إلى كثره عدد الرجال المحاربين فى كل قبيلة وقدرتها على إيذاء غيرها من القبائل أو العائلات المصرية :

الدقهلية والشرقية والقليوبية استناداً إلى مقارناتهم لهؤلاء السكان بالقبائل العربية اليمنية التى كانت تمثل رافدا هاما من روافد الهجرات العربية إلى القارة الإفريقية .

ومادامت الاتصالات الديموجرافية المؤكدة كانت مستمرة بين سكان مصر وسكان الجزيرة العربية طوال فترات التاريخ القديم والحديث ، فمن المنطق التسليم بصلة الجنس التى تربط بين المصريين والعرب .

أول تقدير لسكان مصر فى العصر الحديث :

لقد قام (جومار) بالتحقق من تعداد سكان المدن الهامة فى مصر .والثابت فى وثائق أصلية مثل سجلات الضرائب العقارية الممسوكة بأيدى الإداريين المسيحيين . وبعد مراجعة بيانات الوفيات التى جمعها السيد/دى جينت Des Genettes خلال ثلاث سنوات من عمر الحملة الفرنسية وكذلك إحصاءات المواليد التى جمعها المهندسون الفرنسيون فإن (جومار) قد استخلص نتيجة شبه مؤكدة — من وجهة نظر ج . دى . شابرول — عن تعداد الشعب المصرى فى مجموعه على أساسين :

— على أساس المساحة الحقيقية للأراضى المزروعة ، بأن عدد السكان ٢٠٠ر٢٤٠ر٢ نسمة .

— وعلى أساس عدد قرى مصر الذى كان يبلغ ٣٦٩٠ قرية وأن متوسط سكان كل قرية ٥٣٤ نسمة . ومن ثم فإن سكان القرى يبلغ عددهم ٤٠٠ر٢٠١ر٢ نسمة وبإضافة سكان المدن إلى العدد الأخير يصبح مجموع سكان مصر ١٠٠ر٤٦٧ر٢ نسمة .

وقد حدد ج . دى . شابرول مجموع سكان مصر بنحو ٥ر٢ مليون نسمة باستثناء عدد العربان الذين قدر عددهم يومئذ بحوالى ١٣٠ ألفاً . ومعنى ذلك

أن عدد سكان مصر فى أواخر عهد الحملة الفرنسية فى مصر كان حوالى ٢٫٦٣٠٫٠٠٠ نسمة(١) . ومن الواضح أنه إحصاء تقريبى وإلى حد ما يقترب من الواقع .

ويضيف ج.دى. شابرول قوله ، بأنه (لعل أكثر الطوائف إثارة للاهتمام من بين كل سكان مصر ، هى طائفة الأقباط (المسيحيين) بلاجدال ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم أحفادا للمصريين القدماء كما يرون فى لغتهم وفى المسارات التى سلكتها الأحداث التاريخية ما يرجح كفة هذا الادعاء وما لاجدال فيه أن لهم ملمحاً فيزيقياً شديد القرب من ملمح الأفريقيين لحد يكفى لكى يحملنا على أن ننسب لهم أصلا يعود إلى الدولة القديمة ، ولعل بمقدورنا أن نفترض أن بعضهم قد استطاع أن يظل نقياً ، بعيداً عن أى اختلاط بالإغريق ، إذ ليس ثمة بينهما أى ملمح من تشابه»(٢) وهذا النص — بالرغم من طوله — فقد نقلناه كما هو لمناقشة بعض أجزائه ، فهو يقول « ولعل بمقدورنا أن نفترض أن — بعضهم — قد استطاع أن يظل نقيا . . » ومعنى هذه العبارة أن البعض الآخر لم يحتفظ بنقائه . . . وفى بقية هذه العبارة يعود ليناقض نفسه حيث يقول « . . إذ ليس ثمة بينهما — أى بين المسيحيين والإغريق — أى ملمح من تشابه» وفى هذا الجزء من العبارة يعود ليؤكد عدم وجود أى تشابه بين المسيحيين والإغريق . ونحن نلتمس العذر لشابرول . ولكننا نؤكد أن المصريين من المسلمين والمسيحيين لا سيما فى مدن القاهرة والجيزة والإسكندرية وبقية المدن الرئيسية قد اختلطوا بالأجانب عن طريق المصاهرة . والدليل على ذلك أن سكان الدلتا وبعض سكان مصر الوسطى يمكن أن يوصفوا بأنهم من

---

(١) كتاب «وصف مصر» الجزء الخاص بالدولة الحديثة من تأليف ج دى شابرول وقد ترجمه الأستاذ زهير الشايب تحت عنوان « دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر الحديثة . مطبعة الجيلاوى ، القاهرة ١٩٧٦ صفحة ٨

(٢) المرجع السابق صفحة ١٢ ، ١٤

الملونين ، حيث تحمل وجوههم وأجسادهم سماتاً فيزيقية ترجع إلى أصول أوروبية وأسيوية ومن شمال غرب أفريقيا ، مثل القامة الفارعة والمتوسطة والقصيرة والشعر المسترسل والأصفر والجعد وما بينهما ، والعيون الزرقاء والخضراء والعسلية . الخ والبشرة البيضاء بلون الثلج والبيضاء والخمرية والسمراء ... الخ ، على حين أن غالبية سكان مصر العليا أو الصعيد ومن هاجروا منه إلى الشمال ، أي إلى الدلتا وبقية مدن الوجه البحرى ، سواء من المسلمين أو من المسيحيين يحملون سماتاً فيزيقية أفريقية ، كما لو كانوا من إنتاج مصنع واحد ، مثل البشرة السمراء والقامة الممشوقة والشفاة الغليظة والشعر المجعد .. الأمر الذى يؤكد عدم صحة وجهة نظر دى . شابرول ، ويؤكد وجهة نظرنا بأن المسلمين والمسيحيين المصريين ينتمون إلى أصل قبطى . وأن هذا الأصل الفرعونى قد استوعب واستقطب كل الأجناس والسلالات التى وفدت إلى مصر ، بحيث لا يمكن التمييز بين مسلم من أصل قبطى أو مسيحى من أصل قبطى إلا عن طريق العقيدة الدينية التى يعتنقها . ومن يقول بغير ذلك فعليه بالدليل .

وبالإضافة إلى ذلك فقد أخذ المصريون جميعاً من المسلمين والمسيحيين .. أخذوا من الوافدين أسماءهم وعاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم نتيجة للمصاهرات التى تمت بين المصريين المسلمين والمسيحيين وبين هؤلاء الوافدين الذين استوطنوا مصر . فقد أخذ المصريون المسلمون والمسيحيون الأسماء التركية التى تنتهى بالتاء المفتوحة مثل طلعت وحكمت وشوكت ومدحت وصفوت . وهى أسماء تطلق على الذكور والأناث ، بالإضافة إلى عادة تناول أكلات معينة فى مواسم دينية معينة وغير ذلك كثير . كما أخذ المصريون المسيحيون أسماء أوروبية مثل اسكندر ، نابليون ، جورج ، هتلر ، لينين .. الخ ، بل إنه من شدة اختلاط المصريين المسيحيين بالأجانب ، لم يكن الشعب المصرى يفرق بين هذا وذاك ، حيث ينادى كل منهما بلقب « خواجة » ولا يزال كل

مسيحى مصرى فى مصر يسعد بهذا النداء ويؤكده أهله عند وفاته . بذكر إسمه فى صفحة الوفيات مسبوقاً بكلمة « خواجه » ، والأمثلة كثيرة ومعروفة للجميع .

والخلاصة أن المصريين الحاليين عبارة عن غالبية مسلمة وأقلية مسيحية ، بالإضافة إلى أقلية أخرى من أصل سودانى وثالثة نوبية ، وهؤلاء من المسلمين على حين أن طوائف الأروام والأرمن واليهود والقبارصة والمالطيين ومن إليهم ، قد هاجرت غالبيتهم من مصر عقب عدوان إسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ ومن بقى منهم فهم كبار السن الذين انقطعت صلاتهم بأوطانهم نتيجة لطول المدة ، وقليل منهم من صغار السن ممن ولدوا فى مصر ولا يعرفون غيرها وطناً لهم ، بحيث لا يشكل عددهم رقماً له تأثير سكانى .

ثانى تقدير لسكان مصر :

هذا وقد تم تقدير عدد سكان مصر فى أول عهد محمد على بنحو ٢٫٥٣٦٫٤٩٠ نسمة على أساس قوائم الضرائب . وكذلك تم تقديرهم مرة أخرى سنة ١٨٤٦ على أساس إحصاء المنازل وتقدير سكان كل منزل بخمسة أفراد دون الرجوع إلى السكان أنفسهم بنحو ٤٫٤٧٦٫٣٠٠ نسمة[1] . وهذا التضاعف الذى تم فى عدد السكان فى عصر محمد على يثير الشك فى مدى دقة التقديرين ، حيث لم ينعم المصريون بالرخاء الذى يسمح بزيادة معدل المواليد ، أو بالخدمات الصحية التى تقلل من معدل الوفيات وإنما كان عصره مليئا بالمظالم بحيث يمكن أن ينخفض عدد السكان بدلا من أن يتزايد أو يتضاعف على هذا النحو ، الأمر الذى يؤكد الشك الكامل فى هذين التقديرين لعدد سكان مصر .

أول تعداد لسكان مصر :

إن أول تعداد أجرى لسكان مصر كان سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال

1— Clel and, W, : The Population problem in Egypt. pp. 6—7.

البريطانى لمصر ، حيث بلغ عدد السكان يومئذ نحو ٦٫٨٠٤٫٠٠٠ نسمة . وقد أجرى هذا التعداد فى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية بالغة السوء فضلا عن خوف المصريين من الإدلاء بالأرقام الدقيقة لأعداد أسرهم خوفا من الضرائب وخوفا من تسخيرهم فى أعمال سلطات الاحتلال . وهذه الأوضاع لا تسمح بالاعتماد على أرقام هذا التعداد فى المقارنات الإحصائية لأعداد السكان فى التعدادات التالية :

هذا والإحصاء الذى يمكن الاعتقاد فى دقة أرقامه لسكان مصر ، هو الذى تم سنة ١٨٩٧ هذا وقد واستقر الرأى على إجراء إحصاء رسمى كل عشر سنوات . واستمر هذا التقليد حتى سنة ١٩٤٧ ولظروف الحرب العربية الصهيونية سنة ١٩٤٨ تم تأجيل الإحصاء حتى سنة ١٩٦٠ وكان من المفروض إجراء إحصاء شامل لمصر سنة ١٩٧٠ ولكن لظروف الركود الاقتصادى تقرر تأجيل الإحصاء حتى أكتوبر ١٩٧٦ وعسى ألا يتم تأجيله مرة أخرى .

هذا والجدول التالى يتضمن الأرقام التى تحدد نمو السكان فى مصر منذ سنة ١٧٩٨ للآن .

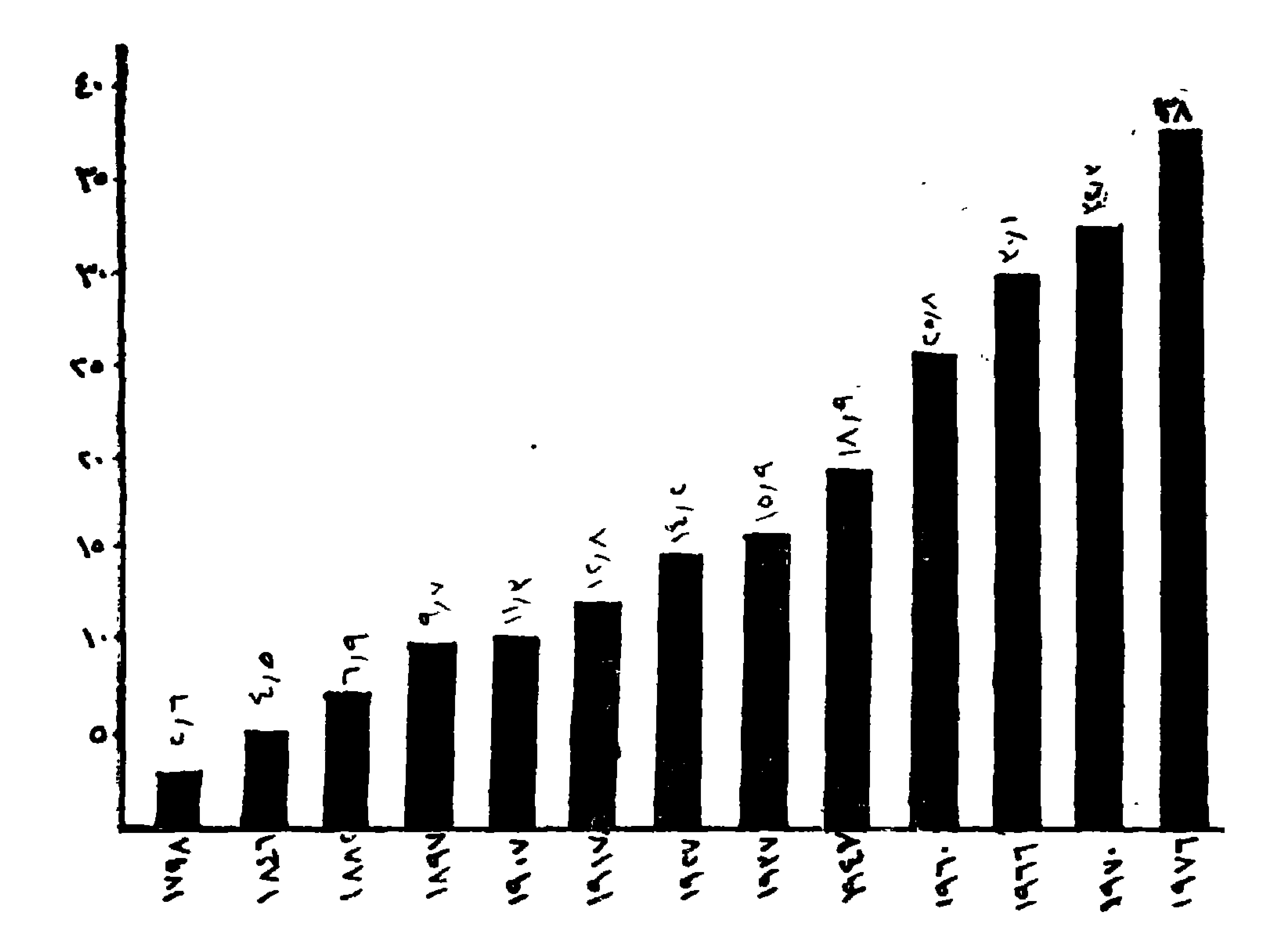
جدول رقم (١٠)

بمعدل النمو السكانى فى مصر ١٧٩٨ — ١٩٧٦

السنة	عدد السكان	نوع التعداد	السنة	عدد السكان	نوع التعداد
١٧٩٨	٢٫٦٣٠٫٠٠٠	تقديرى	١٩٢٧	١٤٫٢١٨٫٠٠٠	تعداد
١٨٤٦	٤٫٤٧٦٫٠٠٠	تقديرى	١٩٣٧	١٥٫٩٢١٫٠٠٠	تعداد
١٨٨٢	٦٫٨٠٤٫٠٠٠	تعداد	١٩٦٠	٢٥٫٨٢٢٫٠٠٠	تعداد
١٨٩٧	٩٫٧١٥٫٠٠٠	تعداد	١٩٦٦	٣٠٫١٣٩٫٠٠٠	تعداد
١٩٠٧	١١٫٢٨٧٫٠٠٠	تعداد	١٩٧٠	٣٢٫٣٢٩٫٠٠٠	تقديرى
١٩ ٧	١٢٫٧٥١٫٠٠٠	تعداد	١٩٧٦	٣٨٫٠٠٠٫٠٠٠	تقديرى (١)

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بيان صادر بتاريخ ٦/٣/١٩٧٦ باحصاء تقديرى لسكان مصر .

وفيما يلى رسم بيانى للجدول السابق تم إعداده بمعرفتنا .



وإذا كان عدد سكان مصر طبقاً للجدول والرسم السابقين قد بلغ ثمانية وثلاثين مليوناً سنة ١٩٧٦ فإنه لا يخفى ما لتقديرات السكان حسب فئات السن الخمسية من أهمية فى توضيح الخصائص السكانية من أفراد فى سن الإعالة وأفراد فى سن العمل والإنتاج ، وكذلك كبار السن ممن لا تتوافر لديهم القدرة على الإنتاج . ذلك أن عبء الإعالة يزداد عندما يكون معدل النمو السكانى مرتفعاً ، فهناك مزيد مطرد من الصغار غير المنتجين يولدون ، ولابد من إطعامهم وكسوتهم ، دون أن يكون بوسعهم الإنتاج قبل عدد من السنين، بالإضافة إلى أن الجوعى يكونون ضعافاً ، لا يستطيعون الإنتاج بكامل طاقاتهم .

والخطوة الأولى فى تقدير السكان هى اختيار سنة الأساس ، وقد يكون بها تعداد وقد لا يكون . وقد اختيرت سنة ١٩٦٥ كسنة أساس أجرى تقدير لعدد السكان بها حسب فئات السن والنوع على أساس معدل تزايد هندسى بين تعدادى ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ ومنه يتبين وجود نقص فى عدد السكان فى الفئة الأولى من العمر (٠ — ٤) وقد عولج هذا النقص بتتبع عدد المواليد طوال السنوات الخمس السابقة على سنة ١٩٦٥ وبتطبيق نسبة البقاء عليهم تم الحصول على عدد السكان المقدر للسن من ٠ — ٤ لسنة ١٩٦٥ كما مهدت بيانات السكان حسب فئات السن « للتخفيف » من حدة التحيز فى الإدلاء بالأعمار بالمعادلة .

$$\text{س} = \frac{1}{24}\left(\text{س}_{2} + 4\,\text{س}_{1} + 10\,\text{س} + 4\,\text{س}_{1} - \text{س}_{2}\right)$$

وقد تم تقدير أعداد السكان مستقبلا بطريقة التتابع التركيبى ، وذلك بنقل السكان من فئة سن معينة إلى فئة السن التالية بعد مدة زمنية تساوى طول فئة السن مستخدمين فى ذلك نسبة البقاء المستخرجة من جداول الحياة التى تعكس مستوى الوفيات المقدر فى سنة معينة . ومن أعداد الإناث المقدرة حسب فئات سن الإنجاب (١٥ — ٤٩) ومعدلات الخصوبة السابق إعدادها فى الجزء الثالث من البحث أمكن حساب أعداد المواليد المستقبلة وبضربهم فى نسب البقاء الخاصة بهم لكى نحصل على عدد السكان فى بداية العمر (٠ — ٤) وهكذا حتى نهاية التقديرات .

جدول رقم (١١)

باعداد السكان المقدرة لجمهورية مصر العربية لثلاث فروض للخصوبة لسنوات خمسية (١٩٧٠ — ٢٠٠٠)

(الأعداد بالألف)

النوع	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠
			الفرض الأول				
ذكور	١٦٦٦٥	١٨٧٤٧	٢١١٢٥٠	٢٤٢٥٤	٢٧٦٩٤	٣١٠٠٨	٣٥٧٠٩
إناث	١٦٤١٨	٨٤٧٠	٢٠٩ ٢	٢٣٧٨٧	٢٧٠٥٩	٣٠٦٦٦	٣٤٦٢٢
جملة	٣٣٠٨٣	٣٧٢١٧	٤٢١٥٢	٤٨٠٤١	٥٤٧٥٣	٦٢١٧٤	٧٠٣٣١
			الفرض الثانى				
ذكور	١٦٦٦٥	١٨٦٧٦	٢١٠٢٢	١٣٧٥٩	٢٦ ٩١	٣٠٠٢٢	٣٣٤٤١
إناث	١٦٤١٨	١٨٤٠٣	٢٠٦٨٨	٢٣٣٢٤	٢٦٢١٧	٢٩٢٩٠	٣٢٥٠٧
جملة	٣٣٠١٣	٣٧٠٧٩	٤١٧١٠	٤٧٠٨٣	٥٣٠٠٨	٥٩٣٢٢	٦٥٩٤٨
			الفرض الثالث				
ذكور	١٦٦٦٥	١٨٥٣٢	٢٠٥٧٢	٢٢٨٧٤	٢٥٣٤٢	٢٧٩٦٢	٣٠٦٣٦
إناث	١٦٤١٨	١٨٢٦٨	٢٠٢٦٥	٢٢٤٩٦	٢٤٨٦٦	٢٧٣٦٢	٢٩٨٩٦
جملة	٣٣٠٨٣	٣٦٨٠٠	٤٠٨٣٧	٤٥٣٧٠	٥٠٢ ٨	٥٥٣٢٤	٦٠٥٢٢

منقول عن جدول رقم (١١) صفحة ٣٦ من مجلة « السكان » التى تصدر عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، العدد الرابع يوليو ١٩٧٢

ومن الجدول السابق يتضح أن عدد سكان مصر سوف يصل سنة ٢٠٠٠ إلى ٧٠ مليون طبقاً للفرض الأول وإلى ٦٦ مليون طبقاً للفرض الثانى وإلى ٦٠ مليون طبقاً للفرض الثالث . ولما كانت هذه الأرقام تشكل خطورة على مستوى الحياة الإجتماعية فى مصر ، وتؤكد ضرورة الأخذ بالأسلوب الإجبارى لتنظيم الإنجاب الذى أوضحناه من قبل فى نظريتنا الإجتماعية السكانية ، فإنه من الضرورى أن تعمل الحكومة على تجنب كوارث زيادة السكان عن طاقة المجتمع المصرى .

ثانيا : تركيب السكان من حيث النوع : Sex Composition

ويقصد بذلك توزيع السكان بين ذكور وأناث . والوضع الطبيعى أن يكون عدد الذكور متوازنا مع عدد الإناث ، غير أن بعض العوامل قد تؤثر على هذا التوازن ، فيزيد عدد الذكور فى مكان ما وبالتالى يزيد عدد الأناث فى مكان آخر يرتبط بالمكان الأول . . وعلى سبيل المثال :

(ا) الهجرة بنوعيها ، بمعنى أن الهجرة من محافظات الطرد أى بعض محافظات الجنوب داخل مصر تؤدى إلى زيادة الذكور فى المحافظات المهاجر إليها ، وزيادة الأناث فى المحافظات المهاجر منها ، ولكنها زيادة غير طبيعية . وكذلك الهجرة من أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الماضى وماقبله كانت تؤدى إلى زيادة الذكور فى الولايات المتحدة الأمريكية وزيادة الأناث على الذكور فى المجتمعات الأوربية . ويرجع ذلك إلى أن الذى يلجأ إلى الهجرة هم الشباب من الذكور من صغار السن الذين لا تربطهم بمجتمعاتهم الأصلية أية روابط اجتماعية[1] .

(ب) الحرب : ولهذا العامل أثره أيضا فى نقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث فى المجتمعات التى تعانى من الحرب ، فإحصاءات المواليد والوفيات

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية . مرجع سابق صفحة ٣٠٣

فى مصر عقب حرب ١٩٦٧ بين مصر وإسرائيل تؤكد أن معدل المواليد فى السنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ كان ١٢١٠ ، ١٢٠٧ ، ١١٩٧ لكل ألف من السكان على التوالى ، بينما كان معدل الوفيات لنفس السنوات ٤٤٠ ، ٥٠٩ ، ٤٦٨ لكل ألف من السكان على التوالى ومن هذه الأرقام يتضح أن معدل المواليد يكاد يكون متطابقا ، بينما ارتفع معدل الوفيات من ٤٤٠ سنة ١٩٦٧ إلى ٥٠٩ سنة ١٩٦٨ لكل ألف من السكان ، ثم عاد وانخفض مرة أخرى إلى ٤٦٨ لكل ألف[1] . وترجع الزيادة فى عدد الوفيات سنة ١٩٦٨ إلى زيادة ضحايا الحرب من الشباب الذين خاضوا غمار هذه الحرب . ومعنى ذلك أن عدد الذكور فى مصر سنة ١٩٦٨ كان أقل من عدد الإناث بما يوازى عدد ضحايا الحرب . وبالمثل فإن كل الدول التى اشتركت فى الحرب العالمية الثانية قد انخفض عدد الذكور فيها عن عدد الإناث .

وفى حالة عدم وجود حروب أو أوبئة فإن عدد الذكور يكون فى حالة الاعتدال مع عدد الإناث ، ففى آخر إحصاء تقديرى أجرى فى مصر سنة ١٩٧٦ بلغ عدد سكان مصر ٣٨ مليون نسمة وكان عدد الذكور ١٩٫١٨٤٫٥٠٠ وعدد الإناث ١٨٫٨١٥٫٥٠٠ أى أن عدد الذكور يزيد على عدد الإناث بنحو ٣٦٩ ألف نسمة على مستوى الجمهورية ، وأن نسبة الذكور تزيد فى جميع المحافظات ماعدا محافظات كفر الشيخ والغربية والبحيرة وبنى سويف حيث تزيد نسبة الإناث على الذكور . أما محافظة الفيوم فإن عدد الإناث يتساوى تماما مع عدد الذكور .

(ج) الأخذ بأساليب تنظيم الإنجاب : ومثل هذا الأسلوب عند الاكتفاء بإنجاب طفل واحد — يؤدى إلى زيادة عدد الذكور على الإناث على اعتبار أن احتمال كون المولود الأول ذكرا أكثر من احتمال كونه أنثى ، ذلك لأن

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : الكتاب الاحصائى السنوى (١٩٥٢ – ١٩٧٣) القاهرة اكتوبر ١٩٧٤ ص ١٦

الإحصاءات الطبية تؤكد أن نسبة المواليد الذكور إلى الإناث أكثر بصفة عامة بنسبة ١٠٥ من الذكور لكل ١٠٠ من الأناث . وعلى سبيل المثال فقد كان عدد المواليد الذكور سنة ١٩٧٢ فى مصر ٦١٤١٥٩ من الذكور مقابل ٥٧٣١٢٧ من الأناث والمجموع ١٫١٨٧٫٢٨٦ طفلامنهم ٤٥٧٨٧٠ فى الحضر وكذلك ٧٢٩٤١٦ فى الريف . وتؤدى الوفيات بين الذكور إلى اعتدال هذه النسبة فيما بعد ، حيث يرتفع معدل الوفيات بين الذكور أكثر منه بين الإناث، ففى مصر على سبيل المثال توفى من الأطفال الذكور سنة ١٩٧٢ عدد ٢٥٣٠٦٨ وتوفى من الإناث ٢٤٦٥٦٠ والمجموع ٤٩٩٦٢٨ طفلامنهم ١٨٥٨٠٥ فى الحضر وكذلك ٣١٣٨٢٣ فى الريف[1] . وهذه الأرقام توضح مدى ازدياد نسبة الوفيات بين الذكور على الإناث أى أن أعداد المواليد من الذكور أكثر من الإناث وأعداد وفيات الذكور أكثر من أعداد وفيات الإناث .

هذا ولا يزال معدل وفيات الأطفال الرضع بصفة عامة فى مصر فى أعلى مستوياته إذا ماقورن بالدول الأخرى ، والجدول التالى يوضح ذلك .

(انظر جدول رقم ١٢ فى الصفحة التالية)

هذا وترجع أهمية الوقوف على عدد الذكور والأناث فى المجتمع بالنسبة للباحثين والمخططين الاجتماعيين إلى الأمور التالية :

— إذا كانت نسبة الذكور أعلى من الأناث لاسيما بين الفئات المناسبة من الشباب ، وكذلك فى مجتمع مثل مصر يأخذ بأسلوب تعدد الزوجات ويخضع الطلاق فيه لحرية الفرد غير الملتزمة — فى الغالب — بالدين ، فقد يؤدى ذلك إلى عدم توافر الفرص المناسبة للزواج أمام الراغبين فيه . ومن ثم ينتشر سوء التوافق بين الأزواج . غير أنه لزيادة الذكور فى المجتمعات الريفية فائدة أخرى وهى توافر القوى العاملة للأعمال الزراعية .

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : احصاءات المواليد والوفيات ١٩٧٢ مرجع سابق رقم ١٣٥ / ٢٢ / ١٩٧٥ القاهرة ديسمبر ١٩٧٤ ص ٤٥ جدول رقم ٦

جدول رقم (١٢)

بمعدل وفيات الرضع فى مصر مقارنا ببعض الدول الأخرى

(المعدل لكل ألف مولود حي)[1]

الدول	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠
مصر	١٢١ر٠	١١٨ر٥	١١٩ر٠
اليابان	١٥ر٣	١٥ر٣	١٣ر١
يوغسلافيا	٥٧ر٩	٥٦ر٣	٥٥ر٢
المملكة المتحدة	١٨ر٨	١٨ر٦	١٨ر٣
اسبانيا	٣٢ر٠	٢٠ر٨	١٧ر٩
بلغاريا	٢٨ر٣	٣٠ر٥	٢٧ر٣
فرنسا	٢٠ر٤	١٦ر٤	١٥ر١
الولايات المتحدة الامريكية	٢١ر٨	٢٠ر٨	١٩ر٨
كندا	٢٠ر٨	١٩ر٣	٠٠ر٠
استراليا	١٧ر٨	٠٠ر٠	١٧ر٩

— إذا كانت نسبة الإناث أعلى من نسبة الذكور كما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكذلك فى أعقاب حرب ١٩٦٧ بين مصر وإسرائيل ، فإن ذلك قد يفرض (العنوسة) على بعض الفتيات ، الأمر الذى قد يدفع البعض منهن إلى الإنحراف الأخلاقى . ومن جهة أخرى فإن إنخفاض نسبة الذكور تؤدى إلى ندرة فى القوى العاملة الضرورية للأعمال الزراعية وغيرها فى المجتمعات الريفية والحضرية .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : المؤشرات الإحصائية لجمهورية مصر العربية ١٩٥٢ - ١٩٧٢ طبعة دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٣ ص ٢٣٩

هذا ومن النتائج الأولية لتعداد سنة ١٩٧٦ فى مصر يتبين أن عدد الذكور يزيد عن عدد الإناث بمقدار مليون نسمة تقريبا . وذلك مما يؤدى إلى وجود وفرة فى الأيدى الزراعية الضرورية للمجتمعات الريفية .

ـ تتأثر كل من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع نتيجة لاختلاف نسبة الأعمار ، فمن المتوقع أن تكون نسبة الشباب إلى بقية السكان فى مصر سنة ٢٠٠٠ بنحو ٥٠ ٪ ومعنى ذلك توقع معدل مرتفع جداً من المواليد ، مما يؤثر على مستوى المعيشة للسكان . والجدول التالى يوضح تعداد الشباب (ويشمل الأشبال والزهرات والفتيان والفتيات والشباب[1]) فى مصر من سنة ١٩٧٠ حتى سنة ٢٠٠٠ طبقا للفرض الثانى من الجدول رقم (١١) ص ٢٣٦

جدول رقم (١٣)

بعدد شباب مصر وسكانها من سنة ١٩٧٠ — ٢٠٠٠[2]

السنوات	تعداد السكان	تعداد الشباب ويشمل (الأشبال والزهرات والفتيان والفتيات والشباب) .
١٩٧٠	٣٣,٠٨٣,٠٠٠	١٦,٥٤٠,٠٠٠
١٩٧٥	٣٧,٠٧٩,٠٠٠	١٨,٥٣٩,٠٠٠
١٩٨٠	٤١,٧١٠,٠٠٠	٢٠,٨٥٥,٠٠٠
١٩٨٥	٤٧,٠٨٣,٠٠٠	٢٣,٥٤١,٠٠٠
١٩٩٠	٥٣,٠٠٨,٠٠٠	٢٦,٥٠٤,٠٠٠
١٩٩٥	٥٩,٣٢٢,٠٠٠	٢٩,٦٦١,٠٠٠
٢٠٠٠	٦٥,٩٤٨,٠٠٠	٣٢,٩٧٤,٠٠٠

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، مرجع رقم س/٠١/٣ لسنة ١٩٧٣
وقد قسم السكان إلى خمس فئات هى :
ـ أطفال من ٠ إلى أقل من ٦ سنوات ـ أشبال من ٦ إلى أقل من ١٢ سنة
ـ فتيان من ١٢ إلى أقل من ١٨ سنة ـ شباب من ١٨ إلى أقل من ٣٠ سنة

(٢) المجلس الأعلى للشباب والرياضة : ملخص إحصائى للبيانات الأساسية للشباب =

— تتأثر نسبة الوفيات بين السكان نتيجة لإختلاف النسبة بين النوعين على إعتبار أن الإناث يتمتعن عادة بحياة أطول ، ومن ثم بنسبة أقل من الوفيات فى مختلف الأعمار . وعلى ذلك فإنه إذا زاد عدد الإناث فى مجتمع ما عن نصف عدده الكلى تأثرت تبعا لذلك نسبة الوفيات .

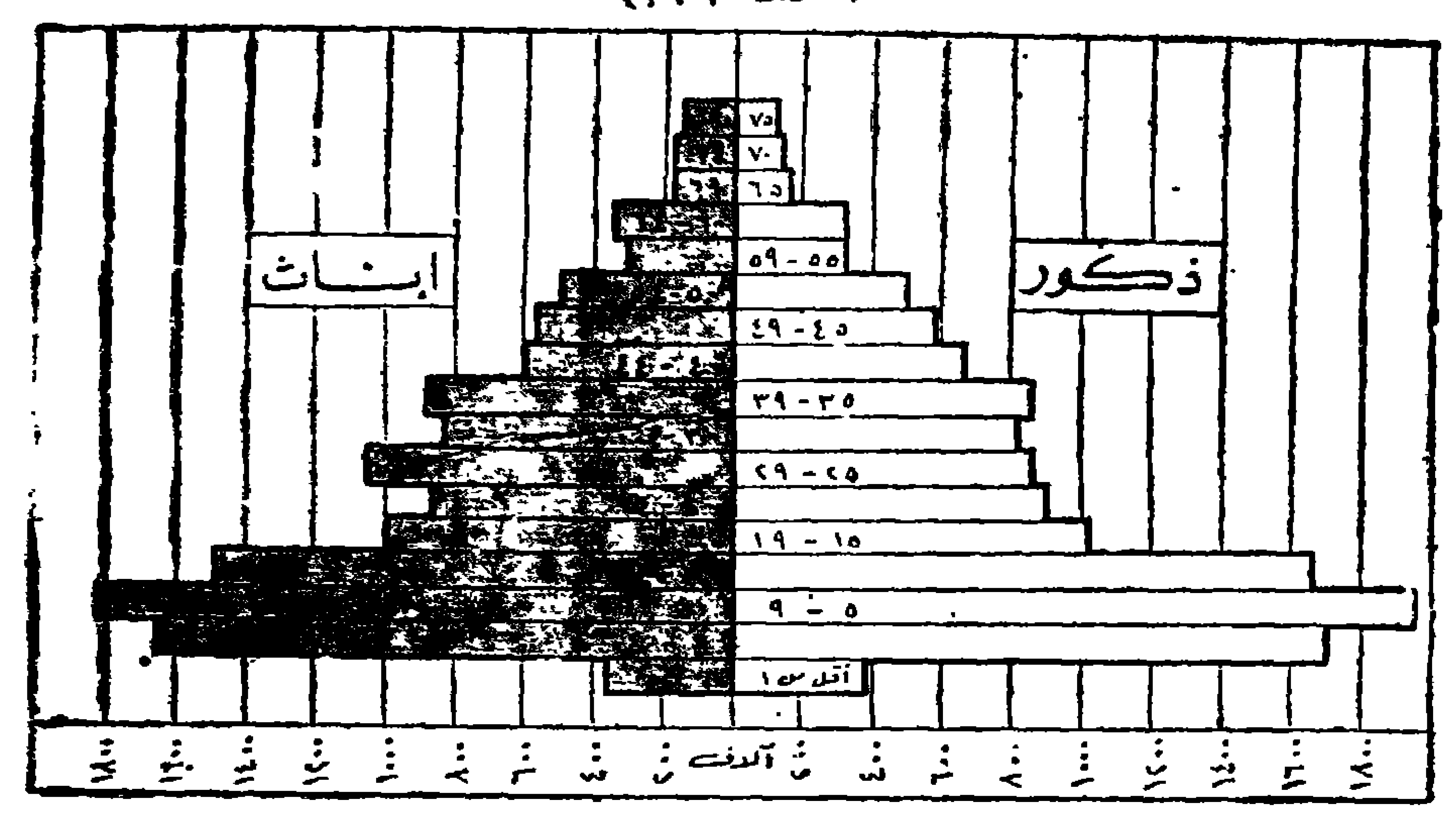
ثانيا : تركيب السكان من ناحية السن : Age Composition

من المؤشرات الإحصائية الهامة للتخطيط والبحوث الاجتماعية دراسة السكان من مختلف الأعمار ، مع تحديد النسب المئوية لكل فئة من فئات السن . ولعل أفضل وسيلة لدراسة تركيب السكان من حيث أعمارهم وأنواعهم هى تصنيف كل من الذكور والإناث على أساس فترات زمنية طول كل منها خمس سنوات مثلا ، ويطلق على الرسم البيانى الذى يوضح هذا التصنيف اسم « الأهرام السكانى » Population pyramid وفى العادة يأخذ هذا الرسم شكل الأهرام من حيث القاعدة العريضة التى تضيق تدريجيا من قاعدته إلى أعلى قمته. ويكون الأهرام السكانى فى وضعه الطبيعى عند تساوى عدد الذكور مع عدد الإناث من جانب وكذلك تساوى ماتحت الأربعين مع مافوق الأربعين من العمر . والملاحظ أن الأهرام السكانى فى مصر سنة ١٩٦٠ قاعدته عريضة وقمته ضيقة بصورة تعبر عن إرتفاع معدل الإعالة ، كما تعبر عن إرتفاع معدل الوفيات ومعدل الولادة . والشكل التالى يوضح ذلك .

= والرياضـــة . النشرة الإحصائية رقم ١٠ الطبعة الثانية . القاهرة مايو ١٩٧٤ صفحة ٣

شكل رقم (٤)

توزيع السكان حسب فئات السن والنوع
(تعداد ١٩٦٠)



هذا وقد أوضحت نتائج الإحصاء الشامل الذى تم فى مصر فى نوفمبر سنة ١٩٧٦ أن عدد سكان مصر قد بلغ ٣٨,٢٢٨,١٨٠ نسمة منهم ١,٤٢٥,٠٠٠ فى الخارج ، و١٤٧ ألف نسمة فى المناطق التى لم يتم تحريرها بزيادة ٨,١٥٢,٣٢٢ نسمة فى عشر سنوات بمعدل سنوى ٢,٣١ ٪ بمتوسط ٦٥ ألف نسمة كل شهر و ٢١٣١ نسمة كل يوم أو بمعدل فرد كل ٤١ ثانية .

ومن الأرقام التى تؤثر على الهرم السكانى المصرى أن عدد الذكور فى الإحصاء الأخير ١٨,٦٩٨,٩٠٤ وعدد الإناث ١٧,٩٥٧,٢٧٦ بمعنى أن عدد الذكور يزيد بمقدار مليون تقريبا عن عدد الإناث ، أى أنه فى مقابل كل ١٠٠ أنثى يوجد ١٠٤ رجال ، وكانت هذه النسبة ١٠٢ فى تعداد ١٩٦٦ وكانت ١٠١ فى تعداد ١٩٦٠ . أى أن النسبة تأخذ اتجاها تصاعديا وتتأثر نسبة الذكور بثلاثة عوامل ديموجرافية هى : الهجرة ونسبة الذكورة بين المواليد ونسبة الذكورة بين الوفيات ، وتأثير عامل الهجرة واضح بالنسبة للذكور بالذات سواء داخل البلاد أو خارجها . . . ذلك أن نسبة الذكورة بين المواليد حالياً

١٠٥ مواليد ذكور لكل ١٠٠ أنثى ، كما أن نسبة الوفيات بين الذكور المواليد أقل من الإناث[1] .

وبالنسبة للديانة السائدة فقد بلغ عدد المسلمين ٣٤٫٣٣٧٫٠٧٤ نسمة والمسيحيين ٢٫٣١٥٫٥٦٠ نسمة وعدد ٣٥٤٦ ديانات أخرى . ويشكل الأجانب نسبة ضئيلة للغاية من جملة عدد السكان فى مصر ، حيث بلغت نسبتهم ٠٫٢٦ ٪ فى حين كانت نسبتهم حوالى ٠٫٢ ٪ فى تعداد سنة ١٩٦٦

وعلى العكس من هذا الرسم فى الدول المتقدمة حيث تكاد تتساوى قاعدة الأهرام السكانى من سن صفر إلى أقل من خمس سنوات مع فئات السن من ٤٥ إلى أقل من ٥٠ سنة ومن ٥٠ إلى أقل من ٥٥ سنة ومن ٥٥ إلى أقل من ٦٠ سنة ثم يبدأ بعد ذلك الرسم فى أخذ شكل الأهرام السكانى حتى أعلى الفئات . على حين أن ما تحت ذلك يشبه المستطيل . . . وذلك فى الدول المتقدمة ، حيث ينخفض عدد المواليد بدرجة لا تسمح لعدد السكان بالنمو السريع كما هو الحال فى الدول الآخذة فى النمو والمتخلفة[2]

هذا ويمكن أن نتوقع أو نتوصل إلى نتائج كثيرة من دراسة الأهرامات السكانية ، فإذا ما اتسعت إحدى الفئات أو ضاقت أمكن التنبؤ بأثر هذا الاتساع أو الضيق بعد فترة من الزمن قد تكون عشرية أو عشرينية لمعرفة أثر هذا الاتساع أو الضيق على عدد الفصول الدراسية وعدد الوظائف المطلوبة لهؤلاء عندما يكونوا فى سن العمل وما إلى ذلك . ومن أمثلة ذلك الجدول التالى :

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ١٩٥٢ — ١٩٦٥ القاهرة ١٩٦٦ صفحة ١٧

(٢) جريدة الأهرام والأخبار يومى ٤ ، ٥ / ١٩٧٧ من مؤتمر صحفى لرئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .

جدول رقم (١٤)

يوضح تقدير أعداد السكان فى مصر حسب فئات السن لكل من السنوات من ١٩٧٣ — ١٩٨٠[١] (الأعداد بالألف)

فئات السن	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
٠ –	٦١٩٥	٦٢٦٨	٦٢٦٩	٦٥١٤	٦٦٦٣	٦٩١٥	٦٧٩٣	٧١٣٢
٦ —	٥٣٤٢	٥٤١١	٥٤٦٢	٥٥٤٢	٥٦٢٦	٥٧٠٩	٥٧٩٩	٥٨٩١
١٢ —	٤٩٠٦	٥٠١٥	٥١٥٤	٥١٦٦	٥٢٠٧	٥٢٥٦	٥٣٠٢	٥٣٠٠
١٨ —	٦٩٥١	٧٢٧٣	٧٥٧٠	٧٩٢٠	٨٢٤٩	٨٥٧٩	٨٩١٤	٩٢٥٧
٣٠ فأ كثر	١٢٠٣٢	١٢٢٧٦	١٢٥٢٤	١٢٨٢٠	١٢١٢١	١١٤٢٣	١٣٣٥١	١٤٠٧٥
المجموع	٣٥٤٢٦	٣٦٢٤٣	٣٧٠٧٩	٣٧٩٦٢	٣٨٨٦٦	٣٩٧٩٢	٤٠٧٤٠	٤١٧١٠

ومن هذا الجدول يمكن الوقوف على نسب الإعالة ، أو الأشخاص الذين يعتمدون فى معاشهم على غيرهم من السكان DePendants واحتياجاتهم الصحية والتعليمية والاستهلاكية والسكنية وكافة خدمات المجارى والمياه والإنارة وما إلى ذلك .

وهذا وعلى مستوى سكان مصر سنة ١٩٧٣ يمكن أن يتضح لنا مدى إرتفاع معدل الإعالة فى مصر من الجدول التالى :

جدول رقم (١٥)

يبين مدى إرتفاع معدل الإعالة فى مصر

المرحلة	طول الفئة	العدد	النسبة
أطفال	٠ — ٦	٦٫١٩٥٫٠٠٠	١٨ ٪ من السكان
أشبال	٦ - ١٢	٥٫٣٤٢٫٠٠٠	١٥ ٪ من السكان
فتيان	١٢ — ١٨	٤٫٦٠٦٫٠٠٠	١٣ ٪ من السكان
شباب	١٨ — ٣٠	٦٫٩٥١٫٠٠٠	٢٠ ٪ من السكان
كبار	٣٠ فأ كثر	١٢٫٠٣٢٫٠٠٠	٣٤ ٪ من السكان
جملة السكان	—	٣٥٫٤٢٦٫٠٠٠	—

(١) طبقا للفرض الثانى المخصوبة فى الجدول رقم (١١) صفحه ٢٣٦

ومن التصنيف الوارد فى الجدول السابق يتضح لنا أن ٣٣٪ من السكان ١١,٥٣٧,٠٠٠ نسمة أقل من ١٢ سنة وأن ٤٦٪ من السكان أقل من ١٨ سنة . فإذا كانت سن الإنتاج تبدأ من ١٨ سنة، فإن معدل الإعالة للصغار فى مصر ٤٦٪ وإذا أضفنا إلى هذا المعدل نسبة الذين تجاوزوا الخامسة والستين من أعمارهم لوصل معدل الإعالة إلى أكثر من ٥٠٪ بينما لا يزيد معدل الإعالة فى الدول المتقدمة عن ٣٠٪ فى الغالب . ولذلك دلالته الواضحة بالنسبة لمستوى المعيشة للسكان .

ولذلك فإن ما يقرب من نصف السكان فى مصر من الفئات غير المنتجة الذين يحتاجون لمختلف الخدمات المجانية ، بالإضافة إلى أنهم ذوو أسنان حادة تساعدهم على إستهلاك الكثير من المواد الغذائية لبناء أجسامهم الآخذة فى النمو والتكوين. وهذا العدد من السكان يمثل الأفراد فى سن الإعالة ، وهم غير منتجين ، إما لصغر أو لكبر أعمارهم ، ويحتاجون إلى مزيد من الخدمات التعليمية لاسيما الصغار منهم ، أو الذين يعدوا من وجهة النظر السكانية أكثر شبابا Population Younger بينما يعد القسم الآخر من السكان أكثر هرما Older Population .

هذا وقد أوضحت النتائج الأولية لتعداد ١٩٧٦ أن هناك تناقصا فى نسبة عدد الأطفال الأقل من ١٢ سنة كنتيجة لانخفاض معدل المواليد خلال الأعوام العشرة الماضية ، فقد كانت نسبتهم فى تعداد ١٩٦٦ حوالى ٣٥,٥٪ وأصبحت فى تعداد ١٩٧٦ حوالى ٣٠,٦٪ كما يلاحظ أن نسبة الشيوخ (٦٥ سنة فأكثر) فى تعداد ١٩٧٦ بلغت ٢,٩٪ من جملة السكان . وبالتالى فإن نسبة السكان من سن الإنتاج (١٢ — ٦٤ سنة) قد إرتفعت من ٦١٪ إلى ٦٥,٥٪ ومن ذلك يتضح أن التركيب السكانى فى مصر قد بدأ يتخذ اتجاهاً إيجابياً حيث تنخفض نسبة صغار السن والشيوخ وهم السكان الذين يحتاجون للخدمات ، وبرغم ذلك فلا يزال المجتمع المصرى مجتمعا شاباً ، حيث نجد أن نسبة الأطفال أقل من ١٢ سنة فى كل من الدول الصناعية تنخفض إلى ٢٠٪ فقط من جملة السكان .

ومن هذا الجدول أيضا يمكن القول بارتفاع معدل المواليد مع انخاض مستويات العمر . والأهرام السكانى لمصر يؤكد ذلك ، حيث تتسع قاعدته وتضيق قمته بينما الفروق بين القمة والقاعدة فى أهرامات سكان المجتمعات المتقدمة غير حادة .

هذا ويمكن تناول عدد السكان من سن ٦ إلى ١٢ سنة وهم والمطلوب من المجتمع أن يوفر لهم التعليم الإلزامى . ومن هذه الأرقام يمكن أن تتضح لنا معدلات الإستيعاب ومعدلات القبول فى هـــذه الفئة من العمر من مجموع السكان ، حيث لاتتسع المدارس الإبتدائية المصرية إلا لنسبة ٧٨٪ من عدد الملزمين(١) ، كما هو مبين بالتفصيل فى الجدول التالى .

---

(١) المجلس الأعلى للشباب والرياضة . النشرة الإحصائية رقم (لا يوجد) جدول رقم ٢٢١ صفحة ٥٢٤

جدول رقم (١٦)
يوضح معدلات الإستيعاب والقبول بالتعليم الإبتدائى في مصر فى السنوات العشر الماضية والمقبلة

السنوات	عدد السكان فى الأعمار (٦-١١ سنة)	عدد تلاميذ الابتدائى بالجمهورية	معدل الاستيعاب ٪	عدد السكان فى عمر ٦ سنوات بالجمهورية	عدد التلاميذ المستوعبين فى عمر ٦ سنوات	معدل القبول ٪
٦٣/١٩٦٤	٤٦٩٣١٠٠	٢٩٨٣٩٢١	٦٣,١	٨٣٦٣٠٠	٥٧٩١ ٦	٦٨,٨
١٩٦٥	٤٨١٢٩٠٠	٣١٢٠٥٥٦	٦٤,٤	٨٥٧٣٠٠	٦١٠٠٢٥	٧٠,٣
١٩٦٦	٥٠٣٥٦٠٠	٣٢٤٧٢٣٠	٦٤,٠	٨٩٣١٠٠	٦٤٦٥٠٩	٧٢,٠
١٩٦٧	٥٠٦٥ ٠٠	٣٢٣٥٢٢٣	٦٣,٤	٩٠٩١٠٠	٦٠٦٠٢٧	٦٦,٢
١٩٦٨	٥١٩٣٨٠٠	١٢٧٨٣٢٣	٦٢,٧	٩٢٥٠٠٠	٦١٣٦٨٤	٦٦,٠
١٩٦٩	٥٣٢٨٣٠٠	٢٣٦٤١٢٠	٦٢,١	٩٤٨٨٠٠	٦٥٤١٥٢	٦٨,٠
٦٩/١٩٧٠	٥٤٦٥٦٠٠	٣٤٠٦١١٦	٦٢,١	٩٧٣٤٠٠	٦٩٣٨٨٣	٧٠,٥
١٩٧١	٥٦٢٠٨٠٠	٦٧٦٨١٠	٦٤,٩	٩٩٤٠ ٠	٦٩٧١٩٣	٧٠,٢
١٩٧٢	٥٦٣٤٠٠٠	٣٧٠٦٨٠٧	٦٥,٣	١٠٠٦٠٠٠	٧١٢٧٦٣	٧٠,٥
١٩٧٣	٥٧٥٠٠٠٠	٣٨٠١٠٠٠	٦٥,٦	١٠٢٨٠٠٠	٧٣٣٥٠٠	٧١,١
١٩٧٤	٥٨٧٥ ٠٠	٣٩٠٤٠٠٠	٦٥,٩	١٠٥١٠٠٠	٧٥٥٧٠٠	٧١,٦
١٩٧٥	٦٠١١٠٠٠	٤٠١٠٠٠٠	٦٦,٣	١٠٧٤٠٠٠	٧٧٨٣٠٠	٧٢,٣
١٩٧٦	٦١٤٥٠٠٠	٤١١٨٠٠٠	٦٦,٥	١٠٩٩٠٠٠	٨٠٢٤٠٠	٧٢,٧
١٩٧٧	٦٢٨٣٠٠٠	٤٢٢[illegible]٠٠٠	٦٦,٨	١١٢٣٠٠٠	٨٢٥٨٠٠	٧٣,٣
١٩٧٨	٦٣٤٣٠٠٠	٤٣٤٢٠٠٠	٦٧,١	١١٤٨٠٠٠	٨٥٠٤٠٠	٧٣,٨
١٩٧٩	٦٥٦٧٠٠٠	٤٤٦٠٠٠٠	٦٧,٤	١١٧٤٠٠٠	٨٧٦٠٠٠	٧٤,٤
٧٩/١٩٨٠	٦٧١٥٠٠٠	٤٥٨٠٠٧	٦٧,٧	١٢٠٠٠٠٠	٩٠٢٠٠٠	٧٤,٩
١٩٨١	٦٨٦٥٠٠٠	٤٧٠٠٠٠	٦٨,٠	١٢٢٨٠٠٠	٩٢٩٠٠٠	٧٥,١
١٩٨٢	٧٠١٩٠٠٠	٤٨٢٦٠٠٠	٦٨,٣	١٢٥٥٠٠٠	٩٥٦٨٠٠	٧٦,٠
١٩٨٣	٧١٧٥٠٠٠	٤٩٥٥٠٠٠	٦٨,٦	١٢٨٣٠٠٠	٩٨٥٠٠٠	٧٦,٦
١٩٨٤	٧٣٣٧٠٠٠	٥١٨٨٢٠٠	٦٨,٩	١٣١١٦٠٠	١٠١٤٥٠٠	٧٧,١
٨٤/١٩٨٥	٧٤٩٨٠٠٠	٥٢٣٠٦٠٠	٦٩,٣	١٣٤١٠٠٠	١٠٤٤٤٠٠	٧٧,٧

ومن هذا الجدول يتضح أن معدل القبول فى المرحلة الابتدائية إرتفع من ٧٢ر٧ فى سنة ١٩٧٦/٧٥ إلى ٧٧ر٧ فى سنة ١٩٨٥/٨٤ ومعنى ذلك أن بقية النسبة المئوية هى ٢٧ر٣ ٪ لا تجد الفرصة المتكافئة للتعليم الإجبارى وإلى نهاية ٩٨٥/٨٤ لن يقل معدل غير المقبولين فى التعليم الابتدائى عن ٢٢ر٣ ٪ وإذا أضفنا إلى تلك النسبة ، نسبة الذين يظن أنهم يتسربون من التعليم أو بالأحرى هؤلاء الذين لا يقبلون من الأشبال على التعليم الابتدائى لعدم رغبتهم فيه أو لعدم رغبة ذويهم للاستفادة بجهود هؤلاء الأطفال فى العمليات الإنتاجية لاسيما فى الريف، لتجسدت لنا تلك الروافد التى تغذى كتلة الأميين الضخمة فى مصر.

هذا والجدول التالى يشير إلى معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى مصر مقارنة بغيرها من المجتمعات الأخرى .

جدول رقم (١٧)

بتقديرات السكان ومعدلات المواليد والوفيات فى مصر[1]

مقارنة بنظيراتها فى بعض المجتمعات الأخرى سنة ١٩٧٢

اسم الدولة	عدد السكان التقديرى فى منتصف السنة بالألف	معدل المواليد أحياء	معدل الوفيات لكل ألف	معدل الزيادة الطبيعية	معدل وفيات الأطفال دون السنة لكل ألف
مصر	٣٤٥٠٢	١٤,٤	١٤,٥	١٩,٩	١١٦
المملكة المتحدة	٥٥٧٩٠	١٤,٩	١٢,١	٢,٨	١٧,٩
فرنسا	٥١٧٠٠	١٦,٩	١٠,٦	٦,٣	١٦,٠
إيطاليا	٥٤٣٥٠	١٦,٣	٩,٦	٦,٧	٢٨,٣
ألمانيا الغربية	٦١٦٧٠	١١,٤	١١,٨	٠,٤ —	٢٣,٣
ألمانيا الشرقية	١٧٠٤٠	١١,٧	١٣,٧	٢,٠ —	١٧,٧
بلجيكا	٩٧١٠	١٣,٨	١٢,٠	١,٨	٢٠,٥
السويد	٨١٢٠	١٣,٨	١٠,٤	٣,٤	١١,١
الاتحاد السوفيتى	٢٤٧٤٦٠	١٨,٠	٨,٥	٠,٥	٢٤,٣
يوغسلافيا	٢٠٧٧٠	١٨,٢	٩,١	٩,١	٤٣,٢
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٠٨٨٤٠	١٥,٦	٩,٤	٦,٢	١٨,٥
استراليا	١٢٩٦٠	٢٠,٥	٨,٥	١٢,٠	١٧,٣

1 — The U. N. Demographic Year Book . 1972 .

ومقارنة معدل المواليد بين مصر وألمانيا الغربية مثلا تؤكد أن معدل المواليد فى مصر أكثر من ضعفيه فى ألمانيا الغربية ومعدل الزيادة الطبيعية فى مصر ١٩,٩ بينما هو بالناقص فى ألمانيا الغربية . ومعدل وفيات الأطفال الرضع خمسة أضعاف معدلهم فى ألمانيا الغربية . . وكل تلك الأرقام وما يمكن استنتاجه غيرها له أهميته القصوى فى التخطيط والبحث الاجتماعى .

تركيب السكان من الناحية الزواجية : Marital Composition

ويعنى بذلك توزيع السكان إلى متزوجين وعزب ومطلقين وأرامل ، حيث تتفاوت نسب هذه الفئات بين مجتمع وآخر . ولا ريب أن معدل المواليد على سبيل المثال يتأثر إلى حد كبير بنسب المتزوجات فى الفئة من ١٦ إلى أقل من ٣٠ سنة بالإضافة إلى العادات والأعراف والتقاليد . وقد اهتم علماء السكان بدراسة مختلف تلك النواحى لما لها من آثار على الأوضاع السكانية فى أى مجتمع .

الزواج فى مصر :

الزواج من أهم الظواهر الاجتماعية ، ومن ثم فإن خصائصه تشكل مادة للتحليل والاستقراء من جوانب متعددة فى علم السكان ، وتعبر عن المستويات الاقتصادية والدينية فى المجتمع الذى تحدث فيه تلك الزيجات .

ودراستنا للزواج هنا سوف تعتمد على نشرة إحصاءات الزواج والطلاق لسنة ١٩٧١ فقد بلغ عدد عقود الزواج التى تمت فى مصر خلال تلك السنة ٣٤٧٠٢٦ عقداً بزيادة قدرها ٣١١٩٨ عقداً من العام السابق وبمعدل ١٠,٢ لكل ألف من السكان وهو أعلى المعدلات التى سجلت منذ ١٩٦١ باستثناء سنة ١٩٦٤ الذى بلغ معدلها ١٠,٥ فى الألف[1] . ثم ارتفع إلى ١٠,٨ لكل ألف من السكان، ثم عاد وانخفض إلى ٩,٥ لكل ألف من السكان سنة ١٩٧٣ حيث بلغ عدد عقود الزواج التى سجلت فى هذه السنة ٣٣٩١٠٥ عقدا بنقص قدره

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : الزواج والطلاق فى مصر ، دراسة تحليلة ، مرجع رقم ٣٥٠٢ س/٧٤ القاهرة ، فبراير ١٩٧٤ صفحه ٤

٢٤٤١٦ عقدا عن العام السابق وقد يرجع ذلك إلى حالة الحرب بالإضافة إلى إستحالة العثور على مسكن بدون « خلو رجل » أو بإيجار محتمل .

هذا وقد أكدت النتائج الأولية لتعداد نوفبر ١٩٧٦ أن نسبة من لم يسبق لهم الزواج قد إرتفعت إلى ٢٤,٩ ./ مقابل ١٧,٩ ./ عام ١٩٦٠ ونسبتهم من الذكور ٣٠,٥ ./ من جملة السكان فى سن الزواج ، مقابل ٢٤,٣ فى تعداد ١٩٦٠ وبلغت نسبتهم من الأناث ١٩,٧ مقابل ١٢,١ ./ فى تعداد ١٩٦٠ ، وهذا يؤكد أن حوالى ٢٥ ./ من الشباب لا يجدون الفرصة للزواج بسبب إرتفاع المهور وخلوات المساكن وإرتفاع الأسعار بصورة لا تتناسب مطلقا مع الدخول الفردية .

ومن جهة أخرى بلغت نسبة المتزوجين حاليا ٦٥,٧ ./ من جملة السكان فى سن الزواج ، مقابل ٦٩,٦ ./ فى تعداد ١٩٦٠ أى أن نسبة السكان المتزوجين قد إنخفضت فى التعداد الأخير . وذلك يساهم فى خفض معدل المواليد ، وهذا ضمن غيره من المؤثرات كاستعمال وسائل منع الحمل وما إلى ذلك

هذا ويعتبر معدل الزواج فى مصر من أعلى معدلات الزواج فى العالم ، فهذا المعدل :

— يزيد عن مثيله فى الدول العربية طبقا لإحصاءات سنة ١٩٧١

— ويزيد عن مثيله فى بعض الدول الآسيوية مثل إيران وقبرص وسنغافوره التى بلغت معدلاتها ٥,٧ ، ٦,٢ ، ٨,٥ لكل ألف على التوالى طبقا لإحصاءات سنة ١٩٥٢ .

— ويزيد عن مثيله فى المنطقة الأمريكية ، فهو فى هندوراس ٣,٣ وفى فنزويلا ٥,٦ لكل ألف من السكان طبقا لإحصاءات ١٩٧٢

— ويزيد عن مثيله فى معظم الدول الأوربية مثل السويد وهى أقل من ٥ لكل ألف من السكان . وألمانيا الغربية ، وسويسره ، وكل منهما أقل من ٧ لكل ألف من السكان . والنمسا وبلجيكا وفنلندا وبولاندا والمجر والإتحاد السوفيتى وهم أقل من ٩,٥ لكل ألف من السكان . والجدول التالى يوضح معدلات الزواج الخام لكل من محافظات مصر .

جدول رقم (١٨)

بمعدل الزواج الخام بحضر وريف محافظات مصر سنة ١٩٧٣[1]

المحافظة	حضر	ريف	جملة
القاهرة	٨,٩	—	٨,٩
الاسكندرية	٨,٩	—	٨,٩
دمياط	١١,١	١٢,٦	١٢,٢
الدقهلية	١٤,٠	١٠,٣	١١,١
الشرقية	٧,٨	١٠,٤	٩,٩
القليوبية	٧,٧	١٢,١	١٠,٥
كفر الشيخ	٩,٠	١٠,١	٩,٩
الغربية	١٠,٣	١٠,٣	١٠,٣
المنوفية	٩,٤	١١,٠	١٠,٧
البحيرة	١٣,٥	٨,٥	٩,٤
الجيزة	١١,٨	٩,٥	١٠,٥
بني سويف	١٠,١	٩,١	١٠,٢
الفيوم	١٠,٣	١١,٣	١١,١
المنيا	٧,١	٩,٥	٩,٠
أسيوط	٩,٤	٨,٩	٩,٠
سوهاج	١٠,٣	١٠,٣	١٠,٣
قنا	٩,٣	١٠,٨	١٠,٥
أسوان	٧,٠	٩,١	٨,٣
البحر الأحمر	٤,٧	—	٤,٧
الوادي الجديد	٩,٩	—	٩,٩
مرسى مطروح	٢,٧	—	٢,٧
معدل الجملة	٨,٨	١٠,١	٩,١

(١) استبعدت من هـذا الجدول محافظات السويس والاسماعيلية وبور سعيد =

ومن هذا الجدول يتضح أن أعلى معدل زواج فى تلك السنة كان ٢١,٢ لكل ألف فى محافظة دمياط وتليها الفيوم والدقهلية لكل منهما ١١,١ لكل ألف ، ثم المنوفية ١٠,٧ لكل ألف كما توجد تسع محافظات أخرى يزيد معدلها عن معدل الجمهورية وهو ٩,٥ لكل ألف وأقل المعدلات يوجد فى مطروح ٢,٧ لكل ألف وتليها البحر الأحمر ٤,٧ لكل ألف ، ثم أسوان ٨,٢ لكل ألف ، كما توجد خمس محافظات أخرى يقل معدلها عن معدل جملة الجمهورية وهى القاهرة ٨,٩ والإسكندرية ٨,٩ والبحيرة ٩,٤ والمنيا ٩ لكل ألف من السكان .

ويلاحظ إنخفاض معدل الزواج فى محافظتى القاهرة الإسكندرية ، ويرجع ذلك إلى وضوح الاتجاه المضاد للزواج المبكر فى المجتمعات الحضرية المحلية لاسيما بين المتعلمين ، وذلك بالإضافة إلى استحالة العثور على سكن مناسب وبسعر ميسور للخريجين الجدد .

ويتضح من الجدول السابق أيضا أن كلا من محافظات الدقهلية والبحيرة والجيزة وبنى سويف وسوهاج يزيد معدل الزواج فيها للحضر عن الريف . وهذه الظاهرة جديرة بالدراسة من معيدات أقسام الدراسات الاجتماعية بالجامعات . مع ملاحظة أن أسبابها قد ترجع إلى أسلوب التسجيل الذى يختلف فى الحضر عنه فى الريف ، على اعتبار أن سكان ريف هذه المحافظات الذكور يقبلون على الزواج من إناث حضرها ، حيث تسجل وتبوب عقود الزواج وفقا لمقر إقامة الزوجة .

= وسيناء لتهجير سكانها إلى المحافظات الأخرى أنظر كتيب « الزواج والطلاق فى مصر » صفحة ٦ جدول ٣

تعدد الزوجات :

لانستطيع ونحن فى مجتمع إسلامى أن نهمل ظاهرة تعدد الزوجات التى تخلو مؤلفات علم السكان والدراسات السكانية فى الدول الأوربية من الإشارة إليها ، لاسيما وهى من الأمور المباحة فى مجتمعنا . وفيما يلى جدول يوضح تلك الظاهرة .

جدول رقم (١٩)

بالتوزيع النسبى للازواج الذين تزوجوا ولهم زوجات بالعصمة (زوجة واحدة أو إثنتين أو ثلاثا) حسب فئات السن(١٩٧٣)[١]

الزوجات بالعصمة / فئات السن	١	٢	٣
١٨ —	٦,٩	١,٩	١,٥
٢٥ —	١٤,٦	٧,٣	٣,٠
٣٠ —	١٦,٥	١٠,٦	٤,٥
٣٥ —	١٧,١	١٤,١	١٠,٤
٤٠ —	١٥,٢	١٦,٥	٨,٩
٤٥ —	١١,١	١٥,٩	١٧,٩
٥٠ —	٧,٩	١٣,٣	١٧,١
٥٥ —	٤,٧	٨,٩	١٠,٥
٦٠ +	٦,٠	١١,٥	٢٥,٤

ومن هذا الجدول يتضح أن ظاهرة تعدد الزوجات فى حجمها الذى يتفق مع فلسفة مشروعيتها ، بمعنى أنها ليست مخيفة . وفى الغالب فإن الدافع إليها قد

---

(١) المرجع السابق ٢٥ .

يرجع إلى مرض الزوجه أو عقمها أو رغبة الزوج فى إنجاب أطفال ذكور . ويؤكد ذلك إقبال نسبة كبيرة من الأزواج فى عمر مبكرة بعد اختبار الزواج الأول ، كما قد يكون — أحياناً — نتيجة للزواج المبكر للرجل من زوجة فى الموطن الأصلى ودعت ظروف الزواج الاقتصادية للهجرة بدونها (مثل الهجرة من القرية إلى المدينة) فيتخذ فى بلد المهجر زوجة أخرى، كما قد تصبح ظروف الزوج التعليمية غير متناسبة مع زوجته الأولى فيضطر إلى الزواج ثانية . ومن ناحية أخرى يتضح إرتفاع عمر الزوج مع زيادة عدد الزوجات اللاتى فى العصمة. ويتمشى مع هذا التوضيح ماوصلت إليه قيمة المنوال للعلاقة بين عمر الزوج وعدد الزوجات اللاتى فى العصمة، عند العقد، فهو لمن له زوجة واحدة فى العصمة يقع عند العمر ٣٧ سنة وخمسة شهور بزيادة قدرها ٨ سنوات وشهرين عن متوسط السن عند أول زواج ولمن له زوجتان فى العصمة يقع عند العمر ٤٢ سنة وسبعة شهور ، ولمن له ثلاث زوجات فى العصمة يقع عند العمر ٤٧ سنة وستة شهور . هذا وبالنسبة لأنواع الزواج مثل : الزواج الجديد ، التصادق على زواج (أى تسجيل الزواج العرفى) ، الزواج الرجعى، الزواج الذى لم يفصله آخر ، يمكن الرجوع إلى المؤلفات التى تتناول هذا الموضوع بصورة مباشرة[1] .

الطلاق :

يعتبر الطلاق فى مصر من المعدلات المرتفعة نسبياً ، إذا ماقورن بمعدلات دول العالم ، كما يتضح من الجدول التالى .

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : المرأة بين الدين المجتمع ، مرجع سابق .

جدول رقم (٢٠)
بمعدلات الطلاق فى بعض الدول ومن بينها مصر[1]

الدول	معدل الطلاق فى الالف	الرقم القياسى
جمهورية مصر العربية (٢)	٢,١٠	١٠٠
لبنان (٣)	٠,٤٨	٢٣
سوريا (٣)	٠,٥٧	٢٧
الكويت (٣)	١,٤٣	٦٨
المملكة المتحدة (٣)	١,٤٧	٧٠
الولايات المتحدة الامريكية (٤)	٤,٠٣	١٩٢
الاتحاد السوفيتى (٤)	٢,٦٤	١٢٦
النمسا (٤)	١,٣٣	٦٣
السويد (٤)	١,٨٨	٩٠
المجر (٤)	٢,٣٢	١١٠
يوغسلافيا (٤)	١,٠٦	٥٠

ومن هذا الجدول يلاحظ أن معدل الطلاق فى مصر يزيد عن مثيله فى كل من لبنان وسوريا والكويت بنسب ٧٧٪ ، ٧٣٪ ، ١٢٪ على التوالى ، مع ملاحظة إحتمال إنخفاض هذه المعدلات نتيجة لنقص التسجيل ... وكذلك يزيد معدل الطلاق فى مصر عن مثيله فى كل من المملكة المتحدة والنمسا والسويد ويوغسلافيا بنسب ١٠٪ ، ١٧٪ ، ١٠٪ ، ٥٠٪ على التوالى .

هذا وهناك دول عديدة غير إسلامية يزيد معدل الطلاق فيها عن مثيله فى مصر مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والمجر ، حيث يبلغ مقدار زيادة معدلاتها عن مصر ٩٢٪ ، ٢٦٪ ، ١٠٪ على التوالى .

ومن جهة أخرى فإن معدلات الطلاق فى مصر تتجه نحو الانخفاض بدرجة واضحة ، إذ يتبين من مقارنة متوسط معدلات الطلاق لسنوات خمسية ، أنها

---

(١) المرجع السابق صفحة ٥٤
(٢) حسب معدل ١٩٧٣
(٣) حسب معدل سنة ١٩٧١
(٤) حسب معدل ١٩٧٢

بلغت ٣ لكل ألف من السكان للسنوات ٥١ – ١٩٥٥ ثم انخفضت إلى ٢,٥ لكل ألف من السكان للسنوات ٥٦ – ١٩٦٠ وإلى ٢,٢ لكل ألف للسنوات ٦١ – ١٩٦٥ ثم إلى ٢ لكل ألف للسنوات ٦٦ – ١٩٧٠ ، أى أن متوسط المعدل قد إنخفض بنسبة الثلث خلال هذه الأعوام العشرين .

معدلات الطلاق فى محافظات مصر :

تشير إشهادات سنة ١٩٧٣ عن الطلاق وعددها ٧٥٤٨٧ بمعدل ٢,١ لكل ألف وبزيادة قدرها ٧٥ عن العام السابق ١٩٧٢ والذى بلغ معدله ٢,٢ لكل ألف . ومما تجدر الإشارة إليه إنخفاض معدل الطلاق فى الريف عنه فى الحضر بشكل عام فى كل محافظات الجمهورية وكما يتضح من الجدول التالى :

(أنظر الجدول فى الصفحة التالية)

هذا ويرجع إرتفاع معدل الطلاق فى الحضر عنه فى الريف إلى اختلاف ظروف الزواج وكذلك إلى إختلاف المبادىء والقيم والسنن الاجتماعية بين سكان الريف وسكان الحضر. ذلك أن الزواج فى الريف من الأعمال الجماعية حيث تصاهر عائلة ما عائلة أخرى وبذلك يعتبر بالنسبة لطرفيه نوعا من « القضاء والقدر » الذى لاحيلة للزوجين فيه ، ومن ثم يرضيان بقسمتهما ، ويقبلان بأوضاع الزواج مهما كانت عناصرة غير محققة لآمال كل من طرفيه لاسيما وأن السنن الاجتماعية فى الريف تؤيد هذا الأسلوب من الزواج وتقر كل أوضاعه ، بما فيها اختلاط ثروة الزوجة بثروة زوجها وتصرف الزوج فيهما بالكامل[1] . على حين أن الفتاة الحضرية التى خرجت إلى التعليم ونالت حظها منه وحصلت على وظيفة ذات دخل ثابت منفصل عن دخل الزوج ، بالإضافة إلى إتجاه الفتاة الحضرية نحو التحرر والمدنية . الأمر الذى يجعل كلا

---

(١) دكتور زيدان عبدالباقى : علم الاجتماع الريفى. مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٨٧٤ صفحة ١٤٣ وما بعدها .

جدول رقم (٢١)

معدلات الطلاق فى الريف والحضر المصرى سنة ١٩٧٣[١]

المحافظات	معدلات الطلاق[٢]		
	حضر	ريف	جملة
القاهرة	٢,١	—	٢,٩
الاسكندرية	٢,٧	—	٢,٧
دمياط	٣,٤	٢,٨	٣,٠
الدقهلية	٤,٦	١,٨	٢,٣
الشرقية	٢,٦	٢,٠	٢,١
القليوبية	٢,٣	٢,٢	٢,٢
كفر الشيخ	١,٨	١,٣	١,٤
الغربية	٣,١	١,٦	٢,١
المنوفية	٢,٢	١,٥	١,٦
البحيرة	٢,٩	١,٤	١,٧
الجيزة	٣,٨	١ ٨	٢,٧
بنى سويف	٣,٠	٢,٠	٢,٢
الفيوم	٢,٧	٢,٣	٢,٤
المنيا	١,٩	١,٦	١,٧
أسيوط	١,٤	١,٠	١,١
سوهاج	١,٨	١,٣	١,٤
قنا	٢,٤	٢,١	٢,٢
أسوان	٢,٣	٢,٢	٢,٢
البحر الأحمر	١,٣	—	١,٣
الوادى الجديد	٢,٦	—	٢,٦
مرسى مطروح	١,٠	—	١,٠
جملة الجمهورية	٢,٦	١,٧	٢,١

(١) المرجع السابق صفحة ٥٦ وقد استبعدت محافظات القناة وسيناء لظروف التهجير

(٢) لا تشمل أحكام الطلاق .

من الزوج والزوجة الحضريان لا يصلان إلى التوافق السريع ، ومن ثم تكثر حالات الطلاق فى الحضر عنها فى الريف . ولذلك فإن أكثر المحافظات إسهاما فى الطلاق هى القاهرة ، الدقهلية ، الاسكندرية، الجيزة ، والشرقية. وقد بلغت نسبة إشهادات الطلاق التى تمت بكل منها إلى مجموع الإشهادات للجمهورية ٢١,٥٪ ، ٨,٤٪ ، ٧,٧٪ ، ٧,١٪ على التوالى بمجموع قدره ٥٢,٦٪ للمحافظات الخمس .

وبالنسبة لأنواع الطلاق البائن بينونة صغرى، والطلاق الرجعى،والطلاق البائن بينونة كبرى فقد تناولناه فى مؤلف آخر لنا[١] .

هـــذا وقد إنخفضت نسبة المطلقين والأرامل إلى ٩,٤٪ فى عام ١٩٧٦ مقابل ١٢,٥٪ فى تعـــداد ١٩٦٠ وذلك طبقا للنتائج الأولية لتعداد ١٩٧٦ ويرجع ذلك إلى انخفاض معدلات الطلاق والترمل نتيجة لإنخفاض معدل الوفيات وتقارب السن بين الزوجين ونتيجة زيادة فرص المطلقات والأرامل فى الزواج ثانية ، لاسيما وأن القانون أصبح لا يحرم أرملة الشهيد من معاشها إذا تزوجت بالإضافة إلى أن أزمة الإسكان تلعب دوراً جوهرياً فى إعادة الحياة إلى مجاريها إذا حدث أن فكر أحد الزوجين فى الطلاق وذلك لأن مشكلة إيجاد سكن منفصل مشكلة أكبر من الطلاق نفسه .

خامسا : تركيب السكان من ريفيين وحضريين :

Rural urban Composition

ومن الظواهر الاجتماعية الآخذة فى الاتساع والإنتشار تزايد نسبة سكان الحضر على حساب سكان الريف والبدو . وهذه الزيادة من العوامل السكانية ذات التأثير الحضرى المباشر على الخصوبة **Fertility** لاختلاف نشاط وثقافة

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : المرأة بين الدين والمجتمع ، مرجع سابق ، الفصل الثامن .

السكان فى كل من الريف والحضر . وكذلك فى الدور الاجتماعى الذى يمارسه هؤلاء السكان فى حياتهم اليومية . وفى ظل تلك الظروف تختلف درجة الخصوبة من حيث إرتفاعها وإنخفاضها، ذلك أن الخصوبة لا يحددها مجرد الإقامة فى الريف أو فى الحضر ، وإنما تحددها الثقافة التى نشأ فى ظلها الإنسان ، بالإضافة إلى النشاط الاقتصادى الذى يمارسه . وهذا النشاط الأخير يختلف طبقا لنوع التعليم الذى حظى به هذا الإنسان ، وكذلك لنوع الثقافة التى عاش الفرد فى ظلها طفولته وصباه .

هذا وعامل السكان مع عامل التكنولوجيا أو التقدم العلمى ، هما العاملان الرئيسيان فى إحداث عملية التحضر . والتحضر أو تمركز السكان هو نتاج إنتقال العدد الفائض الذى تلفظه الأراضى الزراعية إلى تجمعات حضرية ، بينما يمهد التقدم العامى لعملية تركيز أعداد كبيرة من السكان فى مكان ما ، أى أن الزيادة السكانية، والتقدم العلمى عوامل ثلاثة متلازمة يؤثر كل منها فى الآخر ، وإن كان ليس هناك ما يمنع من تحضر مجتمع مادون بلوغ درجة كبيرة من الكثافة السكانية ، أو أن تتقدم التكنولوجيا دون أن تصحبها كثافة سكانية عالية .

هذا ويتفاوت تعريف مصطلح « التحضر » urbanizasion من مجتمع إلى آخر ، حيث :

(ا) يعرف مكان ما بأنه « حضرى » فى عدد كبير من الدول على أساس حجم معين للسكان المقيمين به . وقد يتفاوت الحد الأدنى لعدد السكان ، فبينما نجد أن أى تجمع سكانى يبلغ عدد سكانه ٢٥٠ نسمة فى الدانمارك يطلق عليه حضرى، فإنه لا يقل الحد الأدنى لعدد سكان مكان يوصف بأنه حضرى فى كوريا عن ٤٠,٠٠٠ وبصفة عامة لا يتفاوت الحد الأدنى المتفق عليه لتعريف أى تجمع سكانى بأنه حضرى بين معظم الدول مثل هذا التفاوت ، ففى الغالب يستخدم الرقم ٢٠,٠٠٠ كحد أدنى .

(ب) يعرف مكان ما بأنه « حضرى » فى بعض الدول على أساس أدائه

لوظائف إدارية وحكومية ، فعلى سبيل المثال يطلق على العاصمة الإدارية للمركز وصف « حضر » بمعنى أن إستخدم كلمة « حضر » يتوقف على قيام مجتمع إنسانى معين بأداء وظائف إدارية من خلال أقسام إدارية معينة بصرف النظر عن حجم السكان .

(ج) ويعتمد التعريف الثالث لمصطلح « التحضر » على الجمع بين مجموعة من الخصائص فقد يجمع بين كونه مجموعة وظائف إدارية معينة مع وجود عدد معين من السكان أو تحديد نسبة معينة لمن يعملون بالزراعة[١] .

الحياة فى الحضر :

ترجع حياة السكان فى المدن إلى حوالى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد . فى وادى الفرات وإلى الشرق منه فى وادى الأندوس فى الهند وجنوب الصين ، وإلى الغرب منه فى سهول وادى دجلة والفرات وفى وادى النيل . ويرجع ذلك للعوامل التالية :

١ — الاستقرار السكانى فى بعض المواقع التى تقع عادة عند مفترق الطرق والمواصلات .

٢ — تحرر نسبة من السكان من العمل فى الزراعة مع الاتجاه للعمل الحضرى .

٣ — توفر مستوى تكنولوجى معين يعتمد على إستخدام المعادن والآلات بدلا من الأدوات البدائية .

٤ — قيام نسق جديد من التنظيم والضبط الاجتماعى ، لم يكن موجودا من قبل فى المجتمع الريفى .

غير أن هذه التجمعات الحضرية أو مدن العالم القديم تختلف كل الاختلاف عن المدن التى نشأت فيما بعد . ذلك لأن مقدرتها على إستيعاب أعداد كبيرة من السكان كانت محددة ، لأن فائض الإنتاج الزراعى كان محدوداً بالتالى ، وتقدر نسبة

1 — u . N .: Demographic year Book , 1963 , P . 34 .

من لم يعملوا بالزراعة فى المدن القديمة هذه بما لايزيد عن ٤,٣ ./. من مجموع السكان أو ٨,٥ ./. فى أحسن الأحوال[١] .

وحتى القرن التاسع عشر لم يكن أكثر من ٢ ./. من سكان العالم يعيشون فى الحضر داخل مدن يبلغ عدد سكانها ١٠٠,٠٠٠ نسمة أو أكثر (٢٢ مدينة) و ٢,٥ ./. من سكان العالم يعيشون فى مدن تستوعب ٢٠ ./. أو أكثر. ولم تكن درجة التحضر فى أوروبا تختلف كثيرا عن بقية دول العالم فى ذلك الحين. غير أنه فى نهاية هذا القرن ، كان الريف يعج بالتضخم السكانى نتيجة استمرار إنخفاض معدلات الوفيات الذى كان قد بدأ فى الانخفاض منذ سنة ١٧٥٠ نتيجة لزيادة الغذاء وإستقرار الكميات المنتجة . وبذلك زادت مشكلة التضخم السكانى فى الريف إستفحالا ، لاستغناء الأرض عن كثير من الأيدى العاملة نتيجة لتطبيق الأساليب الآلية فى الزراعة وترتب على ذلك وجود فائض كبير فى العمالة الريفية بدأ يتدفق على المدن . وبذلك إرتفع عدد سكان المدن من ٢,٤ ./. سنة ١٨٠٠ إلى ٢٠,٩ ./. من سكان العالم سنة ١٩٥٠ [٢] وقد ارتفعت إلى ٢٥ ./. سنة ١٩٦٠ (والجدول التالى يبين النسب المئوية للزيادة فى سكان الحضر فى الفئات العشرية من ١٩٢٠ إلى ١٩٦٠ فى مختلف مناطق العالم بالنسبة لما كان عليه عددهم فى كل فترة .

1 — Hawley , A . H. World urbanization, Trends and Prospects Population . The Vital Revlution . Ronald Freedman , ed . 1964 PP . 70 — 83

2 — u . N . Document , 5/cN 5/cN . Add . 1 , 27 . Feb . 1957 RePort on World Social Situation , part 11 , PP , 13 — 15 .

جدول رقم (٢٢)

بالنسبة المئوية لزيادة سكان الحضر ١٩٢٠ — ١٩٦٠
فى مختلف مناطق العالم

المنطقة	٢٠ — ١٩٣٠	٣٠ — ١٩٤٠	٤٠ — ١٩٥٠	٥٠ — ١٩٦٠
العالم	٣٠	٣٠	٢٥	٤٢
أوربا	١٨	١٤	٥	١٨
أمريكا الشمالية	٣٣	١١	٢٩	٣٥
أمريكا الجنوبية	٤٠	٣٩	٦١	٦٧
شرق آسيا	٤٥	٤٤	٣٠	٥٢
جنوب آسيا	٢٦	٤٦	٥٢	٥١
الاتحاد السوفيتى	٥٠	٩٦	٦	٥٦
أفريقيا	٤١	٤٢	٥٦	٦٩
استراليا	٢٢	١٩	٢٩	٤٢

وكان لهذا التدفق البشرى على المدن ثمنه الاجتماعى ، شأنه شأن أى تغير إجتماعى جذرى ، ذلك أنه على الرغم من أن كفاءة المدن كمراكز للتنظيم الاجتماعى الاقتصادى كانت فى تقدم، فإن كفاءتها كمراكز للحياة الاجتماعية كانت متخلفة حوالى نصف قرن من الزمان . ومن ثم كان المهاجرون إلى المدن يعيشون فى مساكن غير مهيئة وفى شوارع ضيقة ومتعرجة وغير مرصوفة وتنقصها المرافق الحضرية الحيوية مثل الإنارة والمياه النقية والمجارى . الخ .

وعن تطور سكان الحضر فى العالم ، فإنه يخضع لثلاثة أنماط رئيسية هى :
— النمط القاعدى ويسود الجزء الأكبر من المنطقة العربية، ويمثل العامود الفقرى للنمو الحضرى ، وفيه تتراوح نسبة سكان الحضر بين الربع والثلث ويشمل مصر وسوريا والعراق وتونس والجزائر والمغرب . وهى أكثف وأغنى أجزاء العالم العربى سكانا وإنتاجا زراعيا وصناعيا .

ـ النمط البدائى ويشمل السعودية والسودان وليبيا ، وكلها دول جديدة نسبيا فى ميدان التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتمتاز بالمساحة لا الكثافة .

النمط الشاذ ، أى الذى لا يمثل حالة طبيعية ، وإنما طفرة لأسباب دخيلة مفروضة أو صدفة عشوائية مثل الكويت وفلسطين المحتلة. فالكويت حظيت بالصدفة الجيولوجية بمنحة خاصة أدت إلى تطابق السكان والمدن ، حيث تصل نسبة التحضر فيها من الناحية المرفولوجية إلى ١٠٠ ٪ تقريبا ، وإن كانت النسبة فى التحضر الفزيولوجى تقل عن ذلك بكثير . ويرجع ذلك إلى البترول الذى أعاد فى العصر الحديث خلق دول المدن الوسيطة . والكويت هى المثال على ذلك، أى هى «دولة مدن» على حين أن فلسطين المحتلة (إسرائيل) قام الاحتلال الصهيونى فيها بإدخال التحضر إلى فلسطين بصورة كاسحة ، حيث لا يعرف العالم دولة قزمية سرى فيها السرطان الحضرى بهذه الصورة ، حتى أن ٧٥٫٩ ٪ من سكانها يعيشون فى المدن وبذلك فهى ثالث دولة فى العالم فى نسبة التحضر بعد اسكتلندة ثم بريطانيا[1] وهذا وحده يدمغ إسرائيل بالشذوذ والاصطناعية.

هذا وقد إزداد سكان الحضر فى الدول العربية فى السنوات الأخيرة بصورة واضحة، وإن لم يكن بنفس النسبة فى هذه الدول، فقد صار معدل النمو الحضرى بسرعة فى بعض الدول مثل الكويت ٨٠ ٪ ولبنان ٥٥ ٪ وخلال الستينيات نجد أن هذا المعدل لا يزال منخفضا فى بعض الدول مثل السودان ٧٫١ ٪ واليمن ١١ ٪ من جملة السكان . وتتراوح نسبة سكان الحضر فى باقى الدول بين ٤٥،٢٠ ٪ من جملة السكان. غير أنه بالرغم من وصول درجة النمو الحضرى فى بعض الدول العربية إلى مستوى عال مقارنا بالمستوى العالمى فهى ٨٠ ٪ فى الكويت ٥٥ ٪ فى لبنان ٤٥ ٪ الأردن ٤٤٫١ ٪ فى العراق ٣٨٫٦ ٪ فى مصر ٣٧٫٤ ٪ فى سوريا ... فإن هذا الارتفاع لا يعود بأكمله إلى أن هذه الدول قد حققت مستويات عالية من التنمية والتصنيع ، ذلك أن جانبا كبيرا منه يرجع إلى الأحوال الطبيعية والاجتماعية لدول العالم العربى والجدول التالى يوضح ذلك .

1 — Berler , A . : « urbnaization process in Israel » u . N . Confereuce on The application of Science and technology for the benfit of the less develapment areas Geneva, 1962 p. 8.

جدول رقم (٢٣)

بالتركيب العمرى للسكان فى كل من مصر وريف بعض الدول العربية[1]

النسبة المئوية للتركيب العمرى

الدولة والسنة	فئات العمر	ذكور حضر	ذكور ريف	أناث حضر	أناث ريف
سوريا ١٩٦٠	٠ —	٤٤,٩	٤٩,٠	٤٤,٠	٤٥,٨
	١٥—	٤٩,١	٤٣,٢	٤٩,٢	٤٦,٤
	٦٠—	٦,٠	٧,٨	٦,٨	٨,٠
	الجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
مصر ١٩٦٠	٠ —	٤٣,٦	٤٤,١	٤٣,٦	٤٠,٤
	١٥—	٥١,٤	٤٩,٩	٥١,٢	٥٢,٣
	٦٠—	٥,٠	٦,٠	٥,٢	٧,٣
	الجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
الكويت ١٩٦١	٠ —	٢٢,٥	٣٢,٢	٤٣,٧	٤٥,٤
	١٥—	٧٥,٠	٦٤,٧	٥١,٧	٥٠,٠
	٦٠—	٢,٥	٣,١	٤,٦	٤,٦
	الجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
المغرب ١٩٦٠	٠ —	٤٢,٢	٤٧,١	٤١,٠	٤٤,١
	١٥—	٥٢,٥	٤٤,٨	٥٢,٩	٤٨,٥
	٦٠—	٥,٣	٨,١	٦,١	٧,٤
	الجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

(١) جامعة الدول العربية : النمو الحضرى فى الوطن العربى . المؤتمر الرابع عشر للشئون الاجتماعية ، طرابلس / ليبيا ٣٦١ / ١٩٧٣ ص٧١

ومن هذا الجدول يتضح أن النسبة المطلوبة للذكور فى فئة العمر (١٥ — ٦٠) وهى فئة سن العمل أعلى فى الحضر عنها فى الريف فى كل دول هذه المجموعة . وذلك يرجع إلى هجرة الذكور فى سن العمل من الريف إلى المدن . والتغير فى هذه الفئة — كما هو واضح — يؤثر فى السكان من فئة العمر (٠ — ١٤) تأثيرا مباشرا مما يؤدى إلى إنخفاض نسبة هذه الفئة الأخيرة فى الحضر والريف وكذلك تشير أرقام الجدول إلى ارتفاع نسبه سكان فئة العمر (١٥ — ٦٠) فى الأناث عنها فى الحضر بإستثناء مصر .

ومن جهة أخرى فإن الناحية الحضرية تؤثر على معدلات المواليد والوفيات فطبقا لآخر إحصاء فى مصر ، فإن سكان الريف والحضر . فى كل المحافظات قد أصبح توزيعهم[1] كما يلى :

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : الاحصاءات الأساسية ٥٢—١٩٧٣ صفحة ١٧

جدول رقم (٢٤)

بتوزيع السكان (ريف وحضر) فى مختلف المحافظات

من واقع النتائج النهائية لتعداد سنة ١٩٦٦

المحافظة	الحضر	الريف	الجملة
القاهرة	٤٢١٩٨٥٣	—	٤٢١٩٨٥٣
الاسكندرية	١٨٠١٠٥٦	—	١٨٠١٠٥٦
بور سعيد	٢٨٢٩٧٧	—	٢٨٢٩٧٧
السويس	٢٦٤٠٩٨	—	٢٦٤٠٩٨
الاسماعلية	١٨٢٤١٩	١٦٢٣٧٠	٣٤٤٧٨٩
البحيرة	٣٥٢٣١٣	١٦٢٥٤٩٦	١٩٧٨٨٨٩
دمياط	١١٤٥١٢	٣١٧٠٨٤	٤٣١٥٩٦
كفر الشيخ	٢١٢١٨٦	٩٠٦٣٠١	١١١٨٤٩٥
الغربية	٥٩٩٩٩٦	١٢٠١١٢١	١٩٠١١١٧
الدقهلية	٤٦٩٧٠١	١٨١٥٦٣١	٢٢٨٥٣٣٢
الشرقية	٣٨٨٦٧٨	١٧١٩٢٩٣	٢١٠٧١٧١
المنوفية	٢٣٧٨٧٢	١٢٢٠١٧٦	١٤٥٨٠٤٨
القليوبية	٣٨١٥٤٢	٨٣٠٢٢٢	١٢١١٧٦٤
الجيزة	٦٤٧٢٢٦	١٠٠٣١٥٥	١٦٥٠٣٨١
الفيوم	٢٠٠٣٤٨	٧٣٤٩٣٣	١٣٥٢٨١
بنى سويف	٢٠٤١٢٦	٧٢٣٧٨٤	٩٢٧٩١٠
المنيا	٣٣٨٩٩٨	١٣٦٦٦٠٤	١٧٠٥٦٠٢
أسيوط	٣٢٥٩٣٢	١٠٨٢٢٣٢	١٤١٨١٦٤
سوهاج	٣٣٦٣٥٥	١٣٥٣٠٤٢	١٦٨٩٣٩٧
قنا	٢٨٧٨٦٩	١١٩١٩٤٣	١٤٧٠٨١٢
أسوان	١٨٢٦٠٦	٣٣٧٩٦١	٥٢٠٥٦٧
البحر الأحمر	٣٧٨١٨	—	٣٧٨١٨
الوادى الجديد	٥٩٣٨٥	—	٥٩٣٨٥
مطروح	١٢٣٧٠٧	—	١٢٣٧٠٧
سيناء	١٣٠٨٤٩	—	١٣٠٨٤٩

ومن هذا الجدول يلاحظ وجود أربع محافظات حضرية بنسبة ١٠٠ ٪ وهى القاهرة والإسكندرية والسويس . وكذلك أربع محافظات من البدو — وإن قيل بوجود مدن هناك — وهى البحر الأحمر والوادى الجديد ومطروح وسيناء . وفى المحافظات الكاملة التحضر تنخفض معدلات المواليد والوفيات بدرجة واضحة عن المحافظات غير الكاملة التحضر والبدوية .

هذا وطبقا للبيانات الأولية لتعداد ١٩٧٦ فإن التوزيع الجغرافى لسكان مصر مستقر تقريبا حيث لم تتغير النسب المئوية اسكان كل محافظة إلى جميع السكان بشكل ملموس فى التعدادات الثلاث الأخيرة ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ ، ١٩٧٦ إلا أن هناك زيادة طفيفة فى نسبة جملة سكان المحافظات الحضرية نتيجة للهجرة الوافدة إلى هذه المحافظات من المناطق الريفية ، كما يلاحظ اتجاه نسبة سكان الوجه القبلى من جملة السكان إلى التناقص الطفيف أيضا ولا يزال الوجه البحرى يضم أكبر تجمع بشرى فى مصر حيث بلغت نسبة سكان حوالى ٤٣,٤ ٪ من جملة سكان فى تعداد ١٩٧٦ ويليه الوجه القبلى الذى يضم ما يزيد قليلا عن ثلث سكان مصر (٣٤,٦ ٪) من جملة السكان ثم تليه المحافظات الأربع الحضرية وهى القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والاسماعلية وتضم حوالى خمس سكان مصر (٢١,٤ ٪) والباقى بمحافظات لحدود (٠,٦ ٪) .

وقد أوضحت نتائج تعداد ١٩٧٦ ظاهرة هامة وهى تباطؤ موجة التزايد السريع فى عدد سكان محافظة القاهرة بحدودها الإدارية المعروفة ، فقد بلغ عدد سكان المحافظة الموجودين داخلها ليلة التعداد ٥٫٠٨٤٫٤٦٢ نسمة بعد إن كانت ٤٫٢١٩٫٨٥٣ نسمة فى تعداد ١٩٦٦ بزيادة قدرها ٨٦٤٫٦١٠ نسمة ، أى بمعدل نمو سنوى قدره حوالى ١٫٨ ٪ مقابل معدل نمو قدره ٤٫١ ٪ فى الفترة ٦٠ — ١٩٦٦ التى كانت ذروة التزايد فى عدد سكان القاهرة نتيجة لحركة الهجرة السريعة إليها بتأثير جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولا سيما إنشاء المصانع حول القاهرة فى النصف الأول من الستينيات . ولو أضفنا سكان القاهرة الموجودين

خارج الجمهورية ليلة التعداد ويقدر بنحو ٣٢٥ ألف نسمة يصبح معدل الزيادة ٢ر٤ ٪.

ويرجع تباطؤ معدل النمو السكانى للعاصمة بحدودها الإدارية إلى عدد من العوامل منها إنخفاض معدل الزيادة الطبيعية بدرجة أكبر عن باقى الجمهورية، ومنها تشبع المدينة وعجزها عن استيعاب قاطنين جدد نتيجة أزمة الإسكان الحادة فيها والاتجاه للإقامة خارجها سواء فى النطاق العمرانى بمحافظتى الجيزة والقليوبية أو فى نطاق الإقليم الذى عدد سكانه ٨ ملايين نسمة (١).

خامسا : مدى انتشار وسائل منع الحمل بين السكان :

تنتشر وسائل منع الحمل فى الدول المتقدمة بصورة عامة ومنظمة بعكس الحال فى الدول الآخذة فى النمو والمتخلفة . . وقد ناقشنا مدى انتشار وسائل منع الحمل وإستخدامها بين السكان فى الفصل السابع من هذا الكتاب .

سادسا : توزيع السكان من حيث طبيعة مهنهم :

عرضنا فى الجدول السابق لنسبة سكان الريف والحضر فى مصر . وهؤلاء السكان يعملون فى وظائف ومهن متنوعة (٢) . وفيما يلى جدول ينطوى على علاقة الوظائف والمهن والحرف بالمواليد .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والإسكان ليلة ٢٢/٢٣ نوفمبر ١٩٧٦ (مذكرة من ٦٥ صفحة مطبوعة بالاستنسل ومصورة صدرت يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٧٧) صفحة ٧ ، ١٥

(٢) دكتور زيدان عبد الباقى : علم الاجتماع المهنى . مرجع سابق ، صفحة ٣٥

جدول رقم (٢٥)
يبين المواليد أحياء والوفيات
طبقا لمهن الآباء سنة ١٩٧٢[1]

الوظائف والمهن والحرف	جملة المواليد	جملة الوفيات
أصحاب المهن الفنية العليا ومن إليهم	٤٤٧١٥	٢٤٩٨
المديرون الإداريون ومديرو الأعمال	٦٤٨٠	٦٣٦
القائمون بالأعمال الكتابية ومن إليهم	٦٨٨٥٨	٣١٧٨
القائمون بأعمال البيع .	٥٩٢٤٧	٦٥٤٥
العاملون بالخدمات	٧٠١٩٢	٥٩٤٣
العاملون بالزراعة وتربية الحيوان وصيد البر والبحر	٥٣٠٥٨٧	٦٢٦٣٥
عمال الإنتاج ومن إليهم وعمال تشغيل وسائل النقل والفعلة والعتالين	١٧٠٦٨٢	١٠٥٧٥
الأفراد الذين لا يمكن تصنيفهم	٢٣٦٥٢٥	١٣٧٦٤٧
الجملة	١١٨٧٢٨٦	٢٢٩٦٥٧

ومن هذا الجدول يتضح إرتفاع معدلات المواليد والوفيات بين العاملين بالزراعة والصيد فى البر والبحر وكذلك بين العاملين فى الخدمات وعمال الإنتاج وعمال تشغيل وسائل النقل والفعلة والعتالين وكذلك الموظفين فى الأعمال الكتابية الصغيرة وبين الأفراد غير المصنفين مهنيا إلى مهن محددة وانخفاضها فى غيرهم .

سابعا : الحروب وأثرها فى نمو السكان :

هناك دراسات عن آثار الحروب على السكان من حيث النمو والمواليد والوفيات ، فما لاشك فيه أن الاستعداد للحرب والحرب نفسها تجعل المقبلين على الزواج يؤجلون زواجهم إلى إن تنتهى تلك الحرب . كما أن إستمرار رحى الحرب لفترات طويلة يؤدى إلى إستشهاد الكثيرين من رجال الجيش الذين يخوضون غمار تلك الحرب . وبالتالى فإن تأجيل الزواج إلى أن تنتهى الحرب

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : إحصاءات المواليـد والوفيات سنة ١٩٧٢ مرجع سابق . صفحات ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠٠

واستشهاد بعض المحاربين ، كل ذلك يؤدى إلى انخفاض معدل النمو السكانى كما يؤدى إلى زيادة عدد الإناث على الذكور .

هذا وقد أجريت محاولات منهجية لدراسة آثار الحرب العالمية الثانية على سكان دول أوربا فى السنوات الخمس السابقة عليها ١٩٢٥ — ١٩٣٩ ثم السنوات الخمس التى دارت خلالها رحى الحرب ١٩٣٩ — ١٩٤٢ وتلك التى أعقبتها ١٩٤٣ — ١٩٤٧ وقد أكدت هذه الدراسة أن الدول الأوربية التى إشتركت فى الحرب العالمية الثانية قد تأثرت سكانيا من نتائج تلك الحرب ، فقد زاد عدد الأناث على الذكور فى ألمانيا بشكل ملحوظ . ونتيجه لذلك ولأنها دولة مسيحية وهى ديانه — كما هو معروف — تقضى بالزواج من واحدة فقط ولا تبيح زواج المطلقين والمطلقات من غيرهم ، فقد زاد عدد العوانس ، كما زاد عدد الأرامل ، بالأضافة إلى زيادة عدد المعوقين ، وبالتالى إنخفاض عدد المواليد وكذلك إنخفاض معدل النمو السكانى فى هذه الدولة .

ويقاس على ذلك مدى تأثر كل دولة طبقا لمدى إشتراكها فى هذه الحرب أو فى غيرها من الحروب. والجدول التالى يبين عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى.

جدول رقم (٢٦)

بعدد ضحايا الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨

من العسكريين فى بعض الدول التى إشتركت فيها

اسم الدولة	عدد الضحايا	اسم الدولة	عدد الضحايا
انجلترا	١,٢٠٠,٠٠٠	النمسا والمجر	١,٠٠٠,٠٠٠
فرنسا	١,٩٠٠,٠٠٠	إيطاليا	٦٠٠,٠٠٠
ألمانيا	٢,٤٠٠,٠٠٠	دول مختلفة	١,٠٠٠,٠٠٠

ومن هذا الجدول تتضح آثار الحرب على معدلات النمو السكانى فى كل دولة طبقا لعدد الضحايا ، وكذلك على زيادة عدد الأرامل والأيتـــام

والآنسات غير المتزوجات ، لاسيما وأن عدد ضحايا هـذه الحرب يقدر بنحو ٢٥ مليون نسمة(١) .

ومن جهة أخرى فقد تولى نفس الباحث دراسة آثار الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٤ وأوضحت دراسته مدى انعكاس الأحوال الإقتصادية والإجتماعية على النواحي السكانية . فقبل الحرب العالمية الأولى كان هناك استقرار ورواج إقتصادي ، مع عدم وجود ضمانات إجتماعية للمحاربين . ولذلك لم تتأثر معدلات الزواج ، وبالتالى فإن نسبة المواليد أثناء الحرب العالمية الأولى لم تتأثر بالحرب .

وعلى العكس من ذلك خلال الحرب العالمية الثانية حيث سبقها الكساد الإقتصادي العالمى ١٩٢٩ - ١٩٣١ مع توفير ضمانات إجتماعية من الحكومات للمحاربين من حيث رعاية أسرهم وأولادهم . ولذلك كان موقف هذا الجيل من الزواج Marriage generation موقفا إيجابيا حيث لم تتأثر معدلات الزواج وبالتالى معدلات الإنجاب لاسيما وأن بعض الفئات قد تحسنت ظروفها الإقتصادية نتيجة إستغلال ظروف الحرب . وربما كان إقبالها على الزواج هو السبب فى عدم انخفاض معدلات الزواج وما يتبعها .

وبالنسبة لخسائر الحرب العالمية الثانية من الأرواح فهى لم تقتصر على العسكريين وحدهم ، وإنما اشتملت على المدنيين ، نتيجة لتقدم صناعة إنتاج وسائل الدمار الشامل والجدول التالى يوضح ذلك .

1 — Thoupson , W . population . N V . 194 , p 46 .

جدول رقم (٢٧)

ضحايا الحرب العالمية الثانية ٣٩ — ١٩٤٤

أسماء الدول	عدد الضحايا	
	من العسكريين	من المدنيين والعمال وأسرى الحرب
فرنسا	٢٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
ألمانيا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠
انجلترا	٢٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
بولندا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
يوغسلافيا	١,٦٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
اليونان	٥٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
الاتحاد السوفيتي	١٢,٥٠٠,٠٠٠	١٢,٥٠٠,٠٠٠

ويلاحظ بالنسبة للاتحاد السوفيتي أن الإحصاءات قد تضاربت حول عدد الضحايا العسكريين والمدنيين ، فقد قيل أنها ١٤ مليون[1] ، وقيل أنها ٢٥ مليون وقيل أنها ٣٨ مليون[2] . ونتيجة لعدم وجود مصدر موثوق به ، ولأن الاتحاد السوفيتي والدول التي تجرى في فلكه تعتبر كل شيء مهما كان تافها أو ذا قيمة ، تعتبره من الأسرار العسكرية فقد أخذنا بالرقم الأوسط . كما يلاحظ أن ضحايا بولنده تعادل خمس سكانها ، باعتبارها الدولة التي إجتاحتها جحافل الجيش الألماني بقيـــادة هتلر في الأيام الأولى للحرب . أما ضحايا يوغوسلافيا فقد بلغت عشر سكانها ، وضحايا اليونان كانت تعادل ٧٪ من سكانها . . الخ .

ومن هاتين الدراستين للحربين العالميتين الأولى والثانية يتضح لنا أن الحرب تحصد الكثير من الأرواح ، فتتأثر بذلك معدلات المواليد والوفيات ،

1 — The Stetement ' S Year Book . Lonbon , 1961 , P 1960 .
2 — Thampson , w . Populatiou Problem . N . Y . , 1963 , PP . 66 — 70 .

فضلا عن الآثار الاجتماعية السيئة مثل ترمل السيدات وتيتم الأطفال وعجز المحاربين السابقين نتيجة فقد بعض أطرافهم وما يترتب على ذلك من مآسى اجتماعية حادة .

هذا ولا تنطبق تلك الأوضاع بهذه الحدة على الحروب الإقليمية الخاطفة أو المحدودة الزمن ، ذلك أن معدلات المواليد والوفيات فى مصر لم تظهر بها دلالات حادة فى عدد المواليد أو الوفيات ، أو فى حجم السكان نتيجة لحرب مصر وإسرائيل سنة ١٩٥٦ والجدول التالى يوضح ذلك .

جدول رقم (٢٨)

يبين معدلات المواليد والوفيات فى مصر أثناء حرب ١٩٥٦[١]

السنة	معدل المواليد	الوفيات	الزيادة الطبيعية	جملة السكان
١٩٥٥	٤٠,٣	١٧,٦	٢٢,٧	٢٢,٢٩٠,٠٠٠
١٩٥٦	٤٠,٧	١٦,٤	٢٤,٣	٢٣,٥٣٢,٠٠٠
١٩٥٧	٣٨,٠	١٧,٨	٢٠,٢	٢٤,٠٨٧,٠٠٠
١٩٥٨	٤١,١	١٦,٦	٢٤,٥	٢٤,٦٥٥,٠٠٠
١٩٥٩	٤٢,٨	١٦,٣	٢٦,٥	٢٥,٢٣٧,٠٠٠

ومن الجدول السابق الذى يتناول السنوات الخمس التى تسبق وتلى سنة الحرب (١٩٥٦) يتضح لنا :

— أن معدل المواليد إنخفض من ٤٠,٧ فى الألف سنة ١٩٥٦ إلى ٣٨ فى الألف سنة ١٩٥٧ وهى السنة التى تظهر فيها آثار الحرب ، ثم عاد إلى معدله الطبيعى سنة ١٩٥٨ وأصبح ٤١,١ فى الألف بعد زوال آثار الحرب ، وسار فى طريقه الطبيعى بعد ذلك .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : احصاءات المواليد والوفيات مرجع سابق ، صفحة ٩

— وأن معدل الوفيات إرتفع من ١٦,٤ فى الألف سنة ١٩٥٦ إلى ١٧,٨ فى الألف سنة ١٩٥٧ وهى السنة التى تظهر فيها آثار الحرب ، ثم عاد إلى ١٦,٦ فى الألف وهو المعدل الطبيعى وسار فى طريقه العادى بعد ذلك .

— وبالنسبة للزيادة الطبيعية فقد انخفضت من ٢٤,٣ فى الألف سنة ١٩٥٦ إلى ٢٠,٢ فى الألف سنة ١٩٥٧ وهى السنة التى تظهر فيها آثار الحرب ، ثم عاد إلى ٢٤,٥ فى الألف سنة ١٩٥٨ وهو المعدل الطبيعى ، وسار فى طريقه العادى بعد ذلك .

غير أن هذه النتائج التى انتهينا إليها لا تصل إلى مرتبة العمومية إلا فى حالة وصولنا إلى إحصاءات مماثلة عن الدول التى اشتركت فى هذه الحرب وفى الحروب الأخرى المماثلة ، وإجراء دراسة تحليلية عليها .

تعقيب :

عرضنا فى هذا الفصل للعناصر التى تقوم عليها الدراسة العلمية للسكان والتى تتأثر بمقتضاها معدلات المواليد والوفيات ، وكذلك النمو السكانى . غير أن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذه العوامل ، وإن كانت آثارها محلية أكثر منها عالمية مثل :

١ — التكوين العرقى أو السلالى للمجتمعات مثل المجتمع السودانى الذين يتكون من المسلمين وغير المتدينيين والمجتمع العراقى الذى يتكون من العرب والأكراد والمجتمع السويسرى الذى يتحدث كل ثلث منه بلغة مختلفة والمجتمعات الملونة والتى تتكون من ذوى البشرة البيضاء والسوداء مثل الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ — إختلاف العقائد الدينية ، ومدى خضوع السكان أو عدم خضوعهم للتعاليم الدينية التى توافق أو لا توافق على تنظيم الإنجاب . وكذلك الأقليات الدينية التى تبذل كل جهد إنجابى فى سبيل زيادة عددها فى المجتمع ، لاسيما إذا كانت هناك قيم اجتماعية وعادات وأعراف وتقاليد تؤيد ذلك .

٣ — إختلاف المستوى التعليمى ، فمن المعروف أن المتعلمين - لاسيما الموظفين منهم ذوى الأجر المرتفع — ينظمون إنجابهم فتتناقص أعدادهم بالرغم من قدرتهم الاقتصادية على التربية السليمة وعلى توفير احتياجات أطفالهم المختلفة . . وهذا بعكس الحال مع غير المتعلمين من غير الموظفين أو العاملين فى الحكومة والقطاع العام من ذوى الدخول المحدودة الذين يفرطون فى الإنجاب فيزدادون عددا برغم عدم قدرتهم الاقتصادية والتربوية وعدم قدرتهم أيضا على توفير مختلف احتياجات أطفالهم الأخرى .

تلك هى أهم العوامل التى تساعد الباحثين الاجتماعيين على دراسة البناء السكانى لأى مجتمع من المجتمعات .

الفصل العاشر

سكان العالم العربى

بعد أن عرضنا بالتفصيل فى الفصل السابق للاتجاهات السكانية فى مصر حتى سنة ٢٠٠٠ وتبين لنا أن عدد سكان مصر فى أول يوليو ١٩٧٦ قد وصل إلى ٣٨ مليون نسمة والمتوقع أن يصل عددهم طبقا لمعدلات النمو الحالية إلى ٧٠ مليون نسمة طبقا للفرض الأول السالف الذكر، نعرض هنا لبقية سكان العالم العربى .

المهاد الأولى للسكان العرب :

يشغل الوطن العربى قلب العالم القديم ، وهو فى نفس الوقت صلة الوصل بين العالم القديم والعالم الحديث ، ويقع فيما بين المنطقة المعتدلة والمنطقة المدارية ، ويمتد حوالى خمسة آلاف كيلو متر من الخليج العربى والعراق شرقا إلى المغرب وموريتانيا غربا . ويبلغ أقصى طوله من الجنوب إلى الشمال حوالى ثلاثة آلاف كيلو متر وهو طول مجرى نهر النيل من حدود السودان الجنوبية إلى مصبه فى البحر الأبيض المتوسط . وتقدر هذه المساحة بحوالى ١٢,٢ مليون كيلو متر مربع ، وبذلك تربو مساحة الوطن العربى على مساحة القارة الأوروبية[١] .

هذا وقد بلغ عدد السكان فى العالم العربى نحو ١٤٣,٧٦٧,١٨٨ نسمة ، يعيش أقل من ثلثهم أى ٤٥,٦٥٠,٨٨٨ نسمة فى قارة آسيا ، ويعيش الثلثان الباقيان أى ٩٨,١١٦,٣٠٠ نسمة فى قارة أفريقيا . ولذلك تعتبر أفريقيا بمثابة الأرض العربية الرئيسية من حيث المساحة وعدد السكان . على حين

---

(١) الأستاذ الدكتور مصطفى الخشاب : دروس فى مقومات المجتمع العربى ونظامه . مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٢ صفحة ٨٦

أن أكبر دولة عربية من حيث المساحة هى السودان ، وأكبر دولة عربية من حيث السكان هى مصر .

هذا ومن رأى المستشرق الإيطالى «كيتانى» وغيره من العلماء أن سكان الجزيرة العربية من أصل سام ، بل هم الساميون وحدهم ، وأن أول تواجد لهم كان فى جزيرة العرب ، وأنهم جنس من أصل واحد تتشابه لغاته . وأن اللغة العربية هى أقرب اللغات السامية إلى الأصل الذى تنتمى إليه ، وأنهم قد أتوا بحضارات أصلية . وعلى اعتبار أن مناخ الجزيرة العربية فى العصور الجيولوجية القديمة كان رطبا مع قليل من الدفء ، وأن مياه الجزيرة كانت غزيرة ، فقد استنتج «كيتانى» أن الساميين كانت الجزيرة محل إقامتهم . وعندما إتجه المناخ إلى الحرارة مع زيادة الجفاف أجدبت الأرض ، وبدأ عدد السكان يتناقص نتيجة لهجرة البعض إلى أطراف الجزيرة وراء العشب والماء والأراضى الخصبة . ومنذ ذلك الحين بدأت الموجات السامية من المهاجرين تغذى بالسكان أطراف الجزيرة مثل منطقه الرافدين فى العراق وأنهار منطقة الشام وكذلك حوض نهر النيل ، حيث إزدهرت حضارات ومدنيات كانت ذات شأن عظيم .

غير أنه لكثير من العلماء آراء تصل إلى حد التناقض حول المهاد الأولى لسكان الجزيرة العربية ، فمن قائل :

(ا) إن مهدهم كان فى العراق . وهو ماذهبت إليه التوراة ، وأن أقدم فئاتهم كان الاكاديون ، والبابليون ، والآشوريون ، والكلدانيون . ومن العراق توجه العرب إلى الجزيرة العربية . وصار الآراميون والفينيقيون والعبريون فى بلاد سوريا ، وصار الأحباش فى بلاد الحبشة .

(ب) إن مهدهم كان الحبشة (إثيوبيا) ومنها عبروا البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب ، ومن الجزيرة العربية تفرق بعضهم إلى منطقة

الهلال الخصيب، حيث قال بذلك « ملكريف »[1] إستناداً إلى رأى « برنتون » حول وجود تشابه فى الملامح ، وفى الخصائص السلالية ، فضلا عن الصلات اللغوية بين الأحباش والبربر والعرب ، حتى أنه زعم أن جبال الأطلس هى الموطن الأصلى للساميين[2] ، كما استخلص فريق من العلماء وجود نوع من الصلات اللغوية والعلاقات الإثنولوجية التى تلاحظ على سكان تلك المنطقة ، وقرروا بناء على ذلك أن الموطن الأول للساميين هو شرق أفريقيا ، وإن اختلفوا فى نوعية الطرق التى سلكوها فى عبورهم إلى آسيا . حيث ذهب البعض إلى أن سيناء كانت المنفذ الرئيسى[3] ، وقرر البعض أن باب المندب كان الطريق المؤدى إلى اليمن السعيد، ومنه إلى شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب . غير أنه طبقا لإتجاهات الهجرة يستحيل على المهاجرين ترك طريق وادى النيل بخصوبة أرضه وما يحمله النهر من ماء عذب وغرين يساعد على إزدهار الزراعة ويتجهون فى هجرتهم إلى الجزيرة العربية بصحاريها وفيافيها وقفارها . ولهذا فإن هذا الرأى من وجهة نظرنا ليست له أسانيد يقينية .

(ج) إن مهدهم كان فى المنطقة الواقعة جنوب نهر الفرات . ومنها انتشروا فى الجزيرة العربية والهلال الخصيب ووادى النيل .

(د) إن مهدهم كان فى بادية الشام حتى بلاد نجد فى شمال الجزيرة العربية ومنها تفرقوا فى مختلف الأصقاع .

(ه) إن مهدهم كان جزيرة العرب ، ومنها اتجهوا إلى العراق وسوريا حيث أسسوا دولا شهيرة هناك ، كما اتجه البعض إلى مصر عن طريق سيناء وإلى الحبشة والسودان وصعيد مصر عن طريق باب المندب . وقد أشار البعض إلى

---

1 — Breasted , I . The Origins of Civilisation . Reprinted by The Scientific monthly . Nov , 1919 .

2 — Brinton , Cradle of Semites .

(٣) الدكتور أحمد فخرى اليمن ماضيها حاضرها . صفحة ١٦

أن إرتقاء الحضارة الفرعونية وإزدهارها يرجع إلى أول هجرة جماعية من القبائل التى قدمتها شبه الجزيرة العربية. وهى شقيقة للهجرات التى أنشأت الحضارة الآشورية والبابلية . ويشير بعض الأثريين إلى أن بدو الجزيرة العربية قد دخلوا إلى مصر عن طريق الصحراء الشرقية ووصلوا إلى النيل عن طريق الدرب الموصل بين القصير والنيل . وقد بقيت لهذا الدرب مكانة خاصة فى جميع عصور التاريخ المصرى القديم وكان هذا الدرب يشتهر باسم « طريق الآلهة » إشارة إلى مجيء بعض أسلافهم ومعهم آلهتهم عن هذا الطريق . ويضيف إلى ذلك قوله بأنه ما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية (ومنها الشعب العربى) فى عصر ما قبل التاريخ ،قد تركت آثارها فى اللغة المصرية القديمة، سواء فى مفرداتها أو فى أجروميتها [1] .

والرأى الأخير يلقى إجماع غالبية العلماء والباحثين ، لاسيما وأن العرب خرجوا من جزيرتهم فى صدر الإسلام فى موجات متتابعة إلى قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا الأمر الذى يؤكد ذلك الرأى .

الأصول السلالية للسكان العرب .

يقسم الأنثربولوجيون سكان العالم إلى ثلاث مجموعات جنسية كبرى على النحو التالى :

١ ـ مجموعة الأجناس القوقازية Homo Caucasicus

وتتكون هذه المجموعة من أربعة أجناس هى :

(ا) الجنس النردى (ب) الجنس الألبى

(ج) جنس بحر أبيض متوسط (د) جنس الهندوس

---

(١) الدكتور احمد فخرى : تاريخ الشرق القديم ، الذى طبع ضمن «دراسات فى العالم العربى » صفحة ٨٣

٢ - مجموعة الاجناس المغولية Honm Mongolicus

وتنقسم مجموعة الأجناس المغولية إلى ثلاثة شعب هى :

(ا) المغول الأصليون بشرق آسيا .

(ب) مغول الملايو بجزر الهند الشرقية .

(ج) الهنود الحمر بأمريكا .

٣ - مجموعة الاجناس الزنجية Homo Aethiopicus

وتضم مجموعة الأجناس الزنجية شعبتين رئيستين هما :

(ا) الزنوج فى أفريقيا وبابوا (غانا الجديدة) وميلانيزيا .

(ب) الأقزام .

فإلى أى من هذه الأجناس ترجع الأصول السلالية للسكان العرب ؟ ينتمى السكان العرب فى جزء كبير منهم إلى جنس البحر الأبيض المتوسط الذى يعيش طبقا لرأى الأنثربولوجيين حول البحر الأبيض المتوسط فى أوروبا وآسيا وأفريقيا . فقد كان يسود كل تلك الجهات الساحلية ويسيطر عليها ، ومن صفاته العامة الشعر المموج والبشرة التى تتراوح بين البياض والسمرة . أما الرأس ففيها الطويل والمتوسط والعريض والفك غير بارزة Orthognathous وعظام الخدين غير بارزة والأنف ضيقة والعين مستقيمة والأسنان صغيرة ، والقامة تتراوح بين المتوسط وفوق المتوسط[1] .

على حين أن المؤرخين أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون يذهبون إلى أن « نوحا » قد أنجب ثلاثة أولاد وهم سام Shem وحام ويافث ، وأن « سام » هو أب العرب و « يافث » أب الروم و « حام » أب الحبش والزنوج . وفى أقوال أخرى أن سام أب العرب والفرس والروم وأن يافث أب الترك والصقالبة ، وحام أب القبط والسودان والبربر[2] .

ومعنى ذلك أن العرب ينتمون فى الغالب إلى سلالة « سام » غير أن صفة

(١) الدكتور رزقانة : الانثربولوجيا . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ صفحات ٧١ - ٥٧

(٢) مقدمة ابن خلدون والجزء الأول من تاريخه .

« العرب » كانت تطلق على سكان الجزيرة العربية . والوطن العربى فى الوقت الحالى بالإضافة إلى الجزيرة العربية يشمل شمال وشرق أفريقيا ومنطقة الهلال الخصيب والشام . وطبقا لرأى ابن خلدون فإنه يمكننا القول أن الوطن العربى يشمل سلالة سام فى الجزيرة العربية وسلالة يافث على الشاطىء الجنوبى والشرقى للبحر الأبيض المتوسط وسلالة حام فى السودان والصومال وموريتانيا .

هذا وفى أواخر القرن الثامن عشر أوضح علماء اللغات والأجناس البشرية وعلى رأسهم العالم النمسوى (شلوزر) Schlozer أن العرب القدماء ينتمون إلى ما يعرف بالجنس السامى Semetic race وإستندوا فى ذلك إلى ما لوحظ من أوجه الشبه بين اللغات البابلية والآشورية والفينيقية والكنعانية والآرامية والعربية والحبشية والقبطية ولغات أخرى سادت فى منطقة الشرق الأدنى فى العصور القديمة . وخرجوا من هذا التشابه اللغوى الذى يدل فى كثير من مظاهره على تشابه التفكير والعقلية إلى أن الشعوب التى كانت تتحدث بهذه اللغات ترجع إلى أصل واحد أطلقوا عليه اسم الأصل السامى نسبة إلى سام بن نوح الذى ورد اسمه فى التوراة (سفر التكوين الإصحاح العاشر).

وعلى ذلك فإن الأصول السلالية للسكان العرب ترجع إلى مصدرين هما :

١ — العرب البائدة وهم الذين عاشوا وبادوا قبل الإسلام ولم يبق من آثارهم من شىء سوى ما جاء فى القرآن الكريم وفى الأخبار العربية عنهم . ومن أهمهم قبائل عاد وثمود وطسم وجديس الأولى .

٢ — العرب الباقية وهم قسمان :

(ا) العرب العاربة، أى العرب الخلص ، وهم القحطانيون من سكان اليمن وجنوب شبه جزيرة العرب . والقحطانيون ينسبون إلى قحطان بن عامر الذى ورد ذكره .

فى التوراة . وهو من نسل نوح ، ويقال أنه كان له ولد يدعى «يعرب» وأن يعربا هذا هو أول من اتخذ من اللغة العربية لسانا ، ومن هنا أطلق بعض العلماء على القحطانيين اسم العرب العاربة .

ب – والعرب المستعربة ، أى الذين تناسلوا من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل الذى أسكنه والده مع أمه بوادى غير زرع عند بيت الله المكرم فى منطقة الحجاز ثم تزوج من قبيلة « جرهم » القحطانية وعاش بمكة وتعلم اللغة العربية منهم ، ونقلها إلى ذريته . ومن ذريته عدنان جد العرب المستعربة ، وإليه ينتهى نسب الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد تكاثر العدنانيون وانتشروا فى الجزيرة العربية ، وسكنوا مختلف أقطارها بمختلف قبائلهم وبطونهم وأفخاذهم . وعلاوة على ذلك يفرق المؤرخون بين عرب الجزيرة العربية ، فيقسمونهم إلى قسمين آخرين أيضا هما :

ا – عرب الشمال الذين استوطنوا الحجاز ونجد وأواسط بلاد العرب وهم من الأعراب وكانت منازلهم من الخيام المصنوعة من أوبار الأنعام ، وكانوا يتكلمون اللغة العربية وهى لغة القرآن الكريم .

ب – عرب الجنوب وهم الذين استوطنوا اليمن وحضرموت وكانت لغتهم هى السبأية أو الحميرية وهى لغة عربية أيضا لا تزال بعض نصوصها باقية بالخط المسند ، وكانت هذه اللغة تختلف من حيث القواعد والبناء مع اللغات العربية الأخرى السائدة فى الشمال ، وكانت كلتاهما فى نفس الوقت تصارع الأخرى من أجل الحصول على زعامة الحركة الفكرية فى شبه الجزيرة العربية من خلال الأعياد القومية المشتركة التى كانت تقام فى شكل (أسواق) يشترك فيها القحطانيون والعدنانيون ، وفى النهاية إنتصرت اللغة العربية الشمالية نتيجة إنهيار سد مأرب فى اليمن وإنتقال زمام التجارة إلى الشمال وهجرة سكان الجنوب إلى الشمال أيضا[١]

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ صفحة ١٩٣

ويلاحظ أن هذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم السابق لسكان الجزيرة العربية من حيث كونهم عدنانيين وقحطانيين .

هذا وكان لعرب الجزيرة علاقات تجارية مع المصريين لحاجتهم إلى البخور واللبان وغيرهما من منتجات الجزيرة العربية مما يستخدم فى تعطير المعابد وفى تحنيط الموتى . وكذلك كانت لهم علاقات تجارية مع الهند وفارس وبلاد الروم ومع السومريين وبعض الأقطار الأفريقية ، كما كانت لهم حروب مع الآشوريين الذين رغبوا فى إخضاع العرب لسيطرتهم .

ويبدو أن سكان الجزيرة العربية قد تكاثروا بشكل ملحوظ ، أو أن الجفاف الذى ساد هناك جعل بعض العرب يهاجرون إلى مناطق الجنوب والغرب والشرق والشمال ومن أشهر هذه الهجرات خمس موجات هى :

(ا) الموجة الأولى من المهاجرين العرب ، حيث كانت هجرة البابليين إلى العراق سنة ٣٥٠٠ ق . م وإستيطانهم لمنطقة حوض الفرات ، وقد هاجر بعضها فى عهد الأسرات الفرعونية الست الأولى إلى وادى النيل ، واختلطوا بالسكان الأصليين الذين كانوا يتشكلون من جنس البحر الأبيض المتوسط ومن الجانس الأفريقى ، وأمتزجوا شيئا فشيئا ، وبالتالى لابد وأنهم أنجبوا سلالة مهجنة ، تلك التى قادت موكب الحضارة فى عصر الأسرات الست الأولى.

وهـــذه الهجرات القادمة من شبه الجزيرة العربية حيث تكاد تجمع الكتابات العربية على أن مرجع تلك الهجرات وإنتشارها شمالا فى بلاد الحجاز ثم إنتقالها إلى المناطق الخصيبة فى العراق والشام ووادى النيل يرجع إلى إنهيار سد مأرب واتجاه المناخ نحو الجفاف هناك .

(ب) الموجة الثانية من المهاجرين العرب وكانت سنة ٢٥٠٠ ق . م وكانت تتألف من الفينيقيين والكنعانيين الذين استقروا فى بلاد الشام وفلسطين ومنها هاجر البعض إلى وادى النيل .

(ﺟ) الموجة الثالثة من المهاجرين العرب وكانت سنة ١٥٠٠ ق . م حيث وقعت هجرة العبرانيين من أرض الفرات إلى أرض كنعان فى فلسطين وهم من سلالة الموجة الأولى من المهاجرين .

(د) الموجـــة الرابعة من المهاجرين وكانت سنة ٥٠٠ ق . م وكانت تتألف من الأنباط الذين أسسوا دولة لهم فى الشام .

(ﻫ) الموجة الخامسة وهى أعظمها جميعا وكانت فى أوائل القرن الأول الهجرى أى فى أوائل القرن السابع الميلادى ، حيث خرج العرب حاملين لواء الإسلام ورسالته إلى آسيا وأوربا وأفريقية والقبائل التى هاجرت من اليمن إلى مصر هى قبائل (قضاعه الحميرية) . وبعض بطونها نزلت سيناء وسارت إلى الفرما إلى الشرق من الحدود المصرية الآسيوية ومن أهمها بطون تنوخ ، سليم ، بلى[١] ومن القبائل الكهلانية أيضا قبائل : طىء ، بنو مرة . والبطون التى تفرعت عن طىء هى : جزام ، لخم ، وكانت منازل وجدام حول «إيلة» ومن بقاياها الآن بنو عقبة الذين ينتسب إليهم عرب الحويطات حول خليج العقبة والذين كانوا يشرفون على الطريق من مصر إلى خليج العقبة . ومن قبائل كهلان بطون آل ربيعة وسنبس والثعالبة وبنو صخر .

ويقال إن كثيرا من أفراد قبائل طلحة ، جعفر ، جهينة ، لخم ، جذام ، شيبان ، طىء ، ومخزوم الذين عرضنا لاستقرارهم فى أرض مصر فى الفصل السابق ، يقال إنهم نزحوا خارج حدودها أثناء سيطرة المماليك على الحكم فى مصر ورفضهم تسيد هؤلاء المماليك عليهم ، حيث عاد بعضهم إلى مواطنهم الأصلية وبعضهم إلى مناطق أخرى من الوطن العربى الكبير . ومن بقى منهم فى مصر تدرجوا فى تكيفهم للبيئة الاجتماعية المصرية حتى استوعبتهم من جانب وتمثلوها هم من جانب آخر بحيث لم تعد توجد فروق اجتماعية أو سلالية بينهم وبين المصريين وذلك عن طريق تصاهرهم معا . وبعبارة موجزة . قد ذاب العرب فى المصريين نهائياً مثل غيرهم من الأجناس المختلفة التى ذابت فى الشعب المصرى.

---

(١) ابن خلدون : ديوان العبر . . الجزء الثانى ، طبعة بولاق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

والخلاصة أن العرب هم آخر من بقى من الساميين ، بل هم خير مثال لهم ، ولغتهم العربية هى أوسع اللغات السامية وأرقاها[1] . وهى خــــير دليل يستدل به على أصالة سلالة العرب السامية .

ويحدد الجغرافيون طرق أو منافذ هجرة القبائل العربية إلى مختلف أجزاء الوطن العربى فى العصور التاريخية المتعاقبة، لاسيما إذا أخذنا فى الاعتبار موقع شبه الجزيرة العربية فى جنوب غرب آسيا ، وملاصقتها للقارة الافريقية بواسطة صحراء سيناء . وقربها من الساحل الشرقى حيث مضيق باب المندب الذى لايزيد اتساعه عن ١٦ ميل . ومن ثم كانت الهجرات تتخذ طريقا شماليا شرقيا إلى أرض العراق أو شماليا غربيا إلى أرض الشام مثــــل هجرات الكنعانيين والنبطيين والقبائل الإسماعيلية التى تحدثنا عنها من قبل . وكانت هناك منافذ للهجرة العربية عن طريق سيناء متخذة مجموعة الطرق الشمالية التى تصل بين بلاد الشام ووادى النيل ، أو تلك الطرق الوسطى التى كانت تربط بين بلاد النبط القديمة وشمال بلاد العرب ، أو تلك الطرق التى كانت تمر بها قوافل الحجاج الآتية من مصر وشمال أفريقيا مارة بالمنطقة الجبلية لخليج العقبة إلى مكة. وكذلك مجموعة الطرق الكائنة فى شرق أفريقيا والتى سلكتها السلالات العربية وتدفقت منها إلى أفريقيا عابرة طريق باب المندب . وبعض هذه الهجرات إتجهت إلى الجنوب حيث إستقرت فى بلاد الصومال والجالات وهاجر بعضها - مرة أخرى - شمالا إلى سهول ارتيريا (الحبشة) واستقر البعض فى الاقليم الواقع بين النيل والبحر الأحمر . واتجه - كذلك - كثير من العناصر العربية نحو النيل مارين ببلاد النوبة إلى أرض مصر . وبجوار

---

(١) الاستاذ ناجى معروف : أصالة الحضـــارة العربية . الطبعة الثانية ، مطبعة التضامن : بغداد ١٩٦٩ صفحات ٧٣ — ٧٥

هؤلاء اتجهت بعض أفواج المهاجرين إلى مصر مباشرة سالكين الصحراء الشرقية من الجنوب إلى الشمال[1] .

هذا ويذهب بعض علماء الانثربولوجيا إلى تأكيد وجود سمات بدنية متشابهة بين المصريين القدماء وبين قبائل البجة التى تنتمى إلى القبائل العربية القديمة . ويستندوا فى ذلك إلى استعانة الفراعنة بالبجة فى شئونهم الحربية ، حيث عاونت هذه القبائل بنى الأول على إخضاع ثورة القبائل الفلسطينية وكذلك على طرد الهكسوس من مصر . ومن ثم كان هناك امتزاج بين الشعب المصرى وهذه القبائل ذات الأصل العربى .

واتجه مؤشر الهجرة العربية إلى منطقة جنوب وادى النيل فقد هاجرت أفواج عديدة من اليمن إلى بلاد أعالى النيل الأزرق والعطبرة وبلاد ارتيريا وسواحل السودان الشرقية ، الأمر الذى كان له أثره الواضح فى التكوين الاثنولوجى لهذه المناطق التى تقع على الضفة المقابلة لمنطقة اليمن على جانبى البحر الأحمر .

على أن موجات المهاجرين إلى أفريقيا كانت فى الغالب تسلك برزخ السويس ، ثم تتجه جنوبا إلى السودان وشمالا إلى مصر ، الأمر الذى يؤكد الروابط الاثنولوجية بين سكان مصر والسودان من حيث الخصائص البدنية وهى واضحة لكل ذى عينين ولاشك بين أبناء صعيد مصر وشمال السودان ، سواء فى ذلك ماحدث فى العصر الفرعونى القديم أو فى العصر الرومانى أو فى العهد الإسلامى ومن هذه الهجرات إتجه بعضها إلى شمال غرب أفريقيا مارة بليبيا وتونس والجزائر إلى المغرب ، ومن هؤلاء ماعبر مضيق جبل طارق إلى الاندلس « أسبانيا » .

والخلاصة أن سكان الدول العربية الأعضاء فى جامعة الدول العربية فى

---

(١) الدكتور سليمان حزين : مقال عن سكان مصر ودراسة تاريخهم الجنسى فى المجلة التاريخية أكتوبر ١٩٣٨

الوقت الحالى ينتمون — إذا أخذنا بوجهة نظر علماء الأجناس والانثربولوجيا والتاريخ ، وإذا أخذنا قبل ذلك بما جاء فى الكتب المقدسة — ينتمون إلى جنس البحر الأبيض المتوسط بصفة رئيسية وهم الذين استوطنوا كل شواطىء البحر الأبيض المتوسط فى آسيا وأفريقيا وانتشروا فى الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال أفريقيا ، ثم إلى الجنس الزنجى الذى عاش فى غرب ووسط وشرق أفريقيا ، وإلى جنس الهندوس ، أى أنهم مزيج من مجموعة الأجناس القوقازية (بحر أبيض وهندوس) بصفة رئيسية ومن مجموعة الأجناس الزنجية (زنوج أفريقيا) بصفة ثانوية .

وبالإضافة إلى ذلك فقد تعرضت هذه المنطقة لما تعرضت له مصر من هجرات سكانية وفدت إليها مع كل أنواع الغزو التى لا نهاية لها والتى تعرضت له المنطقة العربية منذ عشرات القرون وعلى إتساع مساحة المنطقة العربية التى تمتد من المحيط الأطلسى غربا ، إلى الخليج العربى (الفارسى) شرقا إلى جبال طوروس والبحر المتوسط شمالا ، إلى الصحراء الافريقيـــة الكبرى وجبال القمر والمحيط الهندى جنوبا ومما يلاحظ أن هؤلاء المهاجرين قد انخرطوا فى السكان وإمتزجوا بهم عن طريق المصاهرة ، وأصبحوا بحكم الميلاد عربا لهم نفس جنسية العرب وإن كانت الدماء التى تجرى فى عروقهم ليست عربية بالكامل .

الهجرات من - وإلى - الوطن العربى :

هذا وهناك بعض الهجرات من وإلى الوطن العربى ، وسوف نشير إلى أهمها فيما يلى :

أولا : هجرة إلى الوطن العربى :

وتتمثل فى هجرة إبراهيم وبنيه إلى فلسطين ، وهو إبراهيم بن آزر من مواليد بلدة « آرام » فيما بين الرافدين بمملكة بابل ، ثم هاجر فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد وأقام هو ومن معه بوادى كنعان وذلك بنص التوراة

(العهد القديم) وهو كتاب اليهود المقدس الذى كتبة الأحبار بعض وفاة موسى بسنين طويلة . وقد هبط بعضهم أرض (جاشان) وهى المنطقة المثلثة بين الزقازيق والتل الكبير وبلبيس فى محافظة الشرقية أثناء غارة الهكسوس على مصر خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

وعندما أجدبت أرض كنعان (فلسطين) وارتحل يعقوب وأبناؤه الأسباط وأولادهم إلى مصر وعاشوا هناك ٢٣٠ سنة تم طردهم فرعون مصر، تسرب بعضهم بقيادة يوشع إلى فلسطين . إلى أن تم تتويج الملك شاؤل ملكا على فلسطين سنة ١٠٣٠ ق.م . ثم إنقسمت هذه الدولة الاستعمارية إلى مملكتين إحداهما إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة ومملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم . ثم إنهارت هاتان الدويلتان سنة ٩٧٠ ق . م . وتم تشتيت اليهود أو العبرانيين من فلسطين على أيدى الرومان . ومن هنا فقد إنتشر اليهود فى سائر أنحاء المنطقة العربية وكذلك فى مختلف دول العالم ، وإن كانوا قد إنعزلوا كسلالة ترفض التزواج مع غيرها من السلالات غير السامية[١] .

(ب) هجرة وإستقرار أقليات كردية وإرمنية فى شمال شرقى المنطقة العربية وكذلك أقليات بربرية فى شمال أفريقيا وجنوب السودان وهذه الأقليات تمثل ١٢ ٪ من عدد السكان[٢] . وقد احتضن العرب هذه الأقليات ، وهم يعاملون معاملة المواطنين العرب سواء بسواء بإعتبارهم عربا من الأكراد أو الإرمن أو البرابرة .

(ج) هجرة سكان جنوب أوروبا إلى الجزائر ، حيث تعرضت الجزائر لنوع شاذ من الاستعمار الاستيطانى بواسطة سكان فرنسا منذ سنة ١٨٣٠

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى مرجع سابق ص ٢٨٠ — ٢٩٩

2 — Social forces in The Middle East . The Minorities is The Politisal Processes .

وقبل ذلك كانت فرنسا تحتل تونس من سنة ١٨٨١ ومراكش (المغرب) منذ سنة ١٩١١ ولكنها إعتبرت تراب الجزائر إمتدادا للتراب الفرنسى ، أو مايطلق عليه تعبير « الفرنسة الجماعية » وهو أسلوب يرتكز على محاولة إدماج الشعوب المستعمرة فى الكيان الفرنسى ، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ونظمهم ومنظماتهم الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على شعوب تلك المستعمرات من أجل إستيعابها سكانيا بحيث يتحولوا إلى سكان فرنسيين قلبا وقالبا . وقد بدأت عملية فرنسة الجزائر عندما عين المحامى اليهودى الفرنسى أدولف كريميه[١] فى منصب وزير العدل فى فرنسا وأصدر قانونا سنة ١٨٧٠ يقضى بمنح يهود الجزائر – بدون إستثناء ، الجنسية الفرنسية ومايتبعها من إمتيازات لاحد لها، تتيح لهم المساواة بالمستعمرين الفرنسيين فى كل شىء . وقدعارض الرأى العام الجزائرى والفرنسى هذا القانون، وثار من أجله الجزائريون واعتبره الفرنسيون كارثة عليهم فى الجزائر ، بل وثار الجزائريون ضد الوجود الفرنسى فى الجزائر سنة ١٨٧١[٢] واضطرت الحكومة الفرنسية إزاء هذه الثورةو حفاظا على الثروات والاستثمارات الفرنسية الضخمة فى الجزائر ... إلى إصدار قانون فى السادس والعشرين من يونيو ١٨٨٩ يقضى بمنح كل سكان الجزائر الجنسية الفرنسية بمن ترجع جنسياتهم الأصلية إلى الجنسية العربية ، ثم الفرنسية ، ثم الإيطالية ثم المالطية وأخيراً أتباع الديانة اليهودية بمن لاجنسية أصلية لهم. وبذلك أصبحت الجزائر — من الناحية القانونية — جزءاً من فرنسا .

وهذا وقد زاد عـــدد الأوربيين فى الجزائر من ١٥ ألفا سنة ١٨٣٦ إلى ١٨٠ ألفا سنة ١٨٧٢ إلى ٦٣٤ ألفا سنة ١٩٠١ وخلال هذه الفترة التى بلغ تيار الهجرة فيها أشده كان أغلب المهاجرين من اللاجئين وخاصة من سكان

---

1 — **Abolphe Cremieur** .

(٢) دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى . مراجع سابق ص ٣٠٧

مقاطعتى الألزاس واللورين فى أعقاب الحرب السبعينية وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرضت محاصيلهم للبوار فترة طويلة لسوء الأحوال الجوية وإنتشار الآفات . وقد وجد هؤلاء المهاجرون إلى الجزائر من سلطات الإحتلال هناك كل عون وتيسير ، حيث وزعت عليهم أملاك الدولة وجانب كبير من الأوقاف الإسلامية وكذلك أملاك المجاهدين الجزائريين وكانت تبلغ حوالى نصف مليون هكتار، وأيضاً الأراضى المشاع التى تم تحديدها بالقانون الذى صدر فى يوليو ١٨٧٣ وتبلغ ثلاثة أرباع مليون هكتار .

وذلك بالإضافة إلى الأراضى التى تم سلبها بالبطش والإرهاب من أصحابها العرب والتى تم توزيعها بواقع ٢٠٠ هكتار بالمجان على كل أسرة فرنسية مستوطنة فى الجزائر ... إلخ . وقد وصل عدد المهاجرين الفرنسيين الذين إستوطنوا الجزائر إلى ١٫١٠٩٫٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٣ وبذلك صارت أجود الأراضى الجزائرية فى حوزة الأجانب ، ولم يبق مع السكان الجزائريين سوى الأراضى البور والصحارى القاحلة ، حتى أنه فى أوائل الخمسينيات بلغت ملكية المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر نحو ٢٨ ٪ (حوالى ٣ مليون هكتار) من مساحة الأراضى الزراعية (حوالى ١١ مليون هكتار) وكان عددهم لا يتجاوز ١٨ ٪ من مجموع السكان .

وفى مراكش بلغ عدد السكان الأجانب حوالى ٣٥٠ ألف نسمة منهم حوالى ٣١٧ ألف فرنسى من مجموع السكان الذين كان يبلغ عددهم ٩ مليون مغربى سنة ١٩٥١ بينما لم يزد عدد الأجانب فى تونس عن حوالى ٣٠٠ ألف أجنبى من مجموع السكان الذى كان يبلغ يومئذ ٤ مليون نسمة ، بمعنى أن عدد الأجانب يمثل ٧ ٪ من مجموع السكان . وكان نصفهم تقريباً من الفرنسيين والنصف الآخر من الإيطاليين .

هذا وقد أدى تحرر ليبيا وتونس والجزائر وحصول هذه الدول على إستقلالها إلى رحيل الكثيرين من هؤلاء المهاجرين إلى مواطنهم الأصلية ،

على حين أن المهاجرين الذين إغتصبوا قطعة من الوطن العربى ، وأنشأوا عليها دولة لهم وهم المهاجرون اليهود إلى فلسطين لم يرحلوا بعد كما سنرى فى الفقرة التالية .

(د) الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين ، وهى حركة صهيونية استعمارية إستغلت صلة اليهود القديمة بدولة فلسطين التى تحدثنا عنها فى الفقرة (ا) وهى دويلة صغيرة أنشأتها أقلية عبرانية على أرض عربية كنعانية إستمرت من سنة ١٠٣٠ ق . م . إلى سنة ٩٧٠ ق . م . ثم إنهارت وزالت وطرد العبرانيون بواسطة الدولة الرومانية من الأراضى الكنعانية إلى غير رجعة .

غير أنه بعد ١٨ قرن من الزمان أنعشت الحركة الصهيونية أمانى اليهود الروحية فى العودة إلى فلسطين وإحتلالها من جديد . فقد إنتهز المحامى اليهودى الفرنسى أدولف كريميه قضية إختفاء الأب الفرنسسكانى توما من ديره فى دمشق وما أشيع من أن اليهود ذبحوه ليعجنوا بدمه خبز عيد الفصح ، والفتنة التى ترتبت على تلك الإشاعة وتم خلالها الانتقام من اليهود ... انتهز تلك الفرصة ورفع قضية ضد محمد على وساعدته أوروبا واضطر محمد على إلى دفع تعويض له وحضر هذا المحامى إلى مصر ومعه اللورد اليهودى الإنجليزى مونتفيورى والمستشرق اليهودى الفرنسى « سالمون مونك » وتسلموا التعويض فى القاهرة وذهبوا إلى فلسطين وأسسوا هناك أول مستعمرة يهودية فى فلسطين تحت إسم (مقوية إسرائيل) أو (أمل إسرائيل) فى جنوب شرق يافا .

ومنذ ذلك الحين بدأت الهجرات اليهودية غير المشروعة وغير المعلنة من شرق أوروبا بتمويل من يهود غرب أوروبا بقصد استيطان فلسطين . وأثناء وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطانى حصل اليهود على « وعد بالفور » بتمكينهم من إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . وبذلك بدأت المؤسسات اليهودية تنتشر فى فلسطين إلى أن أصبحت دولة داخل الدولة ثم صدر القرار رقم ١٨١ فى ٢٦ / ١١ / ١٩٤٧ بالتوصية بتقسيم فلسطين على أساس ٥٦ ٪ من أراضيها لليهود و٤٢ ٪ للفلسطينيين وجعل مدينة القدس كيانا منفصلا

يخضع لنظام دولى خاص، بالرغم من أن عدد السكان اليهود يومئذ كان ٤٦٨ ألف يهودى والسكان الفلسطينين نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة .

وهذا وقـــد تطور عدد المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين طبقا للجدول التالى :

جدول رقم (٢٩)

بتطور عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين

السنة	عدد اليهود	السنة	عدد اليهود
١٨٨٢	٢٤,٠٠٠	١٩٦١	١,٩٣٢,٤٠٠
١٩١٤	٨٥,٠٠٠	١٩٦٢	٢,٣٤٢,٦٠٠
١٩٤٠	٤٦٧,٥٠٠	١٩٦٧	٢,٣٨٣,٦٠٠
١٩٤٨	٦٤٩,٦٠٠	١٩٦٩	٢,٩١٩,٠٠٠
١٩٥١	١,٤٠٤,٠٠٠	١٩٧٥	٣,٥٠٠,٠٠٠

وبصرف النظر عن شرعية أو عدم شرعية قيام دولة إسرائيل ، وإن كنا نؤكد عدم شرعيتها ، فإن اليهود الذين تم تهجيرهم إلى فلسطين لايرجعون إلى أصل سام بالمرة ، وإنما هم من شرق أوربا ، أى من أصل غير سام ، فهم من أحفاد الخزر وهو شعب عاش بالقرب من البحر الأسود . ودخل جملة فى الديانة اليهودية فى القرنين السابع والثامن الميلادى وعلى رأسهم ملكهم (بولان) ملك مملكة الخزر فى روسيا الجنوبية الشرقية . وهم الذين يطلق عليهم طائفة الاشكيناز الذين يتكلمون لغة البيدش . ولو أخذنا بمنطق الصهيونية فى عودة الأحفاد إلى الأرض التى سكنها الأجداد لخرج الأمريكيون من الولايات المتحدة الأمريكية تاركين إياها للهنود الحمر ، ولخرج الأسبان من بلادهم تاركين إياها للعرب ... إلخ الأمر الذى يتطلب ضرورة إعادة النظر

فى توزيع دول العالم المعاصرة ، وهذا ضرب من المستحيل[١] . أما اليهود الذين عاشوا فترة فى فلسطين قبل الميلاد وهاجروا إلى أوروبا ، فإنهم يعيشون هناك حتى الآن ويرفضون العودة إلى فلسطين لاستقرار حياتهم هناك وإن كان تهجير يهود أوربا الشرقية إلى فلسطين يتم بأموالهم . وأكد تلك الحقيقة الصحفى الفرنسى (ألبير لوندر) سنة ١٩٢٩ حيث أكد أن يهود أوربا الغربية يشجعون يهود أوروبا الشرقية على الهجرة والإقامة فى فلسطين، بينما يرفضون هم الإقامة فى فلسطين[٢] .

(د) هجرة الأسيويين إلى دول إمارات الخليج العربى (الفارسى) حيث هاجر كثير من الهنود والباكستانيون والإيرانيون ... إلى دول وإمارات الخليج العربى وسوف تتناول كشافتهم الديموجرافية فى كل دولة أو إمارة من دول وإمارات الخليج العربى :

ثانيا ـ هجرة من الوطن العربى :

وأهم موجات هذه الهجرة، هى هجرة الشوام إلى الأمريكتين والجزائريين إلى فرنسا وذلك على النحو التالى :

(ا) الهجرة السورية اللبنانية . والتى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان إتجاهها الغالب فى البداية إلى مصر ، ثم يممت وجهها شطر الأمريكتيين، حيت كانت تتاح لها فرصة ممارسة حرفة التجارة التى يتقنها أهل الشام . وهناك سرعان ماحققوا نجاحا كبيرا وكونوا ثروات ضخمة ظهرت آياتها فى شكل مساعدات مالية ضخمة لذويهم فى الوطن الأم .

وقد أدى نجاح الأفواج الأولى من المهاجرين إلى إرتفاع معدل الهجرة فى أوائل القرن العشرين ، حيث كان يهاجر سنويا حوالى ١٥,٠٠٠ مهاجر عربى ، يشكل اللبنانيون ٦٦٪ منهم والسوريون ٣٤٪ وكانت غالبية المهاجرين

(١) دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية .. مرجع سابق ، ص ٣٢٣

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٢

سواء من لبنان أو من سوريا من المسيحيين ، وذلك لإتصالهم بمراكز الثقافة الغربية وإنخراط معظمهم فى المدارس الأجنبية لاسيما وأن معرفة اللغات الأجنبية من أهم العوامل المشجعة على الهجرة والسياحة الدولية .

هذا وكانت غالبية المهاجرين العرب يقصد أمريكا الجنوبية وخاصة البرازيل والأرجنتين ، وتعتبر مدينة برازيليا عاصمة البرازيل من أكبر مراكز المهاجرين العرب فى الخارج ، بالإضافة إلى مدن بوسطن ونيويورك ثم المكسيك حيث يتمركز المهاجرون العرب هناك .

ومنذ أوائل النصف الثانى من القرن العشرين بدأ بعض المصريين وغالبيتهم من المسيحيين المتعلمين على مستوى الاخصائيين (فى الطب والهندسة والزراعة ...) فى الهجرة إلى القارة الأمريكية بحثا عن المال والشهرة والرفاهية ، بصورة تكاد تستنزف كل الخبرات العربية الممتازة .

(ب) هجرة العرب الأفارقة إلى أوروبا ، نتيجة لضيق مجالات العمل والاضطهاد السياسى وعدم الاستمتاع بالحرية . فقد هاجر كثير من المواطنين التوانسة والجزائريين والمغاربة والليبيين إلى فرنسا وإيطاليا واليونان ... وقد ارتفع معدل الهجرة بشكل واضح أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد وانخفض خلال الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ — ١٩٣٥) ثم عاد وارتفع أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

وإلى الآن توجد فى فرنسا جالية جزائرية ضخمة تعمل فى الصناعة الفرنسية وتليها الجالية التونسية ثم المغربية ...إلخ .

وذلك هو الشكل العام لحالة السكان فى الوطن العربى . ولما كنا قد عرضنا فى الفصل السابق لحالة السكان فى مصر . فإننا سوف تعرض هنا بالتفصيل لحالة السكان فى كل دولة عربية .

إجمالى سكان العالم العربى :

والمقصود بالعالم العربى هنا الدول الأعضاء فى الجامعة العربية بما فيها الإمارات

وفلسطين . وهذا وطبقا لآخر الإحصاءات — مع كل التحفظات المترتبة على عدم دقة الإحصاءات فى بعض الدول العربية — فإن سكان العالم العربى فى الوقت الحالى بلغ عددهم ١٤٤,٣١٨,٠٠٠ نسمة وتوزيعهم على الدول العربية كما يلى:

« انظر جدول رقم ٣٠ »

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد السكان فى العالم العربى طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ حوالى ١٤٤,٣١٨,٠٠٠ نسمة ، منهم ٩٨,١١٦,٠٠٠ نسمة فى إفريقيا و ٤٦,٢٠٢,٠٠٠ نسمة فى آسيا ، ومن هذه الأرقام يتضح أن أكثر من ثلثى السكان فى العالم العربى يعيشون فى الدول العربية فى القارة الإفريقية ، وأن أقل من ثلث سكان العالم العربى يقيمون فى الدول العربية الكائنة فى القارة الآسيوية . وفيما يلى سوف نتناول سكان كل دولة عربية بالتفصيل .

أولا : سكان الدول العربية الافريقية :

لقد بلغ عـــدد سكان الدول العربية الإفريقية كما فى الجدول السالف الذكر ٩٨,١١٦,٠٠٠ نسمة موزعين كما يلى :

١ ـ سكان مصر :

وقد عرضنا لسكان مصر بالتفصيل فى الفصل السابق ، حيث تتوافر أدق الإحصاءات والتقديرات والتحليلات الإحصائية .

٢ ـ سكان السودان :

يرجع الأصل السلالى لسكان السودان إلى قسمين رئيسيين هما :

(ا) السودانيون فى الشمال وهم عرب ونوبيون وبجه ونسبتهم ٢٩ ٪ إلى سكان السودان، ويضاف إليهم القبائل المسلمة الأخرى التى تكتب اللغة العربية وتستخدمها فى المدرسة وفى المسجد وفى مختلف المعاملات وهم العرب ١٣ ٪ والبجة ٦ ٪ والنوبيون ٣ ٪ ومجموعهم ٢٢ ٪ إلى سكان السودان .

جدول رقم (٣٠) بعدد سكان العالم العربى طبقاً لتقديرات ١٩٧٥[١]

الدولة	عدد السكان بالالاف		المساحة بالميل المربع	تاريخ الانضمام للجامعة العربية	تاريخ الانضمام للامم المتحدة
	سنة ١٩٧٣	سنة ١٩٧٥			
الامارات العربية	٢٠٣	٢٥٠	٣٧,٠٠٠	١٩٧١/١٢/٦	١٩٧١/١٢/٩
الاردن	٢,٤٦٧	٢,٦٦٠	٦٣,٨٣٢	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/١٤
البحرين	٢٢٤	٢١٦	٢٥٦	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/١١
تونس	٥,٠٢٧	٥,٦٤١	٦٣,٣٧٩	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٦/١١/١٢
الجزائر	١٥,٢٧٠	١٦,٢٧٥	٨٩٦,٥٩٣	١٩٦٢/٨/١٦	١٩٦٢/١٠/٨
السعودية	٨,١٩٩	٨,٦٩٧	٨٦٥,٠٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
السودان	١٦,٤٨٩	١٦,٤٤٩	٩٦٧,٥٠٠	١٩٥٦/١/١٩	١٩٥٦/١١/١٢
سوريا	٦,٦٧٨	٧,١٧٤	٧,٤٩٨	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
الصومال	٢,٩٤١	٢,٩٦٥	٢٤٦,٣٠٠	١٩٧٤/٢/١٤	١٩٦٠/٩/٢٠
العراق	١٠,٠٧٤	١٠,٧٦٥	١٧١,٢٦٧	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/٢١
عمان	٦٩٩	٧٥٠	٨٢,٠٠٠	١٩٧١/٩/٢٩	—
فلسطين المحتلة	—	٣,٢٤٩	٧,٩٩٢	—	--
قطر	٨٤	١٨٠	٤,٤٠٠	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/٢١
الكويت	٩١٤	١,٠٠٠	٩,٣٧٥	١٩٦١/٧/٢٠	١٩٦٣/٥/١٤
لبنان	٢,٩٦٣	٣,١٠٠	٣,٩٥٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
ليبيا	٢,٠٩٤	٢,٢٥٩	٦٧٥,٠٠٠	١٩٥٣/٣/٢٨	١٩٥٥/٢/١٤
مصر	٣٤,٨٣٩	٣٧,٠٠٠	٣٨٦,٩٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
المغرب	١٥,٨٢٥	١٦,٣٠٩	١٧٧,١١٧	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٦/١١/١٢
موريتانيا	١,٢٢٧	١,٢١٨	٣٩٨,٠٠٠	١٩٧٣/١١/٢٦	١٩٦١/١٠/٢٧
اليمن الجنوبى	١,٥١٥	١,٥٩٠	١١١,٠٧٤	١٩٦٧/١٢/١٢	١٩٦٧/١٢/١٤
اليمن الشمالى	٦,٠٦٢	٦,٤٧١	٧٧,٢٠٠	١٩٤٥/٥/٥	١٩٤٧/٩/٣٠
الجملة	١٣٣,٧٩٤	١٤٤,٣١٨			

(١) بالنسبة لبيانات السكان سنة ١٩٧٣ فهى من الكتاب الاحصائى السنوى للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٥٢ – ١٩٧٣ القاهرة أكتوبر ٧٤ صفحة ٢٧٥ – ٢٧٧ وبالنسبة لبقية الجدول فهى من جريدة الأهرام (خريطة العالم العربى) فى ١٩٧٦/٦/١٩

وبذلك فإن مجموع سكان السودان الذين يتفقون فى الثقافة العربية والدين الإسلامى واللغة السائدة بينهم وهى العربية تصل إلى ٦٦ ٪ من سكان السودان

(ب) السودانيون الجنوبيون الذين يقطنون فى مديريات الجنوب الثلاثة وهم قبائل الدنكا والنوير والنوبا والشيلوك . ويرجع هؤلاء إلى أصل زنجى ويشكلون ٣٠ ٪ من مجموع سكان السودان وثقافتهم غير عربية ، وإن كانت الحكومة تعمل على نشر اللغة العربية والدين الإسلامى بينهم[1] .

ولقد بلغ عدد سكان السودان ١٦,٥ مليون نسمة طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ وكان الاحصاء الأول والأخير الذى أجرى بالعينة — فيما عدا ٦٨ منطقة حضرية تم تعدادها بالفعل — فى السودان سنة ١٩٥٦ مما يؤكد أن عدد السكان يومئذ ١٠,٢٦٢,٥٣٦ نسمة ومن ثم فهو تعداد يشتمل على نسبة لا بأس بها من الخطأ . واحصاءات السكان فى السودان منذ ذلك التاريخ وقبله تقوم على التقديرات لوجود النظام القبلى فى المجتمع السودانى ، فمن القبائل الرحل نجد الهواوير فى المديرية الشمالية وقبائل البقارة فى كردفان ودارفور ، والرعاة البشارون فى إقليم البجة ، والهدندوة فى كثير من جهات كسلا وقبائل الجنوب الوثنية (الآزاندوالدنكا والنوير والأنواك وما إليها وهى تعيش فى مديريتى أعالى النيل وبحر الغزال والمديرية الاستوائية . ولذلك فإن إحصاءات السكان فى السودان تقوم على التقدير باعتباره من الأقطار الرعوية بصفة أساسية ، حيث تهاجر نسبة كبيرة من سكانه فى حركات فصلية طوال العام . فضلا عن أمطاره الغزيرة فى الجنوب والتى تضطر بعض القبائل السودانية إلى الحياة بمعزل عن بعضها البعض الآخر ، الأمر الذى يضاعف من صعوبة تنفيذ الاجراءات الاحصائية ، فضلا عن التخلف النسبى فى وسائل المواصلات ووعورة الطرق البرية والنهرية ، مما يعوق أى محاولة جادة للتعداد الفعلى للسكان فى السودان .

---

(١) الدكتور محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٦ صفحة ٢٠ وما بعدها .

والجدول التالى يبين توزيع كثافة السكان فى السودان سنة ١٩٥٤ على مختلف مديريات السودان .

جدول رقم (٣١) بتوزيع سكان السودان على مختلف المديريات

المديرية	المساحه بالميل المربع	العدد التقريبي للسودان	الكثافة التقريبية للميل المربع
الخرطوم	٨,٠٩٧	٤٨٦,٤٣٠	٦٠ نفس
الشمالية	١٨٤,٢٠٠	٧١٥,٥٤٩	٤ »
كسلا	١٣١,٥٢٨	٧٨٨,٢٣٠	٦ »
دارفور	١٩١,٦٥٠	١,٠٠٥,٥٧٠	٥ »
كردفان	١٤٦,٩٣٠	١,٦٧١,٦٢٦	١١ »
النيل الأزرق	٥٤,٨٨٠	١,٨٤٠,٥٨٢	٣٣ »
أعالى النيل	٩١,١٩٠	٨٥٢,٢١٦	٩ »
بحر الغزال	٨٢,٥٣٠	٧٧٠,٩٦٤	٩ »
الاستوائية	٧٦,٥٩٥	٦٣٢,٨٩١	٨ »
الجملة	٩٦٧,٦٠٠	٨,٧٦٤,٠٤٨	٩ »

توزيع سكان السودان بين الريف والحضر :

تنتشر حياة الحضر فى شمال السودان نتيجة للاحتكاك الحضارى بمصر ، على حين يعيش الجنوب فى حالة من التخلف والبداوة وحياة الرعى بصورة مروعة ، ذلك أن البداوة أصيلة فى السودان ، ماعدا فى مناطق الاستقرار العربية حول نهر النيل من سنار إلى الخرطوم ، وحول النيل الأعظم حتى بلاد النوبة .

وككل مجتمع متخلف وربما آخذ فى النمو مثل السودان ترتفع كل من نسبة المواليد ونسبة الوفيات[1] . وكذلك تمثل نسبة صغار السن (أقل من ١٥ سنة) حوالى ٤٨ ٪ من مجموع السكان ، وهذه الأرقام كلها تقديرية ولا يعول عليها

1 — **Facts about Sodanese . Prepared by Karol , j . Karotki . Ministry of Public Affairs , 1958 , P . 18 FF .**

إحصائيا . هذا ويفتقر السودان إلى السكان ، حيث توجد به مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية الخصبة التى لا تجد من يفلحها ، بينما الزراع المصريون لا يجدون الأرض التى يفلحونها ، الأمر الذى يتطلب ضرورة التكامل السكانى بين دول وادى النيل .

٣ — سكان الصومال :

ترجع الأصول السلالية لسكان الصومال إلى أجناس عربية حبشية زنجية وهى نفس أصول الجنس العربى . وعدد سكانه فى الوقت الحالى يقترب من ثلاثة ملايين . هـذا ولا تتوافر لدينا الآن البيانات الاحصائية السكانية التفصيلية ، لانضمام الصومال إلى الجامعة العربية منذ عهد قريب .

٤ — سكان ليبيا :

يرجع سكان ليبيا من الناحية السلالية إلى جنس البحر الأبيض المتوسط المعروفين بالبربر أو بالعرب المستعربة ، الذين دخلوا فى الإسلام زرافات ووحدانا وتعلموا اللغة العربية ، بالاضافة إلى أحفاد الجنود العرب المسلمين الذين دخلوا ليبيا مع عمرو بن العاص رضى الله عنه فى القرن السابع الميلادى ، وكذلك القبائل العربية التى هاجرت إلى هناك فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وهى قبائل بنى سليم وبنى هلال الذين أقلقوا بال الحكومة المصرية ، فشجعهم الخليفة المستنصر على أن يتجهوا غربا ، وينتزعوا تونس من يد المعز بن باديس ، فسارت جموعهم ، حيث إنتهى المطاف ببنى هلال إلى الاستقرار فى طرابلس وتونس . على حين عاد بنى سليم إلى برقة وإستوطنوها وحافظوا على ما عندهم من عادات وتقاليد عربية . وامتزج ما تبقى منهم مع البربر ، حتى سارت برقة عربية ، بحيث لا يبزها فى عروبتها قطر عربى آخر باستثناء الجزيرة العربية نفسها . وقبائل برقة التى تنتمى إلى بنى سليم والتى تعرف حاليا بقبائل السعديين ، هى صاحبة السيادة على تلك البقاع فى الوقت الحالى وتتصل إليها بصلة القرابة قبائل الجبارنة وهى (عواقير ، معاربة ، عايد ، عرفة)

وكذلك قبائل الحرابي وهي (عبيدات ، حاسه ، فايد ، والبراعصة والمدرسة). هذا ويلاحظ أن قبائل بني سليم وبني هلال أصلا من نجد وهاجرت إلى صعيد مصر ، ثم ارسلتهم مصر — أو تخلصت منهم — إلى ليبيا ولهذه القبائل فروع في مصر .

هذا ولم يعد هناك فارق ثقافي أو لغوي أو حضاري أو غير ذلك بين ليبي وليبي فقد تماثل الجميع في عنصر عربي جديد ، بصرف النظر عن بعض القبائل القليلة العدد التي شجعها الاستعمار البريطاني على الاحتفاظ بثقافتها ولغتها البربرية . ولما كان البربر يتشكلون — كما يرى هيرودوت — من الجنس الإثيوبي في الجنوب والليبي في الشمال ، وقبل العرب إندمج معهم الجنس الفينيقي والإغريقي ، بالاضافة إلى الزنوج ... فإن هذه الأجناس جميعا هي أصل سلالة سكان ليبيا ويرجع الفضل في إندماجهم في سلالة واحدة إلى أن العرب والبربر تنتميان إلى جنس البحر الأبيض المتوسط .

وتنقسم الجمهورية الليبية إلى ثلاث ولايات وهي : برقه في الشرق ويسكنها حوالى ٢٩ ٪ من السكان وطرابلس في الغرب ويتمركز فيها ٦٦ ٪ من السكان ، وفزان في الجنوب الغربي وبها ٥ر٥ ٪ من السكان ، الذين يعيشون على أطراف الواحات . وبالرغم من أن هذه الولاية تشكل ثلث مساحة ليبيا ، فإن عدد السكان فيها محدود بدرجة واضحة .

وفيما يلي جدول بتوزيع السكان في ليبيا على مختلف الولايات حسب الديانة والجنسية والولاية .

جدول رقم (٣٢)

بتوزيع سكان ليبيا حسب الديانة والولاية والجنسية

الولاية	ولاية طرابلس		ولاية برقة		ولاية فزان		جملة سكان ليبيا		المجموع
الديانة	وطنيون	اجانب	وطنيون	اجانب	وطنيون	اجانب	وطنيون	اجانب	العام
مسلمون	٦٦١٩٦٠	١١٣٢	٣١٢٨٩٣	١٠٩٦	٥٩٥٨٣	١٧٨	١٠٣٤٤٣٩	٢٤٠٦	١ ٣٦٨٤٢
مسيحيون	١٨٣	٤٠٥٠١	٣٢٤١	٣١١٣	—	٥١	٣٤٢٤	٤٣٦٦٥	٤٧٠٨٩
يهود	٣٥٤٣	٩٠٦	١٩٣	١٠١	—	—	٣٧٣٦	١٠٠٧	٤٧٤٧
آخرون	—	٩٨	—	٨٨	—	—	—	١٨٦	١٨٦
الجملة	٦٦٥٦٨٦	٤٢٦٣٧	٣١٦٣٢٧	٤٣٩٨	٥٩٥٨٣	٢٢٩	١٠٤١٥٩٦	٤٧٢٦٤	١٠٨٨٨٦٠

ومن هذا الجدول يتضح أن الليبيين يشكلون السواد الأعظم من السكان، وأن غير الوطنيين منهم ٨١ ٪ من الإيطاليين . وقد رحل كثير منهم بعد الاستقلال إلى مواطنهم الأصلية .

هذا وبالرغم من صلاحية التربة الليبية للزراعة ، فإنه ينقصها الماء بالرغم من أن مساحة الأراضى الزراعية الخصبة هناك لا تقل عن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى مصر . ولذلك فإن سكان ليبيا رعويون حتى الآن ، حيث يعيش الشعب الليبي فى الغالب فى صورة قبلية وحوالى ٢٠ ٪ منه يعيشون فى المدن حياة حضرية غير صناعية .

ولأن احصاءات السكان فى ليبيا غير متاحة لدراسة هؤلاء السكان هنا من نواحى المواليد والوفيات وتقسيمهم إلى ريفيين وحضريين ، ومدى انتشار التعلم والأمراض بينهم ونوعيتهم وتصنيفهم إلى ذكور واناث . ولذلك فسوف نتناول هذه الأمور عند إعادة طبع هذا الكتاب عندما تتاح لنا مثل تلك البيانات .

وإذا كان عدد السكان سنة ١٩٧٥ طبقا للجدول رقم (٣٢) قد بلغ نحو ٢٫٢٥٩٫٠٠٠ نسمة بينما كان عددهم سنة ١٩٥٤ نحو ١٫٠٨٨٫٨٦٠ نسمة فإنة يمكن القول بأن السكان فى ليبيا يتضاعفون كل عشرين سنة بسرعة أكثر من سرعة التضاعف المشار إليها فى نظرية مالتس . وقد أكد « هيلمان » أن معدل النمو فى ليبيا يصل إلى ٤ ٪ وهو أعلى معدل للنمو السكانى فى العالم[١]

٥ ـ سكان تونس :

تنقسم تونس إداريا إلى مراقبات مدنية تختلف فى كثافتها السكانية تبعا لاختلاف مظاهر العمران ومستلزماته . وتبلغ هذه الكثافة أقصاها فى مراقبة تونس ، إذ تصل إلى ٢٥٠ نسمة للميل المربع، ثم تأخذ فى الإنخفاض فى مراقبات باجه ، بنزرت حيث لاتتعدى ٨٠ نسمة وتهبط فى مراقبات الجنوب أكثر

1 — Hellman, H. ; The Population Problem . P. ch . 1.

من ذلك فهى فى قابس ٢٠ نسمة وفى الإقليم الصحراوى ٤ نسمات . وتدرج هذه النسب يسير مع تدرج منسوب الأمطار، فحيث تغزر على الساحل يتكاثف السكان ، وحيث تشح فى الداخل يقل عدد السكان . وهذا هو شأن توزيع السكان على الكرة الأرضية .

وبالنسبة لفئات السن بالنسبة لسكان تونس، فالجدول التالى يوضح ذلك.

جدول رقم (٣٣)
بنسب فئات السن لسكان تونس

اقل من ٢٠ سنة	٢٠ — ٦	٦٠ فاكثر	المجموع
٥٠ ٪	٤٠ ٪	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

ومن هذا الجدول يلاحظ ارتفاع معدلات الإعالة شأن كل الدول الآخذة فى النمو .

والجدول التالى يبين تطور أعداد السكان فى تونس .

جدل رقم (٣٤)
بتطور أعداد سكان تونس

السنة	العدد	السنة	العدد
١٨٨١	١,٥٢٠,٠٠٠	١٩٤٦	٣,٢٣٠,٩٥٢
١٩٢١	٢,٠٩٣,٣٩٩	١٩٥٠	٣,٥٠٩,٠٠٠
١٩٢٦	٢,١٥٩,٧٠٨	١٩٥٢	٣,٦٠٠,٠٠٠
١٩٣١	٢,٤١٠,٦٩٢	١٩٦٧	٣,٨٠٠,٠٠٠
١٩٣٦	٢,٦٠٨,٩٥٢	١٩٧٥	٥,٦٤١,٠٠٠

وهذا ويرجع الفضل فى الاهتمام بالإحصاءات السكانية إلى الاستعمار الفرنسى الذى انشأ المصلحة التونسية للاحصاء من أجل هذا الغرض . وكان علماء السكان فى فرنسا يتناولون نتائج هذه الإحصاءات بالتحليل

والدراسة وينشرونها فى مؤلفاتهم عن المغرب العربى . هذا ومنذ الاستقلال بدأ عدد سكان تونس فى التزايد الطبيعى بعيدا عن جرب الإبادة التى كان يشنها الاستعمار ضد الوطنيين .

ولعل معدلات المواليد والوفيات التى لا تتوافر لدينا إحصاءات دقيقة عنها الآن لا تقل عن معدلاتها فى ليبيا أو فى الجزائر لتشابه الثقافة والعادات والأعراف والتقاليد والمستوى الحضارى .

٦ — سكان الجزائر :

يتكاثف السكان فى الجزائر فى المنطقة الشمالية (٧ ٪ من مساحة الجزائر) الغزيرة الأمطار والتى تطل على الساحل ، وعليها يعيش ٨٥ ٪ من مجموع السكان . على حين يعيش فى منطقة السهوب والصحارى حوالى ١٥ ٪ من مجموع السكان والتى تعادل ٩٣ ٪ من المساحة الكلية للجزائر . وهى أكثر الجهات كثافة من الناحية السكانية فى الجزائر :

(ا) مدينة الجزائر العاصمة والمناطق الزراعية المحيطة بها ، والتى كان يتركز فيها المستوطنون الأجانب ، الذين كانوا يملكون الأراضى الزراعية والعقارية والمتاجر وليس للمواطنين الجزائريين أصحاب البلد الحقيقيين سوى العمل فى خدمة هؤلاء المستوطنين وقد أصبحت الجزائر كلها الآن ـ بعد التحرير والاستقلال ـ تحت السيطرة الوطنية .

(ب) منطقة جبال القبائل الكبرى والصغرى . وهى المنطقة التى كانت تسمح لجبهة التحرير الجزائرية بالاحتفاء عن أعين سلطات الاحتلال تمهيدا للانقضاض على قواتها المسلحة .

(حـ) وتنخفض الكثافة السكانية إلى أدنى حد فى منطقة السهوب والصحارى .

وبالنسبة لفئات السن فى الجزائر فالجدول التالى يوضح ذلك :

جدول رقم (٣٥)

بنسب فئات السن لسكان الجزائر

اقل من ٢٠ سنة	٢٠ — ٦٠	٦٠ فأكثر	المجموع
٥٤٪	٤١٪	٥٪	١٠٠٪

ويلاحظ من هذا الجدول إرتفاع معدل الإعالة فى المجتمع الجزائرى ، كما هو الحال فى سائر الدول العربية الأخرى . هذا وقد عنى الاستيطان الفرنسى فى الجزائر بتعدادات السكان. وأنشأ من أجل ذلك دائرة قيد المواليد سنة ١٨٨٢ وقد تطور عدد السكان الجزائريين والمستوطنين الفرنسيين على النحو التالى ، مع ملاحظة هجره كثير من المستوطنين بعد الاستقلال إلى فرنسا .

جدول رقم (٣٦)

بتطور أعداد سكان الجزائر

السنة	العدد	السنة	العدد
١٨٨٦	٣,٨١٧,٣٠٦	١٩٢٦	٦,٠٦٦,٣٨٠
١٨٩١	٤,١٢٤,٧٣٢	١٩٣١	٦,٥٥٣,٤٥١
١٨٩٦	٤,٤٢٩,٤٢١	١٩٣٦	٧,٢٣٤,٦٨٤
١٩٠١	٤,٧٣٩,٢٣١	١٩٤٨	٨,٦٨١,٧٨٥
١٩٠٦	٥,٢٣١,٨٥٠	١٩٥١	٨,٩٢٧,٠٠٠
١٩١١	٥,٥٦٣,٨٢٨	١٩٦٧	١١,٠٢٠,٠٠٠
١٩٢١	٥,٨٠٤,٢٧٥	١٩٧٥	١٦,٢٧٥,٠٠٠

ويلاحظ أن الاستعمار الشاذ الذى تعرض له السكان الجزائريون قد عمل على إبادة الكثيرين من أبناء الشعب الجزائرى عن طريق إستخدام القوات المسلحة والاسلاك الشائكة المكهربة فى كل مكان ... بالإضافة إلى تيسير هجرة الكثيرين وقد تحررت وإستقلت الجزائر، وبدأت تستعيد هويتها العربية من حيث اللغة والثقافة والمستوى الحضارى .

٧ — سكان دولة المغرب :

تنقسم المملكة المغربية إلى سبعة مناطق رئيسية كما فى الجدول الآتى

جدول رقم (٣٧) بكثافة السكان فى مختلف مناطق المغرب

المنطقة	النسبة لمجموع السكان	الكثافة العامة	المنطقة	النسبة لمجموع السكان	الكثافة العامة
الدار البيضاء	٢٧,٧ ٪	٧٥ كم٢	مكناس	٩,١ ٪	٢٠ كم٢
مراكش	٢٤,٨ ٪	٨ كم٢	اغادير	٨,٧ ٪	١٠ كم٢
الرباط	١٢,٠ ٪	٥٥ كم٢	وجده	٤,٣ ٪	اقل من ١٠
فاس	١٢,٥ ٪	٤٠ كم٢			

وتلاحظ كثافة السكان فى الاقاليم الساحلية مثل الدار البيضاء ومراكش والرباط. وتقل تلك الكثافة كلما إتجهنا إلى الداخل فى الاقاليم الجنوبية . حيث لاتكاد تتعدى إثنين فى الكيلو متر المربع ، وبصفة عامة لاتزيد الكثافة السكانية عن عشرة أفراد لكل كيلو متر مربع فى المتوسط .

ولقد أنشئت أول مصلحة مركزية للإحصاءات السكانية فى المغرب سنة ١٩٤٩ وقبل ذلك لم تكن هناك إحصاءات منظمة ودقيقة للسكان ، حيث لايطمأن لأى إحصاء فى ظل الاستعمار . والجدول التالى يبين تطور أعداد السكان فى المغرب .

جدول رقم (٣٨) بتطور أعداد السكان فى المغرب

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٢١	٣,٥٣٣,٧٨٦	١٩٤٧	٧,٦١٧,٢٨٧
١٩٢٦	٤,٨٩٤,١٤٦	١٩٥١	٩,٥٠٠,٠٠٠
١٩٣١	٥,٣٦٤,٨٤٩	١٩٦٧	١٢,٠٠٠,٠٠٠
١٩٣٦	٦,٢٩٥,٢٢٢	١٩٧٥	١٦,٣٠٩,٠٠٠

وبالنسبة لفئات السن فى المغرب فإن الجدول التالى يوضح ذلك .

جدول رقم (٣٩)

بفئات السن لسكان المغرب طبقاً لإحصاءات سنة ١٩٥١

اقل من ٢٠ سنة	من ٢٠ — ٦٠	٦٠ فاكثر	المجموع
٤٠ ٪	٥١ ٪	٩ ٪	١٠٠ ٪

ومن هذا الجدول يلاحظ إرتفاع معدل الإعالة ، شأن كل الدول العربية ، مع ملاحظة عدم وجود بيانات دقيقة متاحة عن معدلات المواليد والوفيات فى المغرب .

٨ - سكان موريتانيا :

يبلغ عدد سكان موريتانيا فى الوقت الحال ١,٢١٧,٣٠٠ نسمة ، ونظراً لحداثه إنضمامها لجامعة الدول العربية ، فإنه لا توجد بيانات إحصائية متاحة عن سكانها .

ثانيا - سكان الدول العربية الاسيوية :

يبلغ عدد سكان الدول الأسيوية طبقاً لتقديرات سنة ١٩٧٥ نحو ٤٦,٢٠٢,٠٠٠ نسمة وتوزيعهم كما يلى :

٤ — سكان المملكة العربية السعودية :

ومن المعروف أن الدولة العربية الوحيدة التى لم تخضع للاستعمار المباشر هى المملكة العربية السعودية .هذا ومن جهة أخرى فإن سوء المواصلات البرية وكثرة الحواجز الجغرافية والصحارى الشاسعة ، بالإضافة إلى عامل التخلخل السكانى وعدم إنتشار التعليم ومعارضة رجال الدين فى إحصاء عدد النساء ... كل ذلك وغيره أدى إلى عدم العناية بالإحصاءات السكانية الدقيقة .

هذا وهناك إحصاءات لسكان بعض المدن السعودية منذ سنة ١٩٣٢ ولكنها كلها للأسباب السابقة غير دقيقة. ونحن ننتظر من النهضة العمرانية والعلمية والاجتماعية التى وضع أسسها المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز أن تؤتى ثمارها

عما قريب ، وتتاح للباحثين الاجتماعيين فرصة دراسة سكان تلك الدولة العربية الناهضة.

وفيما يلى بيان تقديرى بتطور أعداد السكان فى المملكة العربية السعودية.

جدول رقم (٤٠)

بتطور أعداد السكان فى المملكة العربية السعودية

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
١٩٦٧	٧,٠٠٠,٠٠٠	١٩٧٥	٨,٦٩٧,٠٠٠
١٩٧٣	٨,١٩٩,٠٠٠		

وبالنسبة لمساحة المملكة العربية السعودية الفسيحة ، فإنها تمتاز بالتخلخل السكانى لإفتقارها إلى الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة وإلى المصادر المائية الضرورية لهذه الزراعة . ولذلك تتجه فى الوقت الحالى إلى الصناعة ، ولن يمض وقت طويل حتى تصبح دولة صناعية ناهضة .

وبالنسبة لمعدلات المواليد والوفيات فهى مرتفعة مثل بقية الدول العربية وإن كانت لا توجد بين أيدينا البيانات الرسمية الدقيقة التى تؤكد ذلك .

١٠ - سكان اليمن الشمالية :

كانت اليمن تعانى تخلفا مروعا قبل ثورتها الأخيرة ، وفى ظلال التخلف لم تكن هناك إحصاءات للسكان من حيث النمو والخصوبة معدلات المواليد والوفيات وما إلى ذلك .

هذا وهناك إحصاء بعضه عددى وبعضه تقديرى أجرى مؤخراً وكلمة «مؤخراء» هذه وردت كما هى فى المرجع الذى ننقل عنه. وبيان هذا الإحصاء كما يلى :

١ – سكان تم تسجيلهم فى سجلات التعداد	٤,٥١٩,٥٩٣
٢ – سكان فى مناطق لم يجر فيها تعداد	٢٩٣,٥٠٠٠
٣ – سكان لم يشملهم العد لاعتبارات فنية	٢٦٠,٠٠٠
٤ – سكان أناث لم يشملهن العد لاعتبارات اجتماعية	١٦٣,٠٠٠
مجموع السكان داخل الوطن	٥,٢٢٧,٨٩٣
٥ – مجموع المواطنين المتواجدين خارج اليمن ليلة الإسناد الزمنى	١,٢٣٤,٠٠٠
جملة السكان	٦,٤٧١,٨٩٣

هذا وتوزيع سكان اليمن على المحافظات كما يلى :

جدول رقم (٤١)

بتوزيع سكان اليمن على المحافظات

المحافظة	ذكور	أناث	جملة
صنعاء	٣٩٣٨٠٦	٤١٣٤٦٣	٨٠٧٢٦٩
ذمار	٢١٢١٩٨	٢٤٢٩٣٤	٤٥٥١٣٢
آب	٣٧٠٣٤٢	٤١٩١٧٦	٧٨٩٥١٧
تعز	٣٩٧٧٩٤	٤٧٦٠٧٥	٧٨٣٨٦٩
الحديدة	٣٤٢٠٣٩	٣٣٤٦٥٤	٦٧٦٦٩٤
المحويت	٨٠٦٠١	٩٤٠٣٨	١٧٤٦٣٩
حجة	١٩٠١٠١	٢٠٠٢٥١	٣٩٠٣٥٢
مأرب	٢٠٢٧٧	٢٠١٦٩	٤٠٨٩٦
البيضاء	٧٠٨٦٤	٨٦٩٠٠	١٥٧٧٦٤
الجملة	٢١٥٠٤٣٣	٢٣٦٩١٦٠	٤٥١٩٥٩٣

ومن هذا الجدول يتضح أن أكثر المحافظات كثافة بالسكان هى صنعاء وبها ١٩٪ من جملة السكان وأقلها كثافة هى مأرب وبها ١٪ من جملة السكان . ولوحظ أن عدد الإناث فى هذا الجدول يزيد عن عدد الذكور

ولكن الدكتور الشعيبى يؤكد عكس ما جاء بالجدول[1] . ونلاحظ أن عدد السكان داخل الوطن ٥,٢٢٧,٨٩٣ بينما هم فى الجدول السابق ٤,٥١٩,٥٩٣ ومن جهة أخرى فإن وجود ١,٢٣٤,٠٠٠ نسمة خارج الوطن أمر غير منطقى دون إيضاح فهل هم مهاجرون أم طلاب علم أم منفيون ... ؟ تساؤلات تحتاج إلى إيضاح .

١١ – سكان اليمن الجنوبية :

كان إسمها فى ظل الاستعمار محمية عدن وقد نالت الاستقلال فى أواخر سنة ١٩٦٧ ومن هنا لاتوجد إحصاءات سكانية متاحة من حيث النمو والخصوبة ومعدلات المواليد والوفيات وما إلى ذلك .

هذا وقد بلغ عدد سكانها ١,٥٩٠,٠٠٠ نسمة طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥

١٢ – سكان سلطنة عمان :

سلطنة عمان عضو فى جامعة الدول العربية منذ ١٩٧١/٩/٢٩ ولكنها لم تحصل بعد على عضويتها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولقد كانت مسقط وعمان وزنجبار مملكة واحدة سنة ١٨٤٠ وكانت لها علاقات سياسية دبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٣٢ عاما . غير أنها أخضعت للاستعمار فترة طويلة ، بالإضافة إلى الحكم القبـلى الذى ساد فيها فترة طويلة فى ظل السلطان سعيد بن تيمور والد السلطان قابوس السلطان الحالى . ولذلك فقد هاجر الكثيرون من سكان عمان إلى مختلف إمارات الخليج العربى وسائر الدول العربية الأخرى ، ومختلف دول العالم .

هذا وقد كان عدد سكان مسقط (أى مسقط وعمان) ٥٥٠ ألف نسمة سنة ١٩٦١ وأصبح عددهم سنة ١٩٧٥ نحو ٧٥٠,٠٠٠ نسمة . وإن كانت هناك بعض المطبوعات التى تشير إلى أن عدد سكان عمان حوالى ١,٥ مليون نسمة وأن عدد المدارس سنة ١٩٧٠/٦٩ كان ثلاثا وعدد التلاميذ ٩٠٠ وأصبح

---

(١) دكتور محمد مصطفى الشعبينى : اليمن ، الدولة والمجتمع . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٥ صفحة ٤٨ ، ٤٩

سنة ١٩٧٢ فى عهد السلطان الحالى ٨١ مدرسة وعدد التلاميذ ٣٠٩٦٩ تلميذ وتلميذة ، بالإضافة إلى خمس مدارس للبنات[1] . ولكننا نرى أن هذه الأرقام بعيدة عن الدقة ، لا سيما وأن صاحبها كان فى رحلة لهذه البلاد وقام خلالها بجمع هذه المعلومات بصفة شخصية .

١٣ - سكان دولة الامارات العربية المتحدة :

كانت دولة الإمارات العربية تتكون قبل الاتحاد من الإمارات والمشيخات التالية : رأس الخيمة ، أم القوين ، الفجيرة ، عجمان ، الشارقة ، دبى ، وأبوظبى وموضع هذه الدولة على خليج مضيق هرمز من جهة، وعلى خليج عمان من جهة أخرى ، ومن ثم فموقعها مثل - عمان - على المدخل الجنوبى للخليج العربى ، وبالتالى فله استراتيجيته وأهميته .

جدول رقم (٤٢)

بعدد سكان أجزاء دولة الإمارات سنة ١٩٦١

الإمارة	عدد السكان	الإمارة	عدد السكان
رأس الخيمة	٢٠,٠٠٠	الشارقة	٢٠,٠٠٠
أم القوين	٦,٠٠٠	دبى	٨٠,٠٠٠
الفجيرة	٢٠,٠٠٠	أبوظبى	١٨,٠٠٠
عجمان	٥,٠٠٠	الجملة	١٦٩,٠٠٠

وقد ارتفع عدد سكان دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ٢٠٣ ألف سنة ١٩٧٣ وأصبح طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ نحو ٣٥٠ ألف نسمة . هذا ولا تتاح بين أيدينا أية بيانات دقيقة عن معدلات النمو والخصوبة والمواليد والوفيات .. وإن كان المعروف - بحكم التخلف - أنها كلها معدلات مرتفعة.

١ — السناتور عباس سعودى : الخليج الفارسى فى عهد العزة والفخار . من منشورات مؤسسة اطلاعات (إيرانية) أغسطس ١٩٧٣

١٤ ـ سكان دولة قطر :

كانت قطر منذ القدم محطة بين الشرق والغرب ، ولم يصل النفوذ الأجنبي إلى قطر إلا في القرن السادس عشر ، عندما أقام البرتغاليون مستعمرات صغيرة وقلاعا فيها ، ثم أعقب ذلك دخول الأساطيل البريطانية والفرنسية والهولندية إلى مياه الخليج . ومع الوقت فقدت البرتغال سيطرتها سنة ١٦٥٠ ثم سيطرت بريطانيا على المنطقة منذ سنة ١٧٦٦ .

وفي بداية القرن الثامن عشر وفدت إلى قطر من واحة يبرين في السعودية عائلة آل ثاني ، التي تنتمي إلى بني تميم أشهر القبائل في الجزيرة العربية ويعود نسبهم إلى عمر بن معضاد بن مشرف الذي عاش في واحة يبرين الواقعة على بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب غرب قطر في الأراضي السعودية . وهذه العائلة هي التي تحكم دولة قطر في الوقت الحالي . والأصل السلالي لغالبية سكان قطر يرجع إلى هذه العائلة وذوي قرباها .

وفي سنة ١٩١٦ بعد ما طردت القوات البريطانية الحامية التركية من الدوحة وقع الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني إتفاقا مع بريطانيا ، إرتبطت قطر بموجبه بمعاهدة تعاهدية مع بريطانيا ... إلى أن استقلت عنها في ١٩٧١/٩/١٢ حيث إنضمت للجامعة العربية في ١٩٧١/٩/١٦ ثم إلى الأمم المتحدة[1] .

هذا وقد كان عدد سكان قطر سنة ١٩٦١ نحو ١٦٠ ألف نسمة وارتفع إلى ٨٤,٠٠٠ سنة ١٩٧٣ وأصبح طبقا لتقديرات سنة ١٩٧٥ نحو ١٨٠,٠٠٠ نسمة . ومما يبشر بالخير أن دولة قطر تحظى بنهضة عمرانية علمية شاملة سوف تتيح لنا عما قريب الوقوف على معدلات النمو والخصوبة والمواليد والوفيات وإن كان من المعروف أنها كلها معدلات مرتفعة .

---

(١) كتيب صدر عن دولة قطر سنة ١٩٧٣

١٥ — سكان إمارة البحرين :

تتألف البحرين من ٣٣ جزيرة كبيرة وصغيرة ويطل ساحلها الغربى على المملكة العربية السعودية ، وساحلها الشرقى على شبه جزيرة قطر وتبلغ مساحتها ٦٤٠ كيلو متر مربع .

هذا ويرجع الأصل السلالى لسكان البحرين إلى قبائل شبه جزيرة العرب وضفاف الخليج العربى . وقبيلة عتبة أهمها ثم قبائل السادة والدواسر . وقد أكد ذلك الطبرى بقوله إن القبائل العربية هاجرت من الحجاز واليمامة والمناطق المحيطة بالبحر الأحمر إلى جزر الخليج العربى . وأقبلت منهم بعض القبائل إلى البحرين ، وبها جماعة من « الأزد » كانوا قد نزلوا إليها فى دهر عمران ابن عمر من بقايا بنى عامر ، الأمر الذى يؤكد عروبة البحرين منذ فجر التاريخ وينفى المزاعم الفارسية .

هذا وكان عدد سكان البحرين .

سنة ١٩٤٠ نحو ٩١,٠٠٠ نسمة .
وأصبح سنة ١٩٥٠ نحو ١٠٩,٦٥٠ نسمة
وزاد سنة ١٩٥٩ إلى ١٤٣,٢٣٥ نسمة[١]
وآخر تقدير سنة ١٩٧٥ نحو ٢٢٠,٠٠٠ نسمة[٢]

وقد كان توزيع سكان البحرين طبقاً لجنسياتهم على النحو التالى :

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٧١/٩/١٣

(٢) كتيب السناتور عباس سعودى . مرجع سابق صفحة ١١٢

جدول رقم (٤٣)

بتوزيع سكان البحرين سنة ١٩٥٩ حسب الجنسيات

الجنسية	العدد	الجنسية	العدد
بحرينيون	١١٨,٨٣٤	يمنيون	٤٩٢
عمانيون ومسقطيون	٧,٣١٤	قطريون	٢٤٢
هنود	٤,٠٤٣	كويتيون	٥٥
إيرانيون	٤,٢٠٣	بريطانيون	٢,٥١٤
باكستانيون	٢,٢٨٣	جنسيات أوروبية مختلفة	١٦٠
سعوديون	١,٦٠٥	أمريكيون	١٥١
لبنانيون	٠,١٤٤	جنسيات أخرى	١,٠٨١
مصريون	٠,١١٤	الجملة	١٤٣,١٣٥

وفيما يلى نعرض لتقسيم الشعب البحرينى طبقاً لمختلف السلالات السكانية، حيث ينقسم شعب البحرين إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى من سكان البحرين :

العرب وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هى :

(ا) عرب سنيون وهم من إستوطن البحرين .

(ب) عرب سنيون أيضاً ممن هاجروا إلى البحرين من نجد والأحساء وقطر بعد منتصف القرن الثامن عشر سعياً وراء الرزق عن طريق صيد اللؤلؤ والعمل فى التجارة . ومن هؤلاء الأسرة الحاكمة حاليا ، ومن أهم هذه القبائل: عتبة، الدواسر ، السادة ، آل بنى على ، وبنى ياس ... إلخ .

(ج) عرب الهولة وهم من سلالة قبائل بنى كعب ممن سكنوا الساحل الإيرانى والذين هاجروا إلى البحرين بعد إخضاع إقليم عربستان للشاه الإيرانى ومحاولته القضاء على قومية العرب بالاضطهاد والتعذيب .

المجموعة الثانية من سكان البحرين

(د) الشيعة : وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي :

— البحرينيون وهؤلاء يشكلون جزءاً من السكان الأصلين الذين إستوطنوا جزر البحرين فى عصور مختلفة من هؤلاء الذين فروا إليها من الاضطهاد الدينى والسياسى أيام الأمويين والعباسيين ، وبعضهم ترجع إقامته فى البحرين إلى أبعد من ذلك .

— الشيعة وهؤلاء من القطيف والأحساء الذين نزحوا إلى البحرين بعد أن خضعت هذه المناطق لنفوذ الوهابيين فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

— شيعة من إيران وهؤلاء نسبة محدودة ممن استوطنوا البحرين فى ظلال الغزو الإيرانى فى القرن السابع عشر . وعددهم طبقاً للجدول السابق لا يزيد عن ٤٠٣٤ نسمة ، أى أقل من عدد الهنود .

هذا وبالرغم من أن سكان البحرين بنوعيهم يشكلون الأغلبية ١١٨,٧٣٤ وغالبية الأقليات المقيمة فى البحرين من أصل عربى أيضاً وهؤلاء وهؤلاء يعتزون بقوميتهم العربية ... وبالتالى فلا أساس لما يشاع عن ميول قوميه إيرانية .

هذا وفى آخر تعداد لسكان البحرين سنة ١٩٧١ تبين أن عدد السكان ٢١٦,٠٧٨ وإن ٨٢,٥ ٪ بحرينيون وإن ١٧,٥ ٪ أجانب ، الأمر الذى يؤكد الوجه العربى للبحرين على مر العصور ، مما يقضى قضاء مبرماً على الشائعات الفارسية .

والجدول التالى يوضح حقيقة سكان البحرين .

جدول رقم (٤٤)

بعدد سكان البحرين موزعين على مختلف مناطق الدولة[١]

المناطق	عدد الأسر	ذكور	أناث	جملة
المنامة	١٥,٤٩٥	٥٠,٧٩٣	٣٨,٨١٥	٨٩,٦٠٨
جزر المحرق	٧,٦٥٥	٢٦,٢٤١	٢٣,١٤٦	٤٩,٣٨٧
جزر جعفر	٢,٤٧٦	١٠,٠٧٩	٩,٠١٦	١٩,٠٩٥
الشمالية	١,٣٩٩	٥,٣٤٨	٥,٢٦٦	١٠,٦١٤
الغربية	١,٠١٧	٤,٣٦٩	٤,٣٣٤	٨,٧٠٣
الوسطى	٢,١٣٠	٧,٤٧٠	٧,٢٤٢	١٤,٧١٣
سترة	١,٤٥١	٥,٦١٤	٥,٦٢١	١١,٢٣٥
الدفاع	٢,٢٥٨	٦,٧٧٨	٥,٩٣١	١٢,٧٠٩
الجزر الأخرى	٤	١٣١	—	١٣١
الجملة	٣٣,٨٨٥	١١٦,٨٢٤	٩٩,٨٧١	٢١٦,٦٩٥

ولقد كان معدل المواليد والوفيات أثناء إشتغال السكان بالزراعة وصيد اللؤلؤ والتجارة من المعدلات المرتفعة . غير أنه منذ اكتشاف البترول وإقامة مصفاة البحرين التابعة للمملكة العربية السعودية ، أخذت البحرين بتأميم العلاج وبالتعلم المجانى وإقامة المصانع ومحاولة إقامة مجتمع حضرى بحريتى وبذلك بدأ معدل الوفيات فى الانخفاض مع استمرار إرتفاع معدل المواليد ولا بأس فى ذلك ، حيث لا تزال البحرين فى حاجة إلى سكان جدد .

١٦ ـ سكان دولة الكويت :

تقع الكويت فى شمال الخليج الفارسى وعلى ثغر خليج صغير يبلغ ٢٠ ميلا وعرضه خمسة أميال ، ويطل عليها من الساحل المقابل للخليج العربى (الفارسى) كل من مدينتى آبادان وخرمشهر الإيرانيتين . وتبلغ مساحة الكويت

(١) جريدة الأهرام فى ١٣/٩/١٩٧١

١٧٨٥٠ كيلو مترا ومعظم أراضيها صحراوية عدا بعض الواحات فى قلب الصحراء . وهى تخلو نهائيا من المياه العزبة .

وسكان الكويت الأوائل من أصل عربى وقد هاجر إليهم وعاش معهم بعض أبناء الدول العربية الأخرى وإيران . ويرجع تاريخ الكويت الحديث إلى ٢٢٠ سنة خلت ، إلى سنة ١٧٥٦ منذ بداية حكم عائلة الصباح التى عملت على تدعيم استقلال البلاد وإنشاء سور حول مدينة الكويت فى عهد الشيخ سالم مبارك الصباح لصد غزوات المهاجرين إلى الكويت من الدول العربية وإيران[١] .

غير أنه فى عهد الشيخ أحمد جابر الأحمد تم إكتشاف البترول وأنشئت أول شركة بترولية سنة ١٩٤٦ ولم تحقق اكتشافات البترول نتائج ذات بال ولكن فى عهد الشيخ عبد الله السالم الصباح تدفق البترول بغزارة وحصلت الكويت على استقلالها ، وبدأت مسيرة الكويت نحو الرقى والتوسع . فقد كان عدد السكان يومئذ لا يزيد عن ٢٥٠,٠٠٠ نسمة وتطلبت النهضة العمرانية كثيرا من الأيدى العاملة وبالتالى فتحت الكويت أبوابها للأيدى العاملة حيث أصبحت تمتلىء بمختلف الجنسيات العربية وغيرها مثل الفلسطينيين والعراقيين والمصريين والسودانيين واللبنانيين والإيرانيين والباكستانيين وأخيرا الهنود. وقد استثمرت الكويت جهود كل هؤلاء فى تحويل قرية الكويت إلى مدينة حضرية وفى تحويل صحارى الكويت إلى منطقة حضرية صناعية ، وفى إتاحة الفرصة للقبائل الكويتية التى تشكل الكتلة الرئيسية من الشعب الكويتى إلى مواطنين متحضرين . وفيما يلى جدول بسكان الكويت سنة ١٩٦١ .

(١) الدكتور محمود على الدوار : البحرين ودعوى إيران صفحات ١٢ — ١٥

جدول رقم (٤٥)

بسكان الكويت موزعين على القرى والمدن حسب الجنسيات والنوع

المدن والقرى	كويتيون		غير كويتيين		جملة السكان	
	ذكور	جملة	ذكور	جملة	ذكور	جملة
مدينة الكويت	٣٠١٤٢	٥٩٥٧٩	٣٦٧٢٢	٤٤٩٧٢	٦٦٨٦٤	١٠٤٥٥١
ضواحى الكويت	٥٣٧٤	١٠٢١٠	٩٢٣٥	١١١٦٨	١٤٦٠٠	٢١٣٧٨
السالمية	١٢٥٣	٢٥١٧	١١٣٥	١٥٥٨	٢٣٨٨	٤٠٧٥
الرأس والبدع	٤١٤	٨٠٥	٤٩٠	٥٢٩	٩٠٤	١٣٣٤
الفنيطيس	١٩٣	٣٢٧	٤٥٩	٢٦٣	٥٥٢	٦٩٠
الفنطاس	٤٣٧	٦٥٠	٣٦٩	٤١١	٧٠٦	١٠٦١
أبو خليفة	٣٥٩	٦٥٨	١٢٥	١٥٢	٤٨٤	٨١٠
الصحيميل	١٧١٤	٣٣٧٦	٤٢٣١	٥٥٤٧	٥١٦٥	٨٩٢٣
الشعبية	٥١٥	٩٨١	٥٩٥	٨٣٨	١١١٠	١٨١٩
الأحمدى	١٠٣٦	١٦٣٧	٤٠٢١	٥٦٤٣	٧٠٥٧	٧٢٨٠
المقرع	٧٧٥	١٥٠٨	٢٠٠	٢٨٥	٩٧٥	١٧٩٣
العضيلية	٢٩٧	٥٨٩	٢٧	٤٧	٣٢٤	٦٣٦
جليب الشيوخ	٦٤٨	١٢٤٥	١٠٩	١٧٢	٧٥٧	١٤١٧
الفروانية	١٣٣٨	٢٩٦٠	٣٩٧	٥٧١	١٧٣٥	٣٢٦١
أبرق خيطان	٧٩١	١٥٥١	٤٩٤	٦٠٢	١٢٨٥	٣١٥٢
مشرف والمره	٤٢٦	٨٦٧	٦٢	٨٣	٤٨٨	٩٥٠
حول والنفرة	٥١٢٨	١٠٠٥٣	٣٣٨٥	٤٧٣٢	٨٥١٣	١٤٧٨٤
حسيسن البلدية	١٦٨٤	٢٨٥٦	٣٢٣٠	٤٠٢٣	٤٩١٤	٦٨٧٩
الجهره	٩٣٨	١٧٨٩	٥١٤	٦٤٧	١٤٥٣	٢٤٣٦
فيلكا	٨٥٦	١٧٢٥	٥٢٣	٧١٧	١٣٧٩	٢٤٤٢
مناطق متفرقة	٩١٨	١٦٣٤	٤٣٩	٤٨٨	١٣٥٧	٢١٢٢
سكان البادية	٤٠٣٤	٦٣٧٦	٦٢٢٢	٩٣٠٣	١٠٢٦٧	٦٥٦٧٩
جملة السكان	٥٩١٥٤	١١٣٦٢٢	٧٢٩٠٤	٩٢٨٥١	١٣٢٠٥٨	٢٠٦٤٧٣

ومن الجدول السابق يتضح أن جملة سكان الكويت ٢٠٦٤٧٣ نسمة منهم ١٠٤٥٥١ نسمة ، أى حوالى نصف السكان يعيشون فى مدينة الكويت وهؤلاء ينقسمون إلى ٥٩٥٧٩ من الكويتيين و ٤٤٩٧٢ من غير الكويتيين . هذا ويلاحظ أن جملة الأناث فى الكويت هى ٧٤٤١٥ أنثى وهى تعادل تقريبا نصف عدد السكان الذكور وهو ١٣٢٠٥٨ ويرجع ذلك إلى أن الذين هاجروا إلى الكويت للعمل فى شركات البترول وفى المساهمة بقواهم البدنية والعقلية فى النهضة العمرانية الكويتية وغالبيتهم من فلسطين وبقية الدول العربية وإيران وباكستان والهند ... كانوا فى الغالب من الذكور ويؤكد ذلك أن غير الكويتين يعادل ثلاث مرات ونصف عدد الأناث .

هذا وقد بلغ عدد سكان الكويت سنة ١٩٧٥ حوالى مليون نسمة . ويلاحظ أن عدد السكان قد تضاعف عدة مرات . ولكن هذا التضاعف لا يرجع إلى الزيادة الطبيعية ، وإنما يرجع فى الغالب إلى موجات الهجرات المتتالية من الفلسطينين وغيرهم من أبناء الدول العربية وكذلك من إيران وباكستان والهند . . . إلخ وتوفر دولة الكويت مختلف أنواع المدارس والمعاهد والكليات الجامعية لتعليم أبناء الكويت ، بل وأبناء كل دول وأمارات الخليج العربى بالمجان ، كما توفر مختلف أنواع العلاج المجانى لكل سكان الكويت وكذلك لمن يفدون إلى الكويت من مختلف الجنسيات للعمل .

وتشير إحصاءات مكتب الاحصاءات المركزى بوزارة التخطيط بدولة الكويت إلى أن تطور تعدادات السكان فى الكويت كما يلى فى الجدول التالى :

جدول رقم (٤٦)
بتطور تعدادات سكان دولة الكويت (العدد بالألف)

السنة	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥
ذكور	٢٨٦	٤٢٠	٥٤٤
أناث	١٨١	٣١٩	٤٥١
جملة	٤٦٧	٧٣٩	٩٩٥

كما تؤكد تلك الإحصاءات أن معدلات النمو السنوية تبلغ ٦,١٪ وهى نسبة مرتفعة جداً[١] .

وبصفة عامة فإن الكويت تعتبر منطقة حضرية شاذة فى وسط صحراء قاحلة جدباء متخلفة . هذا ولم تتطور بعد بها الأجهزة الإحصائية التى تمكننا من الوقوف على معدلات المواليد والوفيات وسكان البدو والحضر والمهن السائدة وما إلى ذلك من العناصر السكانية التى يهتم علم السكان بدراستها ، والتى نعد بعرضها بالتفصيل فى الطبعة التالية بمشيئة الله .

١٧ — سكان العراق :

بالرغم من التقدم الاجتماعى الذى تحظى به العراق بين الدول العربية الأسيوية فإن إحصاءات السكان بها لم تحظ بالاهتمام المناسب . ويرجع ذلك إلى إنتشار النظام العشائرى وكثرة ترحال البدو وتمرد الأكراد ، ثم إرتياب الأهالى من كل تسجيل حكومى . هذا ويتزايد عدد سكان العراق طبقاً لأول إحصاء قامت به السلطات البريطانية سنة ١٩١٩ ، ١٩٣٤ وما قامت به الحكومة

1 — Kuwait State : Ministry of Planning . Centeral Statistical office . Kuwait Review , 1977 , P. 3.

العراقية بعد ذلك على النحو التالى ، مع ملاحظة أن هذه الاحصاءات لاتشمل — فى الغالب — العشائر والرحالة والمزارعين المتنقلين عبر المناطق التى تسقط بها الأمطار هنا وهناك باستثناء احصاء سنة ١٩٤٧ وما بعدها حيث أنشئت إدارة النفوس وبدأت فى القيام بواجباتها .

جدول رقم (٤٧)

بتطور عدد سكان العراق

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩١٩	٢,٩٠٠,٠٠٠	١٩٥٧	٦,٣٣٩,٠٠٠
١٩٣٤	٢,٩٣٠,٠٠٠	١٩٦٧	٧,٦٠٠,٠٠٠
١٩٤٢	٤,١٤٦,٠٠٠	١٩٧٥	١٠,٧٦٥,٠٠٠
١٩٤٧	٤,٨١٦,١٨٥		

ومن هذا الجدول — إذا سلمنا جدلا بصحة هذه الأرقام — فإنه يمكن القول بأن عدد سكان العراق قد تضاعف أكثر من أربع مرات خلال ٤٠ سنة ، أى منذ سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٧٥ وذلك من معدل النمو الذى يؤكد أن مالتس كان متواضعا فى تقدير معدلات تزايد السكان على أساس المتوالية الهندسية .

ولما كانت العراق تنقسم إلى ١٤ لواء وهى ألوية : الموصل ، السليمانية ، أربيل ، كركوك ، ديالى ، الرمادى ، بغداد ، الكوت ، الحلة ، كربلاء ، الديوانية ، العمارة ، الناصرية ، والبصرة ، فإن سكان العراق موزعين على هذه الألوية كما يلى :

أنظر جدول رقم (٤٨)

وتؤكد إحصاءات الإدارة العامة للنفوس فى العراق أن عدد السكان المسلمين ٦٠٥٧٤٩٢ وعدد المسيحيين ٢٠٦٢٠٦ نسمة وعدد العراقيين اليهود ٤٩٠٦ وعدد العراقيين من أتباع مذهب اليزيد ٥٥٨٨٥ وعدد المعتنقين لمذهب الصائبة ١١٨٢٥ مواطنا . ويبلغ عدد الذين يدينون بديانات أخرى ١٠٣٩

مواطنا[١] . وذلك طبقا لاحصاء سنة ١٩٥٧ ويلاحظ أن غالبية السكان من المسلمين وهو دين الدولة الرسمى .

جدول رقم (٤٨)

بتوزيع سكان العراق على الألوية طبقا لاحصاء ١٩٥٧

الألوية	المركز		الضواحى		الجملة
	ذكو	أناث	ذكور	أناث	
الموصل	١٤٥٩٥٣	١٢٩٥٧٥	٢٣٣٥٠٨	٢٣٠٣١٨	٧٤٩٣٥٤
السليمانية	٤٣٢٤٠	٣٩٧٤٩	١١٩٧٥٤	١١٠٣٤٥	٣١٣٠٨٧
إربيل	٢٨٠٤٨	٣٥٣٨٧	١٠٢٧١٤	١٠٥٤٨٦	٢٨٤٤٩٩
كركوك	٨٢٣١٧	٧٨٠٨٤	١٢٢٩٢٢	١٢٢٨٥٩	٤٠٦٢٦٢
ديالى	٤١٠٤٩	٣٨٧٧٧	١٣٢٦٧٧	١٣١٦٦٢	٣٣٤١٠٥
الرمادى	٣٣٤١٩	٢٢٢٧٥	٩١٠٧٦	٨٧٦٧٦	٢٤٤٤٤٦
بغداد	٤٦٢٠٧	٤٢٨٢١	٢٣٩١٥١	٢٤١٠٠٢	١٣٦٥٩٨١
الكوك	٣٦٢٤٢	٢٦٨٣١	١٠٧١٦٢	١٢٢٤٢٥	٣٠٢٦٦٠
الحلة	٥٥٤٦١	٥٢٦٤٨	١٢٩٨٦٥	١٣٠١٢٨	٣٦٩١٠٢
كربلاء	٨٧٦٦٠	٩٣٩٠٠	٢٢٤٨٨	٢٢٨٠٥	٢٢٦٩٠٨
الديوانية	٦٢٨١٧	٦٥٢٠٢	١٩٣٣١٧	٢٠٧١٥٩	٥٢٩٤٩٩
العمارة	٤٣٩٩٩	٤٣٢٢٣	١٢٥٢٧٩	١٣١٥٤٠	٣٤٤٠٤١
الناصرية	٤٣٣٩	٤٥٥٣٩	١٧٦٤٥٤	٢١٠٠٥٥	٤٧٥٣٨٧
البصرة	١٢٥٤١١	١٣٠٨٨٠	١٣٨٢٦٨	١٤٠٨٠٩	٥٢٥٢٦٧
المجموع	٨٧٥١٦٢	٨٤٤٨٩٢	١٩٥٠٣٤	١٩٩٤٢٧٦	٦٤٨٠٦٩٩
					٧١٤٨٢
					٦٥٥٢١٨١

ويلاحظ بالنسبة للأصل السلالى لسكان العراق أن الثلثين تقريبا من أصل عربى وأن الثلث الأخير من أصل كردى .

(١) جمهورية العراق : وزارة الداخلية، المديرية العامة للنفوس، المجموعة الاحصائية لتسجيل ١٩٥٧ مطبعة التضامن ، بغداد ١٩٦٠ صفحة ٤٤

٨ — سكان سوريا :

يرجع الأصل السلالى لسكان سوريا إلى خليط من جنس بحر أبيض ، ثم الجنس العربى الذى هاجر إليها من الجزيرة العربية . هذا ولم تكن هناك إحصاءات دقيقة لسكان سوريا ، اللهم إلا ما كانت تعده سلطات الانتداب من تقارير حتى سنة١٩٣٩ وكانت قد أجريت محاولة لتعداد السكان سنة ١٩٢٢ وتبين أن عددهم ١,٢٩٨,٣١٩ نسمة غير أن هذا التعداد ، مع ما هو معروف عن انتشار النظام العشائرى ، بالإضافة إلى قبائل البدو وعدم اطمئنان البدو لكل ما تطلبه الحكومة من بيانات ، ومن ثم يخفون الكثير منها ، إما خوفا من الضرائب ، أو خوفا من السخرة وما إلى ذلك .

هذا وقد أجريت محاولة مماثلة سنة ١٩٢٧ وتبين أن عدد السكان فى هذه السنة حوالى ١,٣٢٤,٢٦٠ وكذلك أجريت محاولة ثالثة كانت من أجل تحديد احتياجات التموين والإعاشة للسكان أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفى سنة ١٩٤٦ أجرت الحكومة السورية تعدادا للسكان ، غير أنها عادت وألغت نتائج هذا الإحصاء . ولا تزال احصاءات السكان فى سوريا بعيدة عن الأساليب الدقيقة للاحصاء . هذا وكانت تقديرات سكان سوريا — مع التحفظ — بشأن العوامل السابقة كانت كما يلى :

أنظر جدول رقم (٤٩)

جدول رقم (٤٩)

بتطور عدد سكان سوريا

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٢٢	١,٢٩٨,٣١٩	١٩٥٠	٣,٢٥٢,٦٨٧
١٩٢٧	١,٣٢٤,٣٦٠	١٩٥٢	[١]٣,٤٣٣,٦٢٦
١٩٣٧	٢,٣٦٧,٧٣٤	١٩٦٤	٥,٣٩٩,٠٠٠
١٩٤٠	٢,٦٤٩,٠٥٨	١٩٧٥	[٢]٧,٣٥٥,٠٠٠
١٩٤٤	٢,٩٠١,٣٤٦	١٩٧٦	[٣]٨,٧١٥,٠٣٠
١٩٤٨	٣,٠٩٣,٧٠٣		

هذا وتنطوى محافظات جمهورية سوريا على تسع محافظات وتختلف كثافة السكان من محافظة إلى أخرى نتيجة لعاملين : أولها سقوط الأمطار وثانيهما هو التمركز القبلي حول دين أو عقيدة أو مذهب معا . والجدول التالى طبقا لإحصاء ١٩٥٥ يوضح كثافة السكان بين المحافظات .

جدول رقم (٥٠)

بكثافة سكان محافظات سوريا طبقا لاحصاء ١٩٥٥[٤]

المحافظة	كثافة كم٢	المحافظة	كثافة كم٢
دمشق	٤١,٨	الحسكة (الجزيرة)	١١,١
حمص	٨,٨	دير الزور	٥,٧
حماه	٣٤,٨	السويداء	٢٠,١
اللاذقية	٩٦,٣	درعا (حوران)	٣٦,٨
حلب	٥٠,٥		

(١) الدكتور عزه النص : أحوال السكان فى العالم العربى . مرجع سابق .

(٢) ورقة مقدمة من المهندس محمد خلدون حواجكى لندوة الإسكان الريفى فى الدول العربية من ١٩٧٧/١١/٦ والتى عقدت بالقاهرة .

(٣) جريدة الأخبار فى ١٩٧٧/٤/٥ (٤) المرجع رقم (١) .

ويوضح الجدول السابق التفاوت الشديد فى توزيع السكان على مختلف المحافظات ويرجع ذلك إلى أسلوب الاحتلال الفرنسى فى تشجيع الطائفية على التناحر ليصبح المجتمع شيعا وأحزابا متناحرة ، حتى لا تتوحد الكلمة ويحكم على الاستعمار بالرحيل . ونتيجة لتلك السياسة نجد طائفة السنيين تتجمع فى دمشق وحلب حيث يبلغ من يقطن منهم هناك ما يزيد على المليون فى كل من المدينتين ، بالإضافة إلى الأعداد القليلة فى بقية المحافظات . . . ويتجمع أكبر عدد من طائفة العلويين فى منطقة اللاذقية وهو عدد يكاد يقترب من نصف المليون ، لا سيما وأن هذه المنطقة تمتاز بغزارة الأمطار . على حين أن طائفة الشيعة يتجمع أغلبها فى حلب ، وإن كان عددهم حوالى عشرين ألفا من السكان . . . ويتوطن الاسماعيليون فى حماه . . ويتكتل الدروز فى محافظة السويداء وعددهم حوالى ١٥٠ ألفا من السكان . . . بينما يستقر اليزيديون فى حلب والحسكة وعددهم هنا وهناك لا يزيد عن بضعة آلاف .

ويلاحظ أن غالبية سكان سوريا يدينون بالدين الإسلامى وبجوارهم أعداد قليلة من المسيحيين من أتباع المذاهب التالية : الأرثوذكس والكاثوليك وأتباع كل مذهب من هذين المذهبين ينقسمون إلى: روم وسريان وأرمن . وبجوار هؤلاء يوجد اللاتين والموارنة والبروتستانت والكلدانيون والنساطرة[1] . وغالبية هؤلاء يقيمون فى حلب ومن بقية هؤلاء يتجمع السريان فى الحسكة وحمص ، والروم الكاثوليك فى دمشق والأرمن الكاثوليك واللاتين والموارنة فى حلب . وتعتبر الحسكة مركز النسطوريين وجملة أعداد كل من هذه الطوائف المسيحية لا تزيد عن بضعة آلاف تعد على أصابع اليد الواحدة .

أما فيما يتعلق بمعدلات المواليد والوفيات فى المجتمع السورى كمجتمع آخذ

---

(١) دكتور زيدان عبد الباقى: المرأة بين الدين والمجتمع. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٦ الفصل الرابع ، صفحة ٦٧ وما بعدها .

فى النمو فهى مرتفعة والأرقام المتاحة لنا عن هذه المعدلات تختلف من مصدر إلى آخر بصورة لايمكن الإطمئنان إليها .

ومن البيانات الاحصائية السكانية الملفتة للنظر ماينطوى عليه الجدول التالى:

جدول رقم (٥١)

بعدد النساء لكل ألف رجل فى سوريا

السنة	عدد النساء لكل ألف رجل	السنة	عدد النساء لكل ألف رجل
١٩٣٧	٩٩٧	١٩٤٩	٩٦٣
١٩٤٥	٩٩٢	١٩٥٠	٩٦٣
١٩٤٦	٩٧١	١٩٥١	٩٦٣
١٩٤٧	٩٧١	١٩٥٢	٩٥٩
١٩٤٨	٩٦٨	١٩٥٣	٩٥٩

ويبين هذا الجدول أن عدد الأناث فى تناقص مستمر من سنة إلى أخرى، بينما الأمر كان ينبغى أن يكون على عكس ذلك ، على اعتبار أن أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى كان بمثابة العصر الذهبى للهجرة من الشام إلى الأمريكتين وأوربا . والمعروف أن المهاجرين ـ طبقا للقاعدة الاجتماعية ـ من الذكور . وبالتالى كان ينبغى زيادة الأناث على الذكور فى تلك المنطقة ، أو على الأقل حدوث نوع من التوازن بين النوعين بعد توقف تيار الهجرة إلى الخارج ، ولكن المعدل فى إنخفاض، وهو أمر يدعو إلى الدراسة ، للبحث عما إذا كانت البيانات صحيحة أم لا؟ لاسيما وأن المجتمع السورى لم يأخذ بعد بأساليب تنظيم الإنجاب؟...وعما إذا كانت نساء سوريا ينجبن ذكوراً أكثر من الأناث؟.

وتوزيع سكان سوريا على الريف والحضر[1] كما يلى :

---

(١) المهندس محمد خلدون حواجكى ، مرجع سابق .

السنة	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥
ريف	٢,٨٨٠,١٦٥	٣,٥٦٣,٥١٤	٣,٩٥٨,٠٠٠
حضر	١,٦٨٤,٩٥٦	٢,٧٤١,١١٧	٣,٣٩٧,٠٠٠
جملة	٤,٥٦٥,١٢١	٦,٣٠٤,٦٣١	٧,٣٥٥,٠٠٠

أما توزيع السكان إلى ذكور وأناث طبقا لآخر إحصاء أعلنته إدارة الأحوال المدنية بالجمهورية العربية السورية هو :

ذكور	٤,٣٧٥,٣٧٠
أناث	٤,٣٢٩,٦٦٠
جملة	٨,٧١٥,٠٣٠

١٩ – سكان لبنان :

كانت تقديرات سكان لبنان تنشر فى تقارير سلطات الاحتلال الفرنسى ، كما كان الحال فى سوريا . ومنذ سنة ١٩٤٣ أنشئت دائرة الدراسات الاقتصادية والإحصاء وفى سنة ١٩٤٦ أنشئت مصلحة الإحصاء العام . ولكن الاتجاهات السياسية تؤثر فى أعمال هذه المصلحة . ذلك أنه توجد جاليات لبنانية كبيرة فى خارج لبنان (المهجر) وبعضهم لايزال يحتفظ بجنسيته اللبنانية والبعض الآخر إكتسب جنسية البلد الذى يعيش فيه . والحكومة لاترغب فى إجراء أى إحصاء دقيق لأن الدستور اللبنانى الحالى يقضى بأن يكون رئيس الجمهورية مسيحى ورئيس الوزراء مسلم ... إلخ . على أساس أن أغلبية السكان من المسيحيين . بينما يعرف المسلمون أن عددهم قد أصبح يفوق عدد المسيحيين بكثير ويرغبون فى إجراء إحصاء سكانى لتأكيد تلك الحقيقة ولكن الجميع يرفضون الإحصاء على طريقة « دع الفتنة نائمة » وإن كانت قد استيقظت من مارس ١٩٧٥ ولاتزال مشتعلة فى شكل حرب أهلية حتى الآن (نهاية ١٩٧٧) .

هذا وقد تطور عدد سكان لبنان منذ أول وثانى إحصاء أجرى بواسطة سلطات الإنتداب الفرنسى سنتى ١٩٢١ ، ١٩٣٢ على النحو التالى :

جدول رقم (٥٢)
بتطور عدد سكان لبنان

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٢١	٥٦٠,٠٠٠	١٩٦٤	٢,١٥٤,٠٠٠ [١]
١٩٣٢	٧٩٤,٠٠٠	١٩٧٣	٢,٩٦٣,٠٠٠ [٢]
١٩٤٢	١,٠٦٤,٠٠٠	١٩٧٥	٣,١٠٠,٠٠٠
١٩٥٠	١,٢٥٧,٠٠٠		

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد السكان قـــد تضاعف من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٧٥ أى خلال ٢٥ سنة حوالى ثلاث مرات . صحيح أن معدل المواليد والوفيات فى المناطق غير الحضرية فى لبنان مرتفع كما هو الحال بين الدول الآخذة فى النمو ولكن ليس إلى حد التضاعف ثلاث مرات خلال خمسة وعشرين عاما، بالرغم من عدم وجود هجرة واضحة إلى لبنان، اللهم إلا إذا كان هذا التعداد يشمل اللاجئين الفلسطينيين هناك . هذا ومن المنتظر أن ينخفض عدد السكان بصورة حادة نتيجة للحرب الأهلية الدائرة هناك بين المسيحيين بتشجيع من سوريا وبين المسلمين والفلسطنين والتى هى فى هدنة حاليا (نهاية ١٩٧٧) .

٢٠ – سكان الاردن :

تتكون المملكة الأردنية الهاشمية من إمارة شرق الأردن التى تم تأسيسها فى ظل الإنتداب البريطانى سنة ١٩٢١ وهى جزء من ولاية الشام فى العصر العثمانى . . . وكذلك من جزء من فلسطين وهى الضفة الغربية لنهر الأردن وهى جزء من ولاية بيروت وكذلك ولاية القدس بعد ضمها فى أبريل سنة ١٩٤٩ عقب توقيع إتفاقية الهدنة مع إسرائيل . . إلى المملكة الأردنية الهاشمية التى أعلن إستقلالها فى مارس ١٩٤٦ مع تحويلها إلى مملكة فى مايو ١٩٤٦

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء . الكتاب السنوى للاحصاءات العامة القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٩٨

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء . الكتاب الاحصائى السنوى القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٧٨

وبالنسبة لسكانها فقد كانت وزارة المستعمرات فيما بين سنتى ١٩٢١ و١٩٣٨ تقدم تقريراً لمجلس عصبة الأمم ينطوى على بيانات إحصائية عن شرق الأردن وفلسطين . وكان عدد السكان حوالى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة وفى سنة ١٩٥٠ أصدرت دائرة الإحصاءات العامة فى الأردن نشرة إحصائية ، ونفـــذت إحصاءاً فى سنة ١٩٥٢ وتم تنقيحه فى سنة ١٩٥٣ وأكد أن عدد سكان الأدرن ١,٣٢٩,١٧٤ نسمة بما فيهم الفلسطينيون من سكان الضفة الغربية لنهر الأردن .

وفيما يلى جدول بتوزيع سكان الأردن على مختلف ألويته حسب تعداد ١٩٥٣

جدول رقم (٥٣)

بتوزيع السكان على ألوية الأردن سنة ١٩٥٣

اللواء	عدد السكان	النسبة المئوية	اللواء	عدد السكان	النسبة المئوية
عمان	١٩٠,٠٠٠	١٤,٣	نابلس	٣١٥,٢٣٥	٢٣,٧
عجلون	٢١٣,٨٨٠	١٦,١	القدس	٣٠١,٤٠٠	٢٢,٧
البلقاء	٩٢,٨٩٠	٧,٠	الخليل	١٢٥,٦٥٠	٩,٤
الكرك	٦٠,٥٦	٤,٦			
معان	٢٥١,٨٩٠	٢,٢			
جملة الضفة الشرقية	٥٨٦,٨٩٠	٤٤,٢	جملة الضفة الغربية	٤٤٢,٢٥٨	٥٥,٨

ومن هذا الجدول يتضح أن الفلسطينين يشكلون أغلبية سكان الأردن .

وقد يرجع إلى ذلك السبب فيما يعرف بمذبحة أيلول الأسود التى تم فيها تقتيل الكثيرين من الفلسطانيين بمعرفة السلطات الأردنية ومطاردة الباقين إلى سوريا ولبنان ، ثم الاتفاق مع سوريا وإسرائيل[١] بصفة سرية على إبادة بقايا الفلسطينين فى مخياتهم فى لبنان مثل مخيم تل الزعتر سنتى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦

(١) بيان وزارة الخارجية المصرية الذى أذيع يوم ١٩٧٦/٧/٣٠

هذا وقد تطور عدد سكان الأردن على النحو التالى :

جدول رقم (٥٤)

بتطور عدد سكان الأردن والضفة الغربية

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٥٣	١,٢٢٩,١٧٤	١٩٧٢	٢,٤٦٧,٠٠٠ [٢]
١٩٦٠	١,٦٥٨,٣١٣	١٩٧٥	٢,٦٦٠,٠٠٠
١٩٦٤	١,٨٦٤,٠٠٠ [١]		

هذا وبالنسبة لمعدلات المواليد والوفيات فهى من أعلى المعدلات فى العالم كله ، حيث بلغ معدل المواليد فى الأردن ٤,١٪ سنة ١٩٧٥ [٣] وبالنسبة لبقية البيانات السكانية الحديثة فهى غير متوافرة لنا الآن .

٢١ — سكان فلسطين :

لقد أكدنا [٣] أن أرض فلسطين التى تشمل دولة إسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية ومدينة القدس كانت فى فجر التاريخ تعرف باسم «أرض كنعان» وهو اسم القبائل العربية التى كانت أول من إستوطن تلك الأرض . ومن سلالة تلك القبائل العربية ومن سلالة جنس البحر الأبيض المتوسط التى إمتزجت بتلك القبائل يتكون سكان فلسطين .

وفى سنة ١٠٣٠ ق . م هاجر إلى فلسطين بعض العبرانيين وأقاموا دولة أقلية عبرانية تحكم أغلبية فلسطينية إستمرت حوالى ١٢٠ سنة ثم ولت ودالت وإنتهت بعد طرد العبرانيين نهائيا من تلك البلاد بواسطة الرومان مع بقاء الكنعانيين على أرضهم التى تم ضمها إلى الدولة العربية الإسلامية ثم إلى الامبراطورية العثمانية ، إلى أن تم التوقيع على ميثاق عصبة الأمم فى ١٩١٩/٦/١٨

(١ ، ٢) الكتاب السنوى للاحصاء سنتى ١٩٦٦ ، ١٩٧٤ صفحة ٢٩٨ ، ٢٧٨

(٣) دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية ... مرجع سابق صفحة ٣١٨

فى باريس وكان ينطوى على وضع بعض الأقاليم المختلفة تحت الإنتداب البريطانى ومن بينها فلسطين .

وكانت الحركة الصهيونية قد نشطت من أجل إستعمار فلسطين وإنتزاعها من أصحابها وإقامة دولة يهودية عليها ، وتآمرت فى ذلك مع دولة الإنتداب .

ومن أول آيات هذا التآمر مايسمى بوعد بالفور ، ثم تسهيل الهجرات اليهودية الضخمة إلى فلسطين . والجدول التالى يبين أن اليهود لم يكن لهم من ممتلكات الأراضى الفلسطينية مساحة تذكر .

جدول رقم (٥٦)

بتوزيع الأملاك الخاصة فى فلسطين بين الفلسطينين واليهود

سنة ١٩٢٨

المدينة	نسبة أملاك العرب ٪	نسبة أملاك اليهود ٪	المدينة	نسبة أملاك العرب ٪	نسبة أملاك اليهود ٪
صفد	٦٨	١٨	عكا	٨٧	٣
طبرية	٥١	٣٨	الناصرة	٥٢	٣٨
حيفا	٤٢	٣٥	نابلس	٧٦	-
رام الله	٩٩	١	القدس	٨٤	٣
الخليل	٩٦	٠,٥	الرملة	٧٧	١٤
غزه	٧٥	٤	يافا	٤٧	٢٩

ويلاحظ أن الفلسطنيين كانت فى حوزتهم الأراضى الزراعية الخصبة الصالحة للزراعة والمزروعة بواسطتهم بالفعل . بينما كانت الأراضى الصحراوية والقاحلة وغير الصالحة للزراعة فى حوزة اليهود بإعتبارهم دخلاء على السكان ولا يقبلون على العمل فى الزراعة .

وبالرغم من ذلك ، وبالرغم من أن عدد اليهود سنة ١٩٣٨ فى فلسطين

كان لايزيد على ٣٥,٠٠٠ يهودى فقد تم تهجير أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ يهودى من أوروبا الشرقية حتى سنة ١٩٤٨ من أجل إستيطان فلسطين ، ثم تتالت الهجرات على النحو الذى عرضنا له من قبل حتى تم تقسيم فلسطين بقرار الأمم المتحدة ١٨١ فى ١٩٤٧/١١/٢٦ بحيث يعطى ٥٦٪ من أراضى فلسطين لليهود و ٤٢٪ للفلسطينيين مع الإبقاء على مدينة القـــدس ككيان منفصل Corpus separation يخضع لنظام دولى خاص. وهكذا أصبحت الدولة اليهودية التى تم الاعتراف بها عقب إعلان بن جوريون لقيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وكانت المساحة المحددة فى هذا القرار تنطوى على ٧٠٤ آلاف عربى ومعهم ٤٦٨,٠٠٠ يهودى، بينما مابقى من أراضى فلسطين وهو قطاع غزه والضفة الغربية لنهر الأردن والجزء العربى من مدينة القدس يشمل ٧٢٥ ألف عربى وليس معهم يهودى . وأبقت الأمم المتحدة بسعى من اليهود على الأجزاء الباقية من فلسطين بدون إسم لكى تجهز عليها فى الوقت المناسب ، وقد أجهزت عليها بالفعل سنة ١٩٦٧ .

وهذه الأعداد من سكان فلسطين سواء الموجودين منهم فى إسرائيل ويعاملوا معاملة مواطنين من الدرجة الثالثة ، أو الذين طردوا من أرضهم فإن البعض منهم يهاجر بتشجيع من إسرائيل إلى الأمريكتين وأوروبا .على حين أن سكان غزه والضفة الغربية والقدس ظل عددهم فى تزايد لاسيما وأن معدلات المواليد بينهم مرتفعة بشكل واضح . غير أن كثيرا من اللاجئين الفلسطنيين فى لبنان وسوريا ومصر ، بالإضافة إلى الأعداد الضخمة التى هاجرت إلى الكويت والسعودية وبقية دول العالم العربى يستحيل إحصاء عددها .

نقطة سكانية سوداء فى تاريخ الأمم المتحدة :

وإذا كانت ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى تم توقيعه فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ تنطوى على « ... نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا

أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف ، وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية ... ، فإن سكان فلسطين قد تعرضوا لعملية إقتلاع عشوائى من أرضهم ووضعوا فى أماكن أخرى بعيداً عن وطنهم تحت سمع وبصر الأمم المتحدة ، بل — وبكل أسف — بموافقتها مع إحلال عصابات صهيونية من أجناس غير عربية بغير وجه حق أو قانون.

ولذلك فإن المآسى التى تعرض لها سكان فلسطين تعتبر نقطة سوداء فى تاريخ الأمم المتحدة التى أكد مؤسسوها — من جديد — إيمانهم بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .. إلخ ، حيث لم نجد لهذا التأكيد أثرا والشعب الفلسطينى تعرض ويتعرض للتقتيل والتنكيل والذبح وتجريده من ممتلكاته وتفريغ أرضه منه .

والواقع الحالى بالنسبة لسكان فلسطين يؤكد أن مخيمات اللاجئين الحالية فى الأردن ولبنان وسوريا تعج بالشيوخ من الرجال والنساء والأطفال ، بينما الشباب والرجال : إما فى منظمات التحرير الفلسطنيه أو هاجروا إلى الدول العربية للسعى على أرزاقهم ويرسلون ماتجود به نفوسهم إلى ذويهم فى المخيمات ، مع ملاحظة أن من يبلغ سن الرشد أو القدرة على العمل من أطفال المخيمات يهيىء له أقاربه فى مهاجرهم عملا ملائما ، كما أن الذين تتاح لهم فرصة التعليم ومنهم كثيرون هنا فى مصر يتفوقون بصورة واضحة على غيرهم وهؤلاء أيضا يجدون أبواب العمل مفتوحة لهم فى مختلف الدول العربية ، الأمر الذى يجعلنا نتوقع إنتهاء المخيمات كمستوطنات سكنية مؤقته للفلسطنين بعد وفاة كبار السن المقيمين بها وهجرة الشباب من الجنسين مع الرجال والنساء إلى الأماكن التى تتوافر لهم فيها فرصة العمل ، وبالتالى ينقرض الشعب الفلسطينى

من هذه المخيمات ويبقى سكان غزة ووالضفة الغربية والأردن وهؤلاء تعمل إسرائيل على تهويد هويتهم العربية أو إبادتهم حتى تصبح إسرائيل نظيفة كما تقول إسرائيل ، أى نظيفة من العرب .

ومن هنا فإن على السكان العرب أن يعملوا على إعادة الوطن العربى نظيفا ، أى نظيفا من السكان اليهود الذين ينتمون إلى شعب الخزر فى روسيا الشرقية .

٣٣ ـ دولة جيبوتى :

وهى الدولة الجديدة التى حصلت على استقلالها هذا العام ١٩٧٧ ووافقت جامعة الدول العربية على إنضمامها إليها ، ويقدر عدد سكانها بحوالى مليون نسمة .

خاتمة

فى هـذا المؤلف الذى يغطى حوالى أربعمائة صفحـة وينطوى على ٥٥ جدولا إحصائيا سكانيا وعلى أربعـــة أشكال إحصائية سكانية عرضنا لأسس علم السكان. وبدأنا بالتفرقة بين الديموجرافيا وعلم السكان الاجتماعى ووضحنا كيفية نشأة علم السكان وعرفناه وحددنا المفاهيم العلمية التى ينطوى عليها هذا العلم من حيث حجم السكان ، معـدل المواليد ، معدل الوفيات ، والتركيب السكانى وأسس توزيع السكان بين الريف والحضر ، والنمو السكانى وهجرة السكان . . . وذلك من خلال أمثلة تطبيقية عالمية ومحلية .

ثم عرضنا للآراء والأفـكار التى مهدت الطريق لظهور النظريات العلميـة السكانية لاسيما آراء الشعوب القديمة من اليونانيين والرومانيين وغيرهم . . . وللنظريات السكانية الرائدة مثل نظرية مالتس والدعائم والأسس التى قامت عليها والانتقادات التى وجهت إليها . . . وكذلك للنظرية الاقتصادية لدى كل من آدم سميث ودافيد ريكاردو وكارل ماركس والدعائم التى قامت عليها والانتقادات التى وجهت إليها . . . إلخ

ولم نقتصر على مجرد عرض نظريات الآخرين. وإنما عرضنا نظرية جديدة لنا تحت اسم «النظرية الاجتماعية فى السكان أو نظرية الصفر فى النمو السكانى» وأوضحنا مبررات قيام تلك النظرية والدعائم التى قامت عليها من خلال التطبيق على مستوى سكان العالم بصفة عامة وسكان مصر بصفة خاصة ، ونحن فى إنتظار الانتقادات التى توجه إليها لكى نضيفها إلى الطبعة الثانية من هذا الكتاب بعد الرد عليها ، ومن خلالها عرضنا لحركة الهجرة السكانية على مستوى العالم وعلى مستوى المحليات .

ولما كان موضوع تنظيم الإنجاب من الضرورات الاجتماعية السكانية

فى الوقت الحالى لاسيما وأن عدد السكان فى العالم سيتضاعف حوالى سنة ٢٠١٠ فى الوقت الذى يتعرض فيه السكان حاليا لأزمات غذائية فى مناطق كثيرة من العالم ، فقد عرضنا لموضوع تنظيم الأسرة من وجهة نظر الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام وبرهنا على أن الأديان لا تعارض تنظيم الإنجاب وإنما تحرم منع الإنجاب ... وأشفعنا تلك الدراسة النظرية بدراسة أخرى ميدانية أجريت فى أحد أحياء القاهرة تحت إشرافنا ، وحددنا كل الظروف التى تمت فيها تلك الدراسة الميدانية والنتائج التى إنتهت إليها والتى أكدت أن السكان لا يجدون الفرصة الميسرة لتنظيم الإنجاب ، كما أن غالبيتهم يتوهمون أن هـــذا التنظيم يتعارض مع الدين وأوضحنا ضرورة قيام أجهزة تنظيم الأسرة بتوفير كل وسائل وأساليب التنظيم الإنجابى وما يتطلبه من أخصائيين وعيادات تنظيمية ، بالإضافة إلى ضرورة تبصير بعض رجال الدين الذين يحرمون على الناس تنظيم إنجابهم .

وللأهمية القومية والاجتماعية والاقتصادية والإنمائية للسكان فقد عرضنا بالتفصيل للخطة القومية للسكان ولواجبات كل الوزارات والأجهزة والهيئات والأفراد نحو تلك الخطة ... كما عرضنا للاتجـاهات السكانية فى مصر حتى سنة ٢٠٠٠ بعد تحديد السلالات والأجناس التى إنحدر منها المصريون المعاصرون ، وبعد تأكيد انحدار الإنسان من سلالة أبينا آدم عليه السلام وليس من سلالة الحيوانات ذات السلسلة الفقرية العليا كما يتوهم دارون وتلاميذه. وقد إنطوت دراسة الاتجاهات السكانية فى مصر على نمو السكان قديما وحديثا وعلى فئاتهم ومختلف تعداداتهم من سـنة ١٧٩٨ حتى الآن وكذلك لتركيب السكان من ناحية السن ومن الناحية الزواجية ومن ناحية تعدد الزوجات والطلاق ، وعرضنا أيضا لحياة الريف والحضر وللحروب وآثارها فى نمو السكان... إلخ.

ولارتباط سكان مصر بسكان الجزيرة العربية سلاليا فقد عرضنا للمهاد الأولى للسكان العرب فى جزيرة العرب وهجرتهم إلى منطقة الهلال الخصيب

والشام ووادى النيل وإمتزاجهم بجنس البحر الأبيض المتوسط وبالأجناس الزنجية الزاحفةمن أفريقيا ، كما عرضنا بالتفصيل لسكان كل دولة عربية على حدة وحددنا الموقف السكانى لكل دولة عربية فى ضوء الموقف السكانى العالمى .

وإننا لنعتذر عن عدم تكامل الدراسات الاحصائية السكانية لبعض الدول العربية ولعدم حداثة بعض تلك الاحصاءات حيث لم يتيسر لى الحصول على الإحصائيات الحديثة عن هذه الدول. ولقدحاولت مقابلة بعض الملحقين الثقافيين فى بعض السفارات العربية للحصول على تلك البيانات السكانية ، ولكن النظرة التى قوبل بها طلبى لم تكن مشجعةومن ثم فقداعتمدت على المراجع المتاحة وكلها فى الغالب قديمه وغير دقيقة ، كما أن إحصاءات السكان فى كثير من الدول العربية تنقصها الدقة ... والذى يغفر لى أنى على استعداد كامل لتلقى هذه الاحصائيات من كل الدول العربية وتحليلها ومقارنتها ببعضها البعض وعرضها فى الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى القريب العاجل بمشيئة الله وتوفيقه .

والله ولى التوفيق

ملاحق

جامعة الأزهر   بسم الله الرحمن الرحيم

كلية البنات الإسلامية

قسم الدراسات الاجتماعية   « سرى جداً »

إستمارة إستبار

لمسح اجتماعى بالعينة حول موضوع « القيم والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد التى تحكم السلوك الإنجابى لسكان الحى السادس والسابع بمدينة نصر » .

أولا : البيانات الديموجرافية

١ الاسم : ... (الإجابة إختيارية) .

٢ – السن : من١٦ إلى أقل من٢٤ ... من ٢٤ إلى أقل من٣٢ ... من ٣٢ إلى أقل من ٤٨ ... من ٤٨ فأكثر ...

٣ – الديانة : مسلمة ... مسيحية ... يهودية ...

٤ – الحالة التعليمية : أمية ... قراءة وكتابة ... إعدادية ... مؤهل متوسط ... مؤهل فوق المتوسط ... مؤهل عال ... مؤهل فوق العالى ...

٥ – المهنة : ربة بيت ... عاملة عادية ... عاملة فنية ... تاجرة ... موظفة ... اخصائية (يذكر التخصص) ...

٦ – مهنة الزوج : عامل عادى ... عامل فنى ... بائع متجول ... تاجر ... موظف ... بدون عمل ... مهن حرة راقية ... إخصائى (يذكر التخصص) ...

٧ — الحالة التعليمية للزوج : أمى ... يقرأ ويكتب ... إعدادية ...
مؤهل متوسط ... مؤهل فوق المتوسط ...
مؤهل عال ... مؤهل فوق العالى ...

٨ — سن الزوج : من ١٨ إلى أقل من ٢٥ ... ٢٥ إلى أقل من ٣٢ ...
٣٢ إلى أقل من ٣٩ ... ٣٩ إلى أقل من ٤٦ ...
٤٦ إلى أقل من ٥٣ ... ٥٣ إلى أقل من ٦٠ ...
من ٦٠ فأكثر ...

ثانيا : البيانات التفصيلية

٩ — دخل الأسرة بالجنيه : أقل من ٥ جنيه ... من ٥ إلى أقل من ١٠ ...
من ١٠ إلى أقل من ١٥ ... من ١٥ إلى أقل من ٢٠ ...
من ٢٠ إلى أقل من ٢٥ ... من ٢٥ إلى أقل من ٣٠ ...
من ثلاثين جنيها فأكثر ...

١٠ — عدد حجرات المنزل (الصالة تعتبر حجرة) : واحدة ...
إثنتان ... ثلاثة ... أربعة ... خمس حجرات فأكثر ...

١١ — عدد الأبناء : لايوجد ... من ١ إلى ٣ ... من ٤—٦ ...
من ٧—٩ ... ١٠ فأكثر ...

١٢ — هل توافقين على تنظيم أسرتك : موافقة جداً ... موافقه ...
حياد ... لا توافق ... لا توافق بالمرة ...

١٣ — لمن تجيب على السؤال السابق بالإيجاب : متى حاولت تنظيم
أسرتك ؟ قبل الطفل الأول ... بعد الطفل الأول ... بعد الثانى ...
بعد الثالث ... بعد الرابع ... بعد الخامس فأكثر ...

١٤ — لمن تجيب بالنفى على السؤال رقم ١٢ (لماذا لاتوافق على تنظيم
الأسرة ؟) هل : لأسباب اجتماعية ... لأسباب دينية ...

لأن الأبناء مصدر دخل الأسرة ... لأن الأبناء عزوة ... أسباب أخرى (تذكر) ...

١٥ — هل يوافق زوجك على تنظيم الأسرة : موافق جداً ... موافق ... حياد ... لا يوافق ... لا يوافق بالمرة ...

١٦ — ماهى وسيلتك لتنظيم الأسرة؟ العزل ... فترة الأمان ... اللوالب ... الواقى ... الحواجز الرحمية ... المراهم ... الحقن ... أخرى (تذكر) ... الأقراص ...

١٧ — هل تعتقدين أن تنظيم الأسرة يتفق مع الدين؟ يتفق بالكامل ... يتفق ... حياد ... لا يتفق ... لا يتفق بالكامل ...

١٨ — ماهى دوافعك لتنظيم الأسرة؟ اقتصادية ... صحية ... تربوية ... لمجرد التقليد ... حرصا على مظهر الأسرة ...

١٩ — ماهى قيمه كل من؟ إيجار المسكن ... مصاريف الغذاء شهريا ... مصاريف الكساء شهريا ... المكيفات شهريا ... نثريات ... الادخار ...

٢٠ — كيف تنظمى أسرتك؟ تنظيم شخصى ... تحت إشراف مكتب تنظيم الأسرة ... طبيب خاص ...

٢١ — كيف إقتنعت بفكرة تنظيم الأسرة : عن طريق الإذاعة ... التليفزيون ... التعليم ... بتشجيع الزوج ... إحدى الصديقات ... بتوجيهات التنظيم النسائى ...

٢٢ — هل يشجعك زوجك على تنظيم أسرتك : يشجعنى جدا ... يشجعنى ... حياد ... لا يشجعنى ... لا يشجعنى بالمرة ...

٢٣ — متى إقتنعت بفكرة تنظيم الأسرة : قبل الطفل الأول ... بعد الطفل الأول ... بعد الثانى ... بعد الثالث ... بعد الرابع ... بعد الخامس فأكثر ...

٢٤ — متى نفذت فكرة تنظيم الأسرة ؟ قبل الطفل الأول ... بعد الطفل الأول... بعد الثانى... بعد الثالث... بعد الرابع... بعد الخامس فأكثر ...

٢٥ — مارأيك فيمن يقول كل مولود رزقه معاه: كلام معقول جداً ... معقول ... حياد ... غير معقول ... غير معقول بالمرة ...

٢٦ — مارأيك فى وصية بعض الإمهات لبناتهن قبل الزواج « إلحقيه بالعيال » موافقة جدا ... موافقة ... حياد ... لاتوافق ... لاتوافق بالمرة ...

٢٧ — من عارض تنظيمك لاسرتك بعد اقتناعك بالفكرة: لايوجد... الأم... الزوج... الحماة ... أسرة الزوج... الصديقات... دافع شخصى ...

٢٨ — قبل إقتناعك بتنظيم الأسرة، من حاول إقناعك: الأم... الزوج الحماة ... أسرة الزوج ... الصديقات ... دافع شخصى ...

٢٩ — ماهى الأعراض الصحية التى ترتبت على تنظيمك لأسرتك ؟ الدوخة... السمنة... النحافة... النزيف... التوتر العصبى... الصداع ... القيء ... أعراض أخرى (تذكر) ...

٣٠ — ماهى الفترة المناسبة بين كل طفل والآخر؟ : أقل من سنة ... من سنة إلى أقل من ثلاث سنوات ... ٣ سنوات فأكثر ...

٣١ — أثر تنظيم الأسرة على المستوى المعيشى لها: لاشيء... إنخفاض... إرتفاع ...

٣٢ — أثر تنظيم الأسرة على المستوى الصحى لها؛ لاشيء... إنخفاض... إرتفاع ...

٢٣ - هل يساعد تنظيم الأسرة على : استمرار تعليم الأبناء حتى النهاية
استكمال بعض الحاجات المنزلية . . . وجود وقت فراغ يمكن استثماره
إقتصاديا . . .

٣٤ - عدد مرات الولادة : لا يوجد . . . من واحدة إلى ثلاثة . . . من ٤
إلى ٦ . . . من ٧ إلى ٩ . . . من ١٠ فأكثر . . .

٣٥ - هل تعلمى بوجود مركز لتنظيم الأسرة فى الحى : نعم . . . لا . . .

٣٦ - هل تعلمى أن خدمات مركز تنظيم الاسرة بتكاليف رمزية : نعم . . .
لا . . .

٣٧ - رأى الأسرة فى المرحلة التعليمية التى يمكن أن تصل إليها البنت :
الابتدائية . . . الإعدادية . . . الثانوية . . . الجامعية . . . فوق
الجامعية . . .

٣٨ - ماهو رأيك فيمن يقول إن البنت « مسيرها » تتجوز ومفيش داعى
لتعليمها : كلام صح جداً . . . كلام صحيح . . . حياد . . . كلام
خاطىء . . . كلام خاطى جداً . . .

٣٩ - ماهى المشاكل التى دفعتك لتنظيم أسرتك : ضآلة دخل الأسرة . . .
عدم وجود دشغالات فى حالة الزوجة العاملة . . . سوء الحالة الصحية . . .
وجود أمراض وراثية . . . مشاكل أخرى تذكر . . .

٤٠ - تفضل بعض الأسر تعليم الابناء على البنات فهل توافقين على ذلك : أوافق
جداً . . . أوافق . . . حياد . . . لا أوافق . . . لا أوافق بالمرة . . .

٤١ - ماهى الأسباب التى تحول دون مواصلة البنت للتعليم : ضآلة دخل
الأسرة . . . لأن البنت كبرت . . . كفاية نعلم الصبيان . . . الزواج أفضل من
التعليم . . . إشتغال البنات عيب . . . أسباب أخرى (توضح) . . .

٤٢ — إذا ربنا رزقك بولدين تفضلى تولدى لما تجيبى بنت. نعم ... لا ...

٤٣ — إذا ربنا رزقك ببنتين تفضلى تولدى لما تجيبى ولد: نعم ... لا ...

٤٤ — هل تستفيدين من إعانات مكتب تنظيم الأسرة مثل اللبن الجاف أو الدقيق أو غير ذلك ؟ نعم ... لا ...

٤٥ — هل تجدين صعوبة فى الحصول على أقراص تنظيم النسل ؟ دائما ... أحيانا ... نادراً ...

٤٦ — هل تفضلى تزويج إبنتك صغيرة لكى يعودها زوجها على عاداته ، حتى تكون أكثر توافقاً معه ؟ نعم ... لا ...

٤٧ — من أمثال العامة (يرزق الدودة من الحجر) فهل الانسان يرزق مثل الدودة ؟ نعم ... لا ...

٤٨ — هل الأفضل أن يكون فى دخلك مايكفى لمولود جديد قبل إنجابه ؟ نعم ... لا ...

٤٩ — هل تتوقعين زيادة دخل زوجك إذا رزقتما بطفل جديد على أساس المثل العامى الذى يقول « كل فم جديد له رزق جديد » نعم ... لا ...

٥٠ — هل لجأت إلى الاجهاض كوسيلة من وسائل تنظيم الأسرة ؟ نعم ... لا ...

٥١ — هل قام مكتب تنظيم الاسرة بتركيب لولب لك ؟ نعم ... لا ...

٥٢ — ماهو رأيك فى تنظيم الأسرة من كل النواحى ؟ ...

المشرف على المسح الاجتماعى
دكتور زيدان عبد الباقى
أستاذ علم الاجتماع المساعد

الإنتاج العلمى للمؤلف

اولا : المؤلفات (الكتب)

١ – التفكير الاجتماعى ، نشأته وتطوره ، طبعة أولى ١٩٧٢
وطبعة ثانية ١٩٧٤

٢ – دور الشباب فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية .
وزارة الشباب ١٩٧٣

٣ – قواعد البحث الاجتماعى ، طبعة أولى ١٩٧٢ وطبعة ثانية ١٩٧٤

٤ – علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية ، طبعة أولى ١٩٧٤

٥ – علم الاجتماع الريفى والقرى المصرية ، طبعة أولى ١٩٧٤

٦ – وسائل وأساليب الاتصال فى المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية . طبعة أولى ١٩٧٤

٧ – القومية العربية والمجتمع العربى . طبعة أولى ١٩٧٤

٨ – ركائز علم الاجتماع . توزيع دار المعارف بمصر طبعة أولى ١٩٧٥

٩ – أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى ، دراسة مقارنة
توزيع دار المعارف بمصر ، طبعة أولى ١٩٧٦

١٠ – المرأة بين الدين والمجتمع . طبعة أولى ١٩٧٧

١١ – علم الاجتماع المهنى - أو - اجتماعيات العمل، طبعة أولى ١٩٧٨/٧٧

١٢ – أسس علم السكان . طبعة أولى ١٩٧٨

١٣ – العمل والعمال والمهن فى الإسلام . (تحت الطبع)

١٤ – علم الاجتماع الإسلامى . (تحت الطبع)

وتطلب كل هذه المؤلفات من مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى بالقاهرة.

ثانيا : البحوث والمقالات المنشورة

١ ـ مقال بعنوان « العلوم السلوكية من أدوات الكفاية الإنتاجية »
مجلة « الكفاية الانتاجية » عدد أكتوبر 		١٩٧١

٢ ـ مقال بعنوان « قياس الروح المعنوية في منظمات العمل »
مجلة « الإدارة » عدد يناير 		١٩٧٣

٤ ـ مقال بعنوان « الإدارة الريفية في مصر »
مجلة « الإدارة » عدد يناير 		١٩٧٥

٥ ـ بحث ميداني بعنوان « منهاج تحليل المحتوى والتدريب الإدارى ، مع دراسة ميدانية في مجال الاتصال الإدارى » .
مجلة « الإدارة » عدد يوليو . 		١٩٧٥

٦ ـ مقال بعنوان « التخطيط الاجتماعي الإسلامي »
مجلة « منبر الإسلام » عدد أغسطس 		١٩٧٤

٧ ـ مقال بعنوان « الفكر الاجتماعي الإسلامي »
مجلة « منبر الإسلام » عدد يناير 		١٩٧٥

٨ ـ مقال بعنوان « عمر بن الخطاب والفكر الاجتماعي الإسلامي »
مجلة « منبر الإسلام » عدد فبراير 		١٩٧٥

٩ ـ مقال بعنوان « الفارابي والفكر الاجتماعي الإسلامي »
مجلة « منبر الإسلام » عدد مارس 		١٩٧٥

١٠ ـ مقال بعنوان « لغة واحدة مقدسة »
مجلة « عالم الفكر المصرية » عدد يونيو 		١٩٧٥

١١ ـ مقال بعنوان « شبابنا وكيف نتعامل معه ؟ » .
مجلة « عالم الفكر المصرية » عدد أغسطس 		١٩٧٥

١٢ مقال بعنوان « البيانات الأساسية للعملية الإدارية » .
مجلة « الإدارة » عدد إبريل ١٩٧٦

١٣ — مقال بعنوان « الرسول محمد والتعاون الإسلامي »
مجلة « الأزهر » عدد إبريل ١٩٧٦

١٤ — مقال بعنوان « التنشئة الاجتماعية الإسلامية »
مجلة (الأزهر » عدد أكتوبر ١٩٧٦

١٥ — مقال بعنوان « الثقافة الاجتماعية وعلاقتها بالنقل »
مجله « الوعى العربى » عدد سبتمبر ١٩٧٦

١٦ — مقال بعنوان « الإدارى العام والعلاقات العامة »
مجلة « الإدارة » عدد أكتوبر ١٩٧٦

١٧ — مقال بعنوان « الروح المعنوية وكيفية دراستها »(١)
مجلة « الوعى العربى » عدد ديسمبر ١٩٧٤

١٨ — مقال بعنوال « الروح المعنوية وكيفية دراستها » (٢)
مجلة « الوعى العربى » عدد فبراير ١٩٧٦

١٩ — مقال بعنوان « الصراع عملية غير إسلامية » .
مجلة « الأزهر » عدد فبراير ١٩٧٦

٢٠ — دراسة علمية بعنوان « الإنسان محور الرسالة الإسلامية »
مجلة « الثقافة العربية » التى تصدر فى ليبيا ، عدد إبريل ١٩٧٧

٢١ — ومقال بعنوان « النظرية الإسلامية فى التربية »
مجلة « الوعى العربى » عدد مايو ١٩٧٧

٢٢ — بحث بعنوان « المدخلات والمخرجات فى السلوك الإنسانى »
مجلة « الإدارة » عدد يوليو ١٩٧٧

٢٣ — مقال بعنوان « معوقات الاتصال الإدارى »
مجلة « الإدارة » عدد أكتوبر ١٩٧٧

٢٤ — مقال بعنوان « التحليل النفسى وهموم الإنسان »
مجلة « الفيصل » التى تصدر فى المملكة العربية السعودية
عدد ديسمبر ١٩٧٧

المحتـــويات

الموضـوع

انتهى طبع هذا الكتاب بعون الله ومشيئته

فى ١٨ / ١ / ١٩٧٨

رقم الإيداع ١٩٨٧/١٩٧٨

هذا الكتاب ..

– يتناول مختلف الظواهر السكانية بالدراسة التحليلية الاحصائية من حيث الحجم والتركيب والنمو وكذلك توزيع السكان ومعدلات مواليدهم ووفياتهم ونموهم ..

– كما يتناول العوامل الطاردة والجاذبة لهم، والعوامل التاريخية والسياسية التى تؤثر فى حركات السكان مثل الهجرة والتهجير والتوطن من أجل إعادة توزيع السكان داخل الوحدات الإدارية فى المجتمع .

– ويتناول أيضا تنظيم الأسرة كعامل من عوامل ضبط الإنجاب طبقا للسياسة السكانية ، وإستقصاء عوامل الكثافة والتخلخل من مكان لآخر وبصفة خاصة فى الوطن العربى .

– كما يعنى بالسمات النوعية للسكان مثل الديانات والمعتقدات والمذاهب والثقافات والمهن ... وكذلك بمختلف الخصائص السلالية والعنصرية ... وأيضا بتوزيع سكان القارات ومدى تفشى الأمية وإنتشار الأمراض، ومظاهر الفقر والثراء ، مع الحلول المقترحة للمشكلات الناجمة عن الظواهر السكانية المعتلة .

– وينطوى أيضا على نظرية اجتماعية جديدة فى السكان للمؤلف ، ... بالأخذبها إيقاف نمو السكان فى العالم كله نهائيا .

د . زيدان عبد الباقى

